الدلالات العقدية للآيات الكونية

رسالة جامعية

تأليف

د. عبد المجيد بن محمد الوعلان





rakaez.kw@gmail.com

الطبعة الأولى
١٤٤٠ هـ ـ ٢٠١٩م

دار أطلس الخضراء
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ـ الرياض
هاتف: ٤٢٦٦١٠٤ / ٤٢٦٦٩٦٣، فاكس: ٤٢٥٧٩٠٦
www.facebook.com/DARATLAS
twitter: @ dar-atlas
dar-atlas@hotmail.com

الدلالات العقدية

للآيات الكونية

د. عبد المجيد بن محمد الوعلان



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمه

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾[١]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن التفكر في مخلوقات الله وآياته العظيمة، وما يحدثه الله ﷻ في هذا الكون، علويه وسفليه، من ليل ونهار، ورياح وأمطار، ورعد وبرق، وخسوف وكسوف، وزلازل وبراكين، وفيضانات وسيول وغير ذلك، كل ذلك بتصريف من الله وحده ﷻ عظةٌ واعتبار لمن اعتبر.

وهذا التفكر يدل على أن هذا الكون له خالق مالك متصرف، مستحق للعبادة وحده، فهو سبحانه يظهر آياته الكونية للناس ليستدلوا بها على أنه هو المستحق للعبادة وحده، وأن كل ما سواه هو الباطل الذي يضمحل ويفنى، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾[٢]، قال ابن جرير رحمه الله: "هذا الذي أخبرتك يا محمد أن الله فعله من إيلاجه الليل في النهار، والنهار في الليل، وغير ذلك من عظيم قُدرته، إنما فعله بأنه الله حقا، دون ما يدعوه هؤلاء المشركون به، وأنه لا يقدر على فعل ذلك سواه، ولا تصلح الألوهة إلا لمن فعل ذلك بقُدرته"[٣].

---

(١) الأنعام: ١.

(٢) لقمان: ٣٠.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير

=

قال القاسمي[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ: " ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارئ بها، ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ بسبب أن الحق، وجوده وإلهيته"[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)] رَحِمَهُ اللَّهُ فيما يحصل به اليقين وأنواع الفكر والاعتبار: "وأما كيف يحصل اليقين فبثلاثة أشياء: أحدها: تدبر القرآن، والثاني: تدبر الآيات التي يحدثها الله في الأنفس والآفاق التي تبين أنه حق،

= الطبري، تحقيق: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١: ٢١/ ٩٦، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تقديم يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط٢: ٢/ ٥٧٠.

(١) هو جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق المعروف بجمال الدين القاسمي، علامة الشام، له مصنفات كثيرة، منها: دلائل التوحيد، والفتوى في الإسلام، نقد النصائح الكافية، وموعظة المؤمنين اختصر به إحياء علوم الدين للغزالي، وإصلاح المساجد من البدع والعوائد، وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ومحاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم، توفي عام ١٣٣٢هـ.
انظر: الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥: ٢/ ١٣٥.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت: ٥/ ٤٨١.

(٣) هو شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي، الإمام العالم العلامة الفقيه، القدوة، وله المصنفات العظيمة، منها: منهاج السنة النبوية، ودرء تعارض العقل والنقل، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، والتدمرية، والواسطية، وغيرها، توفي عام ٧٢٨هـ.
انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، دار المعرفة، بيروت: ٢/ ٣٨٧، والبداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار عالم الكتب، الرياض، ط١: ١٤/ ١٤١، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١: ٦/ ٨٠، والأعلام للزركلي: ١/ ١٤٤، والجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمع محمد عزير شمس وعلي العمران، دار عالم الفوائد، مكة، ط١.

والثالث: العمل بموجب العلم، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[١]... فبين سبحانه أنه يرُي الآيات المشهودة ليبين صدق الآيات المسموعة مع أن شهادته بالآيات المسموعة كافية"[٢].

والقرآن لم يذكر هذه الآيات الكونية على أنها مقصودة لذاتها؛ ولكنها دعوة عملية للإيمان بالله من منطلق أن كل ما نشاهده في هذا الكون فهو خاضع للنظام الدقيق وللعناية الفائقة، ولرحمة الرحمن بعباده.

والنبي ﷺ يذكر بعض الآيات الكونية، ثم يذكر بعدها تقرير التوحيد ونفي الشرك وإثبات البعث وغير ذلك من مسائل العقيدة، فكان ﷺ يقول: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد ﷺ، وملة أبينا إبراهيم، حنيفا مسلما وما كان من المشركين»[٣].

وقد كان للنبي ﷺ هديه الواضح تجاه هذه الآيات الكونية، وبيان ما يقع من الناس فيها من مخالفات، تنقص من إيمان العبد أو تزيله، ومن ذلك أنه لما حصل الخسوف في زمنه - عليه الصلاة والسلام - بين أن «الشمس

(١) فصلت: ٥٣.

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع الشيخ: عبد الرحمن بن قاسم، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢: ٣/ ٣٣١-٣٣٢.

(٣) المسند للإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١: ٢٤/ ٧٧، برقم (١٥٣٦٠)، وقال محققه: إسناده على شرط الشيخين، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، تحقيق: د. فاروق حمادة، دار الكلم الطيب، دمشق، ط١: ١/ ١٣٨، برقم (١ و ٣)، وعزاه النووي لابن السني وصححه، انظر: كتاب الأذكار للنووي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الهدى، الرياض، ط٧، : ١٢٥، وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، تحقيق: حمدي السلفي، دار ابن كثير، دمشق، ط١: ٢/ ٤٠١، حديث حسن، وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١: ٦/ ١٢٣٠.

والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته» الحديث[١].

فبين أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، ونفى ما كان يعتقده أهل الجاهلية من أنهما ينخسفان لموت أحد أو حياته، ثم بين سبب حصول هذا الخسوف - بالإضافة إلى الأسباب الحسية - وهو غيرة الله أن تنتهك محارمه، ثم بين أنه ﷺ يعلم - بما أعلمه الله - من الأمور العظيمة التي لا يعلمونها، وهذا من أدلة نبوته.

ومن أجل إيضاح هذه الدلائل والمسائل العقدية المتعلقة بالآيات الكونية، وبيان ما حصل من الناس من المخالفات العقدية التي تقعُ عند حدوثها، وحيث أن أغلب من تكلم عن هذا الموضوع تكلم من جهة تعلق هذه الآيات بتوحيد الربوبية أو إثبات الرسالة أو البعث، وقلّ من تكلم عنها من جهة تعلقها بمسائل العقيدة الأخرى كتوحيد الألوهية والأسماء والصفات، والإيمان بالغيب، والكتب والرسل، والقدر والفطرة، ومسائل الأسماء والأحكام، والنهي عن مشابهة المشركين ونحو ذلك، رغبت أن يكون بحثي لمرحلة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة - بعد الاستشارة والاستخارة - بعنوان:

" الآيات الكونية دراسة عقديه "[٢].

(١) صحيح البخاري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، دار بيت الأفكار الدولية، الرياض: كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف: ٢٠٧، برقم (١٠٤٤).

(٢) هذا أصل عنوان الرسالة: وتم تعديله عند الطباعة إلى "الدلالات العقدية للآيات الكونية".

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- بيان كمال قدرة الله وحكمته ﷻ في هذا الكون.

٢- بيان منهج القرآن، وهدي النبي ﷺ تجاه الآيات الكونية.

٣- كثرة الأدلة في الموضوع وتنوعها، مع أنه لم يُنبه في أغلب الكتابة عنها إلا فيما يتعلق بتوحيد الربوبية وإثبات الرسالة والبعث.

٤- كثرة الحوادث وتنوعها في هذا الزمن، مع غفلة الناس عنها وعن الاعتبار بها؛ بل والوقوع في المخالفات العقدية فيها.

٥- اختلاف الناس في التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة النبوية، مع وجود بعض المخالفات العقدية في ذلك.

٦- أنه لم يسبق أن أفرد الموضوع بدراسة مستقلة وافية - حسب علمي -.

أهداف البحث:

١- جمع الآيات الكونية الواردة في النصوص الشرعية مع بيان المنهج الشرعي تجاهها، وبيان المخالفات العقدية التي تقع في ذلك.

٢- بيان الموقف العقدي الصحيح من التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة النبوية.

أسئلة البحث:

السؤال الأول: ما المراد بالآيات الكونية؟

السؤال الثاني: ما علاقة توحيد الربوبية بتوحيد الألوهية؟

السؤال الثالث: ما الدلائل والمسائل العقدية المتعلقة بالآيات الكونية؟

السؤال الرابع: ما المخالفات العقدية الواقعة عند حدوث بعض الآيات الكونية؟

السؤال الخامس: هل العلم بالأسباب ينافي كون الشيء آية من آيات الله؟

السؤال السادس: ما الموقف العقدي الصحيح من التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة النبوية؟

السؤال السابع: ما الهدي القرآني والنبوي في الاستفادة من الآيات الكونية في تقرير العقيدة؟

الدراسات السابقة:

لم يتناول أحد بالبحث - حسب علمي وبعد السؤال - الدلائل والمسائل العقدية المتعلقة بالآيات الكونية على وجه التفصيل، وأغلب من كتب حول هذا الموضوع كان التركيز في ذلك على جانب توحيد الربوبية والبعث، وتقرير النبوة بإثبات معجزة القرآن والسنة من جهة إخبارها ببعض ما يتعلق بالإعجاز العلمي؛ لكن ثم رسائل تناولت الموضوع ولكن من جوانب أخرى حديثية أو دعوية، بالإضافة إلى بعض الرسائل التي تناولت بعض جوانب البحث ولكنها في جزئية معينة منه، أو تكلمت عن مبحث من مباحثه.

ومن تلك الدراسات:

١- "منهج القرآن الكريم في عرض الظواهر الكونية"، المقدمة من الباحثة: ليلى بنت صالح بن علي الزامل، لنيل درجة الدكتوراه في تفسير وعلوم القرآن من قسم الدراسات الإسلامية، بكلية التربية للبنات بجدة عام ١٤٢٠.

وقد تطرقت الباحثة إلى أسلوب القرآن في عرض الظواهر الكونية، وخصائص هذه الظواهر في القرآن وخضوعها وعبوديتها لله، وأهداف منهج القرآن في عرضها ودلالة ذلك على الربوبية والملك لله والحكمة، وعلى البعث، ولم تتطرق الباحثة إلى المسائل العقدية الأخرى.

٢- "الفلك وعلاقته بالعقيدة في الكتاب والسنة"، المقدمة من الباحث: عبد الله بن محمد بن سعيد الأنصاري، متطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمركز الدراسات العليا المسائية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤١١.

وموضوع البحث يتحدث عن علم الفلك وموضوعه ونموه خلال تاريخ الحضارات، وما يتعلق بذلك من اعتقادات فاسدة.

ومقارنة بين ما جاء في القرآن والسنة عن تفسير ومراحل خلق السماوات والأرض وبين أرجح النظريات العلمية المعاصرة.

وتفسير حركة الأجرام السماوية في القرآن الكريم وعلم الفلك المعاصر.

ثم تحدث الباحث عن التنجيم قديمًا وحديثًا، وعلاقته بالعلم وموقف العقل والدين منه.

وختم البحث بالحديث عن الفلك والتوحيد من جهة الربوبية وبعض الأسماء والصفات، وبين حكمة الله وعلمه وقدرته، وأن الله وحده هو الخالق المدبر النافع الضار.

وبين أن بعض ما انتهى إليه علم الفلك الحديث من أهم دلائل الآفاق المثبتة لوحدانية الله، والموجبة لإفراده بالخلق والتدبير والعبادة.

والملاحظات على البحث: أن الباحث لم يذكر الآيات الكونية إلا ما يتعلق بالفلك والنجوم، ولم يذكر المسائل المتعلقة بالآيات الكونية الأخرى.

كما أنه ذكر المخالفات العقدية من جهة اعتقاد الفلاسفة والوثنين، ولم يذكر المخالفات من غيرهم.

٣- "الأحاديث النبوية التي استدل بها على الإعجاز العلمي في الإنسان، والأرض، والفلك، جمع وتخريج ودراسة"، المقدمة من الباحث: أحمد بن حسن بن أحمد الحارثي، لنيل درجة الماجستير من قسم فقه السنة ومصادرها

بكلية الحديث والدراسات الإسلامية، بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، عام ١٤١٣.

والرسالة كما يظهر من عنوانها تتعلق بالجوانب الحديثية وليس لها علاقة مباشرة بموضوع البحث.

٤- " آيات التخويف الكونية وأثرها في الدعوة إلى الله"، المقدمة من الباحث: جمعان بن عبد الله بن سرور الغامدي، لنيل درجة الماجستير من قسم الدعوة والاحتساب في المعهد العالي للدعوة الإسلامية، عام ١٤٠٧، والرسالة كما يظهر من عنوانها تتعلق بالجوانب الدعوية وليس لها علاقة بموضوع البحث.

٥- " دراسات فلسفية وإسلامية في الآيات الكونية"، تأليف عبد الباري بن محمد داود، وقد ذكر المؤلف أن موضوع كتابه هو: "الحياة الروحية في الآيات الكونية"، ولذا اعتنى بجانب الحياة الروحية في الإسلام، وعند الرسول ﷺ والصحابة والتابعين من بعده. وذكر العلاقة بين الخالق والمخلوق، وأثر التدبر في الكون على الحياة الروحية، وما يدعو إليه هذا التدبر من الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، وأن الله تعالى عالم الغيب والشهادة.

ولذلك فإنه لم يف بكافة جوانب البحث، ولم يتطرق إلى جوانب العقيدة الأخرى، ولم يربط الآيات الكونية بالمسائل العقدية، ولم يذكر المخالفات العقدية فيها.

٦- الدلالات العقدية للماء في القرآن الكريم للدكتور محمد بن عبد الله السحيم ضمن مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء العدد (٩٨)، وهو في صلب الموضوع؛ لكنه لم يتناول في بحثه إلا الماء.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة وثمانية فصول وخاتمة.

المقدمة تشتمل على:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- أهداف البحث.
- أسئلة البحث.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

الفصل الأول: المنهج الشرعي تجاه الآيات الكونية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالآيات الكونية.

المبحث الثاني: أنواع الآيات الكونية.

المبحث الثالث: نبذة عن جهود السلف في العناية بالآيات الكونية ودلالتها العقدية.

المبحث الرابع: الضوابط الشرعية تجاه الآيات الكونية.

الفصل الثاني: التفكر في الآيات الكونية وأهميته والهدي القرآني والنبوي تجاهها.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأمر بالتفكر في آيات الله الكونية، وأهميته.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بالتفكر في آيات الله الكونية.

المطلب الثاني: أهمية التفكر في آيات الله الكونية.

المطلب الثالث: الحكمة من الآيات الكونية.

المطلب الرابع: الآيات الكونية وتثبيت العقيدة.

المطلب الخامس: عبودية الكائنات لرب العالمين.

المبحث الثاني: الهدي القرآني والنبوي تجاه الآيات الكونية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الهدي القرآني تجاه الآيات الكونية.

المطلب الثاني: الهدي النبوي تجاه الآيات الكونية.

المطلب الثالث: تأييد الله لأنبيائه بالآيات الكونية.

المطلب الرابع: الآيات الكونية وأركان الإسلام.

الفصل الثالث: **التفسير العلمي للآيات الكونية، والدراسات المستقبلية عنها وصلتها بالعقيدة.**

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المراد بالتفسير العلمي.

المطلب الثاني: موقف العلماء من التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة.

المطلب الثالث: موافقة الحقائق العلمية للقرآن والسنة.

المطلب الرابع: المخالفات العقدية في التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة.

المبحث الثاني: مسائل متعلقة بالتفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قضايا العلم التجريبي بين القرآن والعلم الحديث.

المطلب الثاني: المقصد من إشارة القرآن لبعض الآيات الكونية المرتبطة بالعلوم التجريبية.

المبحث الثالث: الآيات الكونية المستقبلية والدراسات حولها وصلتها بالعقيدة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدراسات العلمية حول الآيات الكونية المستقبلية.

المطلب الثاني: صلة هذه الدراسات بالعقيدة.

المطلب الثالث: المخالفات العقدية في الدراسات العلمية حول الآيات الكونية المستقبلية.

الفصل الرابع: الأسباب، وصلتها بالآيات الكونية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أنواع الأسباب.

المبحث الثاني: منزلة الأسباب في الشريعة.

المبحث الثالث: صلة الأسباب بالآيات الكونية.

المبحث الرابع: العلم بوقت حدوث هذه الآيات الكونية وأسبابها الحسية لا ينافي كونها آية من آيات الله.

الفصل الخامس: الآيات الكونية السماوية ودلالتها العقدية.

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: السماء.

المبحث الثاني: الشمس.

المبحث الثالث: القمر.

المبحث الرابع: النجم.

المبحث الخامس: الرعد والبرق والصواعق.

المبحث السادس: المطر والثلج والبرد.

المبحث السابع: الريح والرياح.

الفصل السادس: الآيات الكونية الأرضية ودلالتها العقدية.

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: حركة الأرض.

المبحث الثاني: الجبال.

المبحث الثالث: الزلازل والخسوف والبراكين.

المبحث الرابع: البحار والأنهار.

المبحث الخامس: الليل والنهار.

المبحث السادس: الحياة والموت.

المبحث السابع: النوم.

المبحث الثامن: النبات.

المبحث التاسع: الأمراض.

الفصل السابع: الآيات الكونية المتعلقة بأشراط الساعة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآيات الكونية المتعلقة بأشراط الساعة الصغرى.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الطاعون.

المطلب الثاني: ظهور نار الحجاز.

المطلب الثالث: كثرة الزلازل.

المطلب الرابع: ظهور الخسف.

المطلب الخامس: انتفاخ الأهلة.

المطلب السادس: عود أرض العرب مروجًا وأنهارا.

المطلب السابع: كثرة المطر وقلة النبات.

المبحث الثاني: الآيات الكونية المتعلقة بأشراط الساعة الكبرى.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: ما يكون مع المسيح الدجال - بإذن الله -.

المطلب الثاني: الخسوف الثلاثة.

المطلب الثالث: الدخان.

المطلب الرابع: طلوع الشمس من مغربها.

المطلب الخامس: النار التي تحشر الناس.

المطلب السادس: الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين.

الفصل الثامن: الآيات الكونية المتعلقة بيوم القيامة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآيات الكونية السماوية.

المبحث الثاني: الآيات الكونية الأرضية.

الخاتمة: وفيها ذكر أبرز النتائج.

الفهارس[١].

---

(١) وقد حذفتها عند الطباعة اختصارا، واكتفيت بفهرس المراجع والموضوعات.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي، وفق الآتي:

١- أجمع كل ما يتعلق بالآيات الكونية، وذلك من خلال أدلة الكتاب والسنة، مع تمييز الأحاديث الواردة فيها صحةً وضعفًا.

٢- أذكر أهمية هذه الآيات وعبوديتها، وما تضمنته من دلائل عقدية، والمنهج الشرعي تجاهها.

٣- أذكر التفسير العلمي للآيات الكونية، والدراسات المستقبلية فيما يتعلق بأشراط الساعة الصغرى والكبرى ويوم القيامة وصلتها بالعقيدة، مع نقل كلام الأئمة عليها، والدلائل والمسائل العقدية المتعلقة بها.

٤- أبين المخالفات العقدية المتعلقة بالآيات الكونية.

٥- أعزو الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم.

٦- أخرج الأحاديث الواردة في البحث من مصادرها، وأنقل الحكم عليها من كلام أهل العلم؛ إلا ما كان في الصحيحين أو في أحدهما فأكتفي بالعزو إليهما لتلقي الأمة لهما بالقبول.

٧- أوثق النصوص بعزوها إلى مصادرها.

٨- أترجم للأعلام.

٩- أعرف بالملل والنحل والفرق، وكذا الأماكن والبلدان.

١٠- أعرف بالمصطلحات والألفاظ الغريبة وأضبطها بالشكل.

١١- أعمل الفهارس اللازمة.

الصعوبات التي واجهت الباحث:

١- تداخل الموضوعات، فالسماء مثلًا تدخل في الآيات الكونية السماوية، وتدخل في الآيات الكونية المتعلقة بأشراط الساعة، والآيات الكونية المتعلقة بيوم القيامة.

٢- كثرة الآيات القرآنية عن الآيات الكونية، فقد بلغت حسب عدّ الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة ١٩٣٥ آية[(١)].

٣- كثرة الأحاديث النبوية عن الآيات الكونية، فقد بلغت حسب عدّ الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة ١٧٤٤ حديثا[(٢)].

٤- طول الموضوع وخصوصًا في بعض الآيات الكونية، وعلى سبيل المثال فقد صدرت رسالة دكتوراه تتعلق بالسماء في القرآن الكريم فقط من إعداد: د. غالب محمد رجا الزعارير، وكذلك رسالة في الماء له أيضًا.

٥- كثرة المؤلفات المعاصرة في الإعجاز العلمي مع عدم عنايتها بموضوع البحث.

٦- كثرة المؤلفات في الإعجاز العلمي باللغات المختلفة مع عدم إجادة الباحث لها.

---

(١) انظر: الآيات الكونية في القرآن الكريم من إعداد الهيئة العالمية للإعجاز العلمي بمكة المكرمة، مطبوع بالحاسب الآلي.

(٢) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية، إعداد الشيخ: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف، والشيخ: إسماعيل القرشي، مطبوع بالحاسب الآلي: ١٤١٦.

شكر:

فإني أشكر الله وأحمده على ما يسر وأعان على إتمام هذا البحث، الذي أسأل الله ﷻ أن يكون صالحًا ولوجهه خالصًا.

كما أشكر بعد شكر الله ﷻ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة التي أتاحت لي هذه الفرصة لمواصلة الدراسة.

كما أتوجه بالشكر لفضيلة الشيخ: د. عبد الكريم بن محمد الحميدي المشرف على هذه الرسالة على ما بذله من جهد ووقت، ونصح وتوجيه، أسأل الله ﷻ أن يكون ذلك في ميزان حسناته.

كما أشكر الأساتذة الأفاضل الذين تكرموا بقبول مناقشة الرسالة، وهما الأستاذ الدكتور سيد عبد الستار مهيوب، وفضيلة الشيخ الدكتور فهد بن سعد المقرن.

وأشكر كذلك كل من ساهم ومد يد العون لي من أهل بيتي وغيرهم، وأخص منهم فضيلة الأستاذ: محمد المنصور، مدير مكتب الإعجاز العلمي بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي للقرآن والسنة بمكة المكرمة، وفضيلة الشيخ أبو الأشبال صغير أحمد شاغف، وفضيلة الشيخ الدكتور عبد الحفيظ الحداد الباحثان بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي بمكة المكرمة على ما قدموه لي من فهارس للآيات الكونية في القرآن والسنة.

وبعد فهذا جهد المقل وأستغفر الله وأتوب إليه من الزلل والتقصير، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد المجيد بن محمد الوعلان

Awalaan@gmail.com

الفصل الأول
المنهج الشرعي تجاه الآيات الكونية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالآيات الكونية.

المبحث الثاني: أنواع الآيات الكونية.

المبحث الثالث: نبذة عن جهود السلف في العناية بالآيات الكونية ودلالتها العقدية.

المبحث الرابع: الضوابط الشرعية تجاه الآيات الكونية.

المبحث الأول
المراد بالآيات الكونية

الآيات الكونية: هذه الكلمة تتكون من لفظتين: "الآيات"، و"الكونية".

تعريف الآيات في اللغة:

الآيات جمع آية، والآية: العلامة، والإمارة والجماعة، والجمع آيات وآيٌ وآيايٌ.

والآية: من التنزيل ومن آيات القرآن العزيز، وسميت بذلك لأنها علامة لانقطاع كلام من كلام ويفضي منها إلى غيرها، وقيل سميت بذلك لأنها جماعة من الحروف، وآيات الله عجائبه[(١)].

والآية كذلك العبرة والعبر، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾[(٢)] أي أمور وعبر مختلفة.

وتطلق الآية على المعجزة[(٣)]، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٢/ ١٨٧، قال الكرماني: ما جاء في القرآن من "الآيات" فلجمع الدلائل، وما جاء من "الآية" فلوحدانية المدلول عليه. البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق: أحمد عز الدين خلف الله، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط١: ٢٤٠، وانظر: درة التنزيل وغرة التأويل للإسكافي، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، ط١: ٢/ ٨٢٠- ٨٢٥.

(٢) يوسف: ٧.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف: ١/ ١٨٥، والقاموس المحيط للفيروزآبادي، تحقيق: الشيخ يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥: ١/ ٦٢٨، والمعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، ١٣٨٠: ١/ ٣٥، وتاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن الزبيدي،

=

وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾[١].

والآية في القرآن تطلق على معنيين:

الأول: إطلاق الآية على الآية الشرعية الدينية، كآيات هذا القرآن العظيم، ومنه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾[٢].

الثاني: إطلاق الآية على الآية الكونية القدرية[٣]، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[٥].

وأضاف بعضهم إطلاق ثالث وهو: إطلاق الآية على المعجزات التي يؤتيها الله رسله لإثبات صدق بلاغهم عن الله، مثل انشقاق البحر لموسى عليه السلام، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام[٦]، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾[٧].

= تحقيق: مجموعة من المحققين، وزارة الأوقاف الكويتية: ٣٧/ ١٢٢.

(١) المؤمنون: ٥٠.

(٢) البقرة: ٢٥٢.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للعلامة محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٥: ٧/ ٣٣٩، وانظر: مجموع الفتاوى: ١١/ ٣٢٢-٣٢٣.

(٤) آل عمران: ١٩٠.

(٥) فصلت: ٣٧.

(٦) تفسير الشعراوي: ٨/ ٤٧٥٥، ٩/ ٥٧٤٧.

(٧) آل عمران: ٤٩.

وهذه المعجزات لا تخرج عن كونها آيات كونية قدرية.

تعريف الكون في اللغة:

الكون: الكاف والواو النون أصل يدل على الإخبار عن حدوث شيء، إما في زمان ماض، أو زمان راهن، يقولون كان الشيء يكون كونا إذا وقع وحضر.

والكَون: الحدَث وقد كان كوَنا وكيْنُونِة، والكائنة الحادِثة، والتَّكوُّن التحرك، تقول العرب لمن تشنؤه: لا كان ولا تكوَّن؛ لا كان: لا خُلق، ولا تكوّن: لا تحرك، أي مات، والكائنة: الأمر الحادث. وكوَّنه فتكوَّن: أحدثه فحدث، وكوّن الشيء: أحدثه. والله مكوِّن الأشياء يخرجها من العدم إلى الوجود، والكَوْن: واحد الأكْوان[١].

وكوّن الشيء: ركبه بالتأليف بين أجزائه. والكون: الوجود المطلق العام، واسم لما يحدث دفعة كحدوث النور عقب الظلام مباشرة، وإن كان الحدث بالتدريج فهو الحركة، والكونان: الدنيا والآخرة[٢].

ويستعمل مصطلح الكون في الفيزياء، وفي الفلك ليشير إلى كل شيء موجود، من أصغر الذرات إلى أكثر الأجرام الفلكية بعدًا[٣].

ويطلق مسمى الكون اليوم على هذا الفضاء الواسع وما به من أجرام، كالسماوات والأرض وما فيهن وما بين ذلك من كل متحرك وساكن مما علمه الإنسان وما جهله[٤].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ١٤٨، ولسان العرب: ٥/ ٣٩٥٩-٣٩٦٣، وتهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق: علي حسن هلالي وآخرون: ١٠/ ٣٧٥-٣٧٦.

(٢) المعجم الوسيط: ٢/ ٨١٢، والمعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة: ٥٤٥.

(٣) الموسوعة العربية العالمية، إعداد مجموعة من الباحثين، مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، ط٢: ٢٠/ ٢٨٥.

(٤) الأجزاء الكونية بين النقل والعقل لعبد العزيز آل عبد الله، مكتبة دار البيان، ط١: ٧٧.

=

المراد بالآيات الكونية:

يتبين لنا مما سبق أن المراد بالآيات الكونية: أنها المنسوبة إلى الكون الذي هو الخلق الذي كونه الله تعالى فكان، وذلك السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من سائر المخلوقات(١)، فكل المخلوقات ذواتها، وصفاتها، وأحوالها من الآيات الكونية(٢).

وهي العجائب - أي السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما - التي في الكون، ويسميها الله سبحانه آيات(٣)، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾(٥).

وهذه الآيات الكونية هي مناط الاستدلال العقلي على وجود الإله(٦)، وعلى أن خالقها هو الرب المعبود وحده(٧)، وعلى ما له من حكمة، ورحمة، وقدرة...(٨).

= وانظر: الموسوعة الفلكية لفايجرت، وتسمرمان، ترجمة: عبد القوي عياد، ومحمد جمال الدين الفندي: ٣٢٩، ٤٠٤.

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١: ١/ ١٤١.

(٢) تفسير القرآن الكريم، سورة البقرة للشيخ: محمد بن صالح بن عثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١: ٢/ ٣٦٠.

(٣) تفسير الشعراوي: ١٠/ ٥٥٩٦.

(٤) فصلت: ٣٧.

(٥) الروم: ٢١.

(٦) المرجع السابق: ١٠/ ٦١١٢، وانظر: النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. عبد العزيز الطويان، دار أضواء السلف، الرياض، ط١: ٢/ ٧٧٧.

(٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٧/ ٣٣٩.

(٨) تفسير القرآن الكريم، سورة البقرة لابن عثيمين: ٢/ ٣٦٠.

والعلم الذي يعنى بدراسة الآيات الكونية الآن يسمى: علم الكونيات، وهو دراسة تركيب الكون وتطوره وحركته في علم الفلك والفيزياء الفلكية. وهذه الدراسة تحاول أن تشرح كيفية نشوء الكون، وماذا حدث له في الماضي وماذا يمكن أن يحدث له في المستقبل[١].

(١) الموسوعة العربية العالمية: ٢٠/ ٣١٥-٣١٦.

المبحث الثاني
أنواع الآيات الكونية

الآيات الكونية تتنوع وتنقسم باعتبارات مختلفة، فمن ذلك:

أولًا: من حيث العينية، فتنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: أن تكون من الأعيان، كالشمس والقمر والنجوم والأرض والجبال... فهذه أعيان ظاهرة.

النوع الثاني: أن تكون من الأعراض[١] التي تقوم بغيرها - وتسمى الظواهر الكونية -، كالخسوف والكسوف والزلازل والشهب والنوم[٢].

ثانيًا: من حيث التكرار والوقت، فتنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: آيات متكررة، وتتنوع في أوقاتها، ومنها:

١- آيات يومية: مثل طلوع الشمس والقمر والليل والنهار.

٢- آيات موسمية أو فصلية: كتغير الأجواء والفصول الأربعة والأمطار في الغالب.

٣- آيات ليس لها وقت منتظم يعرفه الناس دون استدلال ونظر: كالخسوف والكسوف والزلازل.

---

(١) العرَض: بالتحريك هو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به، انظر: التعريفات للجرجاني، تحقيق: محمد المرعشلي، دار النفائس، ط٢: ٢٢٥، والكليات لأبي البقاء أيوب الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢: ٦٢٥.

(٢) انظر: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات لزكريا بن محمد القزويني، بعناية سوزان مبارك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦: ١٣.

النوع الثاني: آيات غير متكررة:

وهي التي لا تكون إلا في آخر الزمان: كطلوع الشمس من مغربها، وما يحدث للسماء والأرض عند قيام الساعة.

ثالثًا: باعتبار من تقع عليه، فتنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: الآيات النفسية: وهي ما يظهره الله من علامات وآثار قدرته في ذوات وأجسام الإنسان من حواس وقوى، وقدرات عقلية وجسمية، وما يصابون به من شر أو خير، ومن نعمة أو نقمة: كالنوم والمرض.

النوع الثاني: الآيات الآفقية(١): وهي ما يظهره الله من علامات قدرته في الأشياء الخارجية، أي الأشياء المحسوسة في أقطار السماوات والأرض(٢).

رابعًا: باعتبار مكان وقوعها، فتنقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الأرض وما فيها وما هو متصل بها.

النوع الثاني: ما نراه فوقنا من هذه المنطقة الفضائية بما فيها من أجرام مضيئة وغير مضيئة.

النوع الثالث: السماوات العلى بما فيها وما فوقها من الكرسي والعرش(٣).

ومنهم من قسمها باعتبار مكان وقوعها، إلى نوعين:

النوع الأول: العلويات: ويقصد به ما يتعلق بالسماء وأبراجها والكواكب ومداراتها، والشمس والقمر وما يتصل بذلك من علم الفلك.

---

(١) الآفاق: جمع أفق وهو الناحية من الأرض المتميزة عن غيرها، أو ما ظهر من نواحي الفلك وآطراف الأرض. انظر: لسان العرب: ١/ ٩٦، والقاموس المحيط: ٧٧٨.

(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس: ٢٥/ ١٨، والتفسير الوسيط، لوهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط٢: ٣/ ٢٣٢١.

(٣) انظر: الأجزاء الكونية بين النقل والعقل: ٩-١٠.

النوع الثاني: السفليات: وهي ما دون الأفلاك العلوية من النار والهواء والماء والتراب والرياح والسحاب والأرض والجبال والأشجار والبحار والأنهار والحجار والحيوانات والإنسان والنبات والطيور[١].

خامسًا: من حيث الظهور والاختفاء، فتنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: آيات منتظمة الظهور والاختفاء، مثل الشمس والقمر والليل والنهار.

النوع الثاني: آيات لا تختفي أبدًا، مثل السماوات والأرض والجبال والبحار.

سادسًا: من حيث الدلالة فتنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: نوع يوضح الحكمة الإلهية والسنن الحكيمة في إيجاد الخلق وإنشاء الحوادث.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾[٤].

النوع الثاني: يتحدث عن المخلوقات ويصف نظام إيجادها وأحوالها وفقًا لأحكام سنته سبحانه، وتنفيذًا لإرادته ومشيئته ويصف ما فيها من رحمات

---

(١) انظر: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: ٢٠، ٨٩.
(٢) الحجر: ٨٥.
(٣) طه: ٥٠.
(٤) يونس: ٥.

ونعم للعباد[١]. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾[٤].

سابعًا: من حيث الاستدلال لها فتنقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: حسي، لا يحتاج إلى نظر واستدلال، ولا إلى دليل شرعي، كطلوع الشمس من مشرقها وحرارتها.

النوع الثاني: نظري، يحتاج إلى نظر واستدلال[٥]، كمعرفة وقت الكسوف والخسوف.

النوع الثالث: غيبي، لا يمكن معرفته إلا من طريق النصوص الشرعية، كطلوع الشمس من مغربها، وسجودها تحت العرش، وما يحدث للكون في آخر الزمان[٦].

---

(١) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، لحنفي أحمد، دار المعارف، مصر، ط ٣٥: ٣.
(٢) آل عمران: ١٩٠.
(٣) الطلاق: ١٢.
(٤) عبس: ١٧-٢٢.
(٥) انظر: الأجزاء الكونية بين النقل والعقل: ١٥، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: ٦.
(٦) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: ١٩.

المبحث الثالث

نبذة عن جهود السلف

في العناية بالآيات الكونية ودلالتها العقدية

"لقد وفىّ علماء الإسلام الأجلاء المتقدمون منهم والمتأخرون، آيات الكتاب العزيز وسنة رسوله الكريم حقهما من التفسير والشرح والإيضاح والاستنباط، وصنفوا في ذلك كثيرًا من المؤلفات الواسعة والمراجع القيمة في العقائد والتفسير والحديث والفقه وغيرها، وفسروا الآيات الكونية على مقتضى ما جاءت به الشريعة ووفق أصول اللغة وغريبها، وعلى قدر ما توافر لديهم من طرق العلم وأساليب البحث في الكائنات، وقد وفقوا فوصلوا إلى نتائج مشكورة لها قيمتها في الاستدلال على أصول العقائد"[١]، وخصوصًا ما يتعلق بالربوبية والبعث والنبوة.

واعتنوا بالآيات الكونية ودلالتها العقدية وبيان المخالفات العقدية المتعلقة بها سواء كانت ممن هم قبل الإسلام، كأهل الجاهلية والوثنيين والفلاسفة، أو ممن جاء بعده من أهله وغيرهم.

وتنوعت طرائقهم في التأليف والتصنيف في ذلك[٢] بين تأليف وتصانيف مستقلة، وبين تضمين لهذه المسائل في الكتب، سواء كتب التفسير أو

(١) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن: ٣٦.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٢٠٧، ومعجم الموضوعات المطروقة في التأليف الإسلامي وبيان ما ألف فيها لعبد الله بن محمد الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١: ١/ ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٧٥، ١٧٥، ٢٠٣، ٣٣٢، ٤٠٩، ٦٣٢، ٢/ ٦٨١، ٧٠٣، ٧٧٦، ٨٠٣، ٩٤٣، ١٠٣٨، ١١٦٧، ١٣١٤.

الحديث وشروحه أو العقائد؛ بل حتى في كتب اللغة والتاريخ والبلدان والأماكن وغير ذلك، عند ذكر تعريف الآية الكونية أو مكانها أو تاريخها، تذكر هذه الآية وبعض ما يتعلق بها من دلائل ومسائل عقدية، مع بيان ما وقع فيها من مخالفات.

ففي كتب التفسير عند تفسير الآيات القرآنية التي تتحدث عن الآيات الكونية تذكر الآية الكونية وما ورد فيها من نصوص، وما تدل عليه من دلائل ومسائل عقدية، ويحذر مما وقع فيها من مخالفات واعتقادات باطلة ويرد على المخالفين فيها(١).

أما في كتب الحديث فلهم طرائق منها: جمع الأحاديث الواردة في آية أو عدة آيات كونية، والآثار الواردة في ذلك عن الصحابة والتابعين(٢).

ومن خلال الكتب الجوامع تذكر بعض الأبواب المتعلقة بالآيات الكونية ويترجم لبعضها بما تدل عليه هذه الآية، مثل ما صنع البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه: كتاب بدء الخلق، ثم ذكر تحته عدة أبواب منها(٣): باب ما جاء في سبع أرضين، باب في النجوم، باب صفة الشمس والقمر، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾(٤).

وأما شراح الحديث فإنهم يذكرون ما يتعلق بالآية الكونية من دلائل ومسائل عقدية والمخالفات الواقعة فيها والرد على ذلك عند شرحهم للحديث.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٢٢١-٢٢٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني: ١/ ٢٥٥-٢٦٠، تفسير ابن كثير: ١/ ٧٠-٧١.

(٢) انظر: كتاب المطر والرعد والبرق والريح لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق: محمد العمودي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١.

(٣) انظر: صحيح البخاري: ٦١٣-٦١٦.

(٤) الأعراف: ٥٧.

وفي كتب العقيدة تذكر الآيات الكونية، ويستدل بها والتصرف فيها والتدبير لها على وجود الخالق وربوبيته والرد على الملاحدة، كما يستدل بها على البعث بعد الموت، وعلى نبوة محمد ﷺ ومعجزاته، ويبين من خلال الآيات الكونية ما يجب على المسلم اعتقاده نحوها، ثم تذكر المخالفات العقدية الواقعة فيها كعبادة النجوم والتنجيم[(١)].

وفي كتب التاريخ المطولة يفتتحون كتبهم بالكلام على ما ورد في خلق السماوات والأرض وما بينهما، وما فيها من الآيات[(٢)].

بل منهم من صنف في بيان عقيدة المسلمين في آية من آيات الله الكونية، ثم بين العقائد الباطلة المتعلقة بها من الفلاسفة والمشركين وغيرهم ممن ينتسب إلى الإسلام، والرد عليهم في ذلك[(٣)].

بالإضافة إلى التصانيف المنوعة للحث على التفكر في هذه الآيات الكونية وتفاصيل وعجائب صنع الله فيها ثم بيان دلالتها على صفات الله[(٤)]، وما وقع فيها من مخالفات وبدع[(٥)].

أما التوسع والتعمق في الآيات الكونية وهذه العلوم وفق ما كان يفعله الفلاسفة ونحوهم فإنه لم يكن من هدي السلف[(٦)]، وإنما لما عربت كتب

---

(١) انظر: كتاب العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط١.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير: ١/ ١١-٨٨.

(٣) انظر: القول في علم النجوم لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: يوسف السعيد، دار أطلس، ط١.

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة لابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي: ١/ ٢٧٩.

(٥) انظر: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: ٢٦، ١٦٩.

(٦) انظر: نقض النظريات الكونية، لمحمد بن عبد الله الإمام، دار الآثار، صنعاء، ط١:

=

اليونان في بداية الدولة العباسية كان لذلك الأثر الكبير في إفساد عقائد بعض المسلمين، ومن ذلك ما يتعلق بالآيات الكونية والفلك(١). قال الذهبي(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ: "لما عربت كتب الأوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب نشأ للناس علم جديد مرْدٍ مهلكٍ لا يلائم علم النبوة، ولا يوافق توحيد المؤمنين قد كانت الأمة منه في عافية"(٣)، وكان الذين يشتغلون بعلم الفلك والتأليف فيه وإنشاء المراصد الفلكية "صنفان من الناس وهم الفلاسفة والمنجمون، وكثير من المنتسبين منهم إلى الإسلام كانوا متهمين في دينهم، بل منهم من هو شر على الإسلام والمسلمين من اليهود والنصارى وسائر المشركين"(٤). وعن هذا العلم المردي المهلك نجم الكلام في القمر وغيره من الأجرام العلوية والإخبار عما فيها بمجرد التخرصات والظنون الكاذبة(٥).

أما ما يتعلق بما يحتويه القرآن والسنة من علوم كونية، فإن الغزالي(٦) رَحِمَهُ اللَّهُ

= ١٩-٢٥.

(١) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٣٢٦.

(٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الذهبي، المحدث، له مصنفات عديدة، منها: سير أعلام النبلاء، والعلو للعلي الغفار، والكبائر وغيرها، توفي عام ٧٤٨.

انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار أم القرى، القاهرة: ٣/ ٤٢٦، وشذرات الذهب: ٦/ ١٥٣.

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية: ١/ ٣٢٨.

(٤) الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة الجديدة، للشيخ حمود التويجري: ١١٨، ١٨٣-١٨٤، ط١، وانظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: ١/ ٢٤٠.

(٥) المرجع السابق: ١٨٦.

(٦) هو محمد بن محمد الطوسي، أبو حامد الغزالي، من رؤوس علماء الكلام، وكانت له عناية بالتصوف وقد غلا فيه، وأقبل في أخر عمره على الحديث، من مصنفاته: إحياء علوم الدين، والمستصفى من علم الأصول، وقواعد الأحكام في إصلاح الأنام، توفي

=

هو أكثر من استوفى بيان احتواء القرآن على جميع العلوم، فقال: " القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم[(١)]، إذ كلُ كلمةٍ علمٌ، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف، إذ لكل كلمةٍ ظاهرٌ وباطن، وحد ومطلع"، ثم روى عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «مَن أراد علم الأوَّلين والآخرين فليتدبر القرآن»[(٢)]، ثم يقول بعد ذلك كله: "وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله ﷻ وصفاته، وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفى القرآن إشارة إلى مجامعها"، ثم يزيد على ذلك فيقول: "بل كل ما أشكل فهمه على النُظَّار، واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات، ففي القرآن إليه رمز ودلالات عليه، يختص أهل الفهم بدركها"[(٣)].

ثم لم يزل الأمر في زيادة حتى "نظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات

= عام ٥٠٥.
انظر: وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت: ٤/ ٢١٦، سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١: ١٩/ ٣٢٢.

(١) انظر: قانون التأويل لابن العربي، تحقيق: محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢: ١٩٦.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٦، بلفظ" فليثور القرآن": ٩/ ١٣٥-١٣٦ برقم (٨٦٦٤ و ٨٦٦٥). قال الهيثمي في مجمع الزوائد، تحقيق: عبد الله الدويش، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤: ٧/ ٣٤٢: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي، تحقيق: محمد خير طعمه حلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١: ١/ ٣٦٨.
وانظر: كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٨ - النوع الخامس والستين في العلوم المستنبطة من القرآن -: ٤/ ٢٤، وفيه يقرر أن القرآن مشتمل على كل العلوم.

على الحِكَم الباهرة، في الليل والنهار، والشمس والقمر، ومنازله، والبروج، وغير ذلك فاستخرجوا منه علم المواقيت"[(١)].

ثم وُجِدت بعد ذلك كتب مستقلة في استخراج العلوم من القرآن، وتتبع الآيات الخاصة بمختلف العلوم، وراجت هذه الفكرة في العصر المتأخر رواجًا كبيرًا بين جماعة من أهل العلم، ونتج عن ذلك مؤلفات كثيرة تعالج هذا الموضوع، كما أُلِّفت بعض التفاسير التي تسير على ضوء هذه الفكرة[(٢)].

حتى وصل الأمر في هذا العصر إلى إنشاء جمعيات ومؤسسات في الدول الإسلامية والغربية تعنى بذلك، وعلى سبيل المثال[(٣)]:

١- الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في مكة المكرمة.

٢- لجنة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة في مصر.

٣- جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة في مصر.

٤- الهيئة الأردنية للإعجاز العلمي للقرآن والسنة.

٥- الهيئة المغربية للإعجاز العلمي للقرآن والسنة.

٦- جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بولاية كاليفورنيا.

٧- الجمعية الكندية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

وغيرها.

---

(١) المرجع السابق: ٤/ ٢٦-٢٨ باختصار.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون لمحمد بن حسين الذهبي: ٢/ ٤٨٤-٤٩٦.

(٣) انظر: قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بين المؤيد والمعارض للدكتور زغلول راغب النجار، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، ط١: ٨٢-٩٠.

المبحث الرابع
الضوابط الشرعية تجاه الآيات الكونية

للتعامل مع الآيات الكونية ضوابط شرعية يجب الالتزام بها، منها:

١- الإيمان بجميع ما جاء في القرآن والسنة عن الآيات الكونية مما شهدناه أو غاب عنا، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه مما صح به النقل(١)، وإن خالف نظريات العلم الظنية(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن علم الدين طلبًا وخبرًا لا ينال إلا من جهة الرسول ﷺ، وأما العلم بالكونيات فأسبابه متعددة، وما اختص به الرسل وورثتهم أفضل مما شركهم فيه بقية الناس"(٣).

وقال الشيخ الألباني(٤) رحمه الله - في تعليقه على حديث الذباب الذي رواه

---

(١) انظر: لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسي، تحقيق: بشير عيون، دار البيان، دمشق، ط٢: ٢١.

(٢) الدين والعلم، وهل ينافي الدين العلم؟ لمصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، بيروت: ٣٢.

(٣) مجموع الفتاوى: ١١/ ٣٢٧.

(٤) هو محمد ناصر الدين الألباني، من الأعلام البارزين وله عناية بالحديث، وله مصنفات كثيرة، منها: السلسلة الصحيحة والسلسلة الضعيفة، وصحيح وضعيف السنن الأربعة، والتوسل وغيرها من الكتب، توفي عام ١٤٢٠.
انظر: كتاب علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب، دار الشواف، الرياض، ط٤: ١/ ٢٨٧، وكتاب حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه لمحمد بن إبراهيم الشيباني، من منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، وكتاب الإمام المجدد والعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني لعمر أبو بكر، دار بيت الأفكار الدولية، عمّان.

البخاري في صحيحه[1] بعد أن بين ثبوته، ورد على من طعن في راوي الحديث أبي هريرة رضي الله عنه-: "فهذا هو التحقيق العلمي يثبت أنه بريء من كل ذلك وأن الطاعن فيه هو الحقيق بالطعن فيه؛ لأنهم رموا صحابيا بالبهت، وردوا حديث رسول الله ﷺ لمجرد عدم انطباقه على عقولهم المريضة !

ونحن بصفتنا مؤمنين بصحة الحديث وأن النبي ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[2]، لا يهمنا كثيرا ثبوت الحديث من وجهة نظر الطب؛ لأن الحديث برهان قائم في نفسه لا يحتاج إلى دعم خارجي ومع ذلك فإن النفس تزداد إيمانا حين ترى الحديث الصحيح يوافقه العلم الصحيح"[3].

٢- أن الله هو المتفرد بالخلق، والمتصرف في الكون.

وقد بين الله ذلك أتم البيان، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾[4]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾[5]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ

---

(١) كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء: ٦٣٣ برقم (٣٣٢٠).

(٢) النجم: ٣-٤.

(٣) السلسلة الصحيحة: ١/ ٩٥-١٠١ باختصار.

(٤) الأنعام: ٧٣.

(٥) الأحقاف: ٤.

﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾[(١)].

٣- أن هذه الآيات الكونية لا تخرج عن قضاء الله وقدره ولا عن مشيئته وإرادته، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾[(٣)].

٤- أن كل ما ورد في النصوص الشرعية من الآيات الكونية فهو لبيان كمال قدرة الله وحكمته[(٤)]، وتذكير للناس بنعم الله تعالى عليهم ليشكروه حق شكره، وليعبدوه حق عبادته[(٥)].

فذكر الآيات الكونية في القرآن في سياق العظة للاعتبار، وفي مورد الإرشاد للاستدلال على قدرة الخالق وحكمته في مخلوقاته، ليوجه الإنسان ببصيرته إلى خالقه، فيسبحه ويمجده ويعبده حق عبادته[(٦)].

ولذلك لا يجوز التكلف فيها ما لا علم للإنسان به والتأويل فيها بغير ما أنزل الله تعالى، كما قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " خلق هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به"[(٧)].

٥- أنه ليس في النصوص الصحيحة ما ينافي العلم الكوني الصحيح، ولا ما يناهض ما أثبته البرهان الساطع، وقام عليه الدليل القاطع[(٨)]، بل إن فيه

---

(١) الحج: ٧٣.
(٢) القمر: ٤٩.
(٣) الأعلى: ١-٣.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ٥١٧.
(٥) الأجزاء الكونية بين النقل والعقل: ١٢.
(٦) الدين والعلم، وهل ينافي الدين العلم؟: ٣٠.
(٧) رواه البخاري معلقًا: كتاب بدء الخلق، باب في النجوم: ٦١٤.
(٨) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، تحقيق: علي الألمعي
=

إشارات تدعمه وتثبت رجحان ما يذهب إليه[١].

٦- أن من الآيات الكونية ما لا يمكن العلم به إلا عن طريق النصوص الشرعية الثابتة، ولا مجال للاجتهاد فيه لأن الله قد استأثر بعلم ذلك، كطلوع الشمس من مغربها آخر الزمان، وأهوال يوم القيامة.

ومنها ما يدرك بالحس والمشاهدة، وهذه لا تحتاج إلى دليل شرعي، مثل أن الشمس مضيئة وذات حرارة[٢].

ومنها ما يدرك بالنظر والاستدلال، كمعرفة وقت الكسوف والخسوف[٣].

وعلى هذا فالعلوم الكونية تبنى على أصلين، إما نص شرعي تؤخذ منه الدلالة بصريح لفظ أو مفهوم، وإما محسوس تدركه الحواس البشرية وتصدقه النصوص الشرعية لأنها لا تخالفه في منطوق ولا مفهوم.

فمرجع القبول لكل العلوم القديمة والحديثة التي تتعلق بالآيات الكونية قام على إحدى قاعدتين، إما النقل الصحيح أو العقل الصريح، إذ لا تخالف بينهما.

٧- عدم الخوض في الأمور الغيبية والوقوف مع النصوص الشرعية[٤]،

= وعبد العزيز العسكر وحمدان الحمدان، دار الفضيلة، الرياض، ط١: ٢/ ٥٣٨، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، تحقيق: علي الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط٣: ٣/ ٨٢٩.

(١) انظر: الدين والعلم، وهل ينافي الدين العلم؟: ١٣، الأجزاء الكونية بين النقل والعقل: ١٢

(٢) انظر: شرح السنة للبغوي، تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٢/ ١٨٣، ط٢، والأجزاء الكونية بين النقل والعقل: ١٠.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ط٢: ١/ ١٧٨.

(٤) الإتقان في علوم القرآن: ٤/ ١٩٠.

كما قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾[(٢)].

٨- أن ما سكتت عنه النصوص الشرعية من ظنيات العلم - أي الكوني -، فلا شيء يمنعنا أن نسلم به، حتى يجيء من العلم - أي الكوني - ما يناقضه[(٣)].

٩- أن هذه الآيات الكونية لحدوثها أسباب حسية، فنزول المطر سبب لحياة الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[(٤)]، وأسباب معنوية، قال تعالى - مبينًا أن الاستغفار من أسباب نزول الأمطار -: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾[(٥)].

١٠- ما أوتيه الإنسان من علم الآيات الكونية فإنه محدود بما أراده الله تعالى لتقوم الحجة على خلقه بما يظهره لهم من الآيات البينات التي تدل على عظمة هذا الكون وعظمة خالقه[(٦)]، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ

---

(١) النمل: ٦٥.
(٢) الكهف: ٥١.
(٣) انظر: الصواعق المرسلة: ٣/ ٧٩٨، ٨٣٠، الدين والعلم، وهل ينافي الدين العلم؟: ٣٣.
(٤) البقرة: ١٦٤.
(٥) نوح: ١٠-١٢.
(٦) انظر: تفسير القرطبي: ١٤/ ٢٩، الأجزاء الكونية بين النقل والعقل: ٢٠.

قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[١]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[٢].

١١- التثبت من حقائق العلم وعدم إقحامها في غير موضعها في القرآن والسنة، والواجب عند تفسير الآيات الكونية في القرآن أو السنة بالعلم الحديث، أن لا تخالف هذه التفاسير العلمية النصوص الشرعية، ولا تفاسير السلف، مع مراعاة الشروط والضوابط العامة للتفسير[٣].

وأنقل كلامًا لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ - وهو كالقاعدة الكلية للتعامل مع جميع العلوم الدنيوية -، قال رَحِمَهُ اللهُ: "فصل في جماع الفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي، وطريق السعادة والنجاة، وطريق الشقاوة والهلاك: أن يجعل ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والإيمان فيُصدّق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل، وإن لم يعلم هل وافقه أو خالفه لكون ذلك الكلام مجملا، لا يعرف مراد صاحبه، أو قد عرف مراده، ولكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه، أو تكذيبه؛ فإنه يمسك فلا يتكلم إلا بعلم. والعلم ما قام عليه الدليل والنافع منه ما جاء به الرسول...

---

(١) الإسراء: ٨٥.

(٢) الروم: ٧-٨.

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ٤/ ١٨٥-١٨٨، والآيات الكونية في ضوء العلم الحديث، لمنصور محمد حسب النبي، دار المعارف، القاهرة: ٥٣، والإعجاز العلمي في القرآن لسامي بن أحمد الموصلي، دار النفائس، بيروت، ط١: ٤٠.

فالرسول أعلم الخلق بها، وأرغبهم في تعريف الخلق بها، وأقدرهم على بيانها وتعريفها، فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة والإرادة، وهذه الثلاثة بها يتم المقصود، ومن سوى الرسول إما أن يكون في علمه بها نقص أو فساد، وإما أن لا يكون له إرادة فيما علمه من ذلك فلم يبينه، إما لرغبة وإما لرهبة وإما لغرض أخر، وإما أن يكون بيانه ناقصا ليس بيانه البيان عما عرفه الجنان "[١].

(١) رسالة الفرقان بين الحق والباطل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى، دار الفكر، بيروت: ١/ ١٠٢.

الفصل الثاني

التفكر في الآيات الكونية وأهميته

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأمر بالتفكر في آيات الله الكونية، وأهميته.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بالتفكر في آيات الله الكونية.

المطلب الثاني: أهمية التفكر في آيات الله الكونية.

المطلب الثالث: الحكمة من الآيات الكونية.

المطلب الرابع: الآيات الكونية وتثبيت العقيدة.

المطلب الخامس: عبودية الكائنات لرب العالمين.

المبحث الثاني: الهدي القرآني والنبوي تجاه الآيات الكونية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الهدي القرآني تجاه الآيات الكونية.

المطلب الثاني: الهدي النبوي تجاه الآيات الكونية.

المطلب الثالث: تأييد الله لأنبيائه بالآيات الكونية.

المطلب الرابع: الآيات الكونية وأركان الإسلام.

المبحث الأول

الأمر بالتفكر في آيات الله الكونية، وأهميته

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بالتفكر في آيات الله الكونية.

المطلب الثاني: أهمية التفكر في آيات الله الكونية.

المطلب الثالث: الحكمة من الآيات الكونية.

المطلب الرابع: الآيات الكونية وتثبيت العقيدة.

المطلب الخامس: عبودية الكائنات لرب العالمين.

المطلب الأول: الأمر بالتفكر في آيات الله الكونية

لقد أنعم الله ﷻ على بني آدم بنعم عظيمة سخرها لهم ليعرفوه بها - سبحانه -، فيعبدوه ويوحدوه، ويقوموا بمهمة الخلافة في هذه الأرض، ويحققوا الغاية التي من أجلها خلقهم الله ﷻ. وإن من أعظم هذه النعم نعمة العقل والتفكير التي هي خاصية من خصائص الإنسان التي يتميز بها عن سائر الجمادات والعجماوات.

وقد ورد الأمر بالتفكر في كتاب الله في آيات عديدة[١]، سواءً التفكر في الآيات المتلوة، أو الآيات المشاهدة، أو آلاء الله، أو سير الأنبياء مع أقوامهم وعاقبة الفريقين، أو التفكر في الدنيا والآخرة أو غير ذلك.

ونبَّه سبحانه في مواضع كثيرة من القرآن الكريم إلى أن آياته المتلوة والمشاهدة، وآياته في آلائه ونعمه لا ينتفع بها إلا أولو العقول والألباب والتفكير الصحيح؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣]، في آيات كثيرة.

والتفكر في آلاء الله والسير المأمور به في القرآن الكريم هو: "سير القلوب والأبدان الذي يتولد عنه الاعتبار، وأما مجرد نظر العين وسماع الأذن، وسير البدن الخالي من التفكر والاعتبار فغير مفيد، ولا موصل إلى المطلوب"[٤].

(١) انظر: إحياء علوم الدين - كتاب التفكر: ٤/ ٥٠١، ومفتاح دار السعادة: ١/ ٢٧٩.
(٢) الرعد: ٤، النحل: ١٢، الروم: ٢٤.
(٣) الرعد: ٣، الروم: ٢١، الزمر: ٤٢، الجاثية: ١٣.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المعروف بتفسير ابن سعدي، اعتنى به
=

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾[(١)].

"فالقرآن يحث بهذه الآيات الإنسان على التأمل والنظر في بديع صنع الله في السماء والشمس والقمر والليل والنهار والضحى والظهيرة والأصيل والغروب، وفي الأرض والجبال والبحار والأنهار والسهول والنبات والرياح والأمطار، وخلق الإنسان والحيوان وسائر الكائنات، وأن أحدًا لا يمكنه حفظ نظام الكون إلا الله تعالى العلي القدير"[(٢)]، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾[(٣)].

فالله ﷻ يدعو عباده إلى التعرف عليه وعلى أسمائه وصفاته وآثارها عن طريقين:

أحدهما: بالنظر في آيات الله المشاهدة في الآفاق والأنفس، وما فيها من العظمة والحكمة والرحمة والإتقان، والتي تدل على خالقها سبحانه وعلى أسمائه وصفاته.

وقد جاء في القرآن الكريم ما لا يقل عن ثمانمائة آية كونية[(٤)]، بل أوصلها بعضهم إلى ما يربو على ألف آية[(٥)]، وبلغت حسب عد الهيئة العالمية

= سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١: ٣/١١٠٦.

(١) النحل: ١٢.

(٢) آيات الله في الكون - تفسير الآيات الكونية بالقرآن الكريم لعبد الله شحاته، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٥: ٨١-٨٢.

(٣) النحل: ١٧.

(٤) الآيات الكونية في ضوء العلم الحديث: ٨١، وانظر: نماذج للآيات الكونية في القرآن: آيات الله في الكون: ٢٤-٣٧.

(٥) التفسير والمفسرون: ٢/٥٠٦.

للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة ١٩٣٥ آية و١٧٤٤ حديثا[١]، بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة تقرب دلالاتها من الصراحة[٢].

والطريق الثاني: بالنظر في آياته المتلوة في كتابه العزيز.

قال ابن القيم[٣] رحمه الله في بيان هذا الأمر: "فالطريق الأول: النظر في مفعولاته، والثاني التفكر في آياته وتدبرها، فتلك آياته المشهودة، وهذه آياته المسموعة المعقولة، فالنوع الأول: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾[٥]، وهو كثير في القرآن.

والثاني: كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[٦]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾[٧]، وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[٨]، وهو كثير أيضًا"[٩].

(١) انظر: فهرس الآيات الكونية في القرآن الكريم، وفهرس الأحاديث الكونية والطبية.
(٢) قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بين المؤيد والمعارض: ١٠-١١، ١٣، ٩٩.
(٣) هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ابن قيم الجوزية، من أئمة السنة وأعلام السلف، من مؤلفاته: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، وزاد المعاد في هدي خير العباد وغيرها، توفي سنة ٧٥١.
انظر: ذيل طبقات الحنابلة: ٤/ ٤٤٧، وشذرات الذهب: ٦/ ١٦٨.
(٤) البقرة: ١٦٤.
(٥) آل عمران: ١٩٠.
(٦) النساء: ٨٢.
(٧) المؤمنون: ٦٨.
(٨) ص: ٢٩.
(٩) الفوائد لابن القيم، تحقيق: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، ط٦: ٣١.

ولما سُألت عائشة رضي الله عنها عن أعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ، قالت: لما كان ليلةٌ من الليالي قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي» قُلت والله إني لأحب قُرْبَكَ، وأحب ما سرك قالت فقام فتطهر، ثم قام يصلي قالت فلم يزل يبكي حتى بل حجْرَهُ[(١)]، قالت ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيتهُ، قالت ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما راه يبكي، قال يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر قال: «أفلا أكون عبدا شكورًا؟ لقد نزلت عليَّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾[(٢)]»[(٣)].

فالله ﷻ يقول في هذه الآية "تدبروا أيها الناس واعتبروا، ففيما أنشأته فخلقته من السماوات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم، وفيما عقَّبت بينه من الليل والنهار فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم، تتصرفون في هذا لمعاشكم، وتسكنون في هذا راحة لأجسادكم، معتبر ومدَّكر، وآيات وعظات"[(٤)].

(١) مَحْجِرُ العين: ما يبدو من النِقاب، انظر: الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤: ٢/ ٦٢٤.
(٢) آل عمران: ١٩٠.
(٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣: ٢/ ٣٨٦ برقم (٦٢٠)، وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم. وانظر: السلسلة الصحيحة: ١/ ١٤٧ برقم (٦٨).
(٤) تفسير الطبري: ٤/ ٢٦٠.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " النظر إلى المخلوقات العلوية والسفلية على وجه التفكر والاعتبار مأمور به مندوب إليه "[(١)].

وبتدبر القرآن الكريم تحصل معرفة الله تعالى، ومعرفة عظيم سلطانه وقدرته، وتتحقق العبودية له وكيفية عبادته سبحانه، فيحصل الخشوع والخضوع والتذلل والرجاء والخوف وغير ذلك من العبوديات لله.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾[(٢)].

قال ابن كثير[(٣)] رحمه الله: "يرشدُ تعالى عباده إلى التفكر في آلائه وما خلق في السماوات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، مما في السماوات من كواكب نيرات، ثوابت وسيارات، والشمس والقمر، والليل والنهار، واختلافهما، وإيلاج أحدهما في الآخر، حتى يطول هذا ويقصر هذا، ثم يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السماء واتساعها، وحسنها وزينتها، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير وصنوف النبات، وما ذرأ فيها من دوابّ مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب، وما في البحر من العجائب والأمواج، وهو مع هذا مسخر مذلل للسالكين، يحمل سفنهم، ويجري بها برفق بتسخير القدير له، لا إله إلا هو،

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٥/ ٣٤٣.

(٢) يونس: ١٠١.

(٣) هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي، الإمام الحافظ المحدث المؤرخ، من مؤلفاته: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، واختصار علوم الحديث، توفي عام ٧٧٤.
انظر: الدرر الكامنة: ١/ ٤٠٠، وشذرات الذهب: ٦/ ٢٣٢.

ولا رب سواه. وقوله: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي وأي شيء تُجدي الآيات السماوية والأرضية، والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها عن قوم لا يؤمنون، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾[(١)] "[(٢)].

فهذه الآية وغيرها كثير تدعو إلى الأخذ بأسباب العلم والإيمان، ومنها: المشاهدة والتأمل والتفكر في هذه المخلوقات العظيمة.

---

(١) يونس: ٩٦-٩٧.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢/ ٤٤٩.

المطلب الثاني: أهمية التفكر في آيات الله الكونية

إن المتأمل في أحوالنا اليوم وأحوال الناس بعامة - لا أقول الكفار منهم بل الكثير من المسلمين - يرى البعد الشديد عن التفكير الصحيح النافع الذي يقود صاحبه إلى الخير في الدنيا والآخرة، وإنما نجد أن جل التفكير وقوته وكثافته قد وجه في ما لا ينفع في الآخرة؛ بل فيما يضر صاحبه هنالك من التفكير في شهوات محرمة أو في خواطر وشبهات وأماني باطلة ورديئة.

والموفق من وفقه الله ﷻ فصرف فكره وهمه في معرفة ربه سبحانه، وذكره وشكره وعبادته، والاستعداد للقائه في الدار الآخرة.

فالتفكر في خلق الله تعالى يزيد الإيمان في القلب ويقويه ويرسخ اليقين، ويجلب الخشية لله تعالى وتعظيمه، وكلما كان الإنسان أكثر تفكرًا وتأملًا في خلق الله، وأكثر علمًا بالله تعالى وعظمته كان أعظم خشية لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[١].

ولهذا كان السلف الصالح على جانب عظيم من هذا الأمر فكانوا يتفكرون في خلق الله ويتدبرون آياته، ويحثون على ذلك، يقول أحدهم: ما طالت فكرة امرئ قط إلا فَهِمَ، ولا فهم إلا علم، ولا علم إلا عمل. ويقول الآخر: لو تفكر الناس في عظمة الله لما عصوه[٢]؛ بل قد قال بعضهم: أن السفر في طلب العلم يشمل العلم بآيات الله في أرضه، ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر[٣].

---

(١) فاطر: ٢٨.
(٢) إحياء علوم الدين: ٤/ ٥٠٣.
(٣) المصدر السابق: ٢/ ٢٩٥.

قال ابن سعدي[(١)] رحمه الله: " التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين "[(٢)]؛ ولكن ليس كل أحد يعتبر ويتفكر، وليس كل من تفكر أدرك المعنى المقصود[(٣)].

ولأهمية التفكر في آيات الله الكونية نجد أن الله تعالى قد أقسم ببعضها تنبيها لأهميتها ونظامها وبديع صنعتها[(٤)]، وهذا في آيات كثيرة.

والتفكر من العبادات القلبية الجليلة، وهو من أفضل أعمال القلب وأنفعها له[(٥)]، كما أنه أصل الطاعات ومبدؤها[(٦)]. وهو سبيل المرء إلى العمل، وإدراك حقائق الأشياء، بل إن حياة المرء وسعادته تبع لأفكاره.

قال ابن سعدي رحمه الله: " وأعلم أن حياتك تبع لأفكارك، فإن كانت أفكارا فيما يعود عليك نفعه في دين أو دنيا، فحياتك طيبة سعيدة وإلا فالأمر بالعكس "[(٧)].

---

(١) هو العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، الفقيه الأصولي المفسر، من مؤلفاته: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المعروف بتفسير ابن سعدي، والتوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، والدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية وغيرها من الكتب. توفي عام ١٣٧٦.
انظر: روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين للشيخ محمد بن عثمان القاضي، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢: ١/ ٢٢٩، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبد الله البسام، دار العاصمة، الرياض، ط٢: ٣/ ٢١٨.

(٢) تفسير ابن سعدي: ١/ ٢٧٠.

(٣) المصدر السابق: ١/ ٤٩٦.

(٤) آيات الله في الكون: ٢٠، وانظر: التفكير فريضة إسلامية لعباس محمود العقاد، ضمن موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١: ٥/ ٨٢٩.

(٥) مفتاح دار السعادة: ١/ ٢٨٤.

(٦) المصدر السابق: ١/ ١٨٣.

(٧) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة للشيخ: عبد الرحمن بن سعدي، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط٤: ٢٧.

فإعمال الفكر فيما ينفع ويقرب إلى الله من أهم المطالب الدينية. وقد مدح الله عباده الذين يذكرونه قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض، قائلين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(١).

ولذلك نجد أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أعظم عباد الله تفكرا في آيات الله ومخلوقاته، ونبينا ﷺ أكملهم في ذلك حيث كان يتفكر في آيات الله ومخلوقاته.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه بات عند النبي ﷺ ذات ليلة، فقام النبي ﷺ من آخر الليل فخرج فنظر إلى السماء، ثم تلا هذه الآية في سورة آل عمران قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾(٢)، ثم رجع إلى البيت فتسوك وتوضأ، ثم قام فصلى، ثم اضطجع، ثم قام فخرج فنظر إلى السماء فتلا هذه الآية، ثم رجع فتسوك فتوضأ ثم قام فصلى»(٣).

قال النووي(٤) رحمه الله: "فيه أنه يستحب قراءتها عند الاستيقاظ في الليل مع

---

(١) آل عمران: ١٩١.

(٢) آل عمران: ١٩٠-١٩١.

(٣) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول، ط١: كتاب الطهارة، باب السواك: ١/ ٢٢١ برقم (٢٥٦).

(٤) هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مُري بن حسن بن حسين الحزامي النووي، أحد أعلام الشافعية، من مؤلفاته: المجموع شرح المهذب، شرح صحيح مسلم، رياض الصالحين، توفي عام ٦٧٦.
انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: ٤/ ١٤٧٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، دار هجر، القاهرة، ط٢: ٨/ ٣٩٥.

النظر إلى السماء لما في ذلك من عظيم التدبر، وإذا تكرر نومه واستيقاظه وخروجه استحب تكريره قراءة هذه الآيات، كما ذكر في الحديث والله سبحانه وتعالى أعلم"(١).

وكان ﷺ يأمر بالتفكر فيقول: «تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا في الله»(٢).

وكان الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التابعين يمتثلون هذا، وينظرون في ملكوت الله نظر تفكر واعتبار، ويتفكرون في آيات الله المشاهدة وآياته المتلوة، والتي تتضمن آياته الشرعية وآياته الكونية.

وقد وردت الآثار الكثيرة عنهم في ذلك، فقد سئلت أم الدرداء رضي الله عنها عن أفضل عبادة أبي الدرداء رضي الله عنه قالت: "التفكر والاعتبار"(٣).

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧: ٢/ ١٤٥.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥: ٦/ ٢٥٠ برقم (٦٣١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي حامد، الدار السلفية، بومباي، ط١: ١/ ٣٥٨ برقم (١١٩)، من حديث ابن عمر وقال: " هذا إسناد فيه نظر". قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في إحياء علوم الدين من أخبار- المطبوع مع إحياء علوم الدين -: ٤/ ٥٠٢: قلت: فيه الوازع بن نافع متروك، وأخرجه أبو نعيم في الحلية بالمرفوع منه بإسناد ضعيف ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه أخر أصح منه. أ.هـ. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤ - لما ذكر أسانيد الحديث -: ١٩١ برقم (٣٤٢): وأسانيدها ضعيفة؛ لكن اجتماعها يكتسب قوة، والمعنى صحيح. وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/ ٣٩٥ برقم (١٧٨٨): وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي والله أعلم.

(٣) كتاب الزهد للإمام أحمد، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١: ١٩٨.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: "تفكر ساعة خير من قيام ليلة"[١]، وعن الحسن البصري[٢] رحمه الله: " أفضل العمل الورع والتفكر"[٣]، وقال عامر بن قيس رضي الله عنه: سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون: إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر[٤].

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: "ركعتان مقتصدتان في تفكر، خير من قيام ليلة والقلب ساه"[٥].

وقال ابن رجب[٦] رحمه الله: " ونقل عن الإمام أحمد رحمه الله في رجل أكل فشبع وأكثر الصلاة والصيام، ورجل أقل الأكل فقلت نوافله، وكان أكثر فكرة أيهما أفضل؟ فذكر ما جاء في الفكر: تفكر ساعة خير من قيام ليلة، قال: فرأيت هذا عنده أكثر - يعني الفكر - وهذا يدل على تفضيل قراءة التفكر على السرعة، وهو اختيار الشيخ تقي الدين، وهو المنصوص صريحا عن الصحابة والتابعين"[٧].

---

(١) المصدر السابق: ٢٠٢.

(٢) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري، إمام حافظ مفسر، من أئمة التابعين، توفي عام ١١٠.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط٢: ٥/ ١٥٦، وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٦٣.

(٣) إحياء علوم الدين: ١/ ٢٢٠، وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المغني، الرياض، ط١: ٣٠١.

(٤) تفسير ابن كثير: ١/ ٤٤٨.

(٥) مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي، أختصره أحمد بن علي المقريزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢: ١٤٩.

(٦) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الحنبلي، من مؤلفاته: فتح الباري شرح صحيح البخاري، وجامع العلوم والحكم، والتخويف من النار وغيرها، توفي سنة ٧٩٥.
انظر: الدرر الكامنة: ٢: ٣٢١، وشذرات الذهب: ٦/ ٢٣٠.

(٧) تقرير القواعد وتحرير الفوائد لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: مشهور بن
=

ومع هذا كله فقد أخبر الله ﷻ عن غفلة أكثر الناس عن التفكر في آياته، ودلائل توحيده كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[(١)].

قال ابن جرير[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " يقول - جل وعز -: وكم من آية في السماوات والأرض لله، وعبرةٍ وحجةٍ، وذلك كالشمس والقمر والنجوم ونحو ذلك من آيات السماوات، وكالجبال والبحار والنبات والأشجار وغير ذلك من آيات الأرض، ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾، يقول: يعاينونها فيمرُّون بها معرضين عنها لا يعتبرون بها، ولا يفكرون فيها وفيما دلت عليه من توحيد ربها، وأن الألوهة لا تنبغي إلا للواحد القهار الذي خلقها وخلق كلَّ شيء فدبَّرها "[(٣)].

وقال تعالى في ذم الغافلين عن آياته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾[(٤)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " يقول الله تعالى مخبرًا عن حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة ولا يرجون في لقائه شيئا، ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنت إليها نفوسهم.

= حسن آل سلمان، دار ابن القيم، الدمام، ط١: ١/ ١٣٤.

(١) يوسف: ١٠٥.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن يزيد بن كثير الطبري، الإمام المفسر، أحد أعلام السلف، من مؤلفاته: جامع البيان في تأويل آي القرآن، وتاريخ الأمم والملوك، وصريح السنة، وغيرها، توفي سنة ٣١٠.
انظر: سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٢٦٧، شذرات الذهب: ٢/ ٢٦٠.

(٣) تفسير الطبري: ١٣/ ٩٢.

(٤) يونس: ٧-٨.

قال الحسن رحمه الله: والله ما زينوها ولا رفعوها حتى رضوا بها[(١)]، وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها، والشرعية فلا يأتمرون بها، فإن مأواهم يوم معادهم النار جزاء على ما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا والإجرام، مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسوله واليوم الآخر"[(٢)].

وعلى هذا فالتفكر دعوة قرآنية، وسنة نبوية، وآيات القرآن وسنة الرسول ﷺ مليئة بالدعوة إلى التفكر والتدبر في الآيات المسطورة، والآيات المنظورة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٣)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول ﷺ والصحابة والتابعين لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، ط٣. : ٦/ ١٩٢٨

(٢) تفسير ابن كثير: ٢/ ٤٢٢.

(٣) النحل: ٤٤.

المطلب الثالث: الحكمة من الآيات الكونية

في القرآن الكريم ما يزيد على ألف آية تتحدث عن معالم هذا الكون، وتذكر مفرداته من السماوات والأرض، والشمس والقمر، والكواكب والنجوم، والجبال والبحار والأنهار، والمطر والرعد والبرق[(١)].

وهذه الآيات الكونية وما تدل عليه من حقائق علمية، لم تذكر في القرآن الكريم لمجرد الذكر، أو من أجل بيانها للناس ودلالتهم عليها ابتداءً، وإنما هي سيقت مساقا تابعا للغرض والهدف الذي ذكرت في ثناياه، من الاستدلال بها على قضايا كبرى: كالألوهية والنبوات والبعث[(٢)].

فهذا الكون وعجائبه وتنوعه علامات بينة تثبت قدرة الله وحكمته ووحدانيته لمن يتفكر ويتدبر.

قال ابن القيم رحمه الله في بيان الحكمة من هذه الآيات الكونية: " ولهذا يستدل سبحانه في كتابه بالحوادث تارة، وباختلافها تارة، إذ هذا وهذا يستلزم ربوبيته وقدرته واختياره، ووقوع كل الكائنات على وفق مشيئته، فتنوع أفعاله ومفعولاته من أعظم الأدلة على ربوبيته وحكمته وعلمه" . . .

ثم قال: "والمقصود أن تنويع المخلوقات واختلافها من لوازم الحكمة

---

(١) انظر: عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم لمحمد السيد راضي جبريل، ضمن بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١: ٨١.

(٢) انظر: سمات الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم للشيخ ناصر الماجد، موقع ملتقى أهل التفسير على الشبكة العنكبوتية، ١٤٢٥:
Http://www.tafsirmail.com/index.php?subaction=showfull&id=1079908381&archive=&start_from=&ucat=1&do=maqalat

والربوبية والملك، وهو أيضا من موجبات الحمد، فله الحمد على ذلك كله أكمل حمد وأتمه أيضا "[(١)].

وقد بين الله ﷻ لبعض الآيات الكونية حكمًا خاصة بها بالإضافة إلى الحكم السابقة من كمال القدرة والدلالة على الربوبية والألوهية والبعث، ومن ذلك الحكمة في خلق النجوم، قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥﴾[(٣)].

قال قتادة رحمه الله: "خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به"[(٤)].

قال ابن سعدي رحمه الله: "والحاصل أنه كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع الكائنات، علم أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب براهين ودلالات على جميع ما أخبر به عن نفسه ووحدانيته، وما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر، وأنها مدبرات مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها، فتعرف أن العالم العلوي والسفلي كلهم إليه مفتقرون، وإليه صامدون، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه"[(٥)].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط١: ٢١٤-٢١٥.

(٢) النحل: ١٦.

(٣) الملك: ٥.

(٤) سبق تخريجه: ٤٠.

(٥) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القران لعبد الرحمن بن سعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ط١: ٣٢.

المطلب الرابع: الآيات الكونية وتثبيت العقيدة

إن العقيدة الصحيحة هي أعظم ما جاءت به الرسل، وكل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقيقها كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[١]، لذا عني الكتاب الكريم والسنة المطهرة بتثبيتها في النفوس بالدلائل والبراهين العقلية والنقلية[٢].

وانتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعد أن مكث يبلغ رسالة ربه ثلاثا وعشرين سنة، منها ثلاث عشرة سنة بمكة، كانت مهمته الأولى الدعوة إلى العقيدة الصحيحة وتثبيتها، وما يتصل منها بالله سبحانه وتعالى أو التدليل على صدق الرسول ﷺ أو ما يتصل منها باليوم الآخر.

ولذلك نجد أن غالب السور المكية تناولت البراهين والأدلة ليقتنع بها ذوو العقول في تثبيت العقيدة.

قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾[٣].

---

(١) النحل: ٩٧.

(٢) انظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم: في بيان أن القرآن جمع بين الأدلة العقلية والنقلية، والاستدلال بالآيات الكونية على التوحيد وإفراد الله بالعبادة مما فيه تثبيت للمؤمنين: ٢/ ٤٦٠-٤٩٤، ٦٨٤، وحماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري د. عبد الله الزايدي، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، العدد (٧٧): ٢٣٩.

(٣) الضحى: ١-٥.

فأقسم الله سبحانه بهاتين الآتين - الضحى والليل - وهذا دليل على قدرة خالقها، وربط بين آيات الكون وبين التأكيد على أن محمدًا ﷺ لم يدْعه ربه، ولم يجفوه، بل بين أنه ربه[(١)]، وفي هذا تثبيت له.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ۝٥﴾[(٢)].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ﴾ أي شك واشتباه، وعدم علم بوقوعه، مع أن الواجب عليكم أن تصدقوا ربكم، وتصدقوا رسله في ذلك، ولكن إذا أبيتم إلا الريب، فهاكم دليلين عقليين تشاهدونهما، كل واحد منهما، يدل دلالة قطعية على ما شككتم فيه، ويزيل عن قلوبكم الريب.

أحدهما: الاستدلال بابتداء خلق الإنسان، وأن الذي ابتدأه سيعيده[(٣)].

والدليل الثاني: إحياء الأرض بعد موتها "[(٤)]، " وأن الذي أحياها سيحي الموتى، كما أنه قد قرر ذلك بقدرته على ما هو أكبر من ذلك، وهو خلق السماوات والأرض، والمخلوقات العظيمة، فمتى أثبت المنكرون ذلك - ولن يقدروا على إنكاره - فلأي شيء يستبعدون إحياء الموتى؟ "[(٥)].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٥٨.
(٢) الحج: ٥.
(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١٢/ ٦.
(٤) تفسير ابن سعدي: ٣/ ١٠٩٠-١٠٩١ باختصار.
(٥) القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن لعبد الرحمن بن سعدي، اعتنى به خالد بن =

ولقد تنوعت أساليب القرآن في تثبيت العقيدة من خلال الآيات الكونية، من ذلك:

أولًا: استخدم القرآن السؤال كطريقة للإقناع والوصول إلى الحق الذي هو التوحيد ونبذ الباطل الذي هو الشرك، مستدلًا على ذلك بذكر بعض الآيات الكونية، فقال تعالى منكرا على الكفار شركهم بالله في عبادته في الوقت الذي يقرون فيه بربوبيته[(١)]: قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾[(٤)].

ثانيًا: تصديق خبر الأنبياء بحصول بعض الآيات الكونية.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بشقتين. فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا». وفي حديث أنس رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر[(٥)].

ولذلك ترى المشركين يطلبون من النبي ﷺ تصديق خبره ببعض الآيات الكونية، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا

= عثمان السبت، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١: ٣٠.

(١) السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم لأحمد بن عبد الفتاح ضليمي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد (١١١): ٣٨.

(٢) العنكبوت: ٦١.

(٣) العنكبوت: ٦٣.

(٤) الزخرف: ٨٧.

(٥) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر: ٤/ ٢١٥٨-٢١٥٩ برقم (٢٨٠٠، ٢٨٠٢).

ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾[١].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: " وقالت المشركون من قريش: هلا أنزل على محمد آية من ربه، تكون حجة لله علينا، كما جعلت الناقة لصالح، والمائدة آية لعيسى؟ قل يا محمد: إنما الآيات عند الله، لا يقدر على الإتيان بها غيره ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ وإنما أنا نذير لكم، أنذركم بأس الله وعقابه على كفركم برسوله، وما جاءكم به من عند ربكم ﴿مُّبِينٌ﴾ يقول: قد أبان لكم إنذاره"[٢]، ثم إن الله عَزَّ وَجَلَّ "لو علم أنكم تهتدون لأجابكم إلى سؤالكم؛ لأن ذلك سهل عليه، يسير لديه، ولكنه يعلم منكم أنما قصدكم التعنت والامتحان، فلا يجيبكم إلى ذلك"[٣]، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾[٤].

ومن ذلك المجلس الذي جلس فيه المشركون يطلبون الآيات على وجه العناد والكفر، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾[٥].

---

(١) العنكبوت: ٥٠.
(٢) تفسير الطبري: ٢١/ ١١.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣/ ٤٢٨.
(٤) الإسراء: ٥٩.
(٥) الإسراء: ٩٠-٩٣.

وهذا المجلس الذي اجتمع هؤلاء له، "لو علم الله منهم أنهم يسألون ذلك استرشادًا لأجيبوا إليه، ولكن علم أنهم إنما يطلبون ذلك كفرًا وعنادًا "(١).

ثالثًا: بيان عبودية جميع الكائنات لله تعالى بما في ذلك الآيات الكونية، فلا يستوحش السائر إلى الله من قلة السالكين على الطريق فإن جميع المخلوقات العلوية والسفلية تسجد وتسبح لله ﷻ إلا من حق عليه العذاب، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾(٢).

رابعًا: بيان تفرد الله ﷻ بخلقها وحكمته وتصرفه فيها، فلله ملك السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، يتصرف فيهما بما شاء من التصاريف القدرية والشرعية، والمغفرة والعقوبة، بحسب ما اقتضته حكمته ورحمته الواسعة ومغفرته(٣).

قال ابن سعدي رحمه الله في الطرق الكلية إلى العلم بأنه لا إله إلا الله، وهي من أهم الأمور في تثبيت العقيدة، وأنها ثمان طرق وذكر منها: " الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية " .

ثم قال: "الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه "(٤).

---

(١) معالم التنزيل لأبي محمد الحسين البغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، ط١: ٢/ ٧١٤-٧١٧، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ٦٧.

(٢) الحج: ١٨.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٣/ ٢٥٤-٢٥٥، تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٦٣-٢٦٤، تفسير ابن سعدي: ١/ ٤١٨.

(٤) تفسير ابن سعدي: ٤/ ١٦٥٨.

خامسًا: إجابة الله ﷻ لسؤال أولياءه عن طلبهم بعض الآيات الكونية.

فإن مما يثبت عقيدة المؤمن أن يريه الله ﷻ بعض آياته الكونية، وقد سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يريه آية من آياته الكونية، يريد أن يطمئن قلبه بها، كما أخبر الله عنه: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾[(١)].

فالمسألة من قبل إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة شك، لكن من قبل زيادة العلم؛ فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال، وتوارد الأدلة اليقينية مما يزداد به الإيمان ويكمل به الإيقان[(٢)].

وقال عن الحواريين: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾[(٣)].

قال ابن كثير رحمه الله: " ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ إذا شاهدنا نزولها رزقًا لنا من السماء ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ أي ونزداد إيمانًا بك وعلمًا برسالتك، ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ أي ونشهد أنها آية من عند الله، ودلالة وحجة

---

(١) البقرة: ٢٦٠.

(٢) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي تحقيق: محمد بن سعد آل سعود، جامعة أم القرى، مكة، ط١: ٣/ ١٥٤٦،، شرح السنة للبغوي: ١/ ١١٤-١١٥، تفسير ابن سعدي: ٤/ ٢٠١٧.

(٣) المائدة: ١١٢-١١٤.

على نبوتك وصدق ما جئت به.

وقوله: ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ أي دليلا تنصبه على قدرتك على الأشياء، وعلى إجابتك دعوتي، فيصدقوني فيما أبلغه عنك"(١).

سادسًا: سرد الآيات الكونية والإشارة إلى الاعتبار بها.

فقراءة الآيات التي تتحدث عن إثبات ربوبية الله وألوهيته، وتؤيد ذلك بالأدلة العقلية، وتؤكده بسرد الآيات الكونية مما يزيد الثبات والإيمان، ويدفع الوسوسة والشكوك والأوهام.

ولذلك يرشد الله تعالى إلى الاعتبار بما في الآفاق والأنفس من الآيات المشاهدة كخلق السماوات والأرض وما فيهما، وأن كل ذلك دال على حدوثها، وعلى وجود خالقها وحكمته(٢)، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾(٤). ولما سمع هذه الآية جبير بن مطعم رضي الله عنه قبل إسلامه وما تضمنته من بليغ الحجة، قال: كاد قلبي أن يطير(٥)، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبه رضي الله عنه(٦).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/ ١٢٠، وانظر: تفسير القرطبي: ٦/ ٣٦٥، وتفسير ابن سعدي: ١/ ٤٥٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٣/ ٣٣١-٣٣٢، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٤١٩، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور لأبي الحسن إبراهيم البقاعي، تحقيق: محمد بن عمران الأعظمي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية: ١٨/ ٦٤، ٢٠/ ٢٢٣، ٢٣١.

(٣) العنكبوت: ١٩.

(٤) الطور: ٣٥.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الطور: ٩٥٤ برقم (٤٨٥٤).

(٦) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا: ٧٦٢ برقم (٤٠٢٣).

المطلب الخامس: عبودية الكائنات لرب العالمين

الله ﷻ هو خالق كل شيء وربه ومليكه، وهذه الربوبية للمخلوقاته على نوعين: ربوبية عامة، وربوبية خاصة.

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان أنواع ربوبية الله لمخلوقاته: " كثر في القرآن ذكر ربوبية الرب لعباده ومتعلقاتها ولوازمها. وهي على نوعين:

ربوبية عامة: يدخل فيها جميع المخلوقات: برها وفاجرها؛ بل مكلفوها وغير المكلفين، حتى الجمادات. وهي أنه تعالى المنفرد بخلقها ورزقها وتدبيرها، وإعطائها ما تحتاجه أو تضطر إليه في بقائها، وحصول منافعها ومقاصدها فهذه التربية لا يخرج عنها أحد.

والنوع الثاني: في تربيته لأصفيائه وأوليائه، فيربيهم بالإيمان الكامل، ويوفقهم لتكميله ويُكملهم بالأخلاق الجميلة، ويدفع عنهم الأخلاقَ الرذيلة، وييسرهم لليسرى ويجنبهم العسرى. وحقيقتها: التوفيق لكل خير، والحفظ من كل شر، وإنالة المحبوبات العاجلة والآجلة، وصرف المكروهات العاجلة والآجلة.

فحيث أُطلقت ربوبيته تعالى فإن المراد بها المعنى الأول، مثل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٢)، ونحو ذلك. وحيث قُيدت بما يحبه ويرضاه، أو وقع السؤال بها من الأنبياء وأتباعهم، فإن المراد بها النوع الثاني. وهو متضمن للمعنى

(١) الفاتحة: ٢.
(٢) الأنعام: ١٦٤.

الأول وزيادة. ولهذا تجد أسئلة الأنبياء وأتباعهم في القرآن بلفظ الربوبية غالبًا، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة"[١].

هذا من جهة ربوبية الله لمخلوقاته، أما من جهة عبودية المخلوقات لله ﷻ فهي أيضًا على نوعين: عبودية عامة، وعبودية خاصة.

قال ابن القيم رحمه الله في بيان انقسام العبودية إلى عامة وخاصة: " العبودية نوعان: عامة وخاصة، فالعبودية العامة عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم فهذه عبودية القهر والملك، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾[٢]، فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم[٣]...

وأما النوع الثاني فعبودية الطاعة والمحبة وإتباع الأوامر، قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[٥]...

فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلهيته"[٦].

فدل ما سبق على أن للعبودية معنى عاما وهو: القهر والتسخير، وهو

(١) القواعد الحسان: ٨٣، وانظر: العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢: ٧-٥٢.
(٢) مريم: ٨٨-٩٣.
(٣) انظر: العبودية: ١٠٤.
(٤) الزخرف: ٦٨.
(٥) الزمر: ١٧-١٨.
(٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء: ١/ ١٠٥.

يشمل جميع الكائنات كلها، ومعنى خاصا وهو: الطاعة والمحبة والإتباع، وهو يشمل أهل طاعة الله وولايته.

وهذا الكون الواسع بما فيه من الكائنات كلها يخضع لخالقه وباريه ويؤدي عبوديته له سبحانه. وقد جاء في النصوص الشرعية ما يدل على دخول الكائنات - غير الإنسان - في المعنى الخاص للعبودية، كالطاعة والسجود والتسبيح والاستغفار والإسلام والإشفاق والخشوع وسماع الأذان وشهادتها للمؤذن يوم القيامة وغيرها[(١)]، وذلك بما أودعه الله فيها من الإدراك والتمييز.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾[(٢)].

قال ابن جرير رحمه الله: " قال الله للسماء والأرض: جيئا بما خلقت فيكما، أما أنت يا سماء فأطلعي ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم، وأما أنت يا أرض فأخرجي ما خلقت فيك من الأشجار والثمار والنبات، وتشقّقِي عن الأنهار ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ جئنا بما أحدثت فينا من خلقك، مستجيبين لأمرك لا نعصي أمرك "[(٣)].

وقال تعالى مخبرًا عن سجود الكائنات: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ

(١) انظر: رسالة في قنوت الأشياء كلها لله تعالى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ضمن جامع الرسائل لابن تيمية، المجموعة الأولى، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط١: ٣ وما بعدها، وعبودية الكائنات لرب العالمين لفريد إسماعيل التوني، مكتبة الضياء، جدة، ط١: ٢٤٤ وما بعدها.

(٢) فصلت: ١١.

(٣) تفسير الطبري: ٢٤/ ١١٤، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ١٠١.

مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾[(١)].

فأثبت الله السجود لهذه الكائنات، ولكن لا نعلم كيفيته، ولا يلزم أن سجودها على سبعة أعضاء كسجود المسلمين، إذ سجود كل شيء بحسبه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء مما يختص به"[(٢)].

وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[(٣)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يقول تعالى: تقدسه السماوات السبع والأرض ومن فيهن، أي من المخلوقات، وتنزهه وتعظمه وتجِّلّه وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته.

... وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ أي وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ﴾ أي لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس؛ لأنها بخلاف لغتكم. وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد[(٤)]، ... كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل[(٥)]"[(٦)].

(١) الحج: ١٨.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٢٠.
(٣) الإسراء: ٤٤.
(٤) انظر: رسالة في قنوت الأشياء كلها لله: ١/ ٤، وعبودية الكائنات لرب العالمين: ٢٣٤.
(٥) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة: ٦٨٥ برقم (٣٥٧٩).
(٦) تفسير ابن كثير: ٣/ ٤٥ باختصار.

وأما الإسلام، فقد قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[١].

قال ابن تيمية رحمه الله: "فذكر إسلام الكائنات طوعا وكرها لأن المخلوقات جميعها متعبدة له التعبد العام، سواء أقر المقر بذلك أو أنكره، وهم مدينون له مدبرون، فهم مسلمون له طوعا وكرها ليس لأحد من المخلوقات خروج عما شاءه وقدره وقضاه، ولا حول ولا قوة إلا به، وهو رب العالمين ومليكهم يصرّفهم كيف يشاء، وهو خالقهم كلهم وبارئهم ومصورهم، وكل ما سواه فهو مربوب مصنوع مفطور فقير محتاج معبّد مقهور، وهو سبحانه الواحد القهار الخالق البارئ المصور"[٢].

وأما القنوت، فقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾[٣].

والمقصود أن هذه الآيات تؤكد أن جميع المخلوقات، الحيوانات منها والنباتات، ناطقها وجامدها، تسبح الله وتمجده وتقدسه وتصلي له وتوحده[٤].

وهذه العبادة من هذه المخلوقات آية من آيات الله العظيمة حين يتصور القلب أن كل حصاة وكل حجر، وكل حبة وكل ورقة، وكل زهرة وكل ثمرة، وكل نبتة وكل شجرة، وكل حيوان وكل إنسان، وكل دابة على الأرض وكل سابحة في الماء والهواء، وكل سكان الأرض والسماء، كلها تسبح الله وتتوجه إليه في علاه.

---

(١) آل عمران: ٨٣.
(٢) العبودية: ١٠٤.
(٣) الروم: ٢٦.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٣٠٢، ٣٣٠، ٣٤٤، ٣٥٧، ٣٦٣، ٣٧٤، ورسالة في قنوت الأشياء كلها لله تعالى لابن تيمية: ٣.

ولقد أنكر هذه العبودية طائفة من الناس بحجة أن هذه الكائنات لا تعقل ولا تدرك وليس لها أي عبودية لله ﷻ، وما ورد في النصوص من سجود هذه الكائنات أو تسبيحها أو نحو ذلك اضطر إلى القول فيها بالتأويل(١) أو المجاز(٢). فقالوا عن سجود الشمس في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾(٣): أن الذي يسجد هو الملك الموكل بها، وتأويل السجود بدلالة تلك الموجودات على أنها مسخرة بخلق الله، فأستعير السجود لحالة التسخير والانقياد.

وعن تسبيح الجبال في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾(٤)، أن الجبال لم تسبح ولم تردد مع داود عليه السلام، إنما الأمر أن الجبال كانت تمشي مع داود عليه السلام فكان كل من رآها كذلك سبح، إلى غير ذلك من التأويلات الباطلة(٥).

(١) المراد به هنا: صرف اللفظ من الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح. انظر: التعريفات: ١١٢، ومجموع الفتاوى: ٥/ ٣٥، ١٣/ ٢٨٨، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم اختصره محمد بن الموصلي، تحقيق: الحسن العلوي، دار أضواء السلف، الرياض، ط١: ١/ ٢٢.

(٢) المجاز: اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما. انظر: التعريفات: ٢٨٣، أسرار البلاغة في علم البيان للجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا وأسامة صلاح الدين منيمة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١: ٤٣٧- ٤٣٨، ومختصر الصواعق المرسلة: ٢/ ٦٩٠.

(٣) الحج: ١٨.

(٤) سبأ: ١٠.

(٥) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، : ٤/ ٣١٩، ٤٥٣-٤٥٤، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي،

=

والقول بالمجاز وتأويل النصوص الشرعية على غير مرادها مخالف لهدي السلف الصالح بل فيه محادة لله تعالى ورسوله في نفي آيات الله تعالى المنزلة وتعطيل معناها. ومخالف لما يجب أن يكون عليه المؤمنون تجاه النصوص الشرعية، حيث إنهم مأمورون بالتسليم لها والإيمان بها وعدم الخوض في الكيفية ما دام قد ثبت صحة النص، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[(٢)]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

قال البغوي[(٣)] رحمه الله: " ومذهب أهل السنة أن لله علما في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره، ولها صلاة وتسبيح وخشية كما قال ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي

= تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١: ٤/ ٦٩، ٢٤٣، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داودي، دار القلم، دمشق، ط٢: ٣٩٣، ٣٩٦.

(١) النور: ٥١.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

(٣) هو أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، من مؤلفاته: معالم التنزيل، وشرح السنة، والأنوار في شمائل النبي المختار، توفي سنة ٥١٦.
انظر: سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٤٣٩، وشذرات الذهب: ٤/ ٤٨.

(٤) الإسراء: ٤٤.

(٥) النور: ٤١.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾(١)، فيجب على المرء الإيمان به ويكل علمه إلى الله تعالى "(٢).

وقال ابن تيمية رحمه الله في الرد على من فسر السجود والتسبيح بنفوذ مشيئة الرب وقدرته فيها ودلالتها على الصانع فقط: " وأما تفسير سجودها وتسبيحها بنفوذ مشيئة الرب وقدرته فيهما ودلالتها على الصانع فقط فالاقتصار على هذا باطل؛ فإن هذا وصف لازم دائم لها لا يكون في وقت دون وقت، وهو مثل كونها مخلوقة محتاجة فقيرة إلى الله تعالى وعلى هذا فالمخلوقات كلها لا تزال ساجدة مسبحة، وليس المراد هذا فإنه قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ ﴾(٣). وقال: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾(٤)، فقد أخبر سبحانه وتعالى عنه أنه يعلم ذلك، ودلالتها على الرب يعلمه عموم الناس "(٥).

فبيّن رحمه الله: "أن دلالتها على الصانع فقط والاقتصار عليه باطل، وذلك لأن الدلالة لا تكون في وقت دون وقت، فإن الله أخبر عن الجبال أنها تسبح مع داود عليه السلام بالعشي والإشراق، ولو كان المراد الدلالة على الصانع لكان ذلك في كل وقت" . . .

ثم ذكر رحمه الله أن الله ذكر أن سجودها يكون طوعًا وكرهًا، ولو كان متعلقًا بانفعالها لمشيئة الرب وقدرته فإن ذلك لا ينقسم إلى طوع وكره، فقال:

(١) الحج: ١٨.
(٢) تفسير البغوي: ١/ ٦٦.
(٣) ص: ١٨-١٩.
(٤) النور: ٤١.
(٥) رسالة في قنوت الأشياء كلها لرب العالمين: ١/ ٤٣.

"وأيضا فإنه قسم السجود إلى طوع وكره، وانفعالها لمشيئة الرب وقدرته لا ينقسم إلى طوع وكره، ولا يوصف ذلك بطوع منها ولا كره؛ فإن دليل فعل الرب فيها ليس هو فعل منها ألبتة.

والقرآن يدل على أن السجود والتسبيح أفعال لهذه المخلوقات، وكون الرب خالقا لها إنما هو كونها مخلوقة للرب ليس فيه نسبة أمر إليها، يبين ذلك أنه خص الظل بالسجود بالغدو والآصال، والظل متى كان وحيث كان مخلوق مربوب"[(١)].

ثم بيّن رحمه الله أن كونها ساجدة مسبحة" آية دالة وشاهدة للخالق تعالى بصفاته لكونها مفعولة له، وهذا معنى ثابت في المخلوقات كلها لازم لها، وهي آيات للرب بهذا الاعتبار، وهي شواهد ودلائل وآيات بهذا الاعتبار؛ لكن ذاك معنى آخر، كما يفرق بين كون الإنسان مخلوقا وبين كونه عابدا لله، فهذا غير هذا، هذا يتعلق بربوبية الرب له، وهذا يتعلق بتألهه وعبادته للرب"[(٢)].

وقال أيضًا في الرد على من قال يلزم لسجودها أن يكون لها سبعة أعضاء، ووضع الجبهة على الأرض: " ولا يجب أن يكون سجود كل شيء مثل سجود الإنسان على سبعة أعضاء ووضع جبهة في رأس مدور على التراب؛ فإن هذا سجود مخصوص من الإنسان ومن الأمم من يركع ولا يسجد، وذلك سجودها كما قال تعالى: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾[(٣)]، وإنما قيل ادخلوه ركعا. ومنهم من يسجد على جنب كاليهود، فالسجود اسم جنس ولكن لما شاع سجود الآدميين المسلمين صار كثير من

(١) المصدر السابق: ١/ ٤٤.
(٢) المصدر السابق: ١/ ٤٤.
(٣) البقرة: ٥٨.

الناس يظن أن هذا هو سجود كل أحد"[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الرد على من قال أن تسبيح الشجر وورقه هو دلالته على صانعه فقط، بعد أن بين الحكمة في خلقها وأنها ساجدة لله مسبحة بحمده: " وكلها ساجدة لله مسبحة بحمده، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[٢]، ولعلك أن تكون ممن غلظ حجابه فذهب إلى أن التسبيح دلالتها على صانعها فقط، فاعلم أن هذا القول يظهر بطلانه من أكثر من ثلاثين وجها قد ذكرنا أكثرها في موضع آخر، وفي أي لغة تسمى الدلالة على الصانع تسبيحا وسجودا وصلاة وتأويبا وهبوطا من خشيته، كما ذكر تعالى ذلك في كتابه فتارة يخبر عنها بالتسبيح وتارة بالسجود وتارة بالصلاة، كقوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ﴾[٣]، افترى يقبل عقلك أن يكون معنى الآية قد علم الله دلالته عليه، وسمى تلك الدلالة صلاة وتسبيحا، وفرق بينهما وعطف أحدهما على الأخر، وتارة يخبر عنها بالتأويب، كقوله: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾[٤]، وتارة يخبر عنها بالتسبيح الخاص بوقت دون وقت كالعشى والإشراق، أفترى دلالتها على صانعها إنما يكون في هذين الوقتين، وبالجملة فبطلان هذا القول اظهر لذوي البصائر من أن يطلبوا دليلا على بطلانه والحمد لله"[٥].

---

(١) المصدر السابق: ١/ ٢٧-٢٨.
(٢) الإسراء: ٤٤.
(٣) النور: ٤١.
(٤) سبأ: ١٠.
(٥) مفتاح دار السعادة: ١/ ٣٤٧-٣٤٨.

المبحث الثاني

الهدي القرآني والنبوي تجاه الآيات الكونية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الهدي القرآني تجاه الآيات الكونية.

المطلب الثاني: الهدي النبوي تجاه الآيات الكونية.

المطلب الثالث: تأييد الله لأنبيائه بالآيات الكونية.

المطلب الرابع: الآيات الكونية وأركان الإسلام.

المطلب الأول: الهدي القرآني تجاه الآيات الكونية

إن تناول القرآن لحقائق الكون ومشاهده، ودعوته إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض والأنفس، لا يُراد منه إلا مخاطبة العقول والفطر البشرية، وتوجيه عامة الناس وخاصتهم إلى مكان العظة والعبرة، ولفتهم إلى آيات قدرة الله وحكمته ودلائل وحدانيته، من جهة ما لهذه الآيات والمشاهد من روعة في النفس وجلال في القلب، لا من جهة ما لها من دقائق النظريات وضوابط القوانين(١) .

فالآيات الكونية التي يتحدث عنها القرآن الكريم تتميز بأنها حقائق ضخمة، وخلق عظيم، لا يقدر قدرها إلا الذي أبدعها وخلقها سبحانه وبحمده، وقد أراد الله تعالى أن تكون تلك الآيات الكونية شواهد حق على صدق القرآن الكريم، وبراهين صدق على

المبلغ له.

ولهذا نجد أن للقرآن الكريم الهدي الواضح تجاه هذه الآيات الكونية، ويمكن تقسيم ذلك إلى ثلاثة أقسام رئيسة(٢) :

---

(١) انظر: الموافقات لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن القيم، الدمام، ط١: ٢/ ١٠١ وما بعدها، والتفسير والمفسرون: ٢/ ٤٩٣.

(٢) انظر: سمات الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم، موقع ملتقى أهل التفسير.

القسم الأول: الهدي المتعلق بذات الآيات الكونية

أولًا: بيان عجزها عن التصرف.

إن من الهدي القرآني تجاه الآيات الكونية أن يبين عجزها، وأنها لا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئًا[(١)]، للاستدلال بذلك على إثبات وجود الله، وتقرير وحدانيته وعظمته وقدرته، قال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣﴾[(٢)].

قال إبراهيم عليه السلام في مناظرته لقومه مبينًا عجز هذه الآلهة التي تدعى من دون الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٧٩﴾[(٣)].

قال ابن كثير رحمه الله: " وبين - يعني إبراهيم عليه السلام - في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل، وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة... فبين أولًا أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية؛ لأنها مسخرة مقدرة بسير معين، لا

---

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد بن عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣: ٢/٢٧٦.
(٢) فاطر: ١٣.
(٣) الأنعام: ٧٥-٧٩.

تزيغ عنه يمينًا ولا شمالا ولا تملك لنفسها تصرفا، بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة، لما له في ذلك من الحكم العظيمة، وهي تطلع من المشرق، ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه، ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال. ومثل هذه لا تصلح للإلهية. ثم انتقل إلى القمر فبين فيه مثل ما بين في النجم. ثم انتقل إلى الشمس كذلك. فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾"[١].

فالمعبود لا بد أن يكون قائمًا بمصالح من عَبَدَه، ومدبرا له في جميع شؤونه، فأما الذي لا يستطيع أن يفعل ذلك، فمن أين يستحق العبادة؟[٢].

ثانيًا: الاستدلال بانتظامها وحركتها على وجوب إفراده بالعبادة، كما قال تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾[٣]، فالله الذي بعزته دبر هذه المخلوقات العظيمة، بأكمل تدبير، وأحسن نظام، وهذا دليل ظاهر على عظمة الخالق، وعظمة أوصافه، وأنه ليس معه آلهة أخرى؛ ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون[٤].

ثالثًا: بيان خلق الله وتقديره وهدايته لها، قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ

(١) تفسير ابن كثير: ٢/ ١٥٦-١٥٧.
(٢) انظر: تفسير ابن سعدي: ١/ ٤٨٦.
(٣) يس: ٣٧-٤٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/ ٩- ١٠، تفسير البغوي: ٣/ ٦٤٠، تفسير ابن سعدي: ٣/ ١٤٥٣.
(٥) الأعلى: ١-٣.

أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾[١].

فالله هو الذي خلق كل شيء فسواه، فأكمل صنعته، وبلغ به غاية الكمال الذي يناسبه. وقدر لكل مخلوق وظيفته وغايته فهداه إلى ما خلقه لأجله.

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " يأمر تعالى بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته، والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسبيحا، يليق بعظمة الله تعالى، بأن تذكر أسماؤه الحسنى العالية على كل اسم بمعناها الحسن العظيم، وتذكر أفعاله التي منها أنه خلق المخلوقات فسواها، أي أتقنها وأحسن خلقها، ﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ﴾ تقديرًا، تتبعه جميع المقدرات ﴿فَهَدَىٰ﴾ إلى ذلك جميع المخلوقات. وهذه الهداية العامة التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته"[٢].

رابعًا: بيان خضوعها لله عَزَّ وَجَلَّ.

أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ في آيات كثيرة عن خضوع هذه الآيات الكونية له، طوعًا وكرهًا، قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾[٤].

فجميع ما خلقه في السماوات وما دب على الأرض ومشى على ظهرها

---

(١) طه: ٥٠.

(٢) تفسير ابن سعدي: ٤/ ١٩٥٩، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٧/ ٢٤٢٤-٢٤٢٥، وتفسير القرطبي: ٢٠/ ١٥.

(٣) النحل: ٤٨-٤٩.

(٤) فصلت: ١١.

من مخلوقات كلها خاضعة لربها، تسجد له ﴿طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا﴾[(١)].

خامسًا: بيان موافقتها للفطرة.

إذا تدبر الإنسان كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ وجد أن الله ﷻ قد أنزل الوحي موافقا للفطرة، والواقع المحسوس، لا يستطيع أن ينكر ذلك إلا مكابر قال تعالى: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٣٣﴾[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله: "وتأمل حال العالم كله علوية وسفلية بجميع أجزائه تجده شاهدا بإثبات صانعه وفاطره ومليكه، فإنكار صانعه وجحده في العقول والفطر بمنزلة إنكار العلم وجحده لا فرق بينهما، بل دلالة الخالق على المخلوق والفعال على الفعل والصانع على أحوال المصنوع عند العقول الزكية المشرقة العلوية والفطر الصحيحة أظهر من العكس.

فالعارفون أرباب البصائر يستدلون بالله على أفعاله وصنعه إذا استدل الناس بصنعه وأفعاله عليه، ولا ريب أنهما طريقان صحيحان كل منهما حق والقرآن مشتمل عليهما"[(٣)].

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بهذا المخلوق أن وضع الدلائل المساندة للفطرة والموضحة له الطريق الصحيح في السلوك لما يريده خالقه منه، وأعقب ذلك بإرسال الرسل عليهم السلام بالوحي لزيادة التوضيح والبيان لكيفية سلوك هذا الطريق فجاءت معاني النصوص ودلالاتها موافقة لما في الكون من الآيات والحقائق.

---

(١) انظر: العبودية: ١٠٤، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٤٥، وتفسير ابن سعدي: ٢/ ٨٢٦.
(٢) الأنعام: ٣٣.
(٣) مدارج السالكين: ١/ ٥٩-٦٠.

قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[(١)].

قال ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى عما دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة، وذلك أن أممهم لما واجهوهم بالشك فيما جاءوهم به من عبادة الله وحده لا شريك له، قالت الرسل: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾؛ فإن الفطر تشهد بوجوده والاعتراف به؛ ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده. ومن ذلك النظر في هذا الكون، ومن خلقه وأوجده على غير مثال سابق، ولهذا قالت الرسل لأقوامهم ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سابق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليهما، فلا بد لهما من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه"[(٢)].

وقال ابن القيم رحمه الله: "فطرق العلم بالصانع فطرية ضرورية ليس في العلوم أجلى منها، وكل ما استدل به على الصانع فالعلم بوجوده أظهر من دلالته، ولهذا قالت الرسل لأممهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ فخاطبوهم مخاطبة من لا ينبغي أن يخطر له شك ما في وجود الله سبحانه، ونصب من الأدلة على وجوده ووحدانيته وصفات كماله الأدلة على اختلاف أنواعها، ولا يطيق حصرها إلا الله، ثم ركز ذلك في الفطرة ووضعه في العقل جملة ثم بعث الرسل مذكرين به... ومفصلين لما في الفطرة والعقل العلم به جملة.

فانظر كيف وجد الإقرار به وبتوحيده وصفات كماله ونعوت جلاله وحكمته في خلقه وأمره المقتضية إثبات رسالة رسله ومجازات المحسن

(١) إبراهيم: ١٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢/٥٤٤، وانظر: مدارج السالكين: ١/٦١.

بإحسانه والمسيء بإساءته مودعا في الفطرة مركوزا فيها، فلو خُلّيت على ما خلقت عليه لم يعرض لها ما يفسدها ويحولها ويغيرها عما فطرت عليه، لأقرت بوحدانيته ووجوب شكره وطاعته، وبصفاته وحكمته في أفعاله، وبالثواب والعقاب، ولكنها لما فسدت وانحرفت عن المنهج الذي خلقت عليه أنكرت ما أنكرت وجحدت ما جحدت"(١).

فالقرآن يخاطب الفطرة بجملتها، يخاطبها من أقصر طريق، ومن أوسع طريق وأعمق طريق.

(١) مفتاح دار السعادة: ١/ ٤٢١-٤٢٢.

القسم الثاني: الهدي المتعلق بطريقة القرآن الكريم في عرضها وأسلوب ذكرها وإيرادها.

أولًا: التنوع في صيغ الحث على التفكر في آيات الله الكونية، فتارة بالأمر، وتارة بالاستنكار، وتارة بختم الآيات بالتعقل والتفكر، ووصف أصحابها بالعقل، وأولي الألباب، لقوم يعقلون، لقوم يتفكرون.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾[(٢)].

فأكثر الآيات القرآنية التي سيقت فيها الآيات الكونية، تختم غالبًا بالدعوة والحث على النظر والتفكر والتأمل[(٣)].

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[(٤)]، وفي موضع ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٥)]، و ﴿يَعۡلَمُونَ﴾[(٦)]، و﴿يَعۡقِلُونَ﴾[(٧)]، و﴿يَذَّكَّرُونَ﴾[(٨)].

(١) يونس: ١٠١.
(٢) ق: ٦- ٨.
(٣) سمات الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم، موقع ملتقى أهل التفسير.
(٤) النمل: ٨٦.
(٥) الرعد: ٣.
(٦) يونس: ٥.
(٧) البقرة: ١٦٤.
(٨) النحل: ١٣.

ثانيًا: عرضها بأبسط السبل ولعامة الناس دون الحاجة إلى التعمق والتكلف.

فالآيات الكونية تعرض في القرآن لجميع الناس على اختلاف مستوياتهم وعقولهم، ولذلك جاءت هذه الآيات بأبسط وأوضح صورة ليعقلها جميع الناس.

فلا يشق على آحاد الناس وعامتهم إدراكها. وبذلك فهي سهلة الإدراك، لا تحتاج إلى أدوات علمية ولا إلى تقنية عصرية. ولا يعني هذا أن العالم والأمي يستويان في درجة الإدراك، بل المقصود أنهما يستويان في حصول أصل الإدراك، وإن تفاوتا في درجته ومبلغه(١).

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾(٢).

فالمشاهد التي تعرض في هذه الآيات في حاجة إلى العلم لإدراك التدبير والتفكر، وهي معروضة للإنسان حيثما كان، السماء والأرض والجبال والحيوان، وأيًا كان حظ الإنسان من العلم فهي داخلة في عالمه وإدراكه، داعية له حين يوجه نظره وقلبه إلى دلالتها بإفراد الله ﷻ بالربوبية والألوهية.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾(٣).

فاختلاف الليل والنهار تعاقبهما، ويشمل كذلك اختلافهما طولًا وقصرًا، وكلتاهما ظاهرتان مشهودتان يعقلهما كل أحد.

وما خلق الله في السماوات والأرض على اختلاف إشكاله وأنواعه يعقله

(١) المصدر السابق.
(٢) الغاشية: ١٧-٢٠.
(٣) يونس: ٦.

كل أحد إن في ذلك كله: ﴿لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَّقُونَ﴾.

ولذلك لم يكن من الهدي القرآني استخدام الأسلوب الجدلي الذي جد فيما بعد عند المتكلمين والفلاسفة؛ لأن بعض هذا الأسلوب لا يصل إلى القلوب ولا يوافق العقل والفطرة، ولكن الهدي القرآني في عرضه للآيات الكونية بهذا الأسلوب الواضح البسيط هو أقوى الأدلة المقنعة للقلب والعقل جميعًا.

ثالثا: التدرج في عرضها والبدء بالأهم، فنجد من الهدي القرآني عند عرضه للآيات الكونية البدء بالأهم، ويمهد لذلك بالقضايا المسلمة ثم ينتقل إلى الأصعب حتى يصل إلى المراد، قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾[(١)].

فنلاحظ من خلال الآيات التدرج معهم بالقضايا المسلمة مما أقروا به، ثم الترقي من الأمر السهل إلى الأمر الصعب.

قال ابن سعدي رحمه الله: " أي قل لهؤلاء المكذبين بالبعث، العادلين بالله غيره، محتجا عليهم بما أثبتوه وأقروا به من توحيد الربوبية وانفراد الله بها، على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة، وبما أثبتوه من خلق المخلوقات العظيمة على ما أنكروه من إعادة الموتى الذي هو أسهل من ذلك: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ﴾، . . . ثم انتقل إلى ما هو أعظم من ذلك، فقال: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾، . . . ثم انتقل إلى إقرارهم بما

(١) المؤمنون: ٨٤-٩٠.

هو أعم من ذلك كله، فقال: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾"[(١)].

رابعًا: ذكرها على سبيل العموم والإجمال في الغالب، فالألفاظ القرآنية التي في سياق ذكر آيات الكون تتسم بعموم وإجمال، دون الخوض في تفاصيل وأجزاء الآيات الكونية؛ لأن الغرض والغاية من تلك الحقائق الكونية المذكورة في القرآن الكريم الاستدلال بها على المسائل الكبرى في هذا الدين، وتفاصيل وأجزاء تلك الحقائق الكونية غير مرادة[(٢)]؛ لأنها لا تحقق الهدف، فإن أكثر الناس لا يدرك تفاصيل الحقائق الكونية، مما يجعله لا يستوعب الحديث عنها بهذا القدر التفصيلي.

ولا يعنى هذا أن القرآن الكريم لم يرد فيه مواضع جاءت مفصلة، إذ وردت ألفاظ في غاية الدقة والانتقاء لتعبر عن أوصاف دقيقة، كقوله تعالى في وصف مراحل تخلّق الجنين في رحم أمه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[(٣)].

قال الشيخ محمد بن عثيمين[(٤)] رحمه الله في تفسير سورة البقرة في فوائد قوله

---

(١) تفسير ابن سعدي: ٣/ ١١٤٢-١١٤٣.

(٢) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢/ ٢٧٧، وسمات الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم، موقع ملتقى أهل التفسير.

(٣) المؤمنون: ١٢-١٤.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن عثيمين، الفقيه المفسر، له من المؤلفات: الشرح الممتع على زاد المستقنع، وتقريب التدمرية، وشرح العقيدة الواسطية، وشرح كتاب التوحيد وغيرها من الكتب، توفي عام ١٤٢١.
انظر: الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين لوليد بن أحمد الحسين، سلسلة إصدارات مجلة الحكمة، لندن، ط١، ومقدمة مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين لفهد السليمان، دار الثريا، الرياض، ط٢: ١/ ٩.

تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾[(١)]: "ومنها: أنه ينبغي النظر إلى الآيات على وجه الإجمال والتفصيل؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾: مطلق؛ ثم قال تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾... الخ؛ فيقتضي أن نتأمل أولًا في الكون من حيث العموم، ثم من حيث التفصيل؛ فإن ذلك أيضًا يزيدنا في الإيمان"[(٢)].

خامسًا: الاستفهام: وقد تعددت طرقه، فتارة يكون بالاستفهام التقريري عن الخلق والخالق، وتارة يكون بالاستفهام عن انتظام الكون واتزانه[(٣)]، إلى غير ذلك.

فالاستفهام التقريري هو: " الذي يرد في صورة عرض مقدمات أو قضايا مسلمة عند الخصم على صيغة الاستفهام ثم التدرج معه حتى يصل به للإقرار بالقضية المنكرة وينقاد للحق ويسلم له"[(٤)].

ويتوصل به إلى إثبات مقاصد القرآن العظمى كالتوحيد والبعث والوحي، قال تعالى: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١﴾[(٥)].

---

(١) البقرة: ٢٥٩.
(٢) تفسير القران الكريم، سورة البقرة لابن عثيمين: ٣/ ٢٩٦.
(٣) انظر: منهج القرآن الكريم في عرض الظواهر الكونية: ١١٢-١١٤.
(٤) المصدر السابق: ١١٣.
(٥) النمل: ٦٠-٦١.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: " ثم شرع تعالى يبين أنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره... فهم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له، ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق، وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة من هو المتفرد بالخلق والرزق؛ ولهذا قال: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ أي أإله مع الله يعبد؟ وقد تبين لكم، ولكل ذي لب مما يعرفون به أيضًا أنه الخالق الرازق"[(١)].

"وهذه الآيات مألوفة ولكن طبيعة قوة الاستفهام أضفت على هذه الآيات الجدة والحداثة بحيث بدت كما لو أنها أول مرة يرى فيها البصر هذا الكون ويرى فيه القدرة الإلهية المتفردة تدبره وتحكمه، ووجه الاستدلال ما يتبدى من هذا الاستفهام من تقدم قضية الخلق على بقية القضايا المعروضة، لشرفها وعظمتها ولأنها كالأم لبقية القضايا"[(٢)].

ومن منهجه في الاستفهام أن يتخذ أسلوب السبر والتقسيم وذلك بأن يحصر جميع الافتراضات الواردة في القضية ثم يبدأ في تفنيد كل افتراض على حده ويبين أنه غير صالح ولا وجه لقبوله حتى يصل للافتراض الصحيح في المسألة، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾[(٣)].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وهذا استدلال عليهم بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم.

وقد تقرر في العقل مع الشرع أن ذلك لا يخلو من أحد ثلاثة أمور:

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٨١-٣٨٢، وانظر: تفسير البغوي: ٣/ ٤١٠.
(٢) منهج القرآن في عرض الظواهر الكونية: ١١٨.
(٣) الطور: ٣٥-٣٦.

إما أنهم خلقوا من غير شيء، أي لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد، وهذا عين المحال.

أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجد أحد نفسه.

فإذا بطل هذان الأمران، وبان استحالتهما، تعين القسم الثالث وهو: أن الله هو الذي خلقهم، وإذا تعين ذلك، علم أن الله تعالى هو المعبود وحده، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالى"[(١)].

سادسًا: الاستدلال بالآيات الكونية في الحوار والمجادلة، وذلك من أجل إظهار الحق وتفنيد الباطل.

ومن ذلك ما جاء في حوار بعض الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾[(٢)].

والملاحظ عند الاستدلال بهذه الآيات مناسبة هذه الآية الكونية لموضوع الحوار وطبيعته وتوقيته[(٣)]، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾[(٤)].

قال ابن سعدي رحمه الله: " قد اشتملت الآية الأولى على معجزة، وتسلية، وتطمين قلوب المؤمنين، واعتراض وجوابه من ثلاثة أوجه، وصفة المعترض وصفة المسلّم لحكم الله دينه"...

(١) تفسير ابن سعدي: ٤/١٧٢٦، وانظر: الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، دار العبيكان، ط٨: ٢٠.
(٢) لقمان: ٢٥.
(٣) منهج القرآن الكريم في عرض الظواهر الكونية: ٦٩.
(٤) البقرة: ١٤٢.

ثم قال جوابا عن الشبهة: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾: " ولكنه تعالى مع هذا لم يترك هذه الشبهة حتى أزالها وكشفها مما سيعرض لبعض القلوب من الاعتراض، فقال تعالى: ﴿قُل﴾ لهم مجيبا: ﴿لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي فإذا كان المشرق والمغرب ملكا لله، ليس جهة من الجهات خارجة من ملكه، ومع هذا يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ومنه هدايتكم إلى هذه القبلة التي هي من ملة أبيكم إبراهيم، فلأي شيء يعترض المعترض بتوليتكم قبلة داخلة تحت ملك الله؟ لم تستقبلوا جهة ليست ملكا له، فهذا يوجب التسليم لأمره بمجرد ذلك، فكيف وهو من فضل الله عليكم وهدايته وإحسانه أن هداكم لذلك، فالمعترض عليكم معترض على فضل الله حسدا لكم وبغيا "[(١)].

وكذلك وقوعها موقع الدليل القوى لرد ودحض حجة المجادلين المعاندين بأقوى البراهين الرادعة الزاجرة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[(٢)].

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله في فوائد الآية: "ثم إن إبراهيم عليه السلام انتقل إلى أمر لا يمكن الجدال فيه، فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾". ثم قال: "ومنها - أي الفوائد -: حكمة إبراهيم عليه السلام وجودته في المناظرة"[(٣)]، حيث آتى بالأدلة الواضحة التي لا تحتمل المعارضة فعجز المعارض عن الرد.

---

(١) تفسير ابن سعدي: ١/ ١٠٢.
(٢) البقرة: ٢٥٨.
(٣) تفسير القرآن الكريم، سورة البقرة لابن عثيمين: ٣/ ٢٨٠.

سابعًا: التنويع البديع في عرض الآيات الكونية لإقامة الحجة بها على الجاحدين، والإيضاح والتبيين؛ لأن تعدد أنواع الأدلة يزيد المقصود وضوحًا[(١)]، ويكون سببًا لهداية من أراد الله له الهداية[(٢)].

فالتنوع والتعدد في عرض الآيات الكونية ينتج عنه انتفاء الملل والسأم لتعدد وتنوع ما يذكر من الآيات الكونية، فمرة تتحدث الآيات عن الأفلاك والعوالم العلوية، ثم ما تلبث تتحدث عن الجبال والأرض والعوالم السفلية.

وتستحوذ على اهتمام الناس بمختلف مستوياتهم ومشاربهم، إذ الناس مختلفون فيما يستوقفهم ويسترعي انتباههم.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[(٤)].

ويستخدم في عرض الآيات الكونية أساليب مختلفة: فتارة تعرض مجملة، وتارة مفصلة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾[(٥)]. فقد جاء القرآن بالتوحيد، وسلك إلى تقرير هذه العقيدة وإيضاحها طرقًا شتى، وأساليب متنوعة، ووسائل متعددة ﴿لِّيَذَّكَّرُوا۟﴾ فالتوحيد لا يحتاج إلى أكثر من التذكر والرجوع إلى الفطرة ومنطقها[(٦)]، وإلى الآيات الكونية ودلالتها؛ ولكن الكفار يزيدون نفورًا كلما سمعوا هذا القرآن.

ويستخدم كذلك مفهوم المقابلة بين هذه الآيات الكونية "بذكر الشيء مع

(١) تفسير التحرير والتنوير: ٢٦/ ٥٤.
(٢) انظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٣/ ٢٠.
(٣) الأنعام: ١٠٥.
(٤) الأحقاف: ٢٧.
(٥) الإسراء: ٤١.
(٦) انظر: رسالة في قنوت الأشياء كلها لله تعالى: ١/ ١١-١٢.

ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها وتكون بالأضداد وغيرها"(١).

فوصف السماء يقابله الأرض، ووصف الليل يقابله النهار وهكذا.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾(٢)، فوصف الأرض فراشًا يقابل وصف السماء بناءً، وقد جاء هذا الوصف عن السماء مع الأرض قرارًا، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾(٣).

ومنه قوله تعالى في المقابلة بين الليل والنهار: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾(٥).

ثامنًا: الإقسام من الله بها لبيان أهمية هذا المقسم به والمقسم عليه، ولبيان آيات العبرة والقدرة التي تظهر في هذا الكون الذي خلقه الله ونظمه(٦).

والقسم في الخطاب من أساليب تأكيد القضية وتقريرها، ودفع الخصم إلى الاعتراف بما يجحد وينكر، أو يتردد ويتخوف منه.

قال السيوطي(٧) رحمه الله مبينا غاية القسم: "القصد بالقسم تحقيق الخبر

---

(١) البرهان في علوم القرآن لمحمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩: ٣/ ٤٥٨.

(٢) البقرة: ٢٢.

(٣) غافر: ٦٤.

(٤) يونس: ٦٧.

(٥) النمل: ٨٦.

(٦) انظر: التعليق العلمي على المنتخب في تفسير القرآن الكريم للجنة القرآن والسنة في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة، دار الثقافة، الدوحة، ط٨: ٨٠١.

(٧) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، له مؤلفات كثيرة، منها: الأمر بالإتباع

=

وتوكيده"[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه فلابد أن يكون بما يحسن فيه ذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها فأما الأمور الظاهرة المشهورة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها"[٢].

ويتنوع القسم بالآيات الكونية حسب تنوعها من آيات فلكية وآيات زمنية وآيات جوية[٣].

قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾[٤].

وهذا القسم بهذه الآيات من باب التعظيم والتكريم لهذه المخلوقات وأنها شواهد ودلائل على عظمة الخالق وقدرته وتوحيده.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾[٥]: "والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله عَزَّوَجَلَّ، يقسم بما شاء من خلقه، وهو دليل على عظمته"[٦].

= والنهي عن الابتداع، والخصائص الكبرى، وشرح الصدور بأحوال الموتى والقبور، والدر المنثور في التفسير بالمأثور وغيرها، توفي سنة ٩١١. انظر: الضوء اللامع للسخاوي: ٤/ ٦٥-٧٠، وشذرات الذهب: ٨/ ٥١.

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٤/ ٤٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ١٣/ ٣١٤، والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم، تحقيق: محمد زهري النجار، المؤسسة السعيدية، الرياض: ١/ ٤٦.

(٣) انظر: منهج القرآن الكريم في عرض الظواهر الكونية: ١٦٤.

(٤) الواقعة: ٧٥-٧٦.

(٥) الواقعة: ٧٥.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤/ ٣١٩، وانظر: الإتقان في علوم القرآن: ٤/ ٤٦.

ولذلك يقسم الله بهذه الآيات الكونية على أمور عظيمة(١)، ومن ذلك القسم بالزاجرات - وهي الملائكة - تزجر السحاب، وعلى القول الأخر فأنه قسم بالصافات - وهي الطير تصف أجنحتها في الهواء -(٢)، والسحاب والطير من آيات الله الكونية أقسم بها على التوحيد، قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤﴾(٣).

وعلى أن القرآن الكريم حق وصدق ومنزل من عند الله قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾(٤).

وعلى أن محمدًا ﷺ صادق القول وأن كلامه وحي من الله، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾(٥).

والقسم بهذه الآيات الكونية على نمط جلي واضح، وهو القسم بالظاهرة وأحوالها المنتظمة الدالة على عظمة خالقها، ومشيئته وحكمته ليفرد بالتأله والعبادة كما أفرد بالربوبية، ومن ذلك قسمه سبحانه بالليل في جميع أحواله قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧﴾(٧)، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧﴾(٨)، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ

---

(١) انظر: منهج القرآن الكريم في عرض الظواهر الكونية: ١٥٧-١٥٨.
(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١٤/ ٦١، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٥.
(٣) الصافات: ١-٤.
(٤) الواقعة: ٧٥-٨٠.
(٥) النجم: ١-٤.
(٦) المدثر: ٣٣.
(٧) التكوير: ١٧.
(٨) الانشقاق: ١٧.

﴿...﴾ ﴿٤﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾[(٣)].

تاسعًا: ضرب الأمثال بها للتوضيح والتقريب "بتنزيل المعقول منزلة المشهود فيكون التصديق أتم، ومعرفته أكمل، وضبطه أسهل"[(٤)].

فإن في ضرب الأمثال تقريبا "للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، وهذا من رحمة الله وحسن تعليمه، فله أتم الحمد وأكمله وأعمه"[(٥)].

ولهذا أكثر الله تعالى في كتابه من ضرب الأمثلة بالآيات الكونية وتنوعها، ففيه التمثيل بالظلمات والنور، والتمثيل بالنبات، والتمثيل بالريح وهكذا[(٦)].

قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ٢٦ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا

(١) الفجر: ٤.
(٢) الليل: ١.
(٣) الضحى: ٢.
(٤) مدارج السالكين: ١/ ٢٧١.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١/ ١٠٩، وانظر: تفسير ابن سعدي: ٢/ ٨٤٨، والقواعد الحسان: ٦١- ٦٢.
(٦) انظر: منهج القرآن في عرض الظواهر الكونية: ٩١ وما بعدها، للتعرف على طريقة القرآن في التمثيل بالآيات الكونية.

وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾[(١)].

ويلاحظ من خلال ضرب الأمثال البعد عن الغرابة الموهمة أو الغموض، فالغرابة غير مقصودة في أمثال القرآن وغير مرادة؛ فإن ضرب الأمثال إنما يكون" لتقريب المراد، وتفهيم المعنى، وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به، فإنه قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره؛ فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير؛ ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد، ولا ينكره، وكلما ظهرت له الأمثال ازداد المعنى ظهورا، ووضوحا، فالأمثال شواهد المعنى المراد، ومزكية له فهي ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾"[(٢)].

(١) إبراهيم: ٢٤-٢٧.
(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١: ١/ ٤٢٥.

القسم الثالث: الهدي المتعلق بالغرض والغاية الذي سيقت لأجله تلك الآيات الكونية.

أولًا: الاستدلال بها على أصول العقائد.

فهذه الآيات الكونية وما تدل عليه من حقائق علمية، لم تذكر في القرآن الكريم لمجرد الذكر، أو من أجل بيانها للناس ودلالتهم عليها ابتداءً، وإنما هي سيقت تابعا للغرض والهدف الذي ذكرت في ثناياه، فهي سيقت في سبيل الاستدلال بها على قضايا كبرى كالألوهية والنبوات والبعث والإيمان بالملائكة والكتب واليوم الآخر، وهذا النوع كثير في القرآن[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: " وهذه طريقة القرآن في إرشاده الخلق إلى الاستدلال بأصناف المخلوقات وأحوالها على إثبات الصانع وعلى التوحيد والمعاد والنبوات، فمرة يخبر أنه لم يخلق خلقه باطلا ولا عبثا، ومرة يخبر أنه خلقهم بالحق، ومرة يخبرهم وينبههم على وجوه الاعتبار والاستدلال بها على صدق ما أخبرت به رسله حتى يبين لهم أن الرسل إنما جاؤوهم بما يشاهدون أدلة صدقه، وبما لو تأملوه لرأوه مركوزا في فطرهم مستقرا في عقولهم، وأن ما يشاهدونه من مخلوقاته شاهد بما أخبرت به رسله عنه من أسمائه وصفاته وتوحيده ولقائه ووجود ملائكته، وهذا باب عظيم من أبواب الإيمان إنما يفتحه الله على من سبقت له منه سابقة السعادة وهذا أشرف علم يناله العبد في هذه الدار"[(٢)].

---

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، ط٣: ٣١٣، وسمات الآيات الكونية في القرآن الكريم، موقع ملتقى أهل التفسير.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت: ٤/ ١٦٢-١٦٣.

ومن ذلك الاستدلال بخلقها وملكها على وجوب إفراد الله بالعبادة كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان مضمون هذه الآية - بعد أن ذكر ما في هذه الآية من أن الله هو المنعم على عبيده بخلقهم وإسباغه عليهم النعم -: " ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يُشْرَك به غيره؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ "[(٢)].

وقد وصف الله سبحانه القرآن بأنه هدى ورحمة وبيان ورشاد للخلق جميعًا وفي الحق؛ ولذا يجب أن يُقتصر بتلك الآيات فهمًا واستنباطًا على ما يحقق الغاية التي سيقت لها، فهذا الغرض والمقصد هو الهدف الأصيل لسياقها، وكل ما تحقق مع هذا الهدف فهو تبع له دائر في فلكه، لا يجوز أن يجنح بنا النظر والاستنباط عن هذه الدائرة[(٣)].

ثانيًا: الاعتبار والانتفاع بها.

يبين الله تعالى أن سياق هذه الآيات الكونية وذكرها إنما هو للعظة والاعتبار، قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[(٤)]، أي يفهموا ما خلقوا من أجله، ويفقهوا الحقائق الشرعية، والمطالب الإلهية،

---

(١) البقرة: ٢١-٢٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ١/ ٦٠، وانظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القران: ٢٨.
(٣) سمات الآيات الكونية في القرآن الكريم، موقع ملتقى أهل التفسير.
(٤) الأنعام: ٦٥.

ويتدبروا عن الله آياته وحججه وبراهينه(١).

"وظاهر الآية يدل على أنه تعالى ما صرف هذه الآيات إلا لمن فقه وفهم، فأما من أعرض وتمرد فهو تعالى ما صرف هذه الآيات لهم والله أعلم"(٢).

فالنظر إلى الآيات الكونية والاعتبار بحكمة الله في خلقها، دليل عظيم ينتفع به أهل العقول، ولذلك لما عقل أهل الإيمان هذه الآيات حصل لهم الاعتبار والانتفاع فزاد إيمانهم وتعلقهم بربهم فحصلت لهم الهداية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾(٣).

أما من أعرض عن آيات الله ولم يتفكر فيها ويأخذ العبرة منها، فإن الآيات على كثرتها والنذر على قوتها لا تغني عن القوم الظالمين، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾(٤).

ثالثًا: بيان امتنان الله ﷻ بها على عباده والذي يستلزم إفراده بالعبادة.

فالله ﷻ يمن على عباده بخلقه لهذه الآيات العظيمة، وتسخيرها للناس وتيسيرها لهم، وهو بذلك يدعوهم إلى عبادته وحده.

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٧/ ٢٢٩، ٢٥٥، وتفسير ابن كثير: ٢/ ١٤٨، وتفسير ابن سعدي: ٢/ ٤٨١.

(٢) تفسير الرازي: ١٣/ ٢٠.

(٣) آل عمران: ١٩٠-١٩١.

(٤) يونس: ١٠١.

لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾(١).

قال ابن سعدي رحمه الله: " وهذا امتنان منه على عباده، يدعوهم به إلى توحيده وعبادته والإنابة إليه، حيث أنعم عليهم بما يسره لهم من الحرث للزروع والثمار، فتخرج من ذلك من الأقوات والأرزاق والفواكه، ما هو من ضروراتهم وحاجاتهم ومصالحهم، التي لا يقدرون أن يحصوها، فضلا عن شكرها، وأداء حقها "(٢).

فتعرض هذه الآيات كلها في معرض نعم الله وفضله على الناس، وفي معرض الوحدانية وإخلاص الدين لله، وهي وإن كانت مننًا يحق أن يشكرها الناس فإنها أيضًا دلائل إذا تفكر فيها المنعَمُ عليهم اهتدوا بها إلى أن الذي يخلق هذا ويبدعه بهذا التناسق هو الإله الحق الذي يجب أن يعبد وحده ويخلص له الدين وحده"(٣).

رابعًا: بيان آثار صفات الله وأفعاله من خلالها.

فإن من هدي القرآن تجاه الآيات الكونية لفت الأنظار والتفتيش والاعتبار بآثار ربوبية الله وصفاته من الإحياء والإماتة، والرزق وخلق السماوات والأرض والنبات، وإنزال المطر من السحب، وتعاقب الليل والنهار وغيرها كثير(٤)، للقيام بحق ربوبية الله وألوهيته، فلا يقصد في الحوائج غيره، ولا يتوكل على سواه، ولا يستعن إلا به، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فإذا

---

(١) الواقعة: ٦٣-٦٧.

(٢) تفسير ابن سعدي: ٤/ ١٧٦٨، وانظر تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف المعروف بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ٢/ ٣٣٠، ٣/ ٤١١.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٢٥/ ٣٣٧، وانظر: تفسير ابن سعدي: ٢/ ٨٥١.

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية، تصحيح: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، دار القاسم، الرياض، ط٢: ١/ ١٨٠-١٨١.

عرف العبد أن الله ربه وخالقه وأنه مفتقر إليه محتاج إليه عرف العبودية المتعلقة بربوبية الله وهذا العبد يسأل ربه ويتضرع إليه ويتوكل عليه "[١].

وقال تعالى مبينًا أثرًا من آثار صفاته - وهي صفة الرحمة -: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾[٢].

قال ابن جرير رحمه الله: " فانظر يا محمد ﷺ، إلى آثار الغيث الذي ينزل الله من السحاب، كيف يحيي بها الأرض الميتة، فينبتها ويعشبها، من بعد موتها ودثورها، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾. يقول جلّ ذكره: إن الذي يحيي هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث، لمحيي الموتى من بعد موتهم، وهو على كل شيء مع قدرته على إحياء الموتى قدير، لا يعزّ عليه شيء أراده، ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه سبحانه"[٣]، " وفي هذا الحث على التذكر والتفكر في آلاء اللّه والنظر إليها بعين الاعتبار والاستدلال، لا بعين الغفلة والإهمال"[٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾[٥].

---

(١) العبودية: ٥٢.
(٢) الروم: ٤٨-٥٠.
(٣) تفسير الطبري: ٢١/ ٦٤.
(٤) تفسير ابن سعدي: ٢/ ٥٥٢-٥٥٣.
(٥) يونس: ٥-٦.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: " فأما المفعولات فأنها دالة على الأفعال، والأفعال دالة على الصفات؛ فإن المفعول يدل على فاعل فعله، وذلك يستلزم وجوده وقدرته ومشيئته وعلمه؛ لاستحالة صدور الفعل الاختياري من معدوم أو موجود لا قدرة له ولا حياة ولا علم ولا إرادة، ثم ما في المفعولات من التخصيصات المتنوعة دال على إرادة الفاعل، وأن فعله ليس بالطبع بحيث يكون واحدا غير متكرر، وما فيها من المصالح والحكم والغايات المحمودة دال على حكمته تعالى، وما فيها من النفع والإحسان والخير دال على رحمته، وما فيها من البطش والانتقام والعقوبة دال على غضبه، وما فيها من الإكرام والتقريب والعناية دال على محبته، وما فيها من الإهانة والإبعاد والخذلان دال على بغضه ومقته، وما فيها من ابتداء الشيء في غاية النقص والضعف ثم سوقه إلى تمامه ونهايته دال على وقوع المعاد، وما فيها من أحوال النبات والحيوان وتصرف المياه دليل على إمكان المعاد، وما فيها من ظهور آثار الرحمة والنعمة على خلقه دليل على صحة النبوات، وما فيها من الكمالات التي لو عدمتها كانت ناقصة دليل على أن معطي تلك الكمالات أحق بها، فمفعولاته من أدل شيء على صفاته وصدق ما أخبرت به رسله عنه، فالمصنوعات شاهدة تصدق الآيات المسموعات، منبهه على الاستدلال بالآيات المصنوعات "(١).

خامسًا: بيان الحكمة في خلق هذه الآيات الكونية، وأن ذلك بالحق، وأنها لم تخلق عبثًا.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾(٢).

(١) الفوائد: ٣٢، وانظر: تفسير ابن سعدي: ٢/ ٦٩٩.
(٢) الدخان: ٣٨-٣٩.

فأخبر تعالى أنه خلق السماوات والأرض بالحق، أي بالعدل والقسط، وأنه لم يخلق ذلك عبثًا ولا لعبًا[(١)]، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾[(٢)].

فالله ﷻ ما خلق السماوات والأرض عبثا، ولا لعبا من غير فائدة، بل خلقها بالحق وللحق الذي لا يصلح التدبير إلا به، ليستدل بها العباد على أنه الخالق العظيم، المدبر الحكيم، الرحمن الرحيم، الذي له الكمال كله، والحمد كله، والعزة كلها، الصادق في قيله، الصادقة رسله، فيما تخبر عنه، وأن القادر على خلقهما مع سعتهما وعظمهما، قادر على إعادة الأجساد بعد موتها، ليجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته[(٣)].

سادسًا: التحدي بها إقامة للتوحيد وردًا للشرك، فهي حجة دامغة وبرهان ساطع كما أخبر الله تعالى في قصة مناظرة إبراهيم عليه السلام مع المشرك الجاحد بألوهية الله وربوبيته، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[(٤)].

قال ابن القيم رحمه الله: " فإن من تأمل موقع الحجاج وقطع المجادل فيما تضمنته هذه الآية وقف على أعظم برهان بأوجز عبارة، فإن إبراهيم عليه السلام لما أجاب المحاج له في الله بأنه الذي يحيي ويميت أخذ عدو الله معارضته

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ١٥٦.

(٢) ص: ٢٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/ ١٧٩،، وتفسير البغوي: ٣/ ٧٠١، ٢٥/ ١٥٢، وتفسير ابن سعدي: ٣/ ١٠٥٩.

(٤) البقرة: ٢٥٨.

بضرب من المغالطة، وهو أنه يقتل من يريد ويستبقي من يريد فقد أحيا هذا وأمات هذا، فألزمه إبراهيم على طرد هذه المعارضة أن يتصرف في حركة الشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها منها إذا كان بزعمه قد ساوى الله في الإحياء والإماتة، فإن كان صادقا فليتصرف في الشمس تصرفا تصح به دعواه، وليس هذا انتقالا من حجة إلى حجة أوضح منها كما زعم بعض النظار، وإنما هو إلزام للمدعي بطرد حجته إن كانت صحيحة"[١].

(١) الصواعق المرسلة: ٢/ ٤٩٠-٤٩١، وانظر: تفسير ابن سعدي: ٤/ ٢٠١٦.

المطلب الثاني: الهدي النبوي تجاه الآيات الكونية

قد بين الله تعالى في كتابه العزيز أن ما فضل به رسول الله ﷺ على غيره من البشر إنما هو بالوحي.

قال جل ذكره: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[(١)].

فهو ﷺ بشر من بني آدم، ليس له من الأمر شيء، وإنما فضله الله وخصه بالوحي الذي أوحاه إليه، وأمره بإتباعه والدعوة إليه[(٢)].

والوحي يشمل القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ الذين جاء بهما محمد ﷺ من عند الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾[(٤)].

وقد أمر الله ﷻ بطاعة رسوله ﷺ في آيات كثيرة، وبين أن طاعته من طاعة الله تعالى، وليس ذلك إلا لأنه يتكلم بالوحي وينطق به ويأمر بشريعة الله تعالى ويبين سنن الهدى التي أمره الله تعالى أن يبلغها، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾[(٥)]،

(١) الكهف: ١١٠، فصلت: ٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/ ١٠٧، وتفسير ابن كثير: ٣/ ١١٤، وتفسير ابن سعدي: ٤/ ١٥٦٤.

(٣) النجم: ٣-٤.

(٤) يونس: ١٥.

(٥) النساء: ٨٠.

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾[١].

وقد ختمت الرسالات برسالة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[٢].

فكان محمد ﷺ رسولًا للعالمين، وليس خاصًا بقومه من العرب كما كان الأنبياء والمرسلون قبله يرسلون إلى أقوامهم؛ وذلك لأن رسالته هي خاتم الرسالات، ودينه هو الباقي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[٤].

وقال ﷺ: «وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون».

وفي رواية: «كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود»[٥].

وقد بين الله تعالى أنه علم هذا الرسول من العلوم ما لم يكن يعلم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[٦].

وقد أمره الله تعالى أن يدعوه بطلب زيادة العلم، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[٧]. فهذا العلم - ومنه العلم بالآيات الكونية - الذي جاء عن

(١) المائدة: ٩٢.
(٢) الأحزاب: ٤٠.
(٣) الفرقان: ١.
(٤) الأنبياء: ١٠٧.
(٥) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة: ١/ ٣٧٠-٣٧١ برقم (٥٢١، ٥٢٣).
(٦) النساء: ١١٣.
(٧) طه: ١١٤.

رسول الله ﷺ إنما هو من الوحي الذي أوحاه الله تعالى إليه.

وقد جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه عندما سأل رسول الله ﷺ عن كتابة كل ما يسمعه منه فأوما ﷺ بأصبعه إلى فيه، وقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق»[(١)].

فهذا يدل على أن كل ما جاء في السنة المطهرة حق لا شك فيه سواء كان إشارة إلى حقيقة علمية، أو قضية تاريخية عن نبي من الأنبياء، أو عن أحد من أهل زمانه أو غير ذلك، وهو موافق لما جاء في القرآن.

ولما كان الأمر كذلك فلا بد أن تكون وجوه الإعجاز فيها هي نفس وجوه الإعجاز في القرآن الكريم اللهم إلا فيما كان راجعًا إلى الصفة الإلهية في القرآن الكريم كإعجازه اللغوي والنحوي والصرفي والأسلوبي[(٢)].

ويمكن تقسيم الهدي النبوي تجاه هذه الآيات الكونية، كالتقسيم السابق للهدي القرآني تجاهها إلى ثلاثة أقسام رئيسة[(٣)]:

---

(١) سنن أبي داود - اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية، دار بيت الأفكار الدولية، الرياض -: كتاب العلم، باب في كتابة العلم: ٤٠٣ برقم (٣٦٤٦)، ومسند الإمام أحمد: ١١/ ٥٨ برقم (٦٥١٠)، وقال المحقق: إسناده صحيح. ورواه الحاكم في مستدركه، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨: ١/ ١٠٥-١٠٦، وقال: رواة هذا الحديث قد احتج بهم عن آخرهم غير الوليد، وأظنه الوليد بن أبي الوليد الشامي فإنه الوليد بن عبد الله، وقد غلبت على أبيه الكنية، فإن كان كذلك فقد احتج مسلم به. وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: إن كان الوليد هو ابن أبي الوليد الشامي فهو على شرط مسلم. قال الألباني على كلام الحاكم: كذا قال، وإنما هو الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث مولى بني الدار حجازي، وهو ثقة كما قال ابن معين وابن حبان. انظر: السلسلة الصحيحة: ٤/ ٤٥-٤٦ برقم (١٥٣٢).

(٢) انظر: مقارنة بين أسلوب الحديث النبوي وأسلوب القرآن الكريم لمصطفى أحمد الزرقا، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد (١)، عام ١٣٩٥: ٩١-٩٥.

(٣) انظر: ص ٧٦ من هذا البحث، وسمات الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم، موقع ملتقى أهل التفسير.

القسم الأول: الهدي المتعلق بذات الآيات الكونية

أولًا: بيان عبودية هذه الآيات الكونية لله وأنها تسبح له.

أخبر النبي ﷺ عن عبودية هذه الآيات الكونية لربها، وأنها تسبحه وتلبي مع الملبي، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل(١)، وقال ﷺ: «ما من مسلم يلبي إلا لبى ما عن يمينه، أو عن شماله من شجر أو حجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا»(٢)، فهذا إخبار بأن الحجر يلبي تلبية حقيقية.

ثانيًا: الإخبار عن بعض صفاتها وأعمالها.

أخبر النبي ﷺ عن بعض صفات وأعمال هذه الآيات الكونية، فقال عن جبل أحد: «أحد جبل يحبنا ونحبه»(٣).

وأخبر عن حجر كان يسلم عليه قبل مبعثه - عليه الصلاة والسلام -، فقال: «إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»(٤).

---

(١) سبق تخريجه: ٦٨.

(٢) سنن الترمذي،، دار بيت الأفكار الدولية، الرياض: كتاب الحج، باب ما جاء في فضل التلبية والنحر: ١٥٤ برقم (٨٢٨)، وسنن ابن ماجه،، دار بيت الأفكار الدولية، الرياض: بلفظ" ما من ملب" ، كتاب المناسك، باب التلبية: ٣١٨ برقم (٢٩٢١)، ورواه الحاكم في المستدرك بلفظ"ما من مؤمن" : ١/ ٤٥١ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب (٨١): ٨٣٨ برقم (٤٤٢٢).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة: ٤/ ١٧٨٢ برقم (٢٢٧٧).

القسم الثاني: الهدي المتعلق بطريقة السنة في عرضها للآيات الكونية وأسلوب ذكرها وإيرادها.

أولًا: استعمال الاستفهام لتقرير الأمور الغيبية المتعلقة بالآية الكونية.

كان من هدي النبي ﷺ في التعليم استخدام الاستفهام في بيان المسألة.

فعن أبى ذر رضي الله عنه قال دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس فلما غابت الشمس، قال: «يا أبا ذر هل تدرى أين تذهب هذه؟» قال: قلت الله ورسوله أعلم.

قال: «فإنها تذهب فتستأذن فى السجود فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها»[(١)].

ثانيًا: ضرب الأمثال بها.

فمن أساليب تعليم النبي ﷺ ضرب الأمثال في الأمور المهمة بالأمور المحسوسة المعقولة[(٢)]

فعن أبي هريرة ﷺ: أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون[(٣)] في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الزمان الذي لا يقبل فيه الإيمان: ١/ ١٣٩ برقم (١٥٩).

(٢) انظر: مدارج السالكين: ١/ ٢٧١.

(٣) بضم أوله وبالضاد المعجمة وتشديد الراء بصيغة المفاعلة من الضرر. أي لا تضرون أحدًا ولا يضركم بمنازعة ولا مجادلة ولا مضايقة. وجاء بتخفيف الراء من الضير وهو لغة في الضر أي لا يخالف بعض بعضًا فيكذبه وينازعه فيضيره بذلك. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، تعليق: الشيخ عبد العزيز ابن باز وترقيم محمد فؤاد

=

رسول الله، قال: «فهل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه حجاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك». . .

ثم ذكر حشر الناس يوم القيامة، ومن يجوز الصراط ثم قال: «وبه كلاليب مثل شوك السعدان. أما رأيتم شوك السعدان؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله».

ثم ذكر صفة الذين يخرجون من النار من أهل السجود فقال: «فيُخرجونهم قد امتحشوا[(١)]، فيصب عليهم ماء يقال له ماء الحياة فينبتون نبات الحبة[(٢)] في حميل السيل[(٣)]» الحديث[(٤)].

= عبد الباقي، دار الفكر: ١١/ ٤٤٦.

(١) بفتح المثناة والمهملة وضم المعجمة. أي احترقوا وزنه ومعناه. انظر: فتح الباري: ١/ ٤٥٧.

(٢) بكسر أوله. قال: الفراء هي بزر البقل البري، وقال أبو عمرو: نبت ينبت في الحشيش، وقيل: ما كان في النبات له اسم فواحده حبة بالفتح، وما لا اسم له حبة بالكسر. انظر: فتح الباري: ١/ ١٠١.

(٣) هو ما يجيء به السيل من طين وغيره فعيل بمعنى مفعول وقيل هو خاص بما لم يصك قطره ولبعضهم بالهمزة بدل اللام وهو كالحمأة. انظر: فتح الباري: ١/ ١٠٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: الصراط جسر جهنم: ١٢٧٥ برقم (٦٥٧٣).

القسم الثالث: الهدي المتعلق بالغرض والغاية الذي سيقت لأجله تلك الآيات الكونية.

أولًا: التوسل إلى الله ﷻ بربوبيته لها[(١)]:

كان من هدي النبي ﷺ حينما كان يتوجه إلى ربه بالدعاء أن يذكر في دعائه خصائص الربوبية والأسماء والصفات الدالة على توحيد الإثبات والمعرفة، والتي لها علاقة بدلائل الآيات الكونية؛ لأنها من أعظم الدلائل على وحدانية الله سبحانه، فكان ﷺ يدعو عند الكرب فيقول: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم»[(٢)]، وكان ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[(٣)].

ثانيًا: بيان المسائل العقدية عند حدوث التغيرات الكونية.

فمن هدي النبي ﷺ أن يبين بعض المسائل العقدية عند حصول تغيرات كونية، ويبين السبب في حدوث ذلك.

فقد أخبر النبي ﷺ عند شدة الحر وشدة البرد أن هذه الشدة من فيح

(١) انظر في أحكام التوسل كتاب قاعدة جليلية في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية، التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب: ١٢٢٠ برقم (٦٣٤٥).

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه: ١/ ٣٤ برقم (٧٧٠).

جهنم، فعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ، قال: «إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم»، وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «واشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير»(١)، إلى غير ذلك.

ثالثًا: التنبيه على المخالفات العقدية عند حدوث التغيرات الكونية:

كان من هدي النبي ﷺ الواضح التنبيه على المخالفات العقدية خصوصًا عند وجود مناسبة لذلك، فلما كسفت الشمس في اليوم الذي توفي فيه ابنه إبراهيم، وكان من الاعتقادات في الجاهلية أن كسوف الشمس أو القمر يحصل عند موت عظيم أو حياته وربط بعض الصحابة هذه الآية بحالة الوفاة، قطع النبي ﷺ هذا الاعتقاد من أصله، فقال: «الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتموهما فصلوا»(٢).

رابعًا: الأمر بالتوجه والتعلق بالله ﷻ عند حدوث تغيرات كونية.

فعند حصول أي تغير في هذه الآيات الكونية نجد أن الرسول ﷺ يحث أمته على التوجه إلى الخالق والتعلق به، مع بيانه أن هذه الآيات مربوبة مخلوقة يتصرف الله فيها كيف يشاء.

ففي أحاديث الكسوف يأمر ﷺ بالإسراع إلى الصلاة والتوجه إلى الله سبحانه، وأن الجرمين السماويين الذي ينتج عنهم أثر الخسوف والكسوف ما هي إلا مأمورة بأمر خالقها تؤدي ما وجب عليها من فعل وليس

---

(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر: ١٢٢ برقم (٥٣٤، ٥٣٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب لا تنكسف الشمس لموت أحد ولا حياته: ٢١١ برقم (١٠٥٧).

لها تأثير في حياة أو موت وإنما المحي والمميت هو خالقها سبحانه، ولذلك جاء في الحديث السابق: «فإذا رأيتم - يعني الكسوف - فصلوا وادعوا الله».

خامسًا: الخوف والوجل من الله ﷻ عند حدوث التغييرات الكونية.

فقد كانت حاله ﷺ بخلاف حال الناس، من الخوف من الله حتى يعرف ذلك من فعله وحاله، فلما كسفت الشمس قام فزعًا يخشى أن تكون الساعة[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يبتسم، قالت: وكان إذا رأى غيما أو ريحا عرف في وجهه، قالت: يا رسول الله، إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية؟ فقال: «يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟ عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾[(٢)]»[(٣)].

(١) صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب الذكر في الكسوف: ٢١١ برقم (١٠٥٩).
(٢) الأحقاف: ٢٤.
(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ﴾: ٩٤٨ برقم (٤٨٢٨).

المطلب الثالث: تأييد اللّٰه لأنبيائه بالآيات الكونية

أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، وحجة على العالمين، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾(١)، وحتى لا يحتج أحد على الله فيقول: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾(٢).

وما بعث الله رسولًا إلا أيده بالآيات الدالة على صدق رسالته وصحة دعواه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾(٣)، وقال ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة»(٤).

فمعجزات الأنبياء هي الآيات التي يعجز الله بها البشر أن ياتوا بمثلها ويكون ذلك تأييدًا لأنبيائه.

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: "معجزات الأنبياء هي الآيات التي أعجزوا بها البشر أن يأتوا بمثلها والله تعالى يسميها آيات، وهي علامات دالة على صدق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فيما جاؤوا به من الرسالة"(٥).

وقال ابن القيم رحمه الله في بيان أن طريقة الاستدلال بالآيات الكونية

(١) النساء: ١٦٥.
(٢) طه: ١٣٤.
(٣) الحديد: ٢٥.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: "بعثت بجوامع الكلم": ١٣٨٧ برقم (٧٢٧٤).
(٥) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٥/ ٣٠٣، وانظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ٣/ ٢٤٢.

المأخوذة عن طريق الحس لمن شاهدها، واستفاضة الخبر لمن غاب عنها، وأنها من أقوى الطرق وأصحها، وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله، ودلالة ذلك على تأييد الله لأنبيائه: " وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها، وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله، وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها، فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل، ودلالتها ضرورية بنفسها، ولهذا يسميها الله سبحانه آيات بينات، وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها، فإن انقلاب عصا تقلها اليد ثعبانا عظيما يبتلع ما يمر به ثم يعود عصا كما كانت من أدل الدليل على وجود الصانع وحياته وقدرته وإرادته وعلمه بالكليات والجزئيات، وعلى رسالة الرسول وعلى المبدأ والمعاد، فكل قواعد الدين في هذه العصا " . . .

ثم ذكر بعض الأمثلة، ثم قال: "وأمثال ذلك مما هو من أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر"[(١)].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان كيف يقرر القرآن نبوة محمد ﷺ، وأنه يكون أحيانا عن طريق الآيات الكونية: " وتارة يقرر رسالته بما أظهر على يديه من المعجزات، وما أجرى له من الخوارق والكرامات، الدالِّ كل واحد منها بمفرده - فكيف إذا اجتمعت - على أنه رسول الله ﷺ ـ الصادق المصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى"[(٢)].

وقال أيضا في بيان آيات الرسل والفرق بينها وبين طلبات واقتراحات المكذبين، وكيف يكون تأييد الله لرسله: " القاعدة الخمسون: آيات الرسول: هي التي يبديها الباري ويبتديها، وأما ما أبداه المكذبون له

(١) مختصر الصواعق المرسلة: ٢/ ٤٨٧-٤٩٠ باختصار.
(٢) القواعد الحسان: ٢٩، ٤٢.

واقترحوه، فليست آيات، وإنما هي تعنتات وتعجيزات.

وبهذا يعرف الفرق بينها وبين الآيات: وهي البراهين والأدلة على صدق الرسول وغيره من الرسل، وعلى صدق كل خبر أخبر الله به، وأنها الأدلة والبراهين التي يلزم من فهمها على وجهها صدق ما دلت عليه ويقينه"[(١)].

وقد ذكر الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله في فوائد آيات الأنبياء ومعجزاتهم: "أنها دليل على قدرة الله، وأنها دليل على صحة ما جاءت به الرسل، وأنه لا يمكن للمرء إلا أن يصدق برسالة الرسول الذي جاء بها حيث جاء بما لا يقدر عليه أحد سوى الله عز وجل"[(٢)].

ثم بين من فوائد هذه الآيات أيضًا: "بيان رحمة الله بعباده، فإن هذه الآيات التي يرونها مؤيدة للرسل تزيد إيمانهم وطمأنينتهم لصحة الرسالة، ومن ثم يزداد يقينهم وثوابهم ولا يحصل لهم حيرة ولا شك ولا ارتباك"[(٣)].

فرحمة الله بالرسول الذي أرسله حيث ييسر قبول رسالته بما يجريه على يديه من الآيات ليتسنى إقناع الخلق بأمور لا يستطيعون معارضتها ولا يمكنهم ردها إلا جحودا وعنادا، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾، أي لما يرون من الآيات الدالة على صدقك.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[(٤)] أي ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم[(٥)].

ومن الآيات التي حصلت للنبي محمد ﷺ تأييد له من الله عز وجل: " ما

(١) المصدر السابق: ١٠٦.
(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٥/ ٣٠٤.
(٣) المصدر السابق: ٥/ ٣٠٥.
(٤) الأنعام: ٣٣.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ١٣٤.

أظهره الله شاهدًا على صدقه من الآيات الأفقية كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[١]؟.

ولذلك أمثلة:

المثال الأول: انشقاق القمر، فقد انشق القمر وصار فرقتين، وشاهد الناس ذلك، وقد أشار الله إلى ذلك في القرآن، فقال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾﴾[٢] وقد أجمع العلماء على وقوع ذلك في عهد النبي ﷺ قبل الهجرة، وقد رآه الناس بمكة. وقال النبي ﷺ حين رآه: «اشهدوا اشهدوا»[٣]، وقدم المسافرون من كل وجه فأخبروا أنهم رأوه"[٤].

والمثال الثاني: " نزول المطر باستسقائه مباشرة، وإقلاع المطر باستصحائه مباشرة"[٥]، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " أصابت سنة - أي جدب - على عهد رسول الله ﷺ، فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا. فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة[٦]، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته، فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد، ومن بعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره، فقال: يا رسول الله، تهدم البناء

---

(١) فصلت: ٥٣.
(٢) القمر: ١-٣.
(٣) سبق تخريجه: ٦٦.
(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٥/ ٣١١-٣١٢.
(٥) المرجع السابق: ٥/ ٣١٣.
(٦) القزعة: بفتح القاف والزاي بعدها مهملة، أي سحاب متفرق. فتح الباري: ٢/ ٥٠٣.

وغرق المال، فادع الله لنا. فرفع يديه وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا» فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة مثل الجوبة(١)، وسال الوادي وادي قناة(٢) شهرًا، ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود"(٣).

ومن الآيات الكونية التي أخبر ﷺ بأنها ستقع، ووقعت كما أخبر: "إخباره ﷺ عن ظهور نار في أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى(٤)، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى»(٥). فقد خرجت هذه النار(٦) في جمادى الآخرة سنة ٦٥٤هـ شرقي المدينة فأقامت نحوًا من شهر وملأت تلك الأودية وشاهد الناس أعناق الإبل ببصرى"(٧).

قال ابن تيمية رحمه الله: "وهذه النار كانت تحرق الحجر"(٨).

---

(١) الجوبة: بفتح الجيم ثم الموحدة، وهي الحفرة المستديرة الواسعة، والمراد بها هنا الفرجة في السحاب. فتح الباري: ٢/ ٥٠٦.

(٢) قناة: بفتح القاف والنون الخفيفة علم على أرض ذات مزارع بناحية أحد، وواديها أحد أودية المدينة المشهورة. فتح الباري: ٢/ ٥٠٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة: ١٨٦ برقم (٩٣٣).

(٤) بصرى: بضم الباء مدينة معروفة بالشام، وهي مدينة حوران، بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل، ١٤٠ كم.
انظر: شرح النووي على صحيح مسلم: ١٨/ ٣٠، وبلدان الخلافة الشرقية لكي لسترنج، ترجمة بشير فرنيس وكوركس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢: ٧٢.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز: ٤/ ٢٢٢٧ برقم (٢٩٠٢).

(٦) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم: ١٨/ ٢٨، والبداية والنهاية لابن كثير: ١٧/ ٣٢٨.

(٧) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٥/ ٣١٤.

(٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ٢/ ٩٦.

المطلب الرابع: الآيات الكونية وأركان الإسلام

أولًا: الآيات الكونية والشهادتان:

يزخر القرآن الكريم بالعديد من الآيات الكونية، وصور من نشأتها ومراحل تكونها، والسنن الإلهية التي تحكمها، وما يستتبعه كل ذلك من استخلاص للعبرة وتفهم للحكمة، وما يستوجبه من إيمان بالله، وشهادة بكمال صفاته وأفعاله، وهو ﷻ الخالق البارئ المصور الذي أبدع الخلق بعلم وقدرة وحكمة. وهي مع ذلك دليل على صدق نبوة محمد ﷺ.

قال ابن سعدي رحمه الله بعد أن ذكر تقرير الله ﷻ لربوبيته وإلهيته، وذكر الأدلة العقلية الأفقية الدالة على ذلك وعلى كماله، في أسمائه وصفاته، من الشمس والقمر، والسماوات والأرض وجميع ما خلق فيهما من سائر أصناف المخلوقات، وأخبر أنها آيات: "وحاصل ذلك أن مجرد خلق هذه المخلوقات بهذه الصفة، دال على كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحياته وقيوميته. وما فيها من الإحكام والإتقان والإبداع والحسن دال على كمال حكمة الله وحسن خلقه وسعة علمه. وما فيها من أنواع المنافع والمصالح يدل ذلك على رحمة الله تعالى واعتنائه بعباده وسعة بره وإحسانه. وما فيها من التخصيصات دال على مشيئة الله وإرادته النافذة.

وذلك دال على أنه وحده المعبود والمحبوب المحمود، ذو الجلال والإكرام والأوصاف العظام"(١).

أما المكتشفات العلمية فهي دالة على الربوبية من جهة التفاصيل الدقيقة

---

(١) تفسير ابن سعدي: ٢/ ٥٥١، ٦٩٩، وانظر: الفوائد: ٣٢-٣٣.

المؤكدة على افتقار الكون إلى خالق مدبر، دون أن تكون معرفة هذه التفاصيل شرطًا في كمال اليقين، كما تعتبر هذه المكتشفات دالة على النبوة من جهة عدم تكذيبها لشيء مما جاء به النبي ﷺ[(١)].

ثانيًا: الآيات الكونية والصلاة[(٢)].

إن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، ونجد أن لها ارتباطًا وثيقًا بالآيات الكونية، وأول ما يذكر الفقهاء من شروط الصلاة الوقت وتحديده، وهو مرتبط ببعض الآيات الكونية، فصلاة الظهر مثلًا إذا زالت الشمس، وصلاة المغرب إذا غربت وهكذا بقية الصلوات الخمس تعرف أوقاتها بهذه الآيات الكونية[(٣)].

وأفضل الصلاة صلاة جوف الليل[(٤)]. وصلاة العيد من ارتفاع الشمس قيد رمح إلى الزوال[(٥)].

وقد جاء النهي عن الصلاة في بعض الأوقات: عند طلوع الشمس حتى ارتفاعها قيد رمح، وعند غروبها لأن المشركين يسجدون لها، وعند انتصاف النهار لأن النار تسجر[(٦)].

---

(١) منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية، لسعود بن عبد العزيز العريفي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج (١٩)، العدد (٤٣)، ذو الحجة ١٤٢٨: ٢٨٧.

(٢) انظر: أثر القمرين في الأحكام الشرعية لعبد المجيد بن عبد الله اليحيى، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود، المعهد العالي للقضاء، قسم الفقه المقارن: ٥٦ وما بعدها.

(٣) المغني لابن قدامة، تحقيق: عبد الله التركي، دار عالم الكتب، الرياض، ط٤: ٢/ ٨-٣٢.

(٤) المصدر السابق: ٢/ ٥٥٥.

(٥) المصدر السابق: ٣/ ٢٦٦.

(٦) المصدر السابق: ٢/ ٥٢٣-٥٢٧.

ومن شروط الصلاة القبلة، وقد اتفق الفقهاء على أن الشمس والقمر والنجوم - وهي من الآيات الكونية - من دلائل القبلة التي تعرف بها[(١)]، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾[(٢)].

وتشرع بعض الأحكام المتعلقة بالصلاة عند حصول بعض التغيرات الكونية، فيجوز الجمع بين الصلاتين عند نزول المطر[(٣)]، وفي شدة الحر يشرع تأخير صلاة الظهر[(٤)]. وتشرع صلاة الاستسقاء إذا أجدبت الأرض واحتبس القطر[(٥)].

والصلاة مشروعة إذا كسفت الشمس أو خسف القمر[(٦)]، مع تغير في صفتها عن الصلاة المعتادة حيث زيد في عدد الركوعات، فصلى النبي ﷺ صلاة الكسوف أربع ركوعات في ركعتين[(٧)].

ولو تأملنا في نفس الصلاة لوجدنا أن النبي ﷺ في دعاء الاستفتاح يقول: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب»[(٨)].

وفي صلاة الليل يقول في استفتاحه متوسلاً إلى الله ﷻ بخلقه لهذه الآيات الكونية العظيمة: «فاطر السماوات والأرض»[(٩)].

---

(١) انظر: المصدر السابق: ٢/ ١٠٢-١٠٥.
(٢) النحل: ١٦.
(٣) المصدر السابق: ٢/ ١٣٢.
(٤) المصدر السابق: ٢/ ٣٥.
(٥) المصدر السابق: ٢/ ٣٣٤.
(٦) المصدر السابق: ٢/ ٣٢٠-٣٢٣.
(٧) صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف في المسجد: ٢١٠ برقم (١٠٥٥).
(٨) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبير الإحرام والقراءة: ١/ ٤١٩ برقم (٥٩٨).
(٩) سبق تخريجه: ١١٨.

وإذا رفع من الركوع قال: «الحمد لله ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما»[(١)]، إلى غير ذلك.

ثالثًا: الآيات الكونية والزكاة:

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وتجب بشروط منها تمام الحول. وإذا أطلق الحول والسنة عند الفقهاء فالمراد به السنة القمرية، والسنة القمرية هي التي تعتمد على ظهور الهلال واختفائه في بداية الشهر ونهايته[(٢)].

وترتبط بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالزكاة بالآيات الكونية، فيختلف مقدار الزكاة في الزروع والثمار بحسب السقي، ففيما سقت السماء والعيون العشر، وما سقي بالنضح نصف العشر[(٣)].

وتجب زكاة الفطر بغروب شمس أخر يوم من رمضان، فمن ولد قبل غروب الشمس من أخر شهر رمضان وجب على وليه إخراج زكاة الفطر عنه، ومن ولد بعدها فلا تجب عليه[(٤)].

رابعًا: الآيات الكونية والصيام:

الصيام هو الركن الرابع من أركان الإسلام، ويثبت دخول شهره وخروجه برؤية الهلال أو إكمال عدة شعبان ثلاثين يومًا.

وقد ورد عند رؤية هلاله أدعية مأثورة عن النبي ﷺ، وعن الصحابة[(٥)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب اعتدال أركان الصلاة وتخفيفها في تمام: ١/ ٣٤٣ برقم (٤٧١).
(٢) المغني: ٤/ ١٤٠.
(٣) المصدر السابق: ٤/ ١٦٤.
(٤) المصدر السابق: ٤/ ٢٩٨.
(٥) انظر: أحكام الأهلة والآثار المترتبة عليها وتطبيقاتها القضائية لأحمد بن عبد الله الفريح، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، المعهد العالي للقضاء، قسم الفقه المقارن: ٢٩.

والصوم المشروع هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس[(١)].

والنية لصيام الفرض تبيت من الليل[(٢)].

خامسًا: الآيات الكونية والحج:

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وأول أشهر الحج شوال[(٣)]، ويثبت دخوله برؤية هلاله أو إكمال عدة رمضان ثلاثين يومًا، ويثبت دخول شهر ذي الحجة برؤية هلاله أو إكمال عدة شهر ذي القعدة ثلاثين يوما..

ويستحب للمحرم الإكثار من التلبية إذا علا مرتفعًا، أو هبط واديًا، ومن أخر الليل[(٤)].

وإذا طلعت الشمس اليوم التاسع دفع الحاج إلى عرفة، والسنة لمن جاء عرفة أن ينزل بنمرة كما فعل النبي ﷺ إلى أن تزيغ الشمس، فإذا زاغت صلى الظهر والعصر جمع تقديم، ثم أتى الموقف[(٥)].

ومن وقف في عرفة من ليل أو نهار صح حجه، ومن لم يقف بعرفه حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج، والوقوف إلى غروب الشمس واجب، ويدفع الناس من عرفة بعد غروب الشمس[(٦)].

ويبدأ الانصراف من مزدلفة للضعفة بعد مغيب القمر، وقيل بعد منتصف

---

(١) المغني: ٤/ ٣٢٥.
(٢) المصدر السابق: ٤/ ٣٣٣.
(٣) المصدر السابق: ٥/ ١١٠.
(٤) المصدر السابق: ٥/ ١٠٥- ١٠٦.
(٥) المصدر السابق: ٥/ ٢٦٢.
(٦) المصدر السابق: ٥/ ٢٦٨.

الليل، ولغيرهم قبل طلوع الشمس[(١)].

وقد قال النبي ﷺ في يوم النحر في حجة الوداع: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر بين جمادى وشعبان»[(٢)].

ويبدأ رمى الجمرات بعد زوال الشمس من اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر لمن تأخر[(٣)].

وإن أحب أن يتعجل في يومين خرج قبل غروب الشمس من اليوم الثاني عشر، وإن غربت الشمس وهو بها لم يخرج حتى يرمي من غد بعد الزوال[(٤)].

فأنت ترى أن أعمال الحج لها ارتباط واضح بهذه الآيات الكونية، إما في بداية العمل أو نهايته أو خلاله.

---

(١) المصدر السابق: ٥/ ٢٨٤-٢٨٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع: ٨٣٢ برقم (٤٤٠٦).

(٣) المغني: ٥/ ٣٢٦.

(٤) المصدر السابق: ٥/ ٣٣١.

الفصل الثالث
التفسير العلمي للآيات الكونية، والدراسات المستقبلية عنها وصلتها بالعقيدة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة.

المبحث الثاني: مسائل متعلقة بالتفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة.

المبحث الثالث: الآيات الكونية المستقبلية والدراسات حولها وصلتها بالعقيدة.

المبحث الأول
التفسير العلمي للآيات الكونية
في القرآن والسنة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المراد بالتفسير العلمي.

المطلب الثاني: موقف العلماء من التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة.

المطلب الثالث: موافقة الحقائق العلمية للقرآن والسنة.

المطلب الرابع: المخالفات العقدية في التفسير العلمي للآيات الكونية.

المطلب الأول: المراد بالتفسير العلمي

ظهر في أوائل القرن الرابع عشر الهجري مصطلح " التفسير العلمي للقرآن" وما في معناه من المصطلحات الحادثة، والتي تشير إلى تأويل أو تفسير القرآن بما يتفق مع النظريات العلمية أو الاكتشافات الحديثة.

وأصل هذا التفسير كان قديمًا في وقت الدولة العباسية؛ ولكنه في أول الأمر كان عبارة عن محاولات يُقصد منها التوفيق بين القرآن وما جَدَّ من العلوم، ثم وجِدت الفكرة مركَّزة وصريحة عند الغزالي(١)، ثم إن هذه الفكرة طُبِّقت علميًا وظهرت في مثل محاولات الفخر الرازي(٢) ضمن تفسيره للقرآن، ثم وجِدت بعد ذلك كتب مستقلة في استخراج العلوم من القرآن، وتتبع الآيات الخاصة بمختلف العلوم؛ ولكنها لم تكن مثل العصر الحديث كثرةً ولا مقاربًا له(٣)، فراجت هذه الفكرة في العصر المتأخر رواجًا كبيرًا،

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين: ١/ ٣٦٩، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد بن عبد الرحمن الرومي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣: ٢/ ٥٥٥.

(٢) هو محمد بن عمر بن حسين القرشي التيمي الرازي، المعروف بالفخر الرازي ويقال له ابن خطيب الري، من كبار المتكلمين الأشاعرة، له مصنفات كثيرة، منها: مفاتيح الغيب، والمطالب العالية، والمباحث المشرقية، توفي سنة ٦٠٦. انظر: سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٥٠٠، والبداية والنهاية: ١٧/ ١١.

(٣) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: ٢/ ٥٤٧، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير لفهد بن عبد الرحمن الرومي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١: ٢٦٢-٢٦٣، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان لأحمد بن عمر أبو حجر، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط٢: ٩٣ وما بعدها، والأحاديث النبوية التي استدل بها على الإعجاز العلمي في الإنسان والأرض والفلك لأحمد بن حسن الحارثي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بكلية الحديث والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة

=

ونتج عن ذلك مؤلفات كثيرة تعالج هذا الموضوع، كما أُلِّفت بعض التفاسير التي تسير على ضوء هذه الفكرة[(١)].

تعريف التفسير العلمي:

التفسير في اللغة: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيان شيء وإيضاحه[(٢)]، وهو مصدر فسّر بتشديد السين، والفسر: الإبانة وكشف المغطى، والتفسير مثله، وهو كشف المراد عن اللفظ المشكل[(٣)].

ويراد منه الإيضاح والتبيين، وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾[(٤)]، أي أحسن بياناً وتفصيلاً[(٥)].

وفي الاصطلاح: علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة

= النبوية، مطبوعة بالحاسب الآلي: ١٤.

(١) انظر: التفسير: نشأته - تدرجه - تطوره لأمين الخولي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١: ٢٠، والتفسير والمفسرون: ٢/ ٤٨٤، ولمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير لمحمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣: ٢٠٣، واتجاهات التفسير في العصر الراهن لعبد المجيد بن عبد السلام المحتسب، مكتبة النهضة الإسلامية، عمان، ط٣: ٢٤٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠: ٤/ ٥٠٤.

(٣) القاموس المحيط: ٤١١، ولسان العرب: ٥/ ٣٤٢١، مادة فسر، وانظر: مباحث في علوم القرآن: ٣١٦.

(٤) الفرقان: ٣٣.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ١٣/ ٢٩.

أسباب النزول والناسخ والمنسوخ[(١)].

وقد وصف التفسير هنا بأنه علمي نسبة إلى العلم.

والعلم: هو إدراك الأشياء على حقائقها، أو هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافًا تامًا[(٢)]. وأما عند الماديين المحدَثين فهو خاص باليقينيات التي تستند على الحس وحده[(٣)].

والمقصود بالعلم في هذا المقام: العلم التجريبي، وما يتعلق به من علوم الطبيعة الموجودة في الكون، مثل: الفيزياء، والكيمياء، وطبقات الأرض، وعلم الإحياء، وعلم البحار، وعلم الفلك، وغيرها[(٤)]؛ ولذلك فإنه لا بد من تمييز هذا التفسير عن سواه، فلو قيل: " التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم" ، أو" التفسير العلمي بالعلوم التطبيقية أو الطبيعية للقرآن الكريم" ؛ وذلك حتى لا يفهم أن التفاسير الأخرى ليست علمية[(٥)].

وقد عرف التفسير العلمي بعدة تعريفات[(٦)] تدور حول كون التفسير العلمي هو التفسير:

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ١/ ١٣، والإتقان في علوم القرآن: ٤/ ١٦٧.

(٢) انظر: التعريفات: ٢٣٣، والكليات: ٦١٠.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن: ١/ ١٤.

(٤) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: ٢/ ٥٤٧، والمعجزة العلمية في القرآن والسنة لعبد المجيد الزنداني، ضمن كتيب تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ١٧، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان: ٧٠.

(٥) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: ٢/ ٥٤٧.

(٦) انظر هذه التعريفات في: التفسير نشأته - تدرجه - تطوره: ١٩-٢٠، والتفسير والمفسرون: ٣/ ١٤٠، ولمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير: ٢٩٢، واتجاهات التفسير في العصر الراهن: ٢٤٧، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان: ٧٢، واتجاهات

=

١- الذي يُحكَّم الاصطلاحات العلمية في ألفاظ القرآن.

٢- ويُخضعها له.

٣- ويجتهد أو يحاول في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها.

٤- ويربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية، ويكشف الصلة بينهما على ضوء ما تنتجه المختبرات ومراكز البحث في العلوم الدقيقة من معارف وحقائق علمية بغض النظر عن صحة النظرية أو خطئها، وبعضهم يقيد ذلك بما ترجحت صحته، وبعضهم يقيد ذلك بما ثبتت صحته من النظريات.

٥- ويُظهر إعجاز القرآن وبيان صلاحيته لكل زمان ومكان.

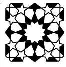
وهذه التعريفات نجد أنها تصف التفسير العلمي: بأنه "تحكيم" أو "إخضاع" للمصطلحات العلمية في فهم القرآن، وهذه عبارة غير صحيحة؛ لأنها جعلت فهم القرآن مرتبطًا بهذه المصطلحات الحادثة وجعلته خاضعًا لها، كذلك أدخلت الآراء الفلسفية ضمن هذا التفسير الذي الأصل فيه أن يكون علميًا(١)، وبعض هذه التعريفات فسر الآيات القرآنية بالنظريات بغض النظر عن صحتها أو خطئها.

ولعل الأقرب أن يقال في تعريف التفسير العلمي: هو الكشف عن تفاصيل معاني الآية في ضوء ما ثبتت صحته من نظريات العلوم الكونية التجريبية(٢).

= التفسير في القرن الرابع عشر: ٢/٥٤٨-٥٤٩، والمعجزة العلمية في القرآن والسنة: ٣٣، والآيات الكونية في ضوء العلم الحديث: ١٣.

(١) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: ٢/٥٤٨-٥٤٩.

(٢) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن: ٣٨.



الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي[١]:

سبق تعريف التفسير العلمي، أما الإعجاز العلمي فهو: يعني تأكيد الكشوف العلمية الحديثة الثابتة والمستقرة للحقائق الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة بأدلة تفيد القطع واليقين باتفاق المتخصصين[٢]، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ[٣].

ومن خلال التعريف يتضح أن الفرق بينهما: أن التفسير العلمي كشف عن معاني الآية أو تفاصيلها، أما الإعجاز العلمي فهو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة علمية أثبتها العلم أخيرًا، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ[٤].

---

(١) انظر: الأحاديث النبوية التي استدل بها على الإعجاز العلمي: ١٧-١٨.

(٢) التوصيات الصادر عن المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ضمن كتيب تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أبحاث المؤتمر العلمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ١١٠.

(٣) انظر: المعجزة العلمية في القرآن والسنة: ١٧-١٨، ٣٣، والآيات الكونية في ضوء العلم الحديث: ١٣.

(٤) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: ١/٢٦-٢٧، و المعجزة العلمية في القرآن والسنة: ٣٣.

المطلب الثاني: موقف العلماء من التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة.

بعد ثورة المكتشفات العلمية في الغرب في جو معاد للدين منفلت منه، وما أوحت به هذه الحال إلى بعض أبناء المسلمين من أن دينهم هو سبب تخلفهم انتدب طائفة من العلماء لإبطال هذا الأمر المزيف، والتأكيد على أن الإسلام دين العلم ومن ذلك العلم التجريبي، وفي سبيل إثبات ذلك تكلموا في التفسير العلمي للقرآن، وأن كثيرًا من المكتشفات العلمية الحديثة مضمنة في الكتاب والسنة.

واعتبروا ذلك فتحًا جديدًا يساهم في خدمة تفسير القرآن، ودليلًا من أدلة إعجاز القرآن الكريم يخدم نشر الدعوة الإسلامية.

وقابلتهم طائفة أخرى ترى أن التفسير العلمي للقرآن الكريم غير صحيح في منهجه، وضار بالدعوة الإسلامية، وينحرف بالقرآن عن غايته ويندفع به إلى مجالات لا تحمد عقباها[(١)].

وبناءًا على ذلك اختلفوا في التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة على قولين:

(١) انظر: التفسير والمفسرون: ٢/ ٥٦٧، والآيات الكونية في ضوء العلم الحديث: ٣٧، وخلاصة بحث التفسير العلمي للقرآن الكريم بين المجيزين والمانعين لمحمد الأمين ولد الشيخ، ضمن كتيب تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أبحاث المؤتمر العلمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ١٠١.

القول الأول: المنع[(١)].

ومن أدلتهم:

الدليل الأول: أن القرآن الكريم كتاب هداية، وأن الله لم ينزله ليكون كتابًا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم، ودقائق الفنون، وأنواع المعارف، وإنما القرآن في تناوله لتلك الحقائق العلمية يهدف إلى ما هو أعظم من ذلك بكثير، وهو هداية ودلالة الخلق للإيمان بالله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له[(٢)]، قال تعالى: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾[(٣)].

الدليل الثاني: أن القرآن في أعلى درجات البلاغة، فإذا قلنا بأن القرآن متضمن لكل العلوم، وألفاظه محتملة لهذه المعاني المستحدّثة، للزم أن من

(١) انظر: الموافقات: ٢/ ١٠١، ومقال لمفتي مصر السابق محمود شلتوت ضمن مجلة الرسالة - القاهرة، العدد (٤٠٧)، (٤٠٨) من السنة التاسعة، إبريل سنة ١٩٤١، بواسطة كتاب التفسير العلمي للقرآن في الميزان، والتفسير: نشأته- تدرجه - تطوره: ٥٤، وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٣: ٤/ ١٨٠، وكتاب العلم للشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين، إعداد: فهد السليمان، دار الثريا، الرياض، ط١: ١٥٧، واتجاهات التفسير في العصر الراهن: ٣٠٢-٣١٣، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: ٢/ ٥٧٨-٥٩٨، وحكم تفسير القرآن بنظريات علمية حديثة للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، مقال ضمن مجلة الدعوة، العدد (١٤٤٧)، محرم ١٤٢١: ٢٣، وخلاصة بحث التفسير العلمي للقرآن الكريم بين المجيزين والمانعين: ١٠٣-١٠٤، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان: ١١٣، ٢٦٩.

(٢) انظر: الموافقات: ٢/ ١١٢، ١٢٧، مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢/ ٢٧٥.

(٣) النمل: ١-٢.

أنزل عليهم القرآن يجهلون هذه المعاني.

وإن قيل: إنهم كانوا يعرفونها. قيل: فلِمَ لم يتكلموا بها وتظهر نهضتهم من لدن نزول القرآن الذي حوى علوم الأولين والآخرين؟ ولِمَ لم تقم نهضتهم على هذه الآيات الشارحة لمختلف العلوم وسائر الفنون؟.

الدليل الثالث: أن التفسير العلمي للقرآن والسنة يعرضهما للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الآخر، وقد اعترف علماء المادة في هذا القرن: "بأن العلوم المادية لا تعطى إلا علما جزئيا عن الحقائق"(١)، بينما القرآن هو تلك الحقائق الإلهية العلوية، القارة، الثابتة، المنزلة من عند الله الذي وسع علمه كل شيء.

الدليل الرابع: قالوا: أن المعرفة لمعاني كتاب الله إنما تؤخذ من هذين الطريقين: من أهل التفسير الموثوق بهم من السلف، ومن اللغة التي نزل القرآن بها وهي لغة العرب(٢).

الدليل الخامس: قالوا في جوابهم عن الاستدلال بقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾(٣)، وأنه يشمل جميع العلوم: أن المراد بالكتاب في الآية: اللَّوح المحفوظ، ولم يذكر المفسرون في معناها ما يقتضى تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية(٤).

الدليل السادس: أن التفسير العلمي للقرآن يحمل أصحابه والمغرمين به على التأويل المتكلف، واللهث وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا

(١) الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١: ٢٣.
(٢) الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة الجديدة: ٣٨.
(٣) الأنعام: ٣٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٧/ ٢١٩، تفسير القرطبي: ٦/ ٤٢٠، تفسير ابن كثير: ٢/ ١٣٥.

تستقر، ثم يؤدي ذلك في الوقت القريب أو البعيد إلى صراع بين العلم والدين.

الدليل السابع: قالوا: أنه ينبغي الاستفادة من النظريات العلمية دون إقحامها على القرآن الكريم أو اعتبار أن القرآن مطالب بموافقتها كلما تغيرت من زمن إلى زمن ومن تفكير إلى تفكير[١].

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢/ ٢٧٥، والفلسفة القرآنية لعباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، القاهرة: ١٠، وتفسير القرآن لمحمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة، ط١٢: ١٣-١٤.

القول الثاني: الجواز[١].

ومن أدلتهم:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[٢]، وهذه العلوم داخلة في عموم الآية.

الدليل الثاني: جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ سئل عن الحمر الأهلية - عن صدقتها - فقال: «ما أنزل علي فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفاذة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾[٣]»[٤]، وقالوا: هذا نص يشهد أن كل ما دخل تحت نص قرآني عام يعتبر قد نص عليه القرآن[٥].

الدليل الثالث: واستدلوا أيضًا ببعض الآثار الواردة عن السلف مثل قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من أراد علم الأولين والآخرين فليثور[٦] القرآن»[٧].

---

(١) انظر: جواهر القرآن للغزالي، مكتبة الجندي: ١٢، وإحياء علوم الدين: ١/ ٣٦٩، ومفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٤/ ٢٣٨، والجواهر في تفسير القرآن الكريم لطنطاوي جوهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤: ١/ ٢-٣، واتجاهات التفسير في العصر الراهن: ٢٦٤، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: ٢/ ٥٥١-٥٥٩، ٥٦٥-٥٧٧، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان: ١٠٣، ١٦٣.

(٢) الأنعام: ٣٨.

(٣) الزلزلة: ٧-٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب شرب الناس والدواب من الأنهار: ٤٤٥ برقم (٢٣١٧).

(٥) الإسلام في عصر العلم لمحمد فريد وجدي، الكتاب اللبناني، بيروت، ط٣: ٣٦٩.

(٦) تثوير القرآن: قراءته ومفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه. انظر: تهذيب اللغة: ١٥/ ٨٠.

(٧) سبق تخريجه: ٣٦.

الدليل الرابع: واستدلوا كذلك بأن القرآن هو حجة الله البالغة على عباده أجمعين، وهذه الحجة قائمة إلى يوم الدين، والإعجاز العلمي والتفسير العلمي في هذه الحجة يعجز الملحدون عن أن يجدوا فيه موضعا للتشكيك لأنه دليل عقلي محسوس.

الدليل الخامس: قالوا: إن القرآن الكريم يحتوي على كثير من الآيات الكونية، ويتوقف على فهمها في ضوء الحقائق العلمية تيسير الدعوة إلى دين الله في هذا العصر، عصر العلم(١).

وقد وضع المجيزون لهذا النوع من التفسير بعض الضوابط والحدود، - وإن كان بعضهم لم يلتزم بها -، منها(٢):

١- ضرورة التقيد بما تدل عليه اللغة العربية.

٢- البعد عن التأويل في بيان إعجاز القرآن.

٣- أن لا تُجعل حقائق القرآن موضع نظر، بل تجعل هي الأصل: فما وافقها قبل، وما عارضها رفض.

٤- أن لا يفسر القرآن إلا باليقين الثابت من العلم، لا بالفروض والنظريات.

(١) انظر: الإسلام في عصر العلم: ٢٢٢.

(٢) انظر: خلاصة بحث التفسير العلمي للقرآن الكريم بين المجيزين والمانعين: ١٠٢-١٠٣.

الترجيح[(١)]:

بالتأمل في القولين السابقين يتضح أن القائلين به من أهل الإسلام لا يريدون شيئًا إلا أن يثبتوا للعالم أجمع أن القرآن من عند الله، وأن مُنزّله هو خالق الكون الذي وسع علمه كل شيء، وقد ضمنه هذه الحقائق العلمية، وأنهم بقدر ما يفعلون من ذلك يضيفون إلى أمجاد القرآن أمجادًا، وإلى براهين صدقه شيئًا جديدًا.

والمعارضون له يقولون: إن المقررات العلمية تكون عرضة للتبديل والتغيير، وهم لا يريدون أن يربطوا القرآن وتفسيره بعجلة المتغير، وكفى القرآن شرفًا ومجدًا أنه حث على العلم والبحث والنظر ولم يقف حجرة عثرة في سبيل التقدم العلمي والفكري[(٢)].

وليعلم المسلمون أن كتاب الله غني في إثبات صدقه عن العلوم الطبيعية التجريبية، لما فيه من النور والهدى، والشرائع الكاملة، والفصاحة البالغة، وغيرها من أوجه الإعجاز التي عدها العلماء[(٣)].

وليس باللازم أن كل حقيقة علمية أو كل معلومة علمية تجد لها في القرآن

---

(١) انظر: اتجاهات التفسير في القرآن الرابع عشر: ٢/ ٦٠١-٦٠٢، والمعجزة القرآنية - الإعجاز العلمي والغيبي لمحمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣: ١٥٣، ولمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير: ٢٩٩، ونقد ما يسمى بالتفسير العلمي للقرآن لمساعد بن سليمان الطيار، موقع ملتقى أهل التفسير، وخلاصة بحث التفسير العلمي للقرآن الكريم بين المجيزين والمانعين: ١٠٦، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان: ٢١٣.

(٢) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: ١/ ٢٥، والفلسفة القرآنية: ١٨.

(٣) انظر: التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٩٣، ومناهل العرفان في علوم القرآن: ٢/ ٢٧٥-٢٧٦.

أصلًا؛ لأن القرآن لم يوضع لهذا.

وعلى هذا يمكن أن يقال: أن التفسير العلمي للقرآن مرفوض إذا اعتمد على النظريات العلمية التي لم تثبت ولم تستقر ولم تصل إلى درجة الحقيقة العلمية.

ومرفوض إذا خرج بالقرآن عن لغته العربية.

ومرفوض إذا صدر عن خلفية تعتمد العلم أصلًا وتجعل القرآن تبعًا.

ومرفوض إذا خالف ما دل عليه القرآن في موضع آخر أو دلت عليه السنة الصحيحة[(١)].

وهو مقبول بشرط[(٢)] أن يدل نص الكتاب أو السنة على الحقيقة العلمية بطريق من طرق الدلالة الشرعية، وأن لا يخالف أصلًا في الشرع، وأن لا يتذرع به لنصرة بدعة، وأن يدل الواقع على صحة هذا التفسير.

وأن يكون هذا التفسير وفقا لقواعد اللغة العربية ومقاصد الشارع وأصول التفسير، وأن لا يخرج عن أقوال السلف، ولا يضادها، مع عدم الجزم بهذا التفسير.

وأن يكون ممن رزقه الله علمًا بالقرآن الكريم وعلمًا بالسنن الكونية من أهل العلم الشرعي الأصيل وعلوم القرآن واللغة والعقيدة[(٣)]..

---

(١) انظر: تفسير القرآن لمحمود شلتوت: ١١-١٤.

(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن: ١/ ١٦٨.

(٣) انظر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان: ٤٧١، وتقديم عبد المعطي البيومي لكتاب الموسوعة الكونية الكبرى لماهر ابن أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١: ٣٣.

المطلب الثالث: موافقة الحقائق العلمية للقرآن والسنة

القرآن كلام الله والكون خلق الله، ولا يمكن أن يتعارض كلامه وخلقه، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[(١)].

هذا ما يجب على كل مسلم أن يعتقده ويدين به، حتى يسلم له دينه، ولا يرتاب فيه، وأن لا يحمل القرآن كل نظرية علمية[(٢)].

ولذا فلابد من هذه القاعدة الأصلية الراسخة وهي أنه لا " يكون في القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية ثابتة إلا إذا أخطا الناس في فهم الآية القرآنية أو جهلوا الحقيقة العلمية؛ لأنه لا تعارض بين القرآن والعلم مطلقًا "[(٣)].

وكل ما يقال فيه أنه مخالف للحقائق العلمية فإنه لا يعدو أحد الاحتمالات التالية:

١- إما أن يكون الذي نسب إلى العلم لم يصل إلى مرحلة العلم المقطوع به، كالنظريات التي لم تتأكد بعد، أو التي لا سبيل إلى إثباتها بأدلة علمية يقينية.

٢- وإما أن يكون النص غير صحيح.

٣- وإما أن يكون الفهم الذي فهم منه النص فهم خاطئ، أو حمل

(١) الأعراف: ٥٤.
(٢) انظر: التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٩٢.
(٣) الآيات الكونية في ضوء العلم الحديث: ٣٧.

عباراته على اصطلاحات لفظية حادثة(١).

أما أن يكون النص قطعي الثبوت، وقطعي الدلالة، ثم يخالف الحقيقة والواقع فهذا غير موجود حتما، وليس من الممكن أن يوجد قطعًا(٢).

ثم يقال لمن يحاول أن يوفق بين القرآن والسنة وبين الحقائق العلمية ويتكلف في ذلك حسبكم أن لا يكون في القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية ثابتة، وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه وبين ما جَدَّ ويَجِدّ من نظريات وقوانين علمية تقوم على أساس من الحق، وتستند إلى أصل من الصحة(٣).

"ولا بد من الانتباه لما يدعيه الماديون أن فرضية من الفرضيات، أو نظرية من النظريات قد أصبحت حقيقة علمية غير قابلة للنقض أو التعديل، مع أن هذه النظرية لا تملك أدلة إثبات تجعلها حقيقة نهائية أو حقيقة موثقا بها. فهذه الحقائق حقائق غير نهائية، ولا قاطعة، وهي مقيدة بحدود تجارب

---

(١) انظر: البراهين العلمية على صحة العقيدة الإسلامية لعبد المجيد العرجاوي، دار وحي القلم، دمشق، ط١: ٢٠.

(٢) انظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم لعبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٤: ٢٤-٢٥، ٢٩-٣٠، والبراهين العقلية على وحدانية الرب ووجوه كماله لعبد الرحمن بن سعدي، تحقيق: باسل بن سعود الرشود، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١: ٥٧، ٦٣، وهذا هو الإسلام لمحمد متولي الشعراوي، الدار المصرية للنشر، ١٩٨٧: ٢٠٤، والإعجاز العلمي في القرآن: ٣٦، وكتاب القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاي، دار المعارف، لبنان، ط٤: ١٤٤، والآيات الكونية في ضوء العلم الحديث: ٤٧، وأثر التدريس بالآيات القرآنية الكونية على التحصيل الدراسي لتدريس وحدة بمادة العلوم للصف الثاني متوسط لمحمد بن أحمد الغامدي، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير من كلية التربية، قسم المناهج وطرق التدريس، بجامعة أم القرى بمكة: ٥٦.

(٣) التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٨٥-٤٩٤.

الإنسان، وظروف هذه التجارب وأدواتها، هذا بالقياس إلى الحقائق العلمية، والأمر واضح بالقياس إلى النظريات والفروض التي تسمى علمية، فهذه ليست حقائق علمية حتى بالقياس الإنساني، وإنما هي نظريات وفروض، كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية إلى أن يظهر فرض أخر يفسر قدرًا أكبر من الظواهر، أو يفسر تلك الظواهر تفسيرًا أدق، ومن ثم فهي قابلة دائمًا للتغيير والتعديل والنقص والإضافة؛ بل قابلة لأن تنقلب رأسًا على عقب، بظهور أداة كشف جديدة، أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة! "(١).

(١) هذا هو الإسلام: ٢٥، وانظر: الإعجاز العلمي في القرآن: ٣٦، ونقض النظريات الكونية: ٧١.

المطلب الرابع: المخالفات العقدية في التفسير العلمي للآيات الكونية

من خلال الدراسة والتتبع لبعض تفسير الآيات الكونية في القرآن والسنة بالتفسير العلمي ظهر بعض المخالفات العقدية منها:

أولًا: اتهام الجيل الأول من المسلمين- وفيهم رسول الله ﷺ - بالخطأ في فهم شيء من القرآن، أو خفائه عليهم[(١)]، مع أنهم أعلم الناس بما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، وكذلك التنقص لتفاسير السلف.

ثانيًا: فتح باب الاستدلال بالاحتمالات والظنيات والمتغيرات على المطالب اليقينية من توحيد الربوبية والنبوة والبعث، وهذا يجعل المسلم يشك في دينه وفي كتاب ربه جل وعلا[(٢)]، " مع أن المطالب العقدية الكبرى لم يجعلها الله ﷻ خاضعة للعلم التجريبي ولا يجوز الاستدلال عليها بوجوه هزيلة أو محتملة أو غامضة أو معقدة أو مشكوك فيها، خاضعة لاجتهاد الناس واختلاف قدراتهم وإمكاناتهم؛ وذلك أنها مطالب يقينية لا تحتمل الظنون والريب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾[(٣)] "[(٤)].

---

(١) انظر: الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة الجديدة: ١٨٧، والتفسير والمفسرون: ٢/ ٥٢٣، والآيات الكونية في ضوء العلم الحديث: ٢٧.

(٢) انظر: الفلسفة القرآنية: ١٨، ٢٠.

(٣) الحجرات: ١٥.

(٤) منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية: ٢٩١، وانظر: الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة الجديدة: ١٧٣.

ثالثًا: ظن بعض الناس أن العلم - الذي يزعمونه - هو المهيمن والقرآن تابع، ولذا فهم يحاولون تثبيت القرآن بهذا العلم، أو الاستدلال له من هذا العلم، مع أن القرآن كتاب كامل في موضوعه، ونهائي في حقائقه ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[١]، وهذا العلم المزعوم ما يزال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبته بالأمس[٢].

رابعًا: زعم بعضهم بأن ما ذكر في القرآن من حجج أنه غير كاف، وأنه إنما يصلح للأميين والأعراب، أما مع تقدم العلم العصري فإنه لا بد من حجج أخرى تدل الناس في عصر العلم إلى الإيمان[٣]، مع التركيز على أن الإعجاز العلمي والتفسير العلمي هما الوسيلة المقنعة للدعوة إلى الإسلام، وأن الوسائل الأخرى لم تعد تحرك في الناس ساكنًا؛ لأننا في عصر العلم![٤].

وفي المقابل جعل بعضهم الآيات الكونية في القرآن والسنة مثار شبهات وتأويلات كثيرة في روايتها، وفي صحتها، وفي دلالتها، وأن هذه الآيات الكونية لم تكن لإقامة الحجة على نبوة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -[٥]، وإنكارهم لتلك الآيات وأن الأنبياء لا يأتون بغير المعقول! ولا بما يبدل سنة الله ونظامه في الكون[٦].

(١) فصلت: ٤٢.
(٢) الإعجاز العلمي في القرآن: ٧، ونقض النظريات الكونية: ٧١.
(٣) انظر: المعجزة العلمية في القرآن والسنة: ١١، ١٨، وأصول التفسير وقواعده لخالد بن عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت ط٢: ٢٥٥، ومنهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية: ٢٩٠، والإعجاز العلمي في القرآن: ١٣، ٤١.
(٤) انظر: قضية الإعجاز العلمي بين المؤيد والمعارض: ٥٠، ٧٧.
(٥) انظر: الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١٠: ٧٢، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، ط١: ١١/ ١٥٥، ورسالة التوحيد لمحمد عبده: ٥-٦، ومنهج المدرسة العقلية في التفسير: ٥٤٩-٥٥٠.
(٦) انظر: التفسير والمفسرون: ٣/ ٢٠١، تفسير القرآن الكريم - سورة البقرة لابن عثيمين:
=

خامسًا: حصر دلالة المراد بالآيات الكونية على وجود الله، وتوحيد الربوبية، وإثبات النبوة والبعث، مع عدم ذكرهم أو نسيانهم لتوحيد الألوهية ومسائل التوحيد والإيمان الأخرى، مع أن هذه الآيات الكونية والاكتشافات التفصيلية المتعلقة بها دالة على توحيد الربوبية ولو لم تكن جاءت في النص القرآني والسنة النبوية(١).

ولهذا فإن المنهج الصحيح في الاستدلال بالمكتشفات العلمية على الربوبية أن يسن بها سنة ما ذكر في القرآن من دلالة المخلوقات على الخالق، فهي تدل على وجود الخالق وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وجميع صفاته وكماله، دلالة الأثر على المؤثر، والصنعة على الصانع بما فيها من أمارات الحدوث وشواهد الإرادة المخصصة(٢).

سادسًا: الظن بأن توحيد الربوبية هو المطلوب للفلاح عند الله، ولذا تجد التركيز عليه عند غالب من تكلم في هذا الموضوع مع عدم ربطه بما يستلزمه من توحيد الألوهية(٣).

سابعًا: صرف الناس عن الغرض الأساس والمطلب الرئيس من القرآن وأنه كتاب هداية وإرشاد إلى أغراض أخرى(٤).

ولكن هذا لا يعني ألا ننتفع بما يكشفه العلم من نظريات، ومن حقائق

= ٣/ ٢٩٤، وكبرى اليقينيات الكونية لمحمد بن سعيد البوطي، دار الفكر، بيروت، دمشق، ٢٧: ٢٢١.

(١) انظر: مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر لعبد الرحمن بن زيد الزنيدي، دار اشبيليا، الرياض، ط١: ١٧١.

(٢) منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية: ٣٠١، وانظر: مفتاح دار السعادة: ١/ ٣٢٦، ومدارج السالكين: ٣/ ٣٩٩.

(٣) انظر: قضية الإعجاز العلمي بين المؤيد والمعارض: ٦.

(٤) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن: ١٩-٢٠، ٣٤.

عن الكون والحياة والإنسان في فهم القرآن[(١)]، قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾[(٢)].

ثامنًا: التأويل المستمر- مع التمحل والتكلف - لنصوص القرآن وحملها على الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر، وكل يوم يجد فيها جديد[(٣)].

تاسعًا: رد بعض الأحاديث الصحيحة أو تصحيح بعض الأحاديث الضعيفة بحجة أن التفسير العلمي لهذه الآيات الكونية يخالف أو يوافق ما ذكر في هذه الأحاديث[(٤)].

عاشرًا: إحداث طريقة مبتدعة لإثبات وجود الخالق وربوبيته وإثبات النبوة لم يكن عليها السلف، وذلك بالنظر في المخلوقات والمعجزات على مقتضى قواعد وأصول محدثة[(٥)].

مثل قول بعضهم: إن الرسالة لا تثبت إلا بعد النظر والتفحص لآيات الأنبياء، ثم نشهد لهم بذلك.

---

(١) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: ١١٥.
(٢) فصلت: ٥٣.
(٣) التفسير العلمي للقرآن في الميزان: ٤٢٠.
(٤) انظر: تقويم الأعمال التي تناولت الإعجاز العلمي والطبي في السنة النبوية لأحمد أبو الوفاء عبد الآخر، ضمن بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، عام ١٤٢٥، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، مطبوع بالحاسب الآلي: ١٣، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان: ١٠٨، والآيات الكونية في ضوء العلم الحديث: ٧٧.
(٥) انظر: توحيد الخالق لعبد المجيد الزنداني: ١٢٢-١٢٣، والفرقان في بيان إعجاز القرآن لعبد الكريم بن صالح الحميد، ط١: ٤٣.

المبحث الثاني

مسائل متعلقة بالتفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قضايا العلم التجريبي بين القرآن والعلم الحديث.

المطلب الثاني: المقصد من إشارة القرآن لبعض الآيات الكونية المرتبطة بالعلوم التجريبية.

المطلب الأول: قضايا العلم التجريبي بين القرآن والعلم الحديث[١]

المنهج التجريبي هو: المنهج القائم على الملاحظة والتجربة معًا، أو يبدأ فيه من جزئيات أو مبادئ يقينية تمامًا حتى تصل إلى "قضايا عامة مستخدمين في كل خطوة التجربة حتى نضمن صحة الاستنتاج، وهو منهج العلوم الطبيعية على وجه الخصوص"[٢].

وهو يمر بثلاث مراحل:

١- الملاحظة أو المشاهدة.

٢- الفرض.

٣- التجريب[٣].

٤- القانون العلمي

ويقوم المنهج التجريبي على ثلاث قواعد[٤] وهي:

القاعدة الأولى: إنكار كل المغيبات التي لا يمكن إخضاعها للملاحظة والتجربة.

---

(١) انظر: مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر: ١٥٨، ونقد ما يسمى بالتفسير العلمي للقرآن: ١٤.

(٢) مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٣: ١٨-١٩، المعجم الوسيط: ٢/ ٦٢٤.

(٣) المرجع السابق: ١٣١.

(٤) مناهج البحث في العقيدة ليوسف بن محمد السعيد، ضمن مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم جامعة المنيا، العدد (٧)، ٢٠٠٢: ٣٠٠.

القاعدة الثانية: الزعم بأن حتمية القوانين الطبيعية وقوانين التطور العلمي يمكن الاستغناء بهما عن افتراض وجود الله.

القاعدة الثالثة: ادعاء كفاية المنهج العلمي في المعرفة من ناحية، والقيم من ناحية أخرى عن المناهج المعرفية التي تعتمد على الدين.

ويختلف العلم التجريبي في القرآن عن العلم الحديث بما يلي:

أولًا: أن القرآن الكريم كتاب هداية، أنزله الله تعالى لإخراج الناس من الظلمات إلى النور قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[(٢)]، تلك هي مهمة القرآن الأصلية، وقد وضحت سبل الهداية فيه: في عقائده وتشريعاته، وكانت مظاهر القدرة في الآيات الكونية فيه وسيلة من وسائل الاحتجاج للحق الذي جاء به[(٣)].

قال ابن القيم رحمه الله: " ولهذا كان أكمل الأمم علما أتباع الرسل وإن كان غيرهم أحذق منهم في علم الرمل والنجوم والهندسة... ونحوها من العلوم التي لما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بها وآثروها على علوم الرسل وما جاءوا به، وهي كما قال الواقف على نهاياتها الواصل إلى غاياتها: وهي بين ظنون كاذبة - وإنّ بعض الظن إثم - وبين علوم غير نافعة، نعوذ بالله من علم لا ينفع، وإن نفعت فنفعها بالنسبة إلى علوم الأنبياء كنفع العيش العاجل بالنسبة إلى الآخرة ودوامها "[(٤)].

(١) الإسراء: ٩.
(٢) إبراهيم: ١.
(٣) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: ١٠٣، ومناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر: ١٤٧.
(٤) الصواعق المرسلة: ٣/ ٨٧٥-٨٧٦، باختصار.

فإشارة القرآن لبعض هذه المسائل المرتبطة بالعلوم التجريبية لم يكن هو المقصد الأول، ولم ينَزَّل القرآن من أجلها، أما المعلومات الدنيوية بما فيها العلوم التجريبية فإنها تجيء مرتبطة بالدلالة على حكم عقدي أو شرعي، فهي جاءت تبعًا وليس أصالةً؛ أي أن القرآن لم يقصد أن يذكرها على أنها حقيقة علمية مجردة، بل ليستدل بها مثلا: على توحيد الله وأحقيته بالعبادة، أو على حكم تشريعي، أو على إثبات اليوم الآخر، أما أهل العلم الحديث فهي مقصدهم الأول(١).

ثانيًا: لا توجد آية كونية ورد الإشارة إليها في كتاب الله، إلا وهي مدركة لجميع المخاطبين بها، يستوي في ذلك المتقدمون والمتأخرون، فالمتقدمون قد فهموا المراد بها على نحو ما انتهى إليه علمهم، وأدركوا دلالتها على ما سيقت له، وإنما حصل للمتأخرين زيادة في معرفة التفاصيل، ولعل مما يشبه ذلك معرفتنا اليوم بمعاني الآيات التي تتحدث عن أهوال يوم القيامة، ثم مشاهدتها على الواقع حين حصولها، فمعرفتنا اليوم بالمعاني كمعرفة الرسول ﷺ بتلك المعاني، ومعرفتنا يوم نرى الواقع كمعرفة العلماء اليوم(٢).

أما العلم الحديث فإن القضايا العلمية التي يفسرها لا يدركها إلا الخواص من الناس، ولا يوصل إليها إلا بالمراس.

ثالثًا: أنه ليس هناك تعارض أو تناقض بأي حال، ولا من أي نوع بين أي نص قرآني صريح في دلالته، وبين أي حقيقة علميه بلغت يقين المعاينة، والمشاهدة، ضرورة أن خالق الكون سبحانه هو منزل القرآن الكريم، ولن يكون تناقض أبدا بين قول الله تعالى وبين خلقه ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾(٣)، أما

---

(١) انظر: نقد ما يسمى بالتفسير العلمي للقرآن: ١٥.
(٢) انظر: منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية: ٣٠٢.
(٣) الأعراف: ٥٤.

العلم الحديث فإن ما أثبته بالأمس نقضه اليوم، وما يثبته اليوم سينقضه بالغد.

رابعًا: أن بعض الحقائق التي وردت في القرآن والسنة لا يمكن أن تدخل تحت العلم التجريبي(١)، مثل خلق الكون، والإنسان، والأمور المستقبلية الغيبية مما يحدث للكون عند قيام الساعة(٢).

خامسًا: القرآن يقرر القضية حقيقة حيث كانت وانتهت، وهي حقائق قطعية، فهو تقرير من العليم بأسرارها، الخبير بدقائقها، المحيط بعلومها ومعارفها: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾(٣).

أما العلم التجريبي فهو يبدأ في البحث عنها من البداية حتى يصل إلى الحقيقة العلمية، فهو علم احتمالي في حقائقه وقوانينه(٤).

سادسًا: ما ذكر في القرآن من حقائق وفق سنن كونية معينة فإن الله قادر على تغييرها إذ شاء، أما أهل العلم التجريبي المعاصر فإنهم ينكرون ذلك(٥).

سابعًا: ظن بعضهم أن مواءمة القرآن للعلم التجريبي لا تتحقق إلا بتتبع جزئيات الحقائق العلمية وأفرادها وربطها بالإشارات القرآنية، مع أن مواءمة القرآن للعلم التجريبي متحققة بالمنهج العلمي الاستدلالي وطريقة التفكير النقدي التي يقررها القرآن، ويشهد على ذلك انسجام القضايا الكلية الكبرى في القرآن مع معطيات المنهج العلمي المعاصر(٦)، وقبل ذلك استدلال القرآن

---

(١) انظر: قضية الإعجاز العلمي بين المؤيد والمعارض: ٣٨، ومناهج البحث العلمي: ١٣١-١٣٢، وصراع مع الملاحدة حتى العظم: ٣٢.

(٢) انظر: مناهج البحث في العقيدة: ٣٠٠، وكبرى اليقينيات الكونية: ٢٢٥.

(٣) الملك: ١٤.

(٤) انظر: مناهج البحث العلمي: ١٤٤، الإسلام يتحدى: ١٤٠، مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر: ١٥٠.

(٥) انظر: البراهين العلمية على صحة العقيدة الإسلامية: ٢٠٣.

(٦) انظر: كبرى اليقينيات الكونية: ٣٤.

على المشركين وإلزامهم بما تدل عليه هذه الآيات الكونية من توحيد الربوبية المستلزم لتوحيد الألوهية[(١)].

ثامنًا: وسائل المعرفة في القرآن متعددة، أما أصحاب المنهج التجريبي فإنهم يحصرون المعرفة بالتجارب، فكل معرفة حقة عندهم مرتبطة بالتجارب، بحيث يمكن فحصها أو إثباتها بصورة مباشرة أو غير مباشرة[(٢)]، مع أن الحقائق التي يمكن مشاهدتها والتي يمكن عمل التجارب عليها قليلة[(٣)].

تاسعًا: القرآن يذكر القضية العلمية مجملة غير مفصلة في الغالب، أما العلم التجريبي فينحو إلى تفصيل القضية العلمية[(٤)].

(١) انظر: منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية: ٢٩٣.
(٢) الإسلام يتحدى: ٢٦.
(٣) المرجع السابق: ٤٧.
(٤) انظر: نقد ما يسمى بالتفسير العلمي للقرآن: ١٥.

المطلب الثاني المقصد من إشارة القرآن لبعض الآيات الكونية المرتبطة بالعلوم التجريبية

قد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أعلم بالقرآن وبعلومه وما أُودع فيه من غيرهم، وكان كلامهم في القرآن عن ما ثبت فيه من أحكام التكاليف، وأحكام الآخرة، وما يتبع ذلك، ولم يكن لهم خوض في تفاصيل الآيات الكونية المرتبطة بالعلوم التجريبية، ولا يعني هذا أنهم كانوا لا يعرفونها ولا يتأملون فيها، لا؛ بل إنهم لا يتوسعون في ذلك[(١)]؛ لأن تناول القرآن لحقائق الكون ومشاهده، ودعوته إلى النظر في ملكوت السموات والأرض وفى الأنفس، لا يُراد منه إلا التدبر والتفكر في هذه الآيات، وتوجيه عامة الناس وخاصتهم إلى مكان العظة والعبرة، ولفتهم إلى آيات قدرة الله ودلائل وحدانيته فيها[(٢)]، ويثبت له بالحجج الواضحة قدرة الله ووجوده ووحدانيته[(٣)].

وهذا هو المقصد من إشارة القرآن لبعض الآيات الكونية المرتبطة بالعلوم التجريبية ليعمل الإنسان فكره وعقله في الآيات الكونية فيقوده ذلك إلى إفراد الله بالعبادة[(٤)].

---

(١) انظر: الموافقات: ٢/ ١٢٧، قضية الإعجاز العلمي بين المؤيد والمعارض: ٣٣، والمعجزة القرآنية - الإعجاز العلمي والغيبي: ١٠، ١٤٧، الإعجاز العلمي في القرآن: ٤٦-٤٧.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٩٣، والمعجزة العلمية في القرآن والسنة: ٤٥.

(٣) انظر: البراهين العلمية على صحة العقيدة الإسلامية: ٢٠٦، والإعجاز العلمي في القرآن: ١٩.

(٤) انظر: الآيات الكونية في ضوء العلم الحديث: ٢٧.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾[٢].

فهو لم يجعل تلك العلوم الكونية من موضوعه فهو كتاب هداية وإعجاز، وإذا ذكر فيه شيء من الكونيات فإنما ذلك للهداية ودلالة الخلق على الخالق، وللاستدلال بها على توحيد الله وأحقيته بالعباده، أو على حكم تشريعي، أو على إثبات إمكانية البعث، أو غير ذلك[٣]، ولا يقصد القرآن مطلقا من ذكر هذه الكونيات أن يشرح حقيقة علمية في الهيئة والفلك أو الطبيعة أو غيرها[٤]، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾[٦].

---

(١) يونس: ١٠١.
(٢) الجاثية: ١٣.
(٣) انظر: نقد ما يسمى بالتفسير العلمي للقرآن: ١٥.
(٤) انظر: مناهل العرفان: ٢/٢٧٦.
(٥) البقرة: ٢.
(٦) المائدة: ١٥-١٦.

المبحث الثالث
الآيات الكونية المستقبلية
والدراسات حولها وصلتها بالعقيدة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدراسات العلمية حول الآيات الكونية المستقبلية.

المطلب الثاني: صلة هذه الدراسات بالعقيدة.

المطلب الثالث: المخالفات العقدية في الدراسات العلمية حول الآيات الكونية المستقبلية.

المطلب الأول: الدراسات العلمية حول الآيات الكونية المستقبلية

إن من عقيدة أهل الإسلام التي يجب على كل مسلم أن يعتقدها أنه لا يعلم الغيب إلا الله، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[(٢)]، فالغيب لله تعالى وحده؛ ولكن من فضل الله تبارك وتعالى أنه يطلع بعض رسله على شيء منه، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾[(٣)].

إلا أن هناك أمورا اختص الله تبارك وتعالى بعلمها فهي من الغيب المطلق[(٤)] الذي لا يطلع الله تبارك وتعالى عليها أحد، ومن ذلك: علم الساعة، متى تقوم؟ فهذه علمها عند الله لا يجليها لوقتها إلا هو، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[(٥)].

---

(١) النمل: ٦٥.
(٢) الأنعام: ٥٩.
(٣) الجن: ٢٦-٢٧.
(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ١٦/ ١١٠، ٢٤/ ٢٥٧، ٢٥٨.
(٥) الأعراف: ١٨٧.

ومعرفة الغيب المستقبل لا بد أن يكون الانشغال به ومعرفته عن طريق المصدر الحق؛ فإن مصادر معرفة المستقبل تنقسم إلى ثلاثة أنواع[١]:

النوع الأول: مصادر باطلة قطعًا، وما توصل إليه فهو باطل، ومن ذلك ما تحصل معرفته عن طريق التنجيم والكهانة والشعوذة ونحوها[٢].

النوع الثاني: مصادر ظنية، كالرؤى والمنامات، وما عند أهل الكتاب من أخبار مما لم يأت في ديننا ما يدل على بطلانه، وكالدراسات القائمة على الاجتهاد والنظر في سنن الله الكونية.

النوع الثالث: المصدر الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وقد ورد في القرآن والسنة الإخبار عن بعض الأمور الغيبية المستقبلية[٣] التي تحدث لبعض الآيات الكونية في آخر الزمان مما يكون من علامات الساعة، وعند قيامها، مما يستحيل تفسيره مهما تقدمت العلوم وتطورت، ومهما أكتُشف من حقائق الكون[٤].

كما لا يمكن إخضاعه للتجربة، وهو أمر لا يتكرر، ولا يستطيع أحد أن يدخله في مفردات العلوم الطبيعية والكونية، وهو مما حجب الله تعالى علمه؛

(١) انظر: من معالم المنهجية الإسلامية للدراسات المستقبلية لهاني بن عبد الله الجبير، مجلة البيان، الرياض، ١٤٢٩: ١١٣.
(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ٤/ ٨٣.
(٣) انظر: البداية والنهاية: ١٩/ ٢٨، ٢٥٥، ٢٦٩، ٣٨٠-٤٠٠، وقيام الساعة كما يرأها العلم الحديث لعمر بن محمود الراوي، دار وحي القلم، دمشق، ط١: ٥-١٠.
(٤) انظر: كبرى اليقينيات الكونية: ٣٠١، والفلك وعلاقته بالعقيدة في الكتاب والسنة لعبد الله بن محمد الأنصاري، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة: ٤٣٥.

لحكمة يعلمها[١].

ولهذا لا يجوز لنا أن ندخل في هذه الأمور وتفاصيلها إلا بما جاء في الكتاب والسنة[٢].

وبعض ما يذكر من الدراسات ينبغي أن لا يجزم به وبتفاصيله لئلا يخالف المقطوع به من عدم إدراك الغيب، ويمكن الاستفادة منه وفق ضوابط شرعية[٣].

(١) انظر: مفتاح دار السعادة: ١/ ٤٢٥.

(٢) انظر: لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد: ٢١، وعالم الغيب والشهادة لعثمان جمعة ضميرية، دار السوادي، جدة، ط١: ٥٨، ١١٢.

(٣) انظر: من معالم المنهجية الإسلامية للدراسات المستقبلية: ٦٥.

المطلب الثاني: صلة هذه الدراسات بالعقيدة

إن كثيرًا من أمور الدين وعقائده إنما هي إيمان بالغيب، فالحياة البرزخية غيب، والحياة الآخرة غيب، من قيام الساعة إلى البعث والنشور إلى الحساب والميزان... كل هذا غيب يجب الإيمان به.

وقد أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم عن بعض الأمور الغيبية، وأخبرنا أنها ستقع، ووقعت هذه الأمور التي أخبر الله عنها على نحو ما أخبر، مما يعرفه المؤمن والكافر، والبر والفاجر.

فالتنكر للإيمان بالغيب إلحاد ونقص في العلم، والإيمان به من صفات عباد الله المؤمنين المهتدين المفلحين، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾[(١)].

ودراسة الغيب المستقبل والإطلاع عليه من أمور الدين التي جاء بها رسولنا ﷺ، فقد أخبر الله ﷻ عن بعضها، وأخبر الرسول ﷺ عن بعضها، وعلَّم ذلك كله للصحابة رضي الله عنهم، واهتموا به وسألوا عنه؛ لأنه من عقيدتهم، ومن ذلك أن عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝٤٨﴾[(٢)]، أين يكون الناس يومئذ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «على الصراط»[(٣)].

---

(١) البقرة: ٢-٥.

(٢) إبراهيم: ٤٨.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض

=

بل إن المشركين قد سألوا رسول الله ﷺ عن أمر غيبي مستقبلي وهو: إعادتهم بعد موتهم منكرين بذلك البعث، مستبعدين له، فاحتج الله عليهم بخلق السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلًا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾[(١)]، فاحتج تعالى عليهم، ونبههم على قدرته على ذلك، بأنه خلق السماوات والأرض، فقدرته على إعادتهم أسهل من ذلك[(٢)].

وهذه الدراسات لها صلة وثيقة بالعقيدة من جهة أن هذه الدراسات تتكلم عن أمور غيبية.

وقد جرّت هذه الدراسات ممن لا يؤمن بالغيب إلى إنكار ما أخبر الله عنه ورسوله ﷺ مما يكون في أخر الزمان، منكرين بذلك قدرة الله، نافين لحكمته.

أما أهل الإيمان الذين يؤمنون بالغيب وبقدرة الله وحكمته، وأن الله على كل شيء قدير فكانت عقيدتهم في ذلك الإيمان والتسليم، وعدم الدخول فيما لا علم لهم به وعدم التكلف والتنطع في ذلك، فإن الكلام في مثل هذه الأمور ليس من موضوع علوم الفلك ونحوها[(٣)]، وإنما يتكلم فيه حسب النصوص الشرعية، مع الجزم واليقين بوقوعها لأن الله أخبرنا بذلك، قال

= يوم القيامة: ٤/ ٢١٥٠ برقم (٢٧٩١).

(١) الإسراء: ٩٨-٩٩.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ٦٩، والكون والإنسان في التصور الإسلامي لحامد صادق قنيجي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١: ٧٣.

(٣) انظر: ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان لمحمود شكري الألوسي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢: ٧٩.

تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾(١)، وقال تعالى مخبرًا عن حال الراسخين في العلم مع القرآن: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾(٢).

ثم إن الإيمان بهذه الأخبار - إذا تحققنا صحتها - هو من الإيمان بالله، والإيمان برسوله ﷺ، إذ كيف نؤمن بالله ورسوله ثم لا نصدق بخبرهما!.

ووقوع تلك المغيبات على النحو الذي جاءت به الأخبار يثبت الإيمان ويقويه، وقد يكون ذلك مدخلًا لدعوة الآخرين إلى هذا الحق الذي جاءنا من ربنا.

وكذلك تثبيت الإيمان بيوم القيامة، فالقيامة وأهوالها من الغيب الذي أخبرنا به الله ورسوله ﷺ، والإيمان به إحدى دعائم الإيمان، ووقوع الوقائع في الدنيا على النحو الذي جاءت به النصوص دليل واضح بَيِّن على صدق كل الأخبار ومنها أخبار الساعة، فالكل من عند الله تبارك وتعالى.

(١) البقرة: ٢٨٥.
(٢) آل عمران: ٧.

المطلب الثالث: المخالفات العقدية في الدراسات العلمية حول الآيات الكونية المستقبلية

بالإضافة إلى ما سبق ذكره من المخالفات العقدية في التفسير العلمي عمومًا[(١)]، فإن الدراسات العلمية حول الآيات الكونية المستقبلية يتعلق بها بعض المخالفات لتعلقها بالإيمان بالغيب.

أولًا: الرجم بالغيب فيما يحصل للكون، والخوض في تفصيلات بعض الآيات الكونية المستقبلية دون مراعاة للضوابط الشرعية، وعدم الرجوع إلى ما ورد في الكتاب والسنة[(٢)].

ثانيًا: تفسير القرآن وإخضاعه لتلك الدراسات[(٣)] دون رجوع لفهم الصحابة والسلف لكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، قال ابن مسعود رضي الله عنه لما سمع رجل يقص على أصحابه: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾[(٤)]، قال: " من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم، فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾[(٥)]"[(٦)].

---

(١) ص: ١٥٣.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون: ٢/ ٥٦٨، وتفسير جزء عمّ لمحمد عبده، والموسوعة العربية العالمية: ٢٠/ ٣١٥.

(٣) انظر: تفسير القرآن لمحمود شلتوت: ١٣.

(٤) الدخان: ١٠.

(٥) ص: ٨٦.

(٦) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الروم: ٩٣١ برقم (٤٧٧٤).

ثالثًا: التنطع والتكلف في السؤال عن الأمور الغيبية[(١)]، وإشغال النفس بها مع أن العلم بها لا يترتب عليه عمل شرعي.

رابعًا: تحكيم العقل في فهم النصوص الواردة في الكتاب والسنة عن الآيات الكونية المستقبلية بحجة عدم موافقتها لتلك الدراسات العلمية[(٢)].

خامسا: إنكار المغيبات المستقبلية بحجة أنه لا يمكن الوصول إلى يقين علمي بشأنها إلا عن طريق التجربة والمشاهدة، وأن إنكارهم يقوم على دعامتين من العلم التجريبي، والعقل المادي[(٣)]، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْأَٰخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾[(٤)].

سادسًا: الإيمان بما أخبر الله به ورسوله مع الشك والتردد في ذلك، والتصديق بما في بعض تلك الدراسات مما لم يؤيده كتاب ولا سنة، فهو يؤمن ببعضها، ويكذب ببعضها الأخر، فاتبع في إيمانه غير سبيل المؤمنين.

سابعًا: التحريف لبعض الآيات الواردة في الكتاب والسنة عن الآيات الكونية المستقبلية؛ لأن الغيبيات والمعجزات لا تقع غالبا تحت الحس، ولا تخضع لمألوف العقل البشري، ولا تجري على السنن المعتادة، ولذا أقدم بعضهم على إنكارها؛ وحاول آخرون تحريفها[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير القرآن لمحمود شلتوت: ٣٨٣.
(٢) انظر: اتجاهات التفسير في العصر الراهن: ١٣٧.
(٣) انظر: تقديم محمد سعيد البوطي لكتاب الموسوعة الكونية الكبرى: ٢٠، والمعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل لعبد الفتاح إبراهيم سلامه، مطبوع بالحاسب: ١.
(٤) النمل: ٦٥-٦٦.
(٥) انظر: المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل: ٢، ٦، والجواهر في تفسير القرآن: ١٣/ ٢٥١-٢٥٢.

ثامنًا: إنكار قدرة الله تعالى، واستبعاد وقوع ما أخبر الله به، وأخبر به رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[1].

فمن آمن أن الله على كل شي قدير، فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره[2].

(١) الزمر: ٦٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/ ٣١، وتفسير ابن كثير: ٤/ ٦٧.

الفصل الرابع

الأسباب، وصلتها بالآيات الكونية

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: أنواع الأسباب.

المبحث الثاني: منزلة الأسباب في الشريعة.

المبحث الثالث: صلة الأسباب بالآيات الكونية.

المبحث الرابع: العلم بوقت حدوث هذه الآيات الكونية وأسبابها الحسية لا ينافي كونها آية من آيات الله.

تمهيد

الأسباب جمع سبب، والسبب في اللغة يطلق على عدة معان[(١)]:

فقد يقصد به ما يتوصل به إلى غيره، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾[(٢)].

وقد يأتي بمعنى الحبل، كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[(٣)] أي بحبل[(٤)]. وهو من الحبال القوي الطويل.

وقد يأتي بمعنى الباب، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[(٥)] أي أبواب السماوات[(٦)].

وقد يأتي بمعنى الشفيع، كما في قولهم: "وجعلت فلانًا لي سببًا إلى فلان في حاجتي"، أي وصلة وذريعة.

وقد يأتي بمعنى الحياة، كما في قولهم: "قطع الله به السبب"، أي الحياة؛ لأنه يتوصل به إلى المقصود.

وقد يأتي بمعنى المودة، يقال: تقطعت بهم الأسباب أي الوصل

(١) انظر: تهذيب اللغة: ١٢/ ٣١٣-٣١٤، ولسان العرب: ٣/ ١٩١٠- ١٩١١، والقاموس المحيط: ٨٩، مادة سبب، ونزهة الأعين النواظر في علم الأشباه والنظائر لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣: ١٣٥.

(٢) الكهف: ٨٤.

(٣) الحج: ١٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٧/ ١٤٩، وتفسير ابن كثير: ٣/ ١٠٦-١٠٧، وتفسير السعدي: ٣/ ٩٨١.

(٥) غافر: ٣٦-٣٧.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/ ٧٦، وتفسير ابن كثير: ٤/ ٨٦.

والمودات، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾[(١)].

وقد يأتي بمعنى الطريق؛ لأنه بسلوكه يوصل إلى الموضع الذي تريد[(٢)]، قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾[(٣)] الآية.

والخلاصة أن السبب في اللغة معناه: كل ما يتوصل به إلى المقصود.

والسببية تعني العلاقة بين السبب والمسَبَّب[(٤)].

وفي الاصطلاح عند الأصوليين: ما يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم لذاته.

فهو أمر ظاهر منضبط، جعله الشارع علامة على مسبَّبه، ويلزم من وجوده وجود المسبَّب، ومن عدمه عدمه لذاته[(٥)].

---

(١) البقرة: ١٦٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧/ ١٤٩، وتفسير ابن كثير: ٣/ ١٠٦-١٠٧.

(٣) الكهف: ٨٤-٨٥.

(٤) المعجم الوسيط، طبعة مكتبة الشروق، ط٤: ٤١٢.

(٥) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن محمد الآمدي، تعليق: الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، ط١: ١/ ١٧٠، وشرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول لأحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد الشاغول، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ٢٠٠٥م: ٧٦، وشرح الكوكب المنير لمحمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، مركز البحث العلمي بجامعة الملك عبد العزيز، مكة، ١٤٠٠: ١/ ٤٤٥، وإتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعبد الكريم بن علي النملة، دار العاصمة، الرياض، ط١: ٢/ ٢١٨.

المبحث الأول: أنواع الأسباب

تنقسم الأسباب إلى نوعين[١]:

النوع الأول: أسباب حسية:

وهي الأسباب التي عرفت عن طريق الحس[٢] والتجربة، مثل الأدوية، وحصول الكسوف بسبب وقوع القمر بين الشمس وبين أبصار الناس[٣]، ونزول المطر عند تراكم السحب.

النوع الثاني: أسباب شرعية:

وهي الأسباب التي يكون الأصل في اعتبارها أسبابًا النصوص الشرعية، كحصول الكسوف تخويفًا من الله لعباده، ونزول المطر بسبب الاستغفار.

وتنقسم الأسباب من حيث الظهور والخفاء إلى نوعين:

النوع الأول: أسباب غير ظاهرة (خفية): وهي ما كان من علم الغيب الذي استأثر الله به، ولا يمكن أن تعلم إلا عن طريق الشرع، كولادة عيسى عليه السلام من غير أب حيث كانت من غير سبب ظاهر موجب للحمل، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٥/ ١٠٥، وإعلام الموقعين: ٣/ ٣٠٣-٣٠٤، والتشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي لعبد القادر عودة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥: ١/ ٤٥١، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ١/ ١١٠، ١٦/ ٢٨٩، والشرح الممتع على زاد المستقنع لمحمد بن عثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١: ٥/ ١٧٦.

(٢) الحس: هو الدليل المأخوذ من الرؤية البصرية أو السمع أو الذوق أو الشم. الصحاح: ٤/ ٥٥.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٥/ ١٨٥.

أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾[(١)].

النوع الثاني: أسباب ظاهرة: وهي ما كان معلومًا بالتجربة والحس[(٢)]، كولادة عموم الناس.

وقد يجتمع في الشيء الواحد سبب ظاهر وسبب خفي، فالكسوف والخسوف لهما أسباب ظاهرة يعلمها الناس عن طريق الحساب وعلوم الفلك، ولهما أسباب غير ظاهرة لا تعلم إلا عن طرق الشرع، فهما آيتان يخوف الله بهما عباده[(٣)].

ولا تنافي بينهما - أي السبب الظاهر والخفي -؛ لأن الأمور العظيمة كالخسف بالأرض، والزلازل، والصواعق، وشبهها التي يحس الناس بضررها، وأنها عقوبة، لها أسباب طبيعية يقدرها الله حتى تكون المسبَّبات، وتكون الحكمة من ذلك هي تخويف العباد، فالزلازل لها أسباب، والصواعق لها أسباب، والبراكين لها أسباب، والعواصف لها أسباب، لكن يقدر الله هذه الأسباب من أجل استقامة الناس على دين الله، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[(٤)]، "ولكن تضيق قلوب كثير من الناس عن الجمع بين السبب الحسي والسبب الشرعي، وأكثر الناس أصحاب ظواهر لا يعتبرون إلا بالشيء الظاهر"[(٥)].

---

(١) آل عمران: ٤٧.

(٢) انظر: الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، مؤسسة الريان، بيروت، ط١: ٣٠٥.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ١٦/ ٢٨٩.

(٤) الروم: ٤١.

(٥) الشرح الممتع على زاد المستقنع: ٥/ ١٧٧.

المبحث الثاني: منزلة الأسباب في الشريعة - حكمها -

تنقسم الأسباب في الشريعة إلى ثلاثة أقسام:

أولًا: أسباب شرعية: وهي التي حثت الشريعة على العمل بها ودعت إليها، كالرقية الشرعية، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[(١)]، قال تعالى عن هود - عليه السلام - أنه قال: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ۝٥٢﴾[(٢)]، وقال تعالى عن العسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[(٣)].

ثانيا: أسباب مباحة: وهي الأسباب التي عرفت عن طريق القدر[(٤)] - التجربة -، ولم يكن بها مخالفة شرعية، وأن يكون أثرها ظاهرًا مباشرًا، مثل الأدوية.

وهذان الشرطان حتى لا يقول أحد أني جربت هذا الأمر فوجدته نافعًا، كمن يلبس الحلقة ويعتقد أنها تنفع أو تضر فينتفع[(٥)].

ثالثا: أسباب غير شرعية: وهي الأسباب التي جاءت الشريعة بتحريمها أو لم يثبت كونها أسبابًا عن طريق القدر - التجربة -[(٦)].

---

(١) فصلت: ٤٤.

(٢) هود: ٥٢.

(٣) النحل: ٦٩.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٤/ ٢٥٦، ٤٢٦، وفتاوى اللجنة الدائمة: ٨/ ٣٢٢.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: ١/ ١٣٧، والقول المفيد في شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢: ١/ ١٦٤.

(٦) انظر: الموافقات: ١/ ٣٠٧.

وقد تكون هذه الأسباب شركًا أكبر، أو شركًا أصغر، أو محرمة[(١)].

فتكون شركًا أكبر إذا كان السبب خفيا لا تأثير له إطلاقا، كأن يعتقد أن هذا النجم يفعل بذاته، فهذا شرك أكبر؛ لأنه يعتقد بهذا القول أن لهذا النجم تصرفا في الكون.

وتكون شركًا أصغر إذا اعتقد سببًا لم يثبت كونه سببًا لا شرعا ولا حسا؛ فهذا نوع من الشرك الأصغر، كأن يعتقد أن دخول النجم الفلاني سبب في نزول المطر؛ لأنه أثبت سببا لم يجعله الله سببا، فكان مشاركا لله في إثبات الأسباب[(٢)]، ولأن الأسباب قد يكون ارتباطها بمسبباتها ارتباطًا غيبيًا لا يدرك فكيف يقال: إن هذا الشيء سبب لهذا الشيء وهو غير محسوس: ففيه نوع من ادعاء علم الغيب.

قال تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾[(٣)]، فسمى الله من يشرع أقوالا وأفعالا وأحكاما لم يأذن بها الله سماهم شركاء، فمن جعل سببا بسبب وهو ليس بسبب شرعي أو قدري كوني فقد وقع في الشرك الأصغر، لأن الله سبحانه وتعالى لم يأمرنا بهذه الأسباب، فكأنه شرع أسبابًا لم يأذن الله بها[(٤)].

أو "أن يعتمد على سبب شرعي صحيح مع الغفلة عن المسبِّب، وهو الله ﷻ وعدم صرف قلبه إليه؛ فهذا نوع من الشرك، ولا نقول شركًا

(١) انظر: المصدر السابق: ١/ ٣٢١.
(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٧: ٤٥٤-٤٦٠، والقول المفيد في شرح كتاب التوحيد: ٢/ ٢٠٣.
(٣) الشورى: ٢١.
(٤) انظر: الموافقات: ١/ ٣٤٤.

أكبر؛ لأن هذا السبب جعله الله سببا "[(١)].

فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف، أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟». قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب»[(٢)].

فإضافة الآية إلى السبب على أنه فاعل بذاته أو أنه سبب ولم يجعله الله سببًا فهذا إخلال بتوحيد الربوبية[(٣)].

فإذا اعتقد أن الكوكب يفعل بذاته فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أنه سبب فهو شرك أصغر.

وتكون الأسباب محرمة إذا استعمل ما حرمه الله لجلب منفعة أو دفع مضرة، فعن طارق بن سويد الجعفي رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن الخمر؟ فنهاه أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: «إنه ليس بدواء ولكنه داء»[(٤)].

والناس في الأسباب طرفان ووسط:

الأول: من ينكر الأسباب، وأنه ليس لها تأثير البتة وهذا فيه مكابرة للمعقول.

---

(١) القول المفيد: ١/ ١٨٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم: ١٧٢، برقم (٨٤٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٥/ ١٦٧، والقول المفيد في شرح كتاب التوحيد: ٢/ ٢٠٢.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب تحريم التداوي بالخمر: ٣/ ١٥٧٣ برقم (١٩٨٤).

الثاني: من يغلو في إثبات الأسباب حتى يجعل ما ليس بسبب سببًا، بل جعل بعضهم الأسباب فاعلة بذاتها وهذا شرك بالله تعالى.

الثالث: من يؤمن بالأسباب وتأثيراتها، ولكنهم لا يثبتون من الأسباب إلا ما أثبته الله سبحانه ورسوله، سواء كان سببًا شرعيًا أو كونيًا[(١)].

فإنكار الأسباب بالكلية قدح في الشرع والالتفات والاعتماد عليها بالكلية شرك أكبر والأخذ بها مع التوكل على الله هو دين الإسلام[(٢)]، قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[(٣)].

قال ابن القيم رحمه الله: "وهذا الكلام يحتاج إلى شرح وتقييد، فالالتفات إلى الأسباب ضربان: أحدهما: شرك، والآخر: عبودية وتوحيد، فالشرك أن يعتمد عليها ويطمئن إليها، ويعتقد أنها بذاتها محصلة للمقصود، فهو معرض عن المسبِّب لها، ويجعل نظره والتفاته مقصورا عليها، وأما إن التفت إليها التفات امتثال وقيام بها وأداء لحق العبودية فيها وإنزالها منازلها فهذا الالتفات عبودية وتوحيد، إذا لم يشغله عن الالتفات إلى المسبِّب.

وأما محوها أن تكون أسبابا فقدح في العقل والحس والفطرة، فإن أعرض عنها بالكلية كان ذلك قدحا في الشرع وإبطالا له.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٥/ ١٦٨، والرد على المنطقيين: ٣٠٥، ومفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٩٢، والقول المفيد في شرح كتاب التوحيد: ١/ ١٦٤، وكسوف الشمس بين التخويف والتزييف لذياب بن سعد الغامدي، مكتبة المزيني، الطائف، ط١: ٤٩.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين: ٤/ ٢٩٠، ٢٩٥، ومجموع الفتاوى: ٨/ ١٧٥، ٥٢٧، ومنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١: ٥/ ٣٦٦.

(٣) يوسف: ٦٧.

وحقيقة التوكل القيام بالأسباب، والاعتماد بالقلب على المسبِّب، واعتقاد أنها بيده، فإن شاء منعها اقتضاءها، وإن شاء جعلها مقتضية لضد أحكامها، وإن شاء أقام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءها وتدفعه"[(١)].

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: " فإذا جمعت بين هذا التوحيد وبين إثبات الأسباب استقام قلبك على السير إلى الله، ووضح لك الطريق الأعظم الذي مضى عليه جميع رسل الله وأنبيائه وأتباعهم، وهو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم"[(٢)].

إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقد جمع النبي ﷺ بين هذين الأصلين في الحديث الصحيح حيث قال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز»[(٣)]، فأمره بالحرص على الأسباب والاستعانة بالمسبِّب، ونهاه عن العجز، وهو نوعان: تقصير في الأسباب وعدم الحرص عليها، وتقصير في الاستعانة بالله وترك تجريدها، فالدين كله، ظاهره وباطنه، شرائعه وحقائقه تحت هذه الكلمات النبوية"[(٤)].

ثم إن الإيمان بالقدر لا ينافي فعل الأسباب، وما سبق في علم الله وحكمه لا ينافي إثباتها، ولا يقتضي إسقاطها، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "وما سبق به علم الله وحكمه حق، وهو لا ينافي إثبات الأسباب ولا يقتضي إسقاطها، فإنه سبحانه قد علم وحكم أن كذا وكذا يحدث بسبب كذا وكذا، فسبق العلم

---

(١) مدارج السالكين: ٣/ ٤٩٩.
(٢) المصدر السابق: ٣/ ٥٠٠.
(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله: ٤/ ٢٠٥٢ برقم (٢٦٦٤).
(٤) مدارج السالكين: ٣/ ٥٠١. وانظر: مجموع الفتاوى: ٨/ ١٧٥، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم، تحقيق: مصطفى أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي، جدة، ط٢: ٢/ ٨٢.

والحكم بحصوله عن سببه، فإسقاط الأسباب خلاف موجب علمه وحكمه، فمن نظر إلى الحدوث بغير الأسباب لم يكن نظره وشهوده مطابقا للحق؛ بل كان شهوده غيبة ونظره عمى، فإذا كان علم الله قد سبق بحدوث الأشياء بأسبابها فكيف يشهد العبد الأمور بخلاف ما هي عليه في علمه وحكمه وخلقه وأمره"(١).

بل إن فعل الأسباب مما أمر به الشرع، وهو حاصل بالقدر، ولهذا لما توجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام وعلم في أثناء الطريق أنه قد وقع فيها الطاعون، فاستشار الصحابة رضي الله عنهم هل يستمر ويمضي في سيره، أو يرجع إلى المدينة؟.

فاختلف الناس عليه، ثم استقر رأيهم على أن يرجع إلى المدينة، ولما عزم على ذلك جاءه أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، " كيف ترجع إلى المدينة؟ أفرارا من قدر الله"؟. فقال عمر رضي الله عنه: «نفر من قدر الله إلى قدر الله، ثم بعد ذلك جاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان متغيبا في بعض حاجته، فحدثهم أن النبي قال عن الطاعون إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه»(٢).

ولما سُئل الرسول صلى الله عليه وسلم، أريت رقى نسترقيها، وأدوية نتداوى بها، وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ فقال: «هي من قدر الله»(٣).

(١) المصدر السابق: ٣/ ٥٠٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون: ١١٢٣ برقم (٥٧٢٩)، وانظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٢/ ٨٣-٨٤.

(٣) رواه الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى والأدوية: ٣٤٣ برقم (٢٠٦٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء: ٣٧٢ برقم (٣٤٣٧).

فبين ﷺ: "أن الأسباب التي تدفع بها المكاره هي من قدر الله ليس القدر مجرد دفع المكروه بلا سبب"[(١)].

فالمسلم يأخذ بالأسباب؛ لأنه مأمور بالأخذ بها، ويعمل وفق السنة لأنه مأمور بمراعاتها، لا لأنه يعتقد أن الأسباب والوسائل هي المنشئة للمسببات والنتائج، فهو يرد الأمر كله إلى خالق الأسباب، ويتعلق به وحده من وراء الأسباب، بعد أداء الواجب والسعي والعمل واتخاذ الأسباب امتثالًا وطاعة لأمر الله[(٢)].

ويعتقد أن هذا السبب من الله، وأن الله لو شاء لأبطل أثره، ولو شاء لأبقاه، وأنه لا أثر للسبب إلا بمشيئة الله ﷻ[(٣)].

ويعلم أن الأخذ بالأسباب بمسبباتها، فربط المطر بوجود السحاب، وربط إنجاب الولد بالزواج، وربط دخول الجنة بالعمل الصالح، فالمسبَّب لا يقع إلا إذا وقع سببه، لكن قد يقع السبب، ويختلف عنه سببه لحكمة يعلمها الله تعالى، فقد يوجد السحاب ولا يوجد المطر، لكن لا يوجد مطر إلا بسحاب، وقد يوجد الزواج ولا يوجد الولد، لكن لا يوجد ولد إلا بجماع بالأسباب المعتادة.

"ذلك أن شأن الأسباب تحصل عند مسبباتها، وقد يختلف ذلك بمعارضة أسباب أخرى مضادة لتلك الأسباب الحاصلة في وقت واحد، أو لكون السبب الواحد قد يكون سببًا لأشياء متضادة باعتبارات فيخطئ تعاطي السبب

---

(١) رسالة في تحقيق التوكل لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط ١: ٩٤.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ١/ ١٣٧، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم، تحقيق: محمد جميل غازي، مطبعة المدني: ١٨.

(٣) القول المفيد في شرح كتاب التوحيد: ١/ ١٨٣-١٨٤.

في مصادفة المسبب المقصود"[(١)].

ثم إن الله ﷻ وإن كان خالقًا للأسباب التي تترتب عليها مسبَّباتها حسب سننه تعالى، فإن ما كان منها شرًا فإنه لا ينسب إليه سبحانه كما قال ﷺ: «والخير كله في يديك والشر ليس إليك»[(٢)].

فالسبب" قبيحا من فاعله فلا يقتضى أن يكون قبيحا من خالقه، كما أن كونه أكلا وشربا لفاعله لا يقتضى أن يكون كذلك لخالقه؛ لأن الخالق خلقه في غيره لم يقم بذاته، فالمتصف به من قام به الفعل لا من خلقه في غيره، كما أنه إذا خلق لغيره لونا وريحا وحركة وقدرة وعلمًا كان ذلك الغير هو المتصف بذلك اللون والريح والحركة والقدرة والعلم، فهو المتحرك بتلك الحركة، والمتلون بذلك اللون، والعالم بذلك العلم، والقادر بتلك القدرة، فكذلك إذا خلق في غيره كلاما أو صلاة أو صياما أو طوافا كان ذلك الغير هو المتكلم بذلك الكلام وهو المصلي وهو الصائم وهو الطائف، وكذلك إذا خلق في غيره رائحة خبيثة منتنة كان هو الخبيث المنتن ولم يكن الرب تعالى موصوفا بما خلقه في غيره"[(٣)].

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: ١٣/ ٢١-٢٢، وانظر: مجموع الفتاوى: ٨/ ٧٠، ١٣٣، وكلاما كثيرا لعلماء الطبيعة في تخلف الأسباب عن المسببات، وأن هذا أمر معروف، في كتاب الشواهد والنصوص من كتاب الأغلال على ما فيه من زيغ وكفر وضلال بالعقل والنقل لمحمد بن عبد الرزاق حمزة، نشر: عبد الله محمد بابا الشنقيطي: ٢٦-٣٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه: ١/ ٥٣٥ برقم (٧٧١).

(٣) منهاج السنة النبوية: ٢/ ٢٩٤-٢٩٥، وانظر مجموع الفتاوى: ٨/ ١٢٣.

المبحث الثالث: صلة الأسباب بالآيات الكونية

الكون كله أشياءه وأحياءه من خلق الله وإبداعه، أراده الله سبحانه فكان، وليس لشيء ولا لحي في هذا الكون من أمر الخلق ولا التدبير ولا المشاركة شيء بحال، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾[(١)].

كما أن هذا الكون قائم على أساس العدل والحق والنظام والإحكام، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾[(٣)].

فهذا الكون العظيم خاضع لسنن تحكمه فتقوده لحكم عالية، وأغراض سامية، فليس بين هذه الأحداث والحوادث الجارية في هذا الكون ما هو خال عن حكمة متوخّاة، ولا ما هو جار على غير سنن ثابتة تربطه بكل أجزاء الحياة، فكل هذا الكون يتم على مقتضى التقدير الأزلي الذي هو القضاء والقدر.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ

(١) سبأ: ٢٢-٢٣.
(٢) الدخان: ٣٨-٣٩.
(٣) ص: ٢٧.

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾[(١)].

وفي آيات الله الكونية حقائق كثيرة تقف العقول حيارى أمامها، وقد تشهد آثارها ولا تستطيع تعرف كنهها، كحقيقة الروح والعقل.

"فمن أراد أن ينظر في خلق الله وقدرته عليه أن يذكر هذه الحقيقة، وهي ثبوت الحق والحكمة والنعمة في جميعها، وإمكان عجز عقله في بعض المواضع والأحوال عن إدراكها، فيكون عمله في خلق الله هو النظر والبحث والتحليل والاكتشافات واستجلاء الحقائق الكونية، واستخراج الفوائد العلمية والعملية إلى أقصى حد توصله إليه معلوماته وآلاته، حتى إذا انتهى إلى مشكل استغلق عليه اعترف بعجزه"[(٢)].

وقد دل القرآن على أن كل شيء يحدث بسبب سواء كان هذا الحدث يتعلق بالجماد أو بالنبات أو بالحيوان أو بالإنسان أو بالأجرام السماوية أو الظواهر الكونية المادية المختلفة "فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسبَّبات"[(٣)].

فمن الأسباب المادية قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[(٤)]. ومن الأسباب المعنوية قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[(٥)].

---

(١) الأنعام: ١.

(٢) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير لعبد الحميد بن باديس، نشر وزارة الشؤون الدينية الجزائرية: ٣٦١.

(٣) مجموع الفتاوى: ٨/ ٧٠.

(٤) البقرة: ٢٢.

(٥) الأعراف: ٩٦.

والقرآن مملوء من ترتيب الأحكام الكونية والشرعية على الأسباب بطرق متنوعة[(١)].

والحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات أو من الأفعال البشرية أو الحيوانية فلابد لها من أسباب متقدمة عليها، بها تقع في مستقر العادة، وعنها يتم كونها.

وكل واحد من هذه الأسباب حادث أيضا، فلابد له من أسباب أخر، ولا تزال تلك الأسباب مرتقية حتى تنتهي إلى مسبب الأسباب وموجدها وخالقها سبحانه لا إله إلا هو قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾[(٢)].

"وتلك الأسباب في ارتقائها تتفسح وتتضاعف طولا وعرضا ويحار العقل في إدراكها وتعديدها، فإذن لا يحصرها إلا العلم المحيط"[(٣)] - أي علم الله - قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[(٤)].

ولا فرق في ذلك بين الحادث الذي يقع مرة واحدة، والحادث الذي يقع ملايين المرات فكلها تتوقف في بادئ الأمر على إرادة الخلق والإنشاء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾[(٥)]، فالخالق

(١) انظر: مدارج السالكين: ٣/ ٤٩٨، والجواب الكافي: ١٩.
(٢) الزمر: ٦٢.
(٣) مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار نهظة مصر، القاهرة، ط٤: ٣/ ٩٩٦، وانظر قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن لنديم الجسر: ٦٧، لبنان.
(٤) الطلاق: ١٢.
(٥) يس: ٨٢.

هو الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[(٢)].

وقد جعل الله ﷻ لهذه الآيات الكونية أسبابًا حسية وشرعية، جاء ذكرها في القرآن الكريم:

فالأسباب الكونية: هي ما أجراه الله من العادة من تعلق المسببات بأسبابها، فتراكم السحاب سبب لنزول المطر، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾[(٣)].

وفي بعض الظواهر الجوية جاء قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾[(٤)].

وفي أطوار النبات جاء قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾[(٥)].

وفي اختلاف الليل والنهار جاء قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾[(٦)]، وقال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ

(١) الفرقان: ٢.
(٢) القمر: ٤٩.
(٣) فاطر: ٩.
(٤) النور: ٤٣-٤٤.
(٥) الزمر: ٢١.
(٦) الإسراء: ١٢.

ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾[١].

أما الأسباب الشرعية فإن الاستغفار من أسباب نزول المطر، قال تعالى: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾﴾[٢].

والتقوى من أسباب فتح بركات السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[٣].

والظلم والمعصية من أسباب فساد البر والبحر، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[٤].

أما الأسباب الأخرى الباطلة فإنها لا أثر لها في الآيات الكونية، ولا تعلق لها بالسعود ولا النحوس كما يزعم الكهان ونحوهم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يخبر عن النبي ﷺ: «أن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله، فإذا رأيتموهما فصلوا»[٥].

قال الخطابي[٦] رحمه الله: "كانوا في الجاهلية يعتقدون أن الكسوف يوجب

---

(١) يس: ٣٧-٤٠.

(٢) نوح: ١٠-١٢.

(٣) الأعراف: ٩٦.

(٤) الروم: ٤١.

(٥) سبق تخريجه: ٥.

(٦) هو أبو سليمان حَمْد - بسكون الميم - بن محمد بن إبراهيم الخطابي، من علماء =

حدوث تغير في الأرض من موت أو ضرر، فأعلم النبي ﷺ أنه اعتقاد باطل، وأن الشمس والقمر خلقان مسخران لله، ليس لهما سلطان في غيرهما، ولا قدرة لهما على الدفع عن أنفسهما"[(١)].

وقد اقتضت حكمة الله ترتيب المسبَّبات على الأسباب، "مع الاستغناء عنها إظهارًا للقدرة، وإتمامًا لعجائب الصنعة، وتحقيقًا لما سبقت به المشيئة، وحقت به الكلمة وجرى به القلم"[(٢)]، وهذا لا يعني رفض مبدأ السببية بل ينبغي الإقرار بأن لكل سبب نتيجة[(٣)].

فالله يأمرنا أن نأخذ بالأسباب وأن نتبع هذه السنن ونفوض أمرنا إليه وحده لا شريك له.

قال تعالى ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[(٤)].

فسنن الله المادية وأسبابها ثابتة لكن الله ﷻ إذا شاء أن يخرقها خرقها. فقد يوجد المسبَّب بدون السبب المعتاد، فيحصل الولد بدون جماع، مثل

= الشافعية والمحدثين، من مصنفاته: معالم السنن، وغريب الحديث، وأعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، توفي عام ٣٨٨.
انظر: سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢٣، وشذرات الذهب: ٤/ ٤٧١.

(١) أعلام الحديث: ١/ ٦١٠.
(٢) إحياء علوم الدين: ٢/ ٣٢.
(٣) انظر: كبرى اليقينيات الكونية: ٢٨٦.
(٤) الواقعة: ٦٣-٧٤.

خلق آدم عليه السلام من غير أب ولا أم، وولادة عيسى ابن مريم عليه السلام من غير أب، فإن الله عز وجل يخلق السبب، ويخلق بالسبب، ويخلق بغير السبب، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾[(١)]، وفي هذا بيان لقدرة الله تعالى على إيجاد المسبَّبات العاديات من غير سبب ظاهر.

والنار تحرق بإذنه سبحانه وتعالى، فإذا أمرت أن تمتنع من الإحراق امتنعت كنار إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾[(٢)].

والماء مغرق، فإذا أمر أن يمتنع من الإغراق امتنع، وإذا أمر أن يغرق أغرق كإغراقه فرعون وقومه، ومنعه من إغراق موسى عليه السلام وقومه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾[(٣)].

---

(١) آل عمران: ٥٩.
(٢) الأنبياء: ٦٩.
(٣) البقرة: ٥٠.

المبحث الرابع: العلم بوقت حدوث هذه الآيات الكونية وأسبابها الحسية لا ينافي كونها آية من آيات الله

لا بد من التفريق بين ما يكون علمًا قائمًا على أصول مدروسة ثابتة، وبين ما يكون مجرد أوهام وظنون كاذبة. ولهذا التفريق أهمية في معرفة الحق من الباطل، وخصوصًا في هذا العصر إذا علمنا أن فريقًا من المنجمين يموهون على الجهال بأمر العلم بوقت حدوث بعض الآيات الكونية، ويخبرونهم بوقته، فإذا رأوا صدقهم في هذا ظنوا أن قضاياهم وأحكامهم النجومية من السعد والنحس، والظفر والغلبة، وما شابه ذلك من جنس توقع الكسوف، فيصدقهم الناس بكل ما يخبرون به، فيكذبون معه مائة كذبة، والمبطل لا يستطيع غالبًا نشر باطله إلا بشوب من الحق لأن الباطل المجرد مكشوف فلا بد من التغطية والتعمية[1]، ولم يعلم هؤلاء أن الإخبار عن هذا يختلف عن الإخبار عن الآخر.

ولحدوث الآيات الكونية أسباب حسية وأسباب شرعية، ولا تعارض بينهما، ولا بين معرفة وقوع الآية الكونية وبين كونها آية من آيات الله، فمعرفة وقوع الآية له أسباب حسية يمكن معرفتها، كمعرفة نزول المطر، والكسوف والخسوف، فهي ليست من الأمور الغيبية بالنسبة لكل أحد، بل غيبي بالنسبة لمن لا يعرف علم حساب سير الكواكب، وليس بغيبي بالنسبة لمن يعرف ذلك العلم؛ لكونه يستطيع أن يعرفه بسبب عادي، وهو هذا العلم، ولا ينافي ذلك كونها آية من آيات الله تعالى، التي يخوف بها عباده ليرجعوا إلى ربهم،

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ٣٥/ ١٩٠.

ويستقيموا على طاعته[١].

فالله ﷻ قدر هذه الآية الكونية، وقدر سيرها وانتظامها واجتماعها في وقت معين، ويحدث بها من التغيرات ما يشاء، ولا يشركه في ذلك أحد، مما يدل على أنها آية من آيات الله، فإذا رأى الناس هذه الآيات وتغيراتها، عرفوا قدرة من خلقها وسيّرها، فعبدوه وحده، وخافوه دون غيره، واستحضروا عظمته وجلاله وكبرياءه[٢].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا رأى مخيلة[٣] في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء سري عنه[٤]، فعرفته عائشة رضي الله عنها فقال النبي ﷺ: «وما أدري لعله كما قال قوم فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم»[٥]... الآية»[٦].

لكن ينبغي عدم الجزم بوقوع الآية[٧]؛ لأن من يخبر بوقوع الآية الكونية لا يكون مصيبًا في جميع الأوقات، بل قد يخطئ في حسابه، ولا يلزم تصديقه على كل حال[٨].

---

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة: ٨/ ٣٢٢.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ١٦/ ٢٩٩، ٣٤٢-٣٤٧.

(٣) المخيلة: موضع الخيل، والمراد هنا السحابة الخليقة بالمطر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير المبارك ابن محمد الجزري، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت: ٢/ ٩٣.

(٤) أي: كشف عنه الخوف. المصدر السابق: ٢/ ٣٦٤.

(٥) الأحقاف: ٢٤.

(٦) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: ٦١٦ برقم (٣٢٠٦).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٤/ ٢٥٨، ومجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، ط٢: ١/ ١٦٨-١٧٠.

(٨) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله بن محمد الغنيمان، دار العاصمة،

=

والله تعالى هو المتفرد بعلم الغيب والجزم بوقوع شيء غائب على سبيل التحقيق من ادعاء علم الغيب الذي نهى الله عنه، كما في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[(١)].

قال القرطبي[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال علماؤنا: أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتاب الله، إلا من اصطفى من عباده فمن قال: إنه ينزل الغيث غدًا وجزم به فهو كافر، أخبر عنه بأمارة ادعاها أم لا"[(٣)]؛ لادعائه لعلم استأثر الله به، أما إذا لم يجزم بذلك، وجعل هذا الحكم بحسب العادة والتجربة فلا يكفر ولا يفسق، بل يجوز ذلك؛ لأن الله تعالى أجرى العوائد، وجعل لبعض المغيبات علامات تدل عليها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾[(٤)].

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾[(٥)].

= الرياض، ط٢: ١/ ١٠٠.

(١) الأنعام: ٥٩.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي المالكي المفسر، من مصنفاته: الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة بأمور الآخرة، والكتاب الأسنى في أسماء الله الحسنى، وغيرها من الكتب، توفي عام ٦٧١.
انظر: الديباج المذهب لمعرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، ط٢: ٢/ ٢٤٣، وشذرات الذهب: ٧/ ٥٨٤.

(٣) تفسير القرطبي: ٧/ ٢.

(٤) الأعراف: ٥٧.

(٥) الروم: ٤٦.

فالله تعالى جعل هذا النوع من الرياح علامة على المطر، وأرشدنا إلى ذلك.

وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه حين استسقى به: يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم: كم بقي من نوء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعًا بعد سقوطها، فما مضت سابعة حتى مطروا، فقال عمر: الحمد لله، هذا بفضل الله ورحمته[(١)].

قال القرطبي رحمه الله تعالى: "وكأنّ عمر رضي الله عنه قد علم أن نوء الثريا وقت يرجى فيه المطر ويؤمل فسأله عنه: أخرج أم بقيت منه بقية؟"[(٢)].

(١) السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣، مصورة عن دائرة المعارف العثمانية: ٣/ ٣٥٩، وتفسير الطبري: ٢٧/ ٢٤٣، قال الذهبي: حسن غريب، انظر: المهذب في اختصار السنن الكبرى للبيهقي، أختصره محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرياض: ٣/ ١٢٨٦.

(٢) تفسير القرطبي: ١٧/ ٢٣٠.

الفصل الخامس
الآيات الكونية السماوية ودلالتها العقدية

وفيه تمهيد وسبعة مباحث:

المبحث الأول: السماء.

المبحث الثاني: الشمس.

المبحث الثالث: القمر.

المبحث الرابع: النجم والنوء.

المبحث الخامس: الرعد والبرق والصواعق.

المبحث السادس: المطر والثلج والبرد.

المبحث السابع: الريح والرياح.

تمهيد

الآيات الكونية السماوية هي الآيات العلوية كالسماء والشمس والقمر والنجوم والكواكب وغيرها.

وفي هذا الفصل أذكر الآية الكونية ومعناها وورودها في القرآن والسنة، ودلالتها العقدية على التوحيد بأقسامه الثلاثة - الربوبية والألوهية والأسماء والصفات - وبقية أركان الإيمان، ومسائل العقيدة.

ثم أذكر المخالفات العقدية والأحاديث الموضوعة والضعيفة المتعلقة بهذه الآيات الكونية.

المبحث الأول: السماء

السماء في اللغة: اسم لكل ما ارتفع وعلا، وهو مأخوذ من السمو، وهو العلو، يقال: سما بصره، أي علا، وسما لي شخص: ارتفع حتى استثبته. وهي تذكّر وتؤنّث، وجمعها سماوات، وكل سقف فهو سماء، ومن هذا قيل للسحاب: السماء[(١)].

وفي الاصطلاح: منطقة فضائية مرئية من الأرض، تبدو كالقبة عليها، تحتوي على الغلاف الجوي[(٢)].

وقد ورد لفظ السماء في القرآن في (١٢٠) موضعًا، وبلفظ الجمع في (١٩٠) موضعًا[(٣)].

وورد لفظ السماء في السنة في (١٦٣) حديثا[(٤)].

وذكر بعض المفسرين أن السماء في القرآن على خمسة أوجه[(٥)]:

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٩٨، تهذيب اللغة: ١٣/ ٧٩، لسان العرب: ٣/ ٢١٠٧.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ١٣/ ٩٠، والموسوعة العربية الميسرة إشراف محمد شفيق غربال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصورة عن طبعة ١٩٦٥: ٢/ ١٠١٠.

(٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ط ٤: ٤٥٩-٤٦٥.

(٤) هذا العدد حسب عدّ الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة للآيات الكونية في السنة النبوية. انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٦.

(٥) انظر: نزهة الأعين النواظر: ٣٥٨، والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدمغاني، تحقيق: محمد حسن الزّفيتي، طبعة وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، عام ١٤١٦: ١/ ٤٣٥، وبصائر ذوي التمييز لمحمد بن يعقوب الفيروزابادي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، تحقيق: عبد العليم الطحاوي: ٣/ ٢٦٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٤٠٥.

- أحدها: السماء المعروفة. ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾[(٢)].

- والثاني: السحاب. ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾[(٣)].

- والثالث: المطر. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾[(٤)].

- والرابع: سقف البيت. ومنه قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾[(٥)].

- والخامس: سقف الجنة وسقف النار[(٦)]. ومنه قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[(٧)].

---

(١) البقرة: ٢٩.
(٢) التغابن: ٣.
(٣) الفرقان: ٤٨.
(٤) هود: ٥٢، نوح: ١١.
(٥) الحج: ١٥.
(٦) انظر: تفسير القرطبي: ٩/ ٩٩.
(٧) هود: ١٠٧.

الدلائل العقدية للآية الكونية - السماء -:

قال ابن القيم رحمه الله مبينًا شأن هذه الآية الكونية: " ولهذا قل أن تجيء سورة في القرآن إلا وفيها ذكرها إما إخبارا عن عظمها وسعتها، وإما إقساما بها، وإما دعاءً إلى النظر فيها، وإما إرشادا للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها، وإما استدلالًا منه سبحانه بخلقها على ما أخبر به من المعاد والقيامة، وإما استدلالا منه بربوبيته لها على وحدانيته وأنه الله الذي لا إله إلا هو، وإما استدلالا منه بحسنها واستوائها والتئام أجزائها وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته".

ثم قال: " فكم من قسم في القرآن بها كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾[(١)]، ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾[(٢)]، ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾[(٣)]، ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١﴾[(٤)]، . . . ولم يقسم بشيء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر"[(٥)].

أولًا: وجود الله:

دلت هذه الآية الكونية على وجود الله، فإن خلقها ووجودها بعد العدم، وتسخيرها دليل قاطع على وجود الله عز وجل، وذلك لافتقار المخلوق إلى

---

(١) البروج: ١.
(٢) الطارق: ١
(٣) الشمس: ٥.
(٤) الطارق: ١١.
(٥) مفتاح دار السعادة: ١/ ٣٠٣-٣٠٤.

الخالق، واحتياج المحدَث إلى المحدِث[(١)]، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾[(٢)].

والعناية بهذه الآية الكونية، والإتقان فيها يدل على وجود خالقها وكمال ذاته وصفاته، قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾[(٤)].

ولما ذكر الله ﷻ استنكاره لمن كفر به في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[(٥)]، ذكر من الأدلة على وجوده - مع ما هو مستقر في الفطر - خلقَ السماوات والأرض[(٦)]، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[(٧)].

ولما حصلت المجادلة بين الكفار ورسلهم في الله، قالت لهم رسلهم - ترشدهم إلى الدليل والطريق لمعرفة الله لمن حصل عنده شك أو اضطراب -: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾[(٨)] أي: أفي وجوده شك[(٩)]،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ١٦/ ٤٤٥، والأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد لسعود العريفي، دار عالم الفوائد، مكة، ط ١: ٢٠٩-٢٢٦.
(٢) الطور: ٣٥-٣٦.
(٣) النمل: ٨٨.
(٤) الملك: ٣.
(٥) البقرة: ٢٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٢١٨، وتفسير ابن كثير: ١/ ٢١٣.
(٧) البقرة: ٢٩.
(٨) إبراهيم: ١٠.
(٩) وهذا على أحد المعنيين في الآية. والمعنى الثاني: أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له
=

فهو الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لهما من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه"[(١)].

وفي جواب موسى عليه السلام لفرعون عندما سأله عن رب العالمين وكان يجحد الصانع ويعتقد أنه لا رب سواه: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾[(٢)] أي خالق جميع ذلك ومالكه هو رب العالمين، وهو الخالق[(٣)].

ثم إن الله تعالى يدعو عباده إلى التفكر في مخلوقاته - ومنها السماوات - الدالة على وجوده وانفراده بخلقها، وأنه المعبود وحده[(٤)]، فيقول: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[(٥)].

ثانيًا: توحيد الربوبية:

بين الله عز وجل أن النظر في ملكوت السماوات والأرض والتأمل في خلقهما يدل على وحدانيته عز وجل في ملكه وخلقه، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه[(٦)]، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾[(٧)].

= شك، وهو الخالق لجميع الموجودات. انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٨٢.

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٨٢.

(٢) الشعراء: ٢٤.

(٣) المرجع السابق: ٦/ ١٣٨.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١٤/ ٨، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٥.

(٥) الروم: ٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٧/ ٢٨٣، ٢٨٦، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٢٩٠.

(٧) الأنعام: ٧٥.

وأخبر الله ﷻ أن له ملك السماوات ومن فيهن، ويتصرف بها كيف شاء، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، قال تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾[(١)].

وأنه الحاكم فيهما كما أنه المالك لهما[(٢)]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾[(٣)].

وأخبر جل وعلا أن السماء والأرض تقوم بأمره لها، وتسخيره إياها، وأنه ممسك لها أن تقع على الأرض إلا بإذنه[(٤)]، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾[(٦)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾[(٧)]، فلا يقدر على ذلك إلا الله، وهذا من أدلة ربوبيته[(٨)].

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يقول للكفار المشركين بالله، المكذبين لرسوله: أن الله هو رب السماوات والأرض، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾[(٩)]، فهو وحده الذي قهر كل شيء وغلبه. وهو المالك له المتصرف فيه، ولم ينكر

---

(١) الأنعام: ١٢.
(٢) انظر تفسير القرطبي: ٢/ ٦٩، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٧٩.
(٣) البقرة: ١٠٧
(٤) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣١٠.
(٥) الروم: ٢٥.
(٦) الحج: ٦٥.
(٧) فاطر: ٤١.
(٨) انظر: تفسير القرطبي: ١٤/ ٣٥٦، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٥٥٧.
(٩) ص: ٦٥-٦٦.

ذلك المشركون[(١)]، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[(٢)].

وأنه سبحانه وتعالى ليس معه في ذلك شريك ولا وزير، ولا مشير ولا نظير، كما قال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[(٣)].

ثالثًا: توحيد الأسماء والصفات:

١- الثناء على الله:

الله ﷻ يثني ويمدح نفسه ويحمدها لخلقه للسماوات والأرض، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[(٤)].

ولما ذكر حُكْمه في المؤمنين والكافرين وجزائهم قال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[(٥)]، فله الحمد والثناء على ربوبيته لسائر الخلائق[(٦)].

وعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع ظهره من الركوع قال: «سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد، ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد»[(٧)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/ ٢١٤، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٨٠.
(٢) لقمان: ٢٥.
(٣) سبأ: ٢٢-٢٣.
(٤) فاطر: ١.
(٥) الجاثية: ٣٦-٣٧.
(٦) انظر: تفسير ابن سعدي: ٧٧٨.
(٧) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع: ١/ ٣٦٤ برقم (٤٧٦).

٢- التنزيه:

أخبر الله ﷻ عن هذه الآية الكونية العظيمة أنها تسبحه وتقدسه، فقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[(١)].

وأن السماوات كادت تتفطر عند دعوة المشركين أنَّ لله ولدًا، فقال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾[(٢)] "أي يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم، إعظامًا للرب وإجلالا؛ لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده، وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا شريك له، ولا نظير له ولا ولد له، ولا صاحبة له، ولا كفء له، بل هو الأحد الصمد"[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال، وجميع الخلائق إلا الثقلين، فكادت أن تزول منه لعظمة الله»[(٤)].

وقال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾[(٥)]. فمن خلق هذه السماوات وأوجدها على غير مثال سابق كيف يكون له ولد؟![(٦)].

وفي رد الله على أهل الكتاب في زعمهم أن لله ولدا[(٧)] قال تعالى:

---

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) مريم: ٩٠ - ٩١

(٣) تفسير ابن كثير: ٥/ ٢٦٦.

(٤) تفسير الطبري: ١٦/ ١٥٠، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي، ت: عبد الله التركي، دار هجر، ط١: ١٠/ ١٤٢.

(٥) الأنعام: ١٠١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٧/ ٣٤٧، وتفسير القرطبي: ٧/ ٥٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦/ ١٩٦، وتفسير ابن كثير: ٢/ ٣٦.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾[(٢)].

ففي هذه الآيات رد على النصارى ومن أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب، ممن نسب لله الولد، فأكذب الله جميعهم في دعواهم.

قال ابن جرير رحمه الله: "فمعنى الكلام: سبحان الله أنى يكون له ولد وهو مالك ما في السموات والأرض، تشهد له جميعا بدلالتها عليه بالوحدانية، وتقر له بالطاعة، وهو بارئها وخالقها، وموجدها من غير أصل، ولا مثال احتذاها عليه؟"[(٣)].

٣- العدل والحكمة:

أخبر الله عز وجل أنه خلق السماوات والأرض بالحق وللحق، وأنه لم يخلق ذلك عبثًا ولا لعبًا، وأن ذلك بالعدل والحكمة[(٤)]، فقال: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾[(٥)]، وقال

(١) النساء: ١٧١.
(٢) البقرة: ١١٦-١١٧.
(٣) تفسير الطبري: ١/ ٥٨٥، وانظر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٦٦.
(٤) انظر: تفسير ابن سعدي: ٧١٢.
(٥) ص: ٢٧.

تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣﴾[(١)].

٤- بعض أسماء الله وصفاته:

ورد في القرآن أسماءٌ لله وصفاتٌ مقيدة بالإضافة إلى السماء[(٢)]، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[(٣)].

ومن ذلك اسم الله القيوم، ومن صفاته القيّم والقيّام[(٤)]، وقد ورد عن النبي ﷺ في دعاء الاستفتاح في صلاة الليل أنه يقول: «اللهم لك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن»، وفي لفظ: قيوم، وفي لفظ: قيام[(٥)].

ومن ذلك أيضًا رب السماوات، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥﴾[(٦)].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٦٦﴾[(٧)].

---

(١) النحل: ٣.

(٢) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي، ت: عبد الله الحاشدي، دار السوادي، جدة، ط١: ١/ ٢٠١، ومجموع الفتاوى: ٦/ ٣٨٦، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، تحقيق: عواد المعتق، دار الرشد، ط ٣: ٤٥.

(٣) النور: ٣٥.

(٤) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت: ٧.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل: ٢٢٢ برقم (١١٢٠)، وكتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه من الليل: ١٢١٥ برقم (٦٣١٧)، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ١٤٢٠ برقم (٧٤٤٢)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه: ١/ ٥٣٢ برقم (٧٦٩).

(٦) الصافات: ٤-٥.

(٧) ص: ٦٥-٦٦.

وقال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾(١).

٥- الصفات الفعلية الاختيارية لله(٢):

قد دلت هذه الآية الكونية على الصفات الفعلية الاختيارية المتعلقة بمشية الله، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾(٣)، وكان ذلك بعد خلق الأرض(٤).

وأخبر الله ﷻ أنه يمسك السماء أن تقع على الأرض، وعلق ذلك بإذنه ومشيئته، فقال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾(٥) "أي لو شاء لأذن للسماء فسقطت على الأرض، فهلك من فيها، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه"(٦).

٦- صفة القدرة:

أمر الله ﷻ بالنظر في خلق السماء، وكيف رفعت، ففيه دلالة على قدرته

(١) الجاثية: ٣٦.
(٢) الصفات الفعلية الاختيارية: هي الصفات التي "يتصف بها الرب ﷻ فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته: مثل كلامه، وسمعه، وبصره، وإرادته، ومحبته، ورضاه، ورحمته، وغضبه، وسخطه، ومثل خلقه وإحسانه، وعدله ومثل استوائه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز، والسنة". مجموع الفتاوى: ٦/ ٢١٧، ١٦/ ١٣٤، وانظر: رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل: ٢/ ٣، والقول المفيد على كتاب التوحيد: ١/ ١٣٢، وشرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل الهراس: ٥٣، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبد العزيز السلمان، ط١٣: ١٧٤.
(٣) البقرة: ٢٩.
(٤) تفسير ابن كثير: ١/ ٢١٣، وتفسير ابن سعدي: ٤٨.
(٥) الحج: ٦٥.
(٦) تفسير ابن كثير: ٥/ ٤٥١.

وعظمته، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾[(٢)].

وبين أن من آيات قدرته العظيمة خلق السماوات والأرض، فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[(٣)].

كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن كمال قدرته في خلق السماوات بغير عمد[(٤)] فقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ﴾[(٥)].

٧- صفة الغنى والقوة:

دلت هذه الآية الكونية على غنى الله وفقر العباد إليه وعجزهم وضعفهم قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[(٦)] فهذه السماء على عظمها وسعتها وكثرة من فيها فإن الله ﷻ لا يعجزه أهلها "بل هو القاهر فوق عباده، وكل شيء خائف منه، فقير إليه، وهو الغني عما سواه"[(٧)].

وأخبر الله ﷻ عن كمال غناه، وأنه غني عن إيمان الطائعين، و لا يضره كفر الكافرين، وأن له ملك السماوات والأرض[(٨)]، فقال تعالى: ﴿وَإِن

(١) الغاشية: ١٧-١٨.
(٢) ق: ٦.
(٣) الروم: ٢٢.
(٤) انظر: مفتاح دار السعادة: ١/ ٣١٩.
(٥) لقمان: ١٠.
(٦) العنكبوت: ٢٢.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٦٢-١٦٣، وانظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٧١.
(٨) انظر: تفسير القرطبي: ٥/ ٤٠٩، وتفسير ابن كثير: ٢/ ٤٣١.

تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾[١].

وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾[٢] "فهو الغني عما سواه، فكل شيء خلقه وملكه، وكل شيء فقير إليه"[٣].

٨- صفة الرحمة:

لما أخبر الله تعالى أنه المالك للسماوات والأرض ومن فيهن، وهو الغني عن خلقه بين أنه كتب على نفسه الرحمة، فقال تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾[٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له»[٥]. ففي الحديث أن الله ينزل إلى السماء الدنيا ويستجيب لمن يدعوه ويعطي من سائله، وهذا من رحمته عز وجل بعباده.

وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «من اشتكى منكم شيئا أو اشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا

(١) النساء: ١٣١.

(٢) لقمان: ٢٦.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٤٨، وانظر: تفسير ابن سعدي: ٦٥١.

(٤) الأنعام: ١٢.

(٥) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه: ١/ ٥٢١ برقم (٧٥٨).

حوبنا[١] وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع[٢] فيبرأ»[٣].

٩- صفة العلم:

أخبر الله ﷻ عن كمال علمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة ولو كانت في هذه السماء العظيمة، والأرض الوسيعة[٤]، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٦].

فهذا يدل على كمال صفاته سبحانه وتعالى، وسعة علمه، وأنه يعلم غيب السماوات والأرض، وما تكنه السرائر وتنطوي عليه الضمائر، وسيجازي كل

---

(١) بضم الحاء، والمراد ها هنا: الذنب الكبير كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾، وهو الحوبة أيضا مفتوحة الحاء مع إدخال الهاء. انظر: عون المعبود: ١٠/ ٢٧٤.

(٢) بفتح الجيم أي المرض، أو بكسر الجيم أي المريض. انظر: عون المعبود: ١٠/ ٢٧٥.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب كيف الرقى؟: ٤٢٧ برقم (٣٨٩٢)، والنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول من كان به أسرُ-تحقيق: فاروق حمادة، دار الكلم الطيب، دمشق، ط ١: ٥٧٩ برقم (١٠٣٥)، والحاكم في مستدركه: ١/ ٣٤٤، وقال: قد احتج الشيخان بجميع رواه هذا الحديث غير زيادة بن محمد وهو شيخ من أهل مصر قليل الحديث، وقال الذهبي - عن زيادة -: قال البخاري وغيره منكر الحديث. والحديث حسنه ابن تيمية، انظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية بشرح محمد خليل الهراس، وتصحيح وتعليق: إسماعيل الأنصاري، دار ابن القيم،الدمام: ١١٧.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٣٥٢.

(٥) آل عمران: ٥-٦.

(٦) يونس: ٦١.

عامل بعمله؛ فهو يعلم الأشياء كلها ظاهرها وباطنها، ولا يخفى عليه منها شيء في الأرض ولا في السماء[(١)].

كما أخبر جل وعلا أنه يعلم الأخبار الماضية عن القوم السابقين ولا يعلمها أحد غيره؛ لأنه سبحانه له غيب السماوات والأرض[(٢)]: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[(٣)].

وبين الله ﷻ سعة علمه بعلمه غيب السماوات والأرض، وأن الخلق لا يعلمون ذلك، وأنه وحده لا شريك له هو المتفرد بعلم غيب السماوات والأرض، وأن غيره عاجز عن ذلك فقال: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾[(٤)].

كما أخبر تعالى بأنه عالم غيب السماوات والأرض، وأنه عالم الغيب والشهادة - وهو ما غاب عن العباد وما شاهدوه -[(٥)] فقال: ﴿وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾[(٦)]، وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾﴾[(٧)].

١٠- صفة الكلام لله ﷻ:

من الأدلة التي استدل بها أهل السنة في إثبات صفة الكلام لله والرد على

(١) انظر: تفسير الطبري: ١١/ ١٥١، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٥٥٧، وتفسير ابن سعدي: ١٢١.
(٢) انظر تفسير الطبري: ١٥/ ٢٦٨، وتفسير ابن كثير: ٥/ ١٥٠.
(٣) الكهف: ٢٦.
(٤) النمل: ٦٥ - ٦٦
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٣٨.
(٦) النمل: ٧٥.
(٧) الحج: ٧٠.

من زعم أن المتكلم لا بد أن يكون له لسان وجوف وشفتين، أن الله ﷻ أخبر أن السماء تكلمت، في قوله ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ فأثبت الله ﷻ للسماء كلامًا. فهل يثبتون لها لسان وجوف وشفتان؟![(١)].

١١- نزول القرآن والشرائع من الله:

بين الله ﷻ أن هذا القرآن منزل ممن خلق الأرض والسماوات العلى، القادر على كل شيء[(٢)]، فقال تعالى: ﴿تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤﴾[(٣)].

فالذي أنزل هذا القرآن هو رب السماوات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما، قال تعالى: ﴿أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾[(٤)].

وقد كان أهل الكتاب يسألون النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتابًا من السماء، قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا﴾[(٥)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل: ٢/ ٣٩٣، ٤/ ١٥٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٦/ ١٦٠، تفسير ابن كثير: ٥/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٣) طه: ٤.

(٤) الدخان: ٥ - ٧.

(٥) النساء: ١٥٣.

ﷺ وهو بنخلة، عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم، فقالوا: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾(١) فأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾(٢) وإنما أوحي إليه قول الجن"(٣).

وقال ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحا ومساء»(٤).

ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن قيام النبي ﷺ قالت للسائل: «ألست تقرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله ﷻ افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولًا، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرًا في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة»(٥).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ: «أن الأمانة نزلت من السماء في جذر قلوب الرجال ونزل القرآن، فقرؤوا القرآن وعلموا من السنة»(٦).

---

(١) الأحقاف: ٣١.
(٢) الجن: ١-٢.
(٣) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر: ١٥٩ برقم (٧٣٣)، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن: ١/ ٣٣١ برقم (٤٤٩).
(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع: ٨٢١، برقم (٤٣٥١).
(٥) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض: ١/ ٥١٢ برقم (٧٤٦).
(٦) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ: ١٣٨٨ برقم (٧٢٧٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»[١].

ولما أنكر اليهود النسخ في الشرائع وأن ذلك مستحيل عقلًا، بين الله عز وجل أن له ملك السماوات والأرض، وأنه يتصرف فيهما بما يشاء، وأنه الفعال لما يريد، ولا راد لحكمه، وأنه يأمر بما يشاء، وينهى عما يشاء، وأنه ينسخ ويبدل في أحكامه التي يحكم بها بين عباده، وأن الخلق عليهم السمع والطاعة في ذلك كله[٢]، قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾[٣].

١٢- صفة العلو:

قد دلت هذه الآية الكونية على صفة العلو من عدة جهات:

أ- إخبار الله عز وجل عن نزول الأمر من السماء إلى الأرض، وهو يدل على علو الله، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[٤]، وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة: ١/ ٥٥٤ برقم (٨٠٦).

(٢) تفسير الطبري: ١/ ٥٥٥.

(٣) البقرة: ١٠٦-١٠٧.

(٤) السجدة: ٥.

لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾[(١)].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله»[(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب - فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم»[(٣)].

وكانت زينب زوج النبي ﷺ تفخر على أزواجه تقول: «زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات»[(٤)].

ب- رفع الأعمال إلى السماء[(٥)]، وهذا أيضًا يدل على علو الله، قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[(٦)].

ج- محاجة الكافرين بعض الأنبياء وطلبهم على سبيل العتو والتمرد تهيئة أسباب الصعود إلى الله عز وجل عن طريق أبواب السماء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾﴾[(٧)].

---

(١) الطلاق: ١٢.
(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾﴾ ٩٠٢ برقم (٤٧٠١).
(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: ٦١٨ برقم (٣٢١٠).
(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء: ١٤١٤ برقم (٧٤٢٠).
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢١/ ١٤٣، والأسماء والصفات للبيهقي: ٢/ ١٠٤ برقم (٦٦٧).
(٦) فاطر: ١٠.
(٧) غافر: ٣٦-٣٧.

وقد كان المشركون يطلبون من النبي ﷺ على سبيل التحدي والتعجيز أن ينزل عليهم كتابًا من السماء، وأنهم لن يؤمنوا حتى يرقى للسماء ويفعل ذلك[(١)]، قال الله تعالى مخبرًا عن حالهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾[(٢)].

د- رفع النبي ﷺ رأسه إلى السماء ينظر إليها ويدعو الله[(٣)] إشارة منه إلى علو الله تعالى.

عن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنهما قال: «صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا، فخرج علينا فقال: ما زلتم ههنا؟ قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال، أحسنتم أو أصبتم، قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[(٤)].

هـ- إخباره ﷺ أنه أمين من في السماء، قال ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ١٢٠.
(٢) الإسراء: ٩٠-٩٣.
(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٢/ ١٥٧، وتفسير ابن كثير: ١/ ٣٩١، ٤٥٣.
(٤) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة: ٤/ ١٩٦١ برقم (٢٥٣١).

من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحا ومساء»[١].

وقد أقر النبي ﷺ قول الجارية حينما سألها أين الله؟ قالت: في السماء، بل شهد لها بالإيمان، ففي الحديث أن النبي ﷺ سأل الجارية: «أين الله؟ قالت: في السماء. قال: اعتقها فإنها مؤمنة»[٢].

و- العروج بالنبي ﷺ إلى السماء:

فقد عرج بالنبي ﷺ إلى السماء، وكلمه ربه، وسمع صريف الأقلام، وفرضت عليه الصلاة[٣].

ز - الإشارة بالأصبع إلى السماء:

فقد كان ﷺ يشير بأصبعه إلى السماء يرفعها وينكتها إلى الناس عند ذكر الله في الدعاء حال الخطبة[٤] إشارة منه إلى علو الله تعالى.ـ

ح- رفع اليدين إلى السماء عند الدعاء:

عن أنس رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض إبطيه[٥]، وفي خطبة عرفة رفع النبي ﷺ يديه إلى السماء ثم قال: «اللهم اشهد عليهم، اللهم اشهد عليهم»[٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب

---

(١) سبق تخريجه: ١٩٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته: ١/ ٣٨١، برقم (٥٣٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء: ٩٠، برقم (٣٤٩).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ: ٢/ ٨٨٦ برقم (١٢١٨).

(٥) صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب رفع اليدين في الاستسقاء: ٢/ ٦١٢ برقم (٨٩٥).

(٦) مسند الإمام أحمد: ٣٣/ ٤٤٥ برقم (٢٠٣٣٦)، وقال محققه: حديث صحيح.

لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم»[(١)]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾[(٢)]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمة حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟»[(٣)].

١٣- صفة الاستواء:

حيث أخبر الله جل وعلا أن الاستواء على العرش كان بعد خلق السماوات والأرض[(٤)] فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩﴾[(٥)].

١٤- صفة النزول:

ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له»[(٦)]، وفيه دليل على نزول الله سبحانه إلى السماء الدنيا كل ليلة[(٧)].

---

(١) المؤمنون: ٥١.

(٢) البقرة: ١٧٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها: ٢/ ٧٠٣ برقم (١٠١٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٩/ ٣٥، وتفسير ابن كثير: ٤/ ٢٧٤.

(٥) الفرقان: ٥٩.

(٦) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه: ١/ ٥٢١ برقم (٧٥٨).

(٧) انظر: التمهيد لابن عبد البر: ٧/ ١٢٨، واجتماع الجيوش الإسلامية: ١٤٣.

١٥- العرش:

بين الله ﷻ أن العرش كان موجودًا عند خلق السماوات فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»(٢).

وأخبر ﷺ عن صفة العرش بالنسبة للسماء فقال: «إن عرشه على سمواته لهكذا» وقال بأصابعه مثل القبة عليه، فالعرش فوق السماوات وهو مثل القبة. قال ابن بشار في حديثه: "إن الله فوق عرشه، وعرشه فوق سمواته"(٣).

١٦- عظم الكرسي:

وفي بيان عظمة الكرسي أخبر الله - ﷻ - عنه أنه وسع السماوات

---

(١) هود: ٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام: ٤/ ٢٠٤٤ برقم (٢٦٥٣).

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الجهمية: ٥١٥ برقم (٤٧٢٦)، وقال أبو داود: والحديث بإسناد أحمد بن سعيد هو الصحيح، وافقه عليه جماعة منهم: يحيى بن معين وعلي بن المديني، ورواه جماعة عن ابن إسحاق كما قال أحمد أيضا، وكان سماع عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار من نسخة واحدة فيما بلغني. وقال الذهبي في كتاب العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها، تحقيق: عبد الله البراك، دار الوطن، الرياض، ١/ ٤١٣: "هذا حديث غريب جدا فرد، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب، فالله أعلم أقال النبي ﷺ هذا أم لا". وقد قواه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في بيان تلبيس الجهمية: ١/ ٥٦٩، ومجموع الفتاوى: ١٦/ ٤٣٥، وأورد ابن القيم في تهذيب السنن: ٧/ ٩٥-١١٧: المطاعن التي طعن بها هذا الحديث، وأجاب عنها ومال إلى تصحيح الحديث.

والأرض، فقال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[(١)]، وقال رسول الله ﷺ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس»[(٢)].

١٧- صفة اليمين لله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[(٣)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»[(٤)].

رابعًا: توحيد الألوهية:

يقول تعالى منبهًا على قدرته التامة، وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء، وقهره لجميع المخلوقات وأنه المالك المتصرف في هذه الآية الكونية العظمية، وهو المتفرد بذلك: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾[(٥)]، وهذا مما يعترف به المشركون، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾[(٦)]، فكما أنهم يعترفون بذلك فيلزمهم أن

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة: ٢/ ٥٨٧، وابن جرير في تفسيره: ٣/ ١٥. وقال ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ٢٤: " أول الحديث مرسل، وعن أبي ذر منقطع، وقد رُوى عنه من طريق أخرى موصولًا". وقال الذهبي في العلو ١/ ٨٤٩: هذا مرسل، عبد الرحمن ضُعّف.

(٣) الزمر: ٦٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة: ١٢٤٩برقم (٦٥١٩).

(٥) الأنبياء: ٣٠.

(٦) الزخرف: ٩.

يقروا ويعترفوا بأنه لا إله غيره.

وإذا كان هؤلاء المشركون لا يتصرفون في هذه السماوات، وليس لهم فيها شرك فلماذا يعبدون معه غيره؟[(١)] قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾[(٢)].

وفي رد الله تعالى على المشركين عبادتهم لغير الله بظنهم أن هؤلاء المعبودين شفعاء ووسائط عند الله، بين ﷻ أنه يعلم ما في السماوات والأرض، وأن عبادة هؤلاء من دون الله شرك وضلال، فقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾[(٣)].

فقرر تعالى أنه هو الذي خلق السماوات والأرض ويعلم ما فيها، وهو ربها ومدبرها، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم، ويزعمون أنها تقربهم إلى الله كما قال تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[(٤)]، فأنكر تعالى ذلك عليهم، حيث اعتقدوا ذلك[(٥)]، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾[(٦)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٢٧٤، وتفسير ابن سعدي: ٧٧٩.
(٢) الأحقاف: ٤.
(٣) يونس: ١٨.
(٤) الزمر: ٣.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ٥٢٦.
(٦) الرعد: ١٦.

وقد ذكر الله ﷻ من الأدلة على تفرده بالإلهية تفرده بخلق السماوات[(١)]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[(٢)].

وفي الاستفهام التقريري الذي يعترف به المشركون وغيرهم يبين تعالى أنه المنفرد بالخلق فيقول: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾[(٣)] أي أإله مع الله يعبد. فكيف تعبدون معه غيره وهو المستقل المتفرد بالخلق والتدبير؟ كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾[(٤)].

والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - يحتجون على أقوامهم بخلق السماوات والأرض على وجوب إفراد الله ﷻ بالعبادة دون من سواه، قال تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام في دعوته قومهم: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾﴾[(٥)] منبهًا لهم على قدرة الله وعظمته في خلق السماوات والأرض، فهو الذي يجب أن يعبد وحده ولا يشرك به أحد[(٦)].

وفي محاجة إبراهيم عليه السلام لقومه استدل عليهم بربوبية الله الخالق للسماوات وغيرها على وجوب إفراده بالعبادة[(٧)]، فقال: ﴿بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) تفسير القرطبي: ٢/ ١٩١-١٩٢.
(٢) البقرة: ٢١-٢٢.
(٣) النمل: ٦٠
(٤) النحل: ١٧.
(٥) نوح: ١٥.
(٦) انظر: تفسير ابن سعدي: ٨٨٩.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٧/ ٤٧، وتفسير القرطبي: ١١/ ٢٩٦.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[(١)].

ويأمر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ بأن يقول لقومه: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٨٦﴾[(٢)]، فيكون الجواب الفطري منهم: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧﴾[(٣)]، وفي هذا يقرر تعالى وحدانيته، واستقلاله بالخلق والتصرف والملك، ليرشد إلى أنه الذي لا إله إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له[(٤)].

وفي خبر فتية الكهف أنهم قاموا واستدلوا على ربهم الذي يجب أن يعبد ويدعى بقولهم: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾[(٥)]، فالعبادة لا تنبغي إلا لله الذي خلق السماوات والأرض.

فكثيرًا ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية[(٦)].

١- بعض أنواع العبادة القلبية:

قد دلت هذه الآية الكونية - السماء - على بعض أنواع العبادة القلبية، ومنها:

أ- الإخلاص:

قال تعالى مخبرا عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٧٩﴾[(٧)] "أي إنما أعبد الله

---

(١) الأنبياء: ٥٦.
(٢) المؤمنون: ٨٦.
(٣) المؤمنون: ٨٦-٨٧.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ٤٨٩، وتفسير ابن سعدي: ٥٥٧.
(٥) الكهف: ١٤.
(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٤.
(٧) الأنعام: ٧٩.

مخلصا له فهو خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها، الذي بيده ملكوت كل شيء، وخالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه"(١).

ب- الخوف والخشية والمراقبة:

أخبر الله ﷻ أنه يعلم السرائر والظواهر، وأن علمه محيط بالخلق في سائر الأحوال، وبجميع ما في السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُوٓاْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٩﴾(٢).

"وهذا تنبيه منه لعباده على خوفه وخشيته، وألا يرتكبوا ما نهى عنه وما يبغضه منهم، فإنه عالم بجميع أمورهم"(٣)، وأن يراقبوه في كل أحوالهم فإن علمه محيط بكل شيء في السماوات والأرض.

ج- التوكل:

إنَّ من له ملك السماوات والأرض هو الذي يجب أن يتوكل عليه ولا يتوكل على غيره(٤)، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ١٣٢﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾(٦).

فالذي خلق السماوات والأرض هو الذي يجب أن يتوكل عليه فإنه عالم

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٩٢.
(٢) آل عمران: ٢٩.
(٣) تفسير ابن كثير: ٢/ ٣١، وانظر: تفسير ابن سعدي: ١٢٧.
(٤) انظر: تفسير البغوي: ١/ ٦٠٩.
(٥) النساء: ١٣٢.
(٦) هود: ١٢٣.

غيب السماوات والأرض، وإليه المرجع والمآب، وله الخلق والأمر، وهو كاف من توكل عليه وأناب إليه[١].

د- اليقين بالله والوثوق بوعده:

حث الله عباده المؤمنين على اليقين به وبنصره والوثوق بوعده فإن له سلطان السماوات والأرض وملكهما[٢]، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾[٤].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه»[٥].

فأصبح قلب المؤمن مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، وهي باقية إلى أن يبدل الله الأرض والسماوات يوم القيامة، وهذا يقين المؤمن ووثوقه بوعد الله.

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٣٦٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١١/ ٦٥-٦٦.
(٣) يونس: ٥٥.
(٤) التوبة: ١١٦.
(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وإنه يأرز بين المسجدين: ١/ ١٢٨ برقم (١٤٨).

هـ- الإنابة:

الإنابة تكون للخالق المالك المتصرف، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝١٠ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[(١)] "أي فاطر السماوات والأرض هو ربي الذي أتوكل عليه، وأنيب إليه، وأفوض أمري إليه"[(٢)].

والمقصود أن هذه الآية العظيمة من دلائل توحيده، "فسبحان الواحد الأحد، خالق أنواع المخلوقات، المتفرد بالدوام والبقاء والصمدية ذي الأسماء والصفات"[(٣)].

٢- القسم:

قد أكثر الله ﷻ من الإقسام بالسماء في كتابه الكريم، قال ابن القيم رحمه الله: "ولم يقسم في كتابه بشيء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر، وهو سبحانه يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لتضمنه الآيات والعجائب الدالة عليه، وكلما كان أعظم آية وأبلغ في الدلالة كان إقسامه به أكثر من غيره"...

ثم قال: "والمقصود أنه سبحانه إنما يقسم من مخلوقاته بما هو من آياته الدالة على ربوبيته ووحدانيته"[(٤)].

---

(١) الشورى: ١٠-١١.
(٢) تفسير الطبري: ٢٥/ ١٦، وانظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ١٩٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤/ ٤١٨.
(٤) مفتاح دار السعادة: ١/ ٣٠٣-٣٠٤، وانظر: إمعان في أقسام القرآن لعبد الحميد الفراهي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٩: ٩، ٤١.

ويقسم بها على أن القيامة حق، وعلى البعث والجزاء كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[(١)] فاقسم الله ﷻ بنفسه وبربوبيته للسماء على أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء أنه حقٌّ لا مرية فيه[(٢)].

وكان عمر رضي الله عنه إذا أقسم قال: «أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض»[(٣)].

٣- التوسل:

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾[(٤)]، فيوسف الصديق عليه السلام دعا ربه ﷻ لما تمت النعمة عليه باجتماعه بأبويه وإخوته، وما مَنَّ الله به عليه من النبوة والملك، وسأل ربه ﷻ متوسلا إليه بربويته وخلقه لهذه المخلوقات العظيمة - والتي منها السماوات - أن يتوفه مسلمًا، وأن يلحقه بالصالحين[(٥)].

وكان من دعائه ﷺ إذا قام من الليل في افتتاح صلاته: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[(٦)].

---

(١) الذاريات: ٢٣.
(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١٧/ ٤١، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٤٢٠.
(٣) صحيح البخاري: كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ: لا نورث ما تركنا صدقة: ١٢٨٥برقم (٦٧٢٨).
(٤) يوسف: ١٠١.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٣/ ٨٨، وتفسير القرطبي: ٩/ ٢٧٠.
(٦) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب دعاء النبي - ﷺ$ - ودعائه بالليل:
=

خامسًا: الإيمان بالغيب:

قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾[(٢)]، "فالله ﷻ يبين سعة علمه وكمال قدرته في ملكه وعلمه غيب السماوات والأرض، واختصاصه بذلك، فلا اطلاع لأحد على ذلك إلا أن يطلعه الله تعالى على ما يشاء"[(٣)].

وأن العبيد لم يشهدوا خلق السماوات والأرض، ولا يعلمون الغيب، فقال تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾[(٤)].

فهو سبحانه الذي يعلم السر وأخفى، ولا يخفى عليه شيء في السماوات، وكذلك لا يخفى عليه ما في القلوب من الإيمان والنفاق وغير ذلك[(٥)]، قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾[(٦)].

سادسًا: الإيمان بالملائكة:

قال الله تعالى مبينًا أن الملائكة في السماء: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[(٧)]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ

= ١/ ٥٣٤ برقم (٧٧٠).

(١) النمل: ٦٥.

(٢) الزخرف: ٨٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٨٩.

(٤) الكهف: ٥١.

(٥) انظر: تفسير البغوي: ٤/ ٢١٤، وتفسير ابن سعدي: ٨٠٢.

(٦) الحجرات: ١٦.

(٧) النجم: ٢٦.

لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾[١].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»[٢].

وأن لكل سماء مقربوها من الملائكة كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما: «فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة»[٣].

وأن لكل سماء خازن كما جاء في حديث الإسراء: «قال جبريل عليه السلام لخازن السماء الدنيا: افتح»... ثم قال: «حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح»[٤].

وأنهم من جنود الله في السماوات: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾[٦].

---

(١) الإسراء: ٩٥.
(٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: ٦١٧ برقم (٣٢٠٩).
(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر: ٥١٧ برقم (٤٧٥٣)، ومسند الإمام أحمد: ٣٠/ ٤٩٩ برقم (١٨٥٣٤)، قال البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣١٩: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال ابن مندة في كتاب الإيمان، تحقيق: علي الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ٢/ ٩٦٥: هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء.
(٤) صحيح البخاري، كتاب بد الخلق، باب ذكر الملائكة: ٦١٦ برقم (٣٢٠٧)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ: ١/ ١٤٨ برقم (١٦٣).
(٥) يس: ٢٨.
(٦) آل عمران: ١٢٤.

وعن ابن عباس ﵄ قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ - في غزوة بدر - يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه؛ إذ سمع ضربه بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه، فخر مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت ذلك مدد السماء الثالثة»(١).

وأن عددهم في السماء كثير، ولا يعلمه إلا الله ﷻ كما جاء في حديث الإسراء - بعد مجاوزته إلى السماء السابعة -: «ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم»(٢).

وأن السماء تئط(٣) منهم فعن أبي ذر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله»(٤).

وأن من أعمالهم النزول بالوحي من السماء(٥)، قال تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم: ٣/ ١٣٨٣ برقم (١٧٦٣).

(٢) سبق تخريجه: ٢١٣.

(٣) الأطيط: صوت الأقتاب، والقتب: صوت الرحل. وأطيطُ الإبل: أصواتها وحنينها. أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطَّت. انظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ٥٤.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب في قول النبي ﷺ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا: ٣٨٢ برقم (٢٣١٢)، وقال: هذا حديث حسن غريب ويروى من غير هذا الوجه، والإمام أحمد في مسنده: ٣٥/ ٤٠٥ برقم (٢١٥١٦)، وقال المحقق: حسن لغيره. وانظر: السلسلة الصحيحة الأحاديث رقم: ٨٥٢، ١٠٦٠، ١٧٢٢، ٣١٩٤.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٢٧.

ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾[(١)].

وأنهم يصعدون بأعمال العباد وأرواحهم إلى السماء[(٢)]، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾[(٣)].

وفي حديث البراء رضي الله عنه قال: «فيصعدون بها - أي روح الميت -، فلا يمرون - يعني بها - على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة»[(٤)].

وأن الملائكة شهداء الله في السماء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مروا بجنازة على النبي ﷺ فأثنوا عليها خيرًا، فقال: النبي ﷺ وجبت، ثم مروا بجنازة أخرى فأثنوا عليها شرًا، فقال النبي ﷺ: وجبت، قالوا: يا رسول الله، قولك الأولى والأخرى: وجبت، فقال النبي ﷺ: الملائكة شهداء الله في السماء، وأنتم شهداء الله في الأرض»[(٥)].

سابعًا: الإيمان بالكتب:

أخبر الله ﷻ عن نزول الكتب من السماء فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ

---

(١) الحجر: ٨.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١٤/ ٨٦-٨٧، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٣٥٩.

(٣) السجدة: ٥.

(٤) سبق تخريجه: ٢١٣.

(٥) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الثناء: ٢١٩ برقم (١٩٣٣)، وأصله في الصحيحين، وصححه الألباني في أحكام الجنائز وبدعها، دار المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤: ٤٤.

ﭐلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾[٢]، بل إن أهل الكتاب كانوا يعلمون ذلك، وقد طلبوا من الرسول ﷺ أن ينزل عليهم كتابًا من السماء كما نزلت التوراة على موسى عليه السلام مكتوبة، قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾[٣]، فدل هذا على معرفة أهل الكتاب بأن الكتب تنزل من عند الله من السماء[٤].

وكذلك قال كفار قريش[٥]: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾﴾[٦].

ثامنًا: الإيمان بالرسل:

كان مما يستدل به النبي ﷺ على أنه رسول الله، وعلى وجوب إفراد الله بالعبادة قوله أن الذي أرسلني هو خالق كل شيء - ومن ذلك السماوات - وربه ومليكه، الذي بيده الملك والإحياء والإماتة، وله الحكم[٧]، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي

---

(١) البقرة: ١٧٦.
(٢) النساء: ١٠٥، الزمر: ٢.
(٣) النساء: ١٥٣.
(٤) انظر تفسير القرطبي: ٦/٦، وتفسير ابن كثير: ٢/٤٤٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٥/١٨٨.
(٦) الإسراء: ٩٠-٩٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٩/١٠٥، وتفسير ابن كثير: ٣/٤٩١.

لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: «صدق». قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله». قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله». قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله». قال: فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال، آلله أرسلك؟ قال: «نعم»[(٢)].

ومن دلائل نبوته ﷺ استدلاله عليهم بعلم الله للقول في السماء والأرض، وأنه لا يمكن أن يكذب عليه، فهو سبحانه لسعة علمه يعلم ما في السماء والأرض[(٣)]: ﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[(٥)]، حتى أن النبي ﷺ كان يقول: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»[(٦)].

وقد نبه الله على صدق رسله فيما جاءوا به بما أيدهم به من الآيات، ومنها خلقه للسماوات والأرض[(٧)]، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ

---

(١) الأعراف: ١٥٨.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام: ١/ ٤١ برقم (١٢).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ٣٣٢.
(٤) الأنبياء: ٤.
(٥) العنكبوت: ٥٢.
(٦) سبق: تخريجه: ٢٢٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٩/ ١٦٢.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾[١].

وقال موسى عليه السلام لفرعون مبينًا الحجة على رسالته، وأن هذه الحجج لا تكون إلا من رب السماوات والأرض[٢]: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾[٣].

وفي حديث الإسراء بيَّن ﷺ أنه عرج به إلى السماء، ووجد فيها الأنبياء: آدم، ويحيى، ويوسف، وإدريس، وهارون، وعيسى، وموسى، وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[٤].

ومن الإيمان بالرسل الإيمان بما جاءوا به، وأنه من عند الله، وقد نزل من السماء إلى الأرض، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يحدث: «أن رجلا أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني أرى الليلة ظلة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون منها بأيديهم، فالمستكثر والمستقل، وأرى سببا واصلا من السماء إلى الأرض، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به من بعدك فعلا، ثم أخذ به رجل آخر فعلا، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع به، ثم وصل له فعلا، قال أبو بكر: يا رسول الله، بأبي أنت، والله لتدعني فلأعبرنها، قال رسول الله ﷺ: اعبرها، قال أبو بكر: أما الظلة فظلة الإسلام، وأما الذي ينطف من السمن والعسل فالقرآن حلاوته ولينه، وأما ما يتكفف الناس من ذلك فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل

---

(١) الأعراف: ١٨٥.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١٠/ ٣٣٧، وتفسير ابن كثير: ٥/ ١٢٤.

(٣) الإسراء: ١٠٢.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات: ١/ ١٤٨-١٤٩ برقم (١٦٣، ١٦٤).

من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله به، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به، ثم يوصل له فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت أصبت أم أخطأت؟ قال رسول الله ﷺ: أصبت بعضا، وأخطأت بعضا، قال: فوالله يا رسول الله لتحدثني ما الذي أخطأت؟ قال: لا تقسم»[(١)].

تاسعًا: الإيمان باليوم الآخر:

أقسم الله ﷻ بربوبيته للسماء والأرض على أن ما وعد"به من أمر القيامة والبعث والجزاء، كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون"[(٢)]، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[(٣)].

واستدل الله ﷻ على البعث وإعادة الأجساد بقدرته في خلق السماوات والأرض، فقال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾[(٤)]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي إن في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجّاع إلى الله، على قدرة الله على بعث الأجساد ووقوع المعاد؛ لأن من قدر على خلق هذه السماوات في ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام"[(٥)].

(١) صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا: ٤/ ١٧٧٧ برقم (٢٢٦٩).
(٢) تفسير ابن كثير: ٧/ ٤٢٠.
(٣) الذاريات: ٢٣.
(٤) سبأ: ٩.
(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٤٩٦، وانظر: تفسير ابن سعدي: ٧٥٠.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾[(١)]، فمن قدر على خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن، قادر على أن يحيي الموتى بطريق الأولى والأحرى[(٢)].

وأخبر الله ﷻ أن السماء تطوى يوم القيامة فقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[(٣)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض»[(٤)].

وأخبر سبحانه أنه سيجازي كلا بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فهو مالك السماوات والأرض الغني عما سواه[(٥)]، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾[(٦)].

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار، وقد بين الله ﷻ صفة الجنة وأن عرضها عرض السماوات والأرض، فقال: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[(٧)]، وقال تعالى:

---

(١) الأحقاف: ٣٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٦/ ٤٣، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٣٠٥.
(٣) الزمر: ٦٧.
(٤) سبق تخريجه: ٢٠٤.
(٥) انظر: تفسير القرطبي: ١٧/ ١٠٥، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٤٦٠.
(٦) النجم: ٣١.
(٧) آل عمران: ١٣٣.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾[(١)].

وقد دعا النبي ﷺ هرقل إلى الجنة، ووصف له عرضها بأنه كعرض السماوات والأرض[(٢)].

وفي غزوة بدر قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، قال يقول عمير بن الحمام الأنصاري ح يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض قال نعم»[(٣)].

وأن الجنة درجات، وما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض، عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد، من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة». فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها على يا رسول الله، ففعل، ثم قال: «وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض». قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله»[(٤)].

عاشرًا: الإيمان بالقدر:

القدر أربعة مراتب: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق[(٥)]. وأخبر الله ﷻ

---

(١) الحديد: ٢١.

(٢) مسند الإمام أحمد: ٣/ ٤٤٢ برقم (١٥٦٩٣)، ومسند أبي يعلى: ٣/ ٧٠ برقم (١٥٩٧). قال ابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ١٧٧: "هذا حديث غريب تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به".

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب باب ثبوت الجنة للشهيد: ٣/ ١٥٠٩ برقم (١٩٠١).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات: ٦/ ٣٧ برقم (٤٩٨٧).

(٥) انظر: العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أشرف عبد المقصود، دار أضواء السلف، الرياض، ط١: ١٠٥.

أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وأن عرشه كان على الماء قبل ذلك، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[١].

وأنه قدر المقادير وكتبها قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»[٢].

كما بين سبحانه أن الأمور لا تقع إلا بإذنه ومشيته ومن ذلك وقوع السماء على الأرض فقال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾[٣] "أي لو شاء لأذن للسماء فسقطت على الأرض، فهلك من فيها، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه"[٤].

ولما يذكر الله عز وجل خلق السماوات والأرض وأنه هو المتصرف فيها يبين "أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأنه يخلق ما يشاء"[٥]، قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾[٦].

---

(١) هود: ٧.
(٢) سبق تخريجه: ٢٣٠.
(٣) الحج: ٦٥.
(٤) تفسير ابن كثير: ٥/٤٥١، وانظر: تفسير القرطبي: ١٢/٩٣.
(٥) المرجع السابق: ٧/٢١٦، وانظر: تفسير ابن سعدي: ٧٦٢.
(٦) الشورى: ٤٩-٥٠.

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات؛لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات؛ لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسى»(١)، فمن فعل الأسباب الشرعية والحسية التي أمر الله بها؛ فلن يضره شيء في الأرض ولا في السماء إلا بإذن الله.

الحادي عشر: منهج الاستدلال:

١- الاستدلال بالعقل:

من منهج القرآن الاستدلال بالعقل في إثبات توحيد الربوبية والألوهية مستدلًا في ذلك بخلق السماوات، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾(٢).

٢- التصديق والتسليم:

لما كان خلق السماوات من الأمور الغيبية كان الواجب على المسلم الإيمان بذلك والتصديق به، وعدم الخوض فيما لا علم له به، قال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾(٣): "لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها"(٤)، ومعناه أن هذه الأمور قد

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح: ٥٤٩ برقم (٥٠٨٨)، وسنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى: ٥٣٦ برقم (٣٣٨٨)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط ١: ٣/ ٩٥٨.

(٢) الطور: ٣٥-٣٦.

(٣) الطلاق: ١٢.

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره: ٢٨/ ١٧٢. وانظر: تفسير ابن كثير: ٨/ ١٥٦.

لا تدركه عقول بعض الناس فيكذب بها، فالواجب التسليم للنصوص والتصديق بها.

٣- ضرب الأمثلة:

من منهج القرآن ضرب الأمثلة مستخدمًا في ذلك السماء لبيان حال المشركين وظلالهم وبعدهم عن الهدى، قال تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾[(١)].

وضرب الله مثلًا لقلب الكافر في شدة تضييقه إياه عن وصول الإيمان إليه كمن يصّعد في السماء، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾[(٢)]، "فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء، فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه، حتى يدخله الله في قلبه"[(٣)].

الثاني عشر: الوعد والوعيد:

لما ذكر الله ﷻ وجوب إتباع الرسول ﷺ، ووبخ وهدد أهل الكتاب على عدم إتباعه بقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾[(٤)]، بين سبب ذلك فقال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾[(٥)] "أي هو

---

(١) الحج: ٣١.
(٢) الأنعام: ١٢٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٨/ ٣٨.
(٤) آل عمران: ١٨٨.
(٥) آل عمران: ١٨٩.

مالك كُل شيء، والقادر على كل شيء فلا يعجزه شيء، فهابوه ولا تخالفوه، واحذروا نقمته وغضبه، فإنه العظيم الذي لا أعظم منه، القدير الذي لا أقدر منه "[١].

وأخبر الله ﷻ أنه الحاكم المالك المتصرف في أهل السموات والأرض فيغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء[٢]، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾[٣].

وكان المشركون يسألون رسولهم العذاب من السماء، قال تعالى عنهم: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾[٤]، أي: جانبا من السماء، أو عذابًا من السماء[٥].

وقال تعالى عن المشركين أنهم قالوا: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[٦].

وبين ﷺ أن الذنوب ولو عظمت وبلغت السماء فإن الله ﷻ يغفرها ولا يبالي، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب عليكم»[٧].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/ ١٨٣، وانظر: تفسير: الطبري: ٢٦/ ٩٣.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٣٣٧، وتفسير ابن سعدي: ٧٩٢.
(٣) الفتح: ١٤.
(٤) الشعراء: ١٨٦-١٨٧.
(٥) انظر: تفسير القرطبي: ١٣/ ١٣٦.
(٦) الأنفال: ٣٢.
(٧) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة: ٤٥٨ برقم (٤٢٤٨)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: ٢/ ٣٤٦ برقم (١٥٢٦): "إسناده حسن"، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه: ٢/ ٤١٧ برقم (٣٤٢٦) "حسن صحيح".

وبين كذلك عقوبة من تكلم بكلمة من سخط الله، وأنه ليقع منها أبعد من السماء، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يرفعه قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يريد بها بأسا إلا ليضحك بها القوم، وإنه ليقع منها أبعد من السماء»(١).

الثالث عشر: الولاء والبراء:

قد جاء في النصوص أن السماء تبكي عند فقد المؤمن، وأن أبوابها تفتح له، أما الكافر فلا تبكي عليه، ولا تفتح له أبوابها(٢)، قال تعالى عن حال الكافرين: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ٢٩﴾(٣).

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما في بيان حال روح المؤمن عند الموت، قال ﷺ: «فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، فيقول الله، ا اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى».

وفي بيان حال روح الكافر قال: «وإن الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزلت عليه ملائكة غلاظ شداد، فانتزعوا روحه،

(١) مسند الإمام أحمد: ١٧/ ٤١٣ برقم (١١٣٣١)، قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٨/ ١٧٩: رواه أحمد، وفيه أبو إسرائيل بن خليفة، وهو ضعيف. وأصله عند البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان: ١٢٤٢ برقم (٦٤٧٧)، ولفظه: "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق".

(٢) انظر: كتاب العظمة: ٥/ ١٧١٤، وتفسير البغوي: ٤/ ١١٦، وتفسير القرطبي: ١٦/ ١٣٩، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٢٥٣.

(٣) الدخان: ٢٩.

كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل، وتنزع نفسه مع العروق، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله: أن لا تعرج روحه من قبلهم، فإذا عرج بروحه، قالوا: رب فلان بن فلان عبدك، قال: أرجعوه، فإني عهدت إليهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى»[١].

الرابع عشر: الإيمان بالجن:

كانت الجن تتخذ المقاعد في السماء الدنيا تسترق السمع من السماء[٢]، ولما بعث الله محمدًا ﷺ منعت من ذلك، ولهذا قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾[٣].

---

(١) سبق تخريجه: ٢٤٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ٨/ ٢٤٠.
(٣) الجن: ٨-٩.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية

- السماء -:

أولًا: إنكار وجود السماوات:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية إنكار وجودها، وأن المراد بها الأفلاك أو الأجرام العلوية[(١)]، وأن سعة الجو غير متناهية، وأن الكون" لا زال يتوسع حتى الآن"[(٢)]، استدلالًا بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾[(٣)]، ومعنى هذا عندهم نفي وجود السماوات السبع[(٤)].

وهذا القول هو قول متأخري الفلاسفة" فلا سماء عندهم بل الأجرام العلوية قائمة بالجاذبية؛ فإن الشمس وسائر الكواكب السيارات عليها بل وجميع الثوابت ليست مركوزة في جسم من الأجسام"[(٥)].

والحق الذي تدل عليه الآيات القرآنية، والأحاديث الصحيحة "أن هذا

---

(١) انظر: ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان: ١٩، ونقض النظريات الكونية: ١٢٧ -١٢٩.

(٢) أسرار الكون بين العلم والقرآن عبد الدائم الكحيل: ٣٠، وانظر: توحيد الخالق لعبد المجيد الزنداني: ٢٨٠.

(٣) الذاريات: ٤٧.

(٤) وينبغي أن يلاحظ أنهم حين يذكرون السماء في الكون الأعلى فهم يريدون بها الفضاء، والنجوم، والمجرات. انظر: الموسوعة الفلكية: ٢٢١، ٤٠٩، ونقض النظريات الكونية: ٤١.

(٥) ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان: ٢٥.

الفضاء الذي نحن فيه يبتدي من الأرض، وينتهي إلى السماء الدنيا "[١].

"والرسل ﷺ كلهم أخبروا بوجود السماوات، وهذا خاتمهم ﷺ قد ذكر ما ذكر مما رأى في معراجه في السماوات واستفتاحه لها بواسطة جبريل، كل ذلك يبطل تأويل من أول "[٢].

وقد أخبر الله ﷻ عن هذه السماء وأنها مبنية فقال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾[٣].

ومما يدل على وجود السماء" أن الله ذكر للسماء أحوالًا وأوصافًا لا يصح انطباقها على الفضاء، مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾[٤]، وهذا يكون يوم القيامة والفضاء لا يوصف بالانشقاق، ومثله قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾[٥]، يعني يوم القيامة، فلولا أنها بناء لما وصفها بالتشقيق....

وفي مواضع يذكر الرب ﷻ السماء والأرض وما بينهما، فلولا أن للفضاء نهاية، وللسماء جرما لما قال الرب: وما بينهما "[٦].

ثانيًا: إنكار عدد السماوات السبع:

ومن المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية إنكار عدد السماوات السبع، وأن المراد "بالسماوات السبع التي يرد ذكرها في كثير من الآيات هي

(١) الصواعق الشديدة: ١٢٤، ١٥٢، وانظر: ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة: ٤٠.
(٢) ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان: ٢٦.
(٣) النازعات: ٢٧-٢٨.
(٤) الانشقاق: ١.
(٥) الفرقان: ٢٥.
(٦) هداية الحيران في مسألة الدوران لعبد الكريم الحميد، ط ٢: ٣٤.

على أرجح الأقوال الكواكب السبع السيارة المعروفة"[١].

يقول الدكتور محمد جمال الفندي: " الغالب (والله أعلم) أنها - أي السماوات السبع - تحديد للنوع وليس للكم. وما السماوات السبع التي ترتفع فوق رؤوسنا سوى:

١- الغلاف الجوي.

٢- الشهب.

٣- النيازك.

٤- القمر.

٥- الكواكب السيارة.

٦- المذنبات.

٧- الشمس"[٢].

وقال بعضهم أن: " الأفلاك تسعة وليست سبعة، والعدد سبعة في القرآن يراد به التعدد"[٣].

"فلم يثبتوا من السماوات سبعا ولا أكثر من ذلك ولا أنقص، والمتشرعون منهم قالوا: المراد من السماوات السبع أصناف أجرام الكواكب، فإنهم جعلوها على سبعة أصناف في المقدار"[٤].

---

(١) القرآن وإعجازه العلمي، لمحمد إسماعيل إبراهيم: ٥٩، وانظر: تفسير ابن كثير: ٨/ ٢٣٣.

(٢) السماوات السبع، للدكتور محمد جمال الدين الفندي: ١١٣- ١١٤، وانظر: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن: ١٣٥.

(٣) انظر: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، لموريس بوكاى، دار المعارف، لبنان، ط٤: ١٦٣ وما بعدها، والكون والرؤية العلمية في القرآن والأديان السماوية الأخرى - دراسة مقارنة، رسالة ماجستير إعداد الطالب: أشرف أحمد محمد محمد عماشة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط الجديدة: ٤٢.

(٤) ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان: ٢٥- ٢٦.

وهذا الرأي لا يتفق مع قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾[(١)]، فالآية تدل على أن السماوات السبع واحدة فوق واحدة[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[(٣)]، "أي أتم خلقهن من تلك المادة الدخانية، فجعلهن سبع سماوات تامات منتظمات الخلق"[(٤)].

وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾[(٥)]، قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٦)]: " وهكذا قام البرهان من قبل كسوف الشمس والقمر وبعض الدرارى لبعض على أنه سبع سماوات، وعلى أنها سبع طرائق"[(٧)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[(٨)]، فالشمس والقمر

---

(١) نوح: ١٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/ ١١٥، وتفسير ابن كثير: ٨/ ٢٣٣، والبحر المحيط لأبي حيان، تحقيق: عادل عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١: ٦/ ٢٨٦، ٢٨٧.
(٣) البقرة: ٢٩.
(٤) تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢: ٢٠٦-٢٠٧.
(٥) المؤمنون: ١٧.
(٦) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، فقيه محدث متكلم، له مؤلفات كثيرة، منها: الفصل في الملل والأهواء والنحل، والدرة فيما يجب اعتقاده، والمحلى، والإجماع، وغيرها.
انظر: سير أعلام النبلاء: ١٨/ ١٨٤، وشذرات الذهب: ٣/ ٢٩٩.
(٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، المطبعة الأدبية، ط ١: ٢/ ٩٨.
(٨) الأعراف: ٥٤.

والنجوم معطوفة على السماوات والأرض، أي أنهن لسن بجزء من السماوات.

ثالثًا: إنكار خلق الله للسماوات والأرض في ستة أيام وأنها ست مراحل:

ومن المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية إنكار خلق الله للسماوات في ستة أيام، وأن هذه الأيام الواردة في الآيات عبارة عن ست مراحل، أقام الله عليها الكون، وأسماها ستة أيام، وربط ذلك بالنظام السداسي[١]، يقول الكتور جميل القدسي الدويك: "وأن الأيام هنا ليست كأيامنا هذه، إنما هي مراحل طويلة، فإنشاء الكون كله وبنائه وتعميره من قبل الله وإصلاحه على أكمل وجه كان قائما على النظام السداسي فتأملوا ذلك في القرآن العظيم"[٢].

أما علماء الإسلام فيقولون أن الله خلق هذه السماوات والأرض في ستة أيام ولكنهم اختلفوا هل هذه الأيام من أيام الدنيا أو أيام الآخرة، كل يوم ألف سنة[٣].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "وخلقها الله عز وجل في ستة أيام، والأيام أطلقها الله عز وجل ولم يبين أن اليوم خمسين ألف سنة، أو أقل، أو أكثر، وإذا

---

(١) أي شيء قائم على البناء والنمو والربو خلقه الله سبحانه وتعالى مبنيا على نظام سداسي، انظر: اكتشاف الآلية التي يؤثر بها قرين الإنسان من الشيطان عليه في الوسواس والسحر والتلبس والمس والأمراض النفسية والعلاج الناجح لكل ذلك من خلال أطعمة القرآن والرقية الشرعية والاستعاذة بالله، بحث خاص مقدم من مركز الأبحاث العلمية في مؤسسة الدكتور جميل القدسي الدويك لمؤتمر العلاج بالقرآن بين الدين والطب: ٣٧.

(٢) اكتشاف الآلية التي يؤثر بها قرين الإنسان من الشيطان عليه: ٣٧-٣٨، باختصار.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٠٤-١٠٥، وتفسير القرطبي: ٧/ ٢١٩.

أطلق يحمل على المعروف المعهود وهي أيامنا هذه، وقد جاء في الحديث أنها الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة[(١)]، فالجمعة منتهى خلق السماوات والأرض ومبتدئه الأحد، والسبت ليس فيه خلق لا ابتداء ولا انتهاء"[(٢)].

رابعًا: اعتقاد أن السماوات خلقت من غير مادة:

ومن المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية القول بأن السماوات خلقت من غير مادة، وبأن مادة السماوات ليست مبتدعة، مما يلزم عليه القول بقدم العالم[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: " فأما قول الدهرية: بأن السماوات لم تزل على ما هي عليه ولا تزال فهذا تكذيب صريح وكفر بين بما في القرآن وما اتفق عليه أهل الإيمان وعلموه بالاضطرار أن الرسل أخبروا به وكذلك قول الجهمية[(٤)]، أو من يقول: منهم إن السماوات والأرض خلقتا من غير

(١) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٤/ ٢١٤٩ برقم (٢٧٨٩).

(٢) تفسير القرآن الكريم - الحجرات إلى الحديد - للشيخ محمد بن عثيمين، دار الثريا، الرياض، ط ١: ٣٦٤.

(٣) انظر: جامع المسائل لابن تيمية، فصل في مؤاخذة ابن حزم في الإجماع، تحقيق: عزير شمس، دار عالم الفوائد، مكة، ط ١: ٣/ ٣٤٦-٣٤٧، ومنهاج السنة: ١/ ٣٦٠، ودرء التعارض: ٨/ ٢٨٧- ٢٩٠.

(٤) الجهمية: أصحاب الجهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله مسلم بن أحوز بمرو في آخر ملك بني أمية، ينفون الأسماء والصفات ويزعمون أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط. انظر: الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق: محمد فتح الله بدران، دار أضواء السلف، الرياض، ط١: ٣٦، والفرق بين الفرق لعبد القاهر بن قاهر البغدادي، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٢: ١٩٤.

مادة، ولا في مدة، وأنهما يفنيان أو يعدمان، أو أن الجنة تفنى أيضا: كل ذلك مخالف لنصوص القرآن"[(١)].

وهذا القول لم يقل به أحد من سلف الأمة، بل المتواتر عنهم أنهما خلقتا من مادة، وفي مدة، كما دل عليه القرآن[(٢)] قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[(٤)].

وقد ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»[(٥)].

وقد أخبر سبحانه أنه استوى إلى السماء وهي دخان، فقال لها وللأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[(٦)].

"وثبت عن غير واحد من الصحابة والتابعين وغيرهم من علماء المسلمين

(١) بيان تلبيس الجهمية: ١/ ١٥٩.
(٢) انظر: المرجع السابق: ١/ ١٥٢-١٥٤.
(٣) البقرة: ٢٩.
(٤) البقرة: ٢٩.
(٥) سبق تخريجه: ٢٣٠.
(٦) فصلت: ١١.

أنه خلق السماء من بخار الماء، ونحو ذلك من النقول التي يصدقها ما يخبر به أهل الكتاب عن التوراة وما عندهم من العلم الموروث عن الأنبياء. وشهادة أهل الكتاب الموافقة لما في القرآن أو السنة مقبولة"[(١)]، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[(٢)]، ونظائر ذلك في القرآن.

وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض»[(٣)]. وفي رواية: «ثم خلق السماوات والأرض»[(٤)].

خامسًا: اعتقاد التعب والإعياء لله بعد خلق السماوات والأرض:

ومن المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية زعم اليهود أن الله تعالى استراح يوم السبت، بعد خلقه السماوات والأرض - تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرا - فعن قتادة قال: قالت اليهود - عليهم لعائن الله -: خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، وهو يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة، فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه:

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٢: ٤/ ٢٣٤، وانظر: دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية، لعبد الله بن صالح الغصن، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١: ٢٧٢.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾: ٦١٣ برقم (٣١٩١)، بلفظ "ولم يكن شيء غيره".

(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾: ١٤١٣ برقم (٧٤١٨).

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ أي من إعياء ولا نصب ولا تعب، كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾[١]، وقال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[٢].

سادسًا: اعتقاد أن الله في جوف السماء:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية اعتقاد أن الله في جوف السماء، وأن قوله ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[٣] يقتضي أن يكون الله في جوف الأفلاك، ونحو ذلك، وظن أن هذه المعاني الفاسدة هي ظاهر القرآن، وأن مسماها ظاهره وحقيقته.

والجواب عن هذا أن السلف رحمهم الله لم يعتقدوا أن هذا المعنى الفاسد ظاهر هذه النصوص، ولا أنها تدل على ذلك.

"وقد أخبر الله ﷻ في القرآن أنه استوى على العرش، وأن كرسيه وسع السماوات والأرض، وأن الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، وأخبر بعلوه في غير موضع من كتابه، وهذه كلها نصوص تنفي أن تكون صفاته تشبه صفات خلقه، أو يكون حالا في المخلوقات، وأخبر بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٤]، وبقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[٥] ونحو ذلك أن يماثله العباد في صفاتهم، فتكون صفاته

(١) الأحقاف: ٣٣.
(٢) غافر: ٥٧.
(٣) الملك: ١٦.
(٤) الشورى: ١١.
(٥) الإخلاص: ٤.

كصفات خلقه"[١].

فهو سبحانه وتعالى قد قال في كتابه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾[٢].

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال للجارية: «أين الله؟، قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة»[٣].

قال مالك بن أنس رحمه الله: إن الله في السماء، وعلمه في كل مكان[٤].

وقيل لعبد الله بن المبارك رحمه الله: بماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سماواته على عرشه، بائن من خلقه[٥].

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله كما قال هذا وهذا[٦].

وعلى هذا فالمراد بفي"إما أن تكون بمعنى «على»، كما في قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾[٧] أي على جذوع النخل، وكقوله: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[٨] أي عليها، فالمعنى أأمنتم من على السماء.

---

(١) مسألة في تأويل الآيات وإمرار الصفات كما جاءت لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن جامع المسائل، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، مكة، ط ١: ٣/ ١٧٢-١٧٤.

(٢) الملك: ١٦-١٧.

(٣) سبق تخريجه: ٢٢٨.

(٤) كتاب السنة لعبد الله بن أحمد، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، دار عالم الكتب، الرياض، ط ٤: ١٠٧، ومسائل الإمام أحمد برواية أبي داود، تحقيق: طارق عوض الله، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ١: ٣٥٣ برقم (١٦٩٩).

(٥) الرد على الجهمية لأبي سعيد عثمان الدارمي، تحقيق: بدر البدر، دار ابن الأثير، الكويت، ط ٢: ٤٧ برقم (٦٧)، والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد: ١١١.

(٦) انظر: درء التعارض: ٢/ ٣٤.

(٧) طه: ٧١.

(٨) آل عمران: ١٣٧.

وإن كانت على بابها وهي الظرفية، فيكون المراد بالسماء العلو، فالله في العلو المطلق "[١].

سابعًا: تحريف مخاطبة الله للسماء وتحريف اتيانها وقولها:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية تحريف مخاطبة الله للسماء، وتحريف اتيانها وقولها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾[٢].

فقالوا في مخاطبة الله للسماء في قوله: ﴿فَقَالَ لَهَا﴾ قولان:

أحدهما: أنه قول تكلم به.

الثاني: أنها قدرة منه ظهرت لهما فقام مقام الكلام في بلوغ المراد[٣].

أما قول السماء فقيل فيه:

أنه ظهور الطاعة منهما حيث انقادا وأجابا فقام مقام قولهما.

وقيل أن هذا مجاز، وإنما المعنى أنها ظهر منها من اختيار الطاعة والخضوع والتذلل ما هو بمنزلة لقول ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[٤].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم، كتبها ورتبها: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم: ٨٥، ١١١، وانظر: بيان تلبيس الجهمية: ١/ ٥٥٨، وتقريب التدمرية للشيخ محمد بن عثيمين، دار الوطن، الرياض، ط عام ١٤٢٤: ٧١.

(٢) فصلت: ١١.

(٣) انظر: النكت والعيون لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت: ٥/ ١٧٢، وتفسير القرطبي: ١٥/ ٣٤٤

(٤) انظر: المرجع السابق: ٥/ ١٧٢-١٧٣، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرون، وزارة الأوقاف القطرية، الدوحة، ط ٢: ٧/ ٤٦٨.

وقيل: بل خلق الله فيهما الكلام فتكلمتا كما أراد تعالى[(١)].

ومنهم من جعل قول السماء هو الموجات الصوتية التي حدثت عند انفجار الكون، أو أنه ذبذبات كونية هادئة[(٢)].

"بل إنهم يصورن ذلك في رسوم بيانية، ويزعمون من خلال تحليل العلماء لهذه الذبذبات أن الكون كان هادئًا ومطيعًا، وانه يوافق قول الله تعالى عن السماء في بداية الخلق"[(٣)]: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾[(٤)].

والجواب أن هذه التأويلات والتحريفات باطلة؛ فإن الله ﷻ قادر على مخاطبة الجمادات[(٥)]، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[(٦)].

وما في نطق السماء من العجب؟" واللّه تبارك وتعالى ينطق الجلود، والأيدي، والأرجل، ويسخّر الجبال والطير، بالتّسبيح. قال تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾[(٧)]، وقال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾[(٨)]، أي سبّحن معه، وقال: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[(٩)]. "[(١٠)].

---

(١) تفسير القرطبي: ١٥/ ٣٤٤.
(٢) أسرار الكون بين العلم والقرآن: ٣، ٢٩.
(٣) المرجع السابق: ٣١.
(٤) فصلت: ١١.
(٥) انظر: مبحث عبودية الكائنات: ٧١.
(٦) الأحزاب: ٧٢.
(٧) ص: ١٩.
(٨) سبأ: ١٠.
(٩) الإسراء: ٤٤.
(١٠) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة،
=

وهذا القول لا شيء يدفعه، والعبرة به أتم والقدرة فيه أظهر[(١)].

كما أن الله ﷻ خاطبهما خطاب من يعقل، وذكر جوابهما، وكان الجواب لجمع العقلاء فقال: ﴿طَآئِعِينَ﴾، ولم يقل طائعتين على اللفظ، ولا طائعات على المعنى، لأنهما سماوات وأرضون، لأنه أخبر عنهما وعمن فيهما، ولما وصفهن بالقول والإجابة وذلك من صفات من يعقل أجراهما في الكناية مجرى من يعقل[(٢)].

أما الإتيان فإن معناه عندهم غير مراد" لأن السماء والأرض لا يتصور أن يأتيا، ولا يتصور منهما طواعية أو كراهية إذ ليستا من أهل العقول والإدراكات، ولا يتصور أن الله يكرههما على ذلك لأنه يقتضي خروجهما عن قدرته"[(٣)].

وفيه قولان:

"أحدهما: أنه قال ذلك قبل خلقها، ويكون معنى ائتيا أي كونا فكانتا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾[(٤)].

الثاني: قول الجمهور أنه قال ذلك لهما بعد خلقهما.

فعلى هذا يكون في معناها أربع تأويلات:

أحدها: معناه أعطيا الطاعة في السير المقدر لكما طوعًا أو كرهًا أي اختيارًا أو إجبارًا.

= ط ٢: ١١٣.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٧/ ٤٦٨.

(٢) تفسير القرطبي: ١٥/ ٣٤٤، وانظر: شرح الأربعين النووية لابن عثيمين، دار الثريا، الرياض، ط١: ٥١.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٤/ ٢٤٦-٢٤٧.

(٤) النحل: ٤٠.

الثاني: ائتيا عبادتي ومعرفتي طوعًا أو كرهًا باختيار أو غير اختيار.

الثالث: ائتيا بما فيكما طوعًا أو كرهًا.

الرابع: كونا كما أمرت من شدة ولين، وحزن وسهل ومنيع وممكن"(١).

ونقول - كما سبق - أن الله على كل شيء قدير، قال ابن عباس ﵄ في معنى ذلك: "قال الله ﷻ: أما أنت يا سماء فأطلعي شمسك وقمرك ونجومك، وأنت يا أرض فشقي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك، وقال لهما: افعلا ما آمركما طوعا وإلا ألجأتكما إلى ذلك حتى تفعلاه كرها فأجابتا بالطوع"(٢).

ثامنًا: تحريف معنى تسبيح السماوات:

ومن المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية تحريف معنى تسبيح السماوات، وحمله" على معنى الانقياد والتسخير الذى يصدر عن طواعية على سبيل الاستعارة بالكناية"(٣)، أو أن تسبيحها هو"ما يظهر فيه من لطيف صنعة الله وبديع قدرته الذي يعجز الخلق عن مثله فيوجب ذلك على من رآه تسبيح الله وتقديسه"(٤).

وقد سبق الكلام على هذه المسألة في مبحث عبودية الكائنات(٥)، وأن السماء تسبح تسبيحًا حقيقيًا، الله أعلم بكيفيته، وأن هذا التسبيح زائد على ما

(١) النكت والعيون: ٥/ ١٧٢-١٧٣، ومفاتيح الغيب: ٢٧/ ٥٥٧-٥٥٨، وتفسير القرطبي: ١٥/ ٣٤٣-٣٤٤.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١٥/ ٣٤٣-٣٤٤، وتفسير البغوي: ٤/ ٥٩.

(٣) من بلاغة القرآن في التعبير بالغدو والآصال والعشي والإبكار، إعداد: الدكتور محمد محمد عبد العليم دسوقي: ٤٧، ٧١.

(٤) النكت والعيون: ٣/ ٢٤٥.

(٥) انظر: ٧١.

فيها من الدلالة[١]، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[٢].

تاسعًا: تحريف معنى بكاء السماء:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية تحريف معنى بكاء السماء، وأن المراد بذلك أنه" عمت مصيبته الأشياء حتى بكته السماء والأرض والريح والبرق، وبكته الليالي الشاتيات... وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه"...

أو أن"في الكلام إضمار، أي ما بكى عليهم أهل السماء والأرض من الملائكة".

وفي كيفية بكاء السماء ثلاثة أوجه: أحدها أنه كالمعروف من بكاء الحيوان.

وقيل: بكاؤهما حمرة أطرافها.

وقيل: بكاؤها أمارة تظهر منها تدل على أسف وحزن[٣].

ومن المخالفات أيضًا اعتقادهم أن بكاء السماء ناتج عن ولادة الكون، كما يقوله البروفيسور ويتل في خبر علمي: "يمكننا سماع البكاء الناتج عن ولادة الكون"[٤].

ثم يقول صاحب الكتاب: "وهذا الخبر العلمي يعطي إمكانية حدوث الصوت والبكاء وغير ذلك مما لم نكن نفهمه من قبل. وهذا يؤكد أن كل

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٢/٤٠٦.

(٢) الإسراء: ٤٤.

(٣) انظر هذه الأقوال في: تفسير القرطبي: ١٦/١٣٩-١٤١، وتفسير ابن كثير: ٧/٢٥٣-٢٥٤.

(٤) نقلا عن: أسرار الكون بين العلم والقرآن: ٣١.

كلمة في القرآن هي الحق، بل لماذا لا يكون هذا الصوت الكوني هو امتثال لأمر الله تعالى؟"(١).

والصواب أنها تبكي بكاء حقيقيا إذ لا استحالة في ذلك، وإذا كانت السماوات والأرض تسبح وتسمع وتتكلم فكذلك تبكي، مع ما جاء من الخبر في ذلك(٢).

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: إن السماء والأرض يبكيان على المؤمن أربعين صباحا. قال أبو يحيى: فعجبت من قوله فقال: أتعجب! وما للأرض لا تبكي على عبد يعمرها بالركوع والسجود! وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل!. وقال علي وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنه يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء(٣).

عاشرًا: إنكار معرفة ارتفاع السماء عن الأرض:

ومن المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية إنكار معرفة ارتفاع السماء عن الأرض، "فلم يعرف الإنسان مقدار ارتفاع السماء إلا بعد كشف العلم عن مواقع بعض النجوم، فعرفنا أن السماء مرتفعة، وليست قريبة كما يظن النظر المجرد"(٤).

وهذا مخالف لقول النبي ﷺ الذي أخبر فيه أن ارتفاع السماء مسيرة خمسمائة سنة، فعن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال:

(١) المرجع السابق: ٣١.
(٢) تفسير القرطبي: ١٦/ ١٣٩-١٤١.
(٣) تفسير ابن كثير: ٧/ ٢٥٣-٢٥٤.
(٤) توحيد الخالق: ٢٨٠.

«بينهما مسيرة خمسمائة سنة»[(١)].

الحادي عشر: بعض الأدعية والأقوال المخالفة:

ومن المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - السماء - ذكر بعض الأدعية والأقوال المخالفة، منها:

١- من ذلك الدعاء بقول: «اللهم بقدرتك التي قدرت بها أن تقول بها للسماوات والأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا، قالتا أتينا طائعين، افعل كذا وكذا».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: " هذه المسألة مبنية على مسألة كلام الله، ونحو ذلك من صفاته، هل هي قديمة لازمة لذاته لا يتعلق شيء منها بفعله وبمشيئته ولا قدرته؟ أو يقال: إنه يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء، وإنها مع ذلك صفات فعليه؟ وهذا فيه قولان لأصحابنا وغيرهم من أهل السنة. "[(٢)]

ثم بين رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذا القول هو مذهب الكلابية[(٣)]، أما أهل السنة فلا يقال

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٣/ ٢٩٢ برقم (١٧٧٠)، وسنن أبي داود في كتاب السنة، باب في الجهمية: ٥١٤-٥١٥ برقم (٤٧٢٣)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحاقة: ٥٢٦ برقم (٣٣٢٠) وقال: هذا حديث حسن غريب، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٢٨٨، ٤١٢، ٥٠٠، ٥٠١، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال في موضع آخر: هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ورواه غيرهم. انظر: مجموع الفتاوى: ٣/ ١٩١-١٩٢، وتهذيب السنن لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت: ٧/ ٩٤، وتفسير ابن كثير: ٤/ ٤٢٩، وتخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب لفريح بن صالح البهلال، دار الأثر، ط ١: ١٤٠-١٤٥.

(٢) مجموع الفتاوى: ٨/ ٣٨٤.

(٣) الكلابية: من الفرق الكلامية، ظهرت نهاية القرن الثاني، وهم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلَّاب وهم ينفون الصفات ويقولون أن الإيمان المعرفة بالقلب والإقرار باللسان.
انظر: كتاب أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر البغدادي، دار صادر، بيروت، ط١: ٢٤٩، ومجموع الفتاوى: ١٢/ ١٧٨، ومختصر الصواعق المرسلة: ٢/ ٤٢٦، ٤٥٠، وسير أعلام النبلاء: ٥/ ٧٧، والفصل في الملل والنحل: ٥/ ٧٧، والملل والنحل ١١/ ٩٣.

عندهم قدر أن يتكلم، أو يقول[١]، وقالوا لم يزل الله متكلمًا إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وكما شاء[٢].

٢- ذكر أحوال خاصة للسماء عند دعاء المكروب:

عن أنس ﵁ قال: «كان رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار يكني أبا معلق، وكان يتجر بمال له ولغيره يضرب به في الآفاق، وكان ناسكا ورعا.

فخرج مرة فلقيه لص مقنع بالسلاح فقال له: ضع ما معك فإني قاتلك.

قال: ما تريد إلا دمي؟ شأنك بالمال.

قال: أما المال فلي فلست أريد إلا دمك.

قال: أما إذا أبيت فذرني أصلي أربع ركعات.

قال: صل ما بدا لك.

فتوضأ ثم صلى أربع ركعات وكان من دعائه في آخر سجدة أنه قال: يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما تريد، أسألك بعزك الذي لا يرام، والملك الذي لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص، يا مغيث أغثني ثلاث مرات، قال: دعا بها ثلاث مرات.

فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة. واضعها بين أذني فرسه، فلما أبصر به اللص: أقبل نحوه فطعنه فقتله.

ثم أقبل إليه، فقال: قم، قال: من أنت بأبي أنت وأمي؟ فقد أغاثني الله تعالى بك اليوم.

قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة.

(١) المرجع السابق: ١٧/ ٥٥.
(٢) المرجع السابق: ١٧/ ١٦٦.

دعوت الله بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء قعقعة.

ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لأهل السماء ضجيجا.

ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل: دعاء مكروب.

فسألت الله عز و جل أن يوليني قتله.

قال أنس: فاعلم أنه من توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروبا كان أم غير مكروب»[١].

٣- عدالة السماء:

قال الشيخ بكر أبو زيد[٢] رحمه الله: "هذا تعبير حادث في عصرنا، يريدون به: عدل الله - سبحانه - على معنى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٣].

فالمراد إن كان كما ذكر فهو حق، والتعبير غير سديد، بل هو قريب من إطلاقات الكلاميين التي لم يأت بها كتاب ولا سنة، كما في قولهم: "قوة خفية" فليجتنب[٤].

وسئل الشيخ بن عثيمين رحمه الله عن حكم مقولة: "عدالة السماء، ونور السماء" وما أشبه ذلك؟:

---

(١) كرامات أولياء الله لأبي القاسم هبة الله اللالكائي: ٩/ ١٦٦، وقال محقق الكتاب: سنده ضعيف، فيه ثلاثة أشخاص لم أجد تراجمهم. وذكر القصة ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة: ط ١: ١٢/ ٦١٥.

(٢) هو بكر بن عبد الله أبو زيد، كان رئيسًا للمجمع الفقه الإسلامي، وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، وله مشاركة في التأليف في: الحديث والفقه واللغة والمعارف العامة، منها: المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل، والحدود والتعزيرات، والجناية على النفس وما دونها، وغيرها. توفي عام ١٤٢٩. انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: ١/ ١٥.

(٣) الكهف: ٤٩.

(٤) معجم المناهي للشيخ بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط٣: ٣٨٣.

فأجاب: "هم يريدون بنور السماء وهداية السماء نور الله ﷻ؛ لأنه في السماء، ولكن الأفضل أن يعدلوا عن هذه الكلمات، وأن يقولوا: نور الله وهداية الله، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها»[(١)]، قال: «كان الذي في السماء» فإطلاق مثل هذه العبارات يجب على الإنسان التوقف فيها، وأن يقال: الأفضل أن تضيفوا الشيء إلى من هو له حقيقة؛ لأن مجرد السماء ليس فيها هداية وليس فيها نور وإنما هو نور الله ﷻ وهداية الله"[(٢)].

٤- كراهة النظر إلى السماء:

زعمًا منهم أن ذلك يدل على تحيز الله ﷻ، وأن" هذا الأدب مطلوب من كل الناس، وإن كان الحق تعالى لا يتحيز ولا تأخذه الجهات"[(٣)]، وزعم بعض الزهاد أنه لا ينبغي النظر إلى السماء تخشعًا وتذلًا[(٤)].

وقد استدلوا بنهي النبي ﷺ عن رفع البصر في الصلاة[(٥)]، فقالوا: «أقرب ما يكون العبد إلى ربه في الصلاة، ونهي الرسول عليه الصلاة والسلام رفع البصر إلى السماء يدل على أن القرب من الله ليس بالتوجه إلى السماء، وهذا يدل على عدم التحيز والمكان، فلو كان الله في السماء لكان أولى التوجه في

(١) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها: ٢/ ١٠٥٩ برقم (١٤٣٦).

(٢) لقاء الباب المفتوح للشيخ محمد بن عثيمين، دار الوطن، الرياض: ٨١/ ٢٩.

(٣) العهود المحمدية لعبد الوهاب الشعراني: ٦٨٨.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد: ٩/ ٣٦٠، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، ضبطه: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١: ٢٢/ ٣٤٣.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب النهى عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة: ٢/ ٢٩ برقم (٩٩٤، ٩٩٥).

البصر إلى حيث الله، ولما نهى الرسول عن ذلك...دل على عدم تحيز الله ووجوده في مكان»[١].

وقد وردت السنة الصحيحة برد ذلك، وقد بوب البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه بقوله: باب رفع البصر إلى السماء[٢]، وذكر بعض الأحاديث والتي فيها رفع النبي بصره إلى السماء، وفي هذا رد على من كره ذلك[٣].

---

(١) سليم الحشيم، منتدى الأصلين - على شبكة الانترنت (وهو منتدى أشعري). http: //www.aslein.net/showthread.php?t=8172.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رفع البصر إلى السماء: ١١٩٦، برقم (٦٢١٤، ٦٢١٥).

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٩/٣٦١، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٢/٣٤٣.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- اعتقاد أن السماوات تدور على منكب ملَك:

جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: "من أين جئت؟ قال: من الشام. قال: من لَقيتَ؟ قال: لقيتُ كعبًا. فقال: ما حدثك كعب؟ قال: حدثني أن السماوات تدور على منكب ملك. قال: فصدقته أو كذبته؟ قال: ما صدقته ولا كذبته. قال: لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورحلها، كذب كعب، إن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾[(١)]".

وذهب جُندَب البجلي إلى كعب الأحبار فقدم عليه، ثم رجع، فقال له عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "حدثنا ما حدثك. فقال: حدثني أن السماء في قطب كقطب الرحا، والقطب عمود على منكب ملك. قال عبد الله رضي الله عنه: لوددت أنك افتديت رحلتك بمثل راحلتك، ثم قال: ما تنتكت[(٢)] اليهودية في قلب عبد فكادت أن تفارقه، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ كفى بها زوالا أن تدور"[(٣)].

---

(١) فاطر: ٤١.
(٢) النكت: أن تنكت بقضيب في الأرض فتؤثر بطرفه فيها. انظر: لسان العرب: ١٠/ ٨٣.
(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره: ٢٢/ ١٧١، قال ابن كثير في تفسيره ٦/ ٥٥٨: وهذا إسناد صحيح إلى كعب، وإلى ابن مسعود.

٢- إمساك السماء والأرض:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن موسى عليه السلام على المنبر قال: «وقع في نفس موسى عليه السلام: هل ينام الله عز وجل؟ فأرسل الله إليه ملكا، فأرقه ثلاثا، وأعطاه قارورتين، في كل يد قارورة، وأمره أن يحتفظ بهما. قال: فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان، ثم يستيقظ فيحبس إحداهما عن الأخرى، حتى نام نومه، فاصطفقت يداه فتكسرت القارورتان. قال: ضرب الله له مثلًا إن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض»(١).

٣- ماذا يحدث لو عصت السماوات والأرض:

روي عن موسى - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: «يا رب لو أن السموات والأرض حين قلت لهما ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ عصياك ما كنت صانعا بهما؟ قال كنت آمر دابة من دوابي فتبتلعهما، قال: يا رب وأين تلك الدابة؟ قال: في مرج من مروجي، قال: يا رب وأين ذلك المرج؟ قال علم من علمي»(٢).

و قد دلت الآية على خلافه لأن الله سبحانه أمرهما أن يأتيا طوعا أو كرها فكيف تعصيانه؟ وإن عصته كيف لا تأتيان كرها؟ فإنما أمره إن أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم: ١٠/ ٣١٨٦، والطبري في تفسيره: ٥/ ٣٩٤، وأبو يعلى في مسنده، تحقيق حسين أسد، دار الثقافة العربية، دمشق، ط ١: ١٢/ ٢١، قال ابن كثير: وهذا حديث غريب جدا، والأظهر أنه إسرائيلي لا مرفوع. وقال في موضع أخر: "حديثًا غريبًا بل منكرا". انظر تفسير ابن كثير: ١/ ٦٧٩، ٣/ ٥٥٨.

(٢) انظر: الكشف والبيان، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١: ٨/ ٢٨٧، وتفسير القرطبي: ١٥/ ٣٤٤، ولم يذكرا له سندًا، وإنما قال الثعلبي بلغنا، ولم أعثر عليه في كتب السنة.

٤- ذكر ملائكة السماء ووصفهم بأوصاف لم ترد في الكتاب والسنة:

قد ورد في بعض الكتب وصف لملائكة كل سماء[١]، من الأوصاف التي لم تذكر في القرآن، ولم تصح عن النبي ﷺ، فيجب تركها واطراحها وعدم الخوض في علم الغيب إلا بما جاء عن الله ورسوله[٢].

فعن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم قال: كان العباس بن أنس بن عامر السلمي شريكا لعبد الله بن عبد المطلب أبي رسول الله ﷺ، قال: فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا عباس، إن الذي أنزل علي الوحي أرسلني إلى الناس كافة، بلسان عربي مبين، من فوق سبع شداد إلى سبع غلاظ، يتنزل الأمر بينهن إلى كل مخلوق بما قضي عليهم من زيادة أو نقصان، فقال العباس: وكيف خلق الله سبعا شداد وسبعا غلاظا؟ ولم خلقهن؟ فقال رسول الله ﷺ: خلق الله سبحانه وتعالى السماء الدنيا فجعلها سقفًا مخفوظًا، وجعل فيها حرسا شديدا وشهبا، ساكنها من الملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، في صورة البقر مثل عدد النجوم، شرابهم النور والتسبيح، لا يفترون من التهليل والتكبير.

وأما السماء الثانية فساكنها عداد القطر في صور العقبان، لا يسأمون ولا يفترون ولا ينامون، منها ينشق السحاب حتى يخرج من تحت الخافقين فينتشر في جو السماء، معه ملائكة يصرفونه حيث أمروا به، أصواتهم التسبيح، وتسبيحهم تخويف.

وأما السماء الثالثة فساكنها عدد الرمل في صور الناس، ملائكة ينفخون في البروج كنفخ الريح، يجأرون إلى الله تبارك وتعالى الليل والنهار، وكأنما يرون ما يوعدون.

---

(١) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: ٣٩٨.

(٢) انظر: عالم الملائكة الأبرار لعمر الأشقر، دار النفائس، ط ١٢: ٩.

وأما السماء الرابعة فإنه يدخلها كل ليلة حتى يخرج إلى عدن، ساكنها عدد ألوان الشجر صافون مناكبهم معا، في صور الحور العين، من بين راكع وساجد، تبرق وجوههم بسبحات ما بين السموات السبع والأرض السابعة.

وأما السماء الخامسة فإن عددها يضعف على سائر الخلق في صورة النسور، منهم الكرام البررة، والعلماء السفرة، إذا كبروا اهتز العرش من مخافتهم وصعق الملائكة، يملأ جناح أحدهم ما بين السماء والأرض.

وأما السماء السادسة فحزب الله الغالب، وجنده الأعظم، لو أمر أحدهم أن يحذف السموات والأرض بأحد جناحيه اقتلعهن، في صورة الخيل المسومة.

وأما السماء السابعة ففيها الملائكة المقربون، الذين يرفعون الأعمال في بطون الصحف، ويخفضون الميزان، فوقها حملة العرش الكروبيون، كل مفصل من أحدهم أربعون ألف سنة، أو قال أربعون سنة، فتبارك الله رب العالمين ديان الدين خالق الخلق رب العالمين"(١).

٥- إبليس كان يدبر أمر السماء الدنيا:

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان إبليس من خزان الجنة، وكان يدبر أمر السماء الدنيا»(٢).

---

(١) كتاب العظمة: ٣/ ١٠٥٥ برقم (٥٧٢)، وذكره الكتاني في الأحاديث الموضوعة، انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة لعلى بن محمد بن العراق الكتاني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢: ١/ ٢١٣.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي: ١/ ٤١٩ برقم (١٤٥)، قال ابن كثير في تفسيره ٥/ ١٦٨ بعد أن ساق بعض الآثار عن الأخبار المتعلقة إبليس - ومنها هذا الخبر: "وقد رُوي في هذا آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها. ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا".

المبحث الثاني: الشمس

الشمس في اللغة: الشين والميم والسين أصل يدل على تلوُّن وقلة استقرار، والشمس معروفة، وسميت بذلك لأنها غير مستقرة، وهي أبدًا متحركة[(١)].

وهي تجمع على شُمُوس، كأنهم جعلوا كل ناحية منها شَمْسًا، كما قالوا للَمفْرِق مَفارق، وتصغيرها شُمَيْسِة[(٢)].

وفي الاصطلاح: كرة هائلة من الغاز المتوهج في وسط المجموعة الشمسية، وهي واحدة من بلايين النجوم في الكون، لا تتميز عنها بشيء[(٣)].

وفي الموسوعة الفلكية: هي الجسم المركزي في المجموعة الشمسية، وهي عبارة عن كرة مشعة، فتبدو لنا كقرص مضيئ مستدير وواضح التحديد[(٤)].

وقد ورد لفظ الشمس في القرآن في (٣٢) موضعًا[(٥)]. وفي السنة في (٨٧) حديثًا[(٦)].

---

(١) مقاييس اللغة: ٣/ ٢١٢.
(٢) الصحاح: ٣/ ٩٤٠.
(٣) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ١٤/ ٢٤٦.
(٤) الموسوعة الفلكية: ٢٣٦.
(٥) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٤٩١-٤٩٢.
(٦) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٧.

الدلائل العقدية للآية الكونية - الشمس -:

الشمس آية كبرى ودلالة عظمى من آيات الله تعالى، وشروقها وغروبها بنظام لا تحيد عنه منذ خلقها الله ﷻ دليل على قدرة الله وعلمه وحكمته.

ولما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصولًا متعلقة بالكواكب والشمس وما فيها من الحكم والمنافع، وأن الله ﷻ "لم يقسم بشيء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر"[(١)].

قال: "وهل هذا إلا صنع من بهرت العقول حكمته، وشهدت مصنوعاته ومبتدعاته بأنه الخالق البارئ المصور الذي ليس كمثله شيء، أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل ما صنعه، وأنه العليم الحكيم، الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأن هذه إحدى آياته الدالة عليه، وعجائب مصنوعاته الموصلة للأفكار إذا سافرت فيها إليه، وأنه خلق مسخر مربوب مدبر".

ثم قال: "فهذا الترتيب والنظام الذي هي عليه من أدل الدلائل على وجود الخالق وقدرته وإرادته وعلمه وحكمته ووحدانيته"[(٢)].

أولًا: وجود الله:

أخبر الله ﷻ عن محاجة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للنمرود في وجود الله، وكان النمرود ينكر وجود الله ﷻ، وأن يكون ثم إله غيره، وأنه يحي ويميت، فاستدل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على وجود الله، وأنه المالك المتصرف المستحق للعبادة وحده - بعد الاستدلال بأن الله يحي ويميت - بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ

(١) مفتاح دار السعادة: ١/٣٠٣-٣٠٤.

(٢) المرجع السابق: ١/٣٢٦.

مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١).

فحدوث هذه الأشياء المشاهدة وإيجادها بعد العدم، وعدمها بعد الوجود دليل على وجود الله؛ لأنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب، فإذا " كنت كما تدعي من أنك أنت الذي تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود، في خلق ذواته، وتسخير كواكبه وحركاته، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلهًا كما ادعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب.

فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت أي أخرس فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة "(٢).

وفي " ضمن هذه المناظرة من حسن الاستدلال بأفعال الرب المشهودة المحسوسة التي تستلزم وجوده وكمال قدرته ومشيئته وعلمه ووحدانيته من الإحياء والإماتة المشهودين الذين لا يقدر عليهما إلا الله وحده، وإتيانه تعالى بالشمس من المشرق لا يقدر أحد سواه على ذلك "(٣).

وقد ذكر الله ﷻ من الأدلة على وجوده وقدرته التامة خلق الشمس وجريانها(٤)، فقال تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾(٥).

وفي قوله ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله»(٦)، " أي دليلان

(١) البقرة: ٢٥٨.
(٢) تفسير ابن كثير: ١/ ٦٨٦، وانظر: تفسير السعدي: ١١١.
(٣) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٨٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/ ٩، وتفسير القرطبي: ١٥/ ٢٦، تفسير ابن كثير: ٦/ ٥٧٥.
(٥) يس: ٣٧-٣٨.
(٦) سبق تخريجه: ٨.

على وجود الحق سبحانه، وقهره، وكمال الإلهية"[(١)].

ثانيًا: توحيد الربوبية:

الرب هو الخالق المدبر المتصرف، والله ﷻ يخبر أنه رب السماوات والأرض وما بينهما، ومن ذلك الشمس[(٢)]، قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٣٣﴾[(٤)]، وقال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦﴾[(٥)].

وهي مدبرة مسخرة "لا تصرف لها في نفسها بوجه ما، بل ربها وخالقها سبحانه يأتي بها من مشرقها فتنقاد لأمره ومشيئته، فهي مربوبة مسخرة مدبرة لا إله يعبد من دون الله"[(٦)]، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٧)].

ثالثًا: توحيد الأسماء والصفات:

١- صفة العلم والقدرة:

أخبر الله ﷻ عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه، - ومنها الشمس - فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأحمد بن علي القرطبي، تحقيق: محي الدين مستو وآخرون، دار ابن كثير، بيروت، ط ١: ٢/ ٥٥٢.
(٢) انظر: تفسير البغوي: ٣/ ٦٥٤، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٤٢٦، ٧/ ٨٦.
(٣) الصافات: ٥.
(٤) الأنبياء: ٣٣.
(٥) نوح: ١٥-١٦.
(٦) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٨٥.
(٧) الأعراف: ٥٤.

نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾(٣).

ففي هذه الآيات "ينبه تعالى عباده على آياته العظام، ومننه الجسام، في تسخيره الليل والنهار يتعاقبان، والشمس والقمر يدوران، والنجوم الثوابت والسيارات، في أرجاء السماوات نورا وضياء"(٤)، وأن ذلك استقام للناس "بجعل الله حركات الشمس والقمر على نظام واحد لا يختلف، وذلك من أعظم دلائل علم الله وقدرته، وهذا بحسب ما يظهر للناس منه ولو اطلعوا على أسرار ذلك النظام البديع لكانت العبرة به أعظم"(٥).

وقوله ﷺ في الحديث عن الشمس والقمر أنهما: «آيتان من آيات الله»(٦)، أي علامتان دالتان على وحدانية الله وعظيم قدرته(٧).

٢- صفة الرؤية والعلو:

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن المؤمنين يرون الله تبارك وتعالى

(١) يونس: ٥.
(٢) النحل: ١٢.
(٣) يس: ٣٨-٤٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٦١.
(٥) التحرير والتنوير: ٦/ ٣٧٨.
(٦) سبق تخريجه: ٨.
(٧) فتح الباري: ٢/ ٥٢٨.

بأبصارهم يوم القيامة[(١)]، وأنهم يرونه ﷻ كما يرون الشمس والقمر صحوًا ليس دونها سحاب، - من جهة العلو - فعن أبي هريرة ﵁: أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله، قال فهل تضارون[(٢)] في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله، قال فإنكم ترونه كذلك»[(٣)].

وعن أبي سعيد الخدري ﵁: «أن ناسا في زمن رسول الله قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله نعم، قال هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله، قال ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما»[(٤)].

---

(١) انظر: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ لأبي بكر بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: د. عبد العزيز الشهوان، دار الرشد، الرياض، ط ١: ١/ ٢٥٤، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للألكائي، تحقيق: أحمد الحمدان، دار طيبة، الرياض: ٣/ ٣٨٧، ٤٧٠، والحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني، تحقيق: محمد المدخلي ومحمد أبو رحيم، دار الراية، الرياض، ط ٢: ٢/ ١١٧، ٢٥١.

(٢) "وفي الرواية الأخرى هل تضامون؟، وروى تضارون بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيهما، ومعنى المشدد هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية أو غيرها لخفائه كما تفعلون أول ليلة من الشهر، ومعنى المخفف هل يلحقكم في رؤيته ضير وهو الضرر، وروى أيضا تضامون بتشديد الميم وتخفيفها، فمن شددها فتح التاء ومن خففها ضم التاء، ومعنى المشدد هل تتضامون وتتلطفون في التوصل إلى رؤيته، ومعنى المخفف هل يلحقكم ضيم وهو المشقة والتعب". شرح النووي على مسلم: ٣/ ١٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾: ١٤١٦ برقم (٧٤٣٧).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية: ١/ ١٦٧ برقم (١٨٣).

وليس المراد من الأحاديث تشبيه الله بالقمر والشمس - تعالى الله - بل المراد تشبيه الرؤية بالرؤية، وليس تشبيهًا للمرئي بالمرئي، فالله ليس له مثيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(١)، سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾(٢).

ومع إخباره ﷺ أنهم يرونه، فيه إخبارهم أنهم يرونه في جهة منهم - وهي العلو - وذلك من وجوه:

"أحدها: أن الرؤية في لغتهم لا تعرف إلا لرؤية ما يكون في جهة منهم، فأما رؤية ما ليس في جهة فلم يكونوا يتصورونه، فضلا عن أن يكون اللفظ دالًا عليه، بل لا يتصور أحد من الناس وجود موجود في غير جهة.

الثاني: أنه قال: «فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس صحوًا، وكما ترون القمر صحوًا»، فشبه لهم رؤيته برؤية الشمس والقمر، وهما يريان من جهة العلو.

الثالث: أنه قال: «هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليس دونه سحاب؟».

فشبه رؤيته برؤية أظهر المرئيات، إذا لم يكن ثم حجاب منفصل عن الرائي يحول بينه وبين المرئي"(٣).

رابعًا: توحيد الألوهية:

الله ﷻ يستدل على المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية، وأنه المستقل بخلق السماوات والأرض، وتسخير الشمس والقمر على وجوب إفراده

---

(١) الشورى: ١١.
(٢) مريم: ٦٥.
(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، ٢/ ١٥٤، وانظر: بيان تلبيس الجهمية: ٢/ ٤٠٩-٤١٥.

بالعبادة[(١)]، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾[(٢)].

فالمشركون - الذين يعبدون مع الله غيره - معترفون أنه المستقل بخلق السماوات والأرض والشمس والقمر "فإذا كان الأمر كذلك فلم يُعبد غيره؟ ولم يتوكل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته، وكثيرًا ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية"[(٣)].

والإيمان بأن الله هو الخالق المالك المتصرف، والتفكر في ملكوته - ومنه الشمس - يستلزم وجوب إفراد الله بالعبادة، كما أخبر الله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام في مناظرته لقومه: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾[(٤)]؛ لأن التأمل والتفكر في ملكوت السماوات والأرض وتصريفهما وغير ذلك مما أخبر الله عنه "يدل على وحدانية الله في ملكه وخلقه، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه"[(٥)].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾[(٦)]، فالله ﷻ يظهر هذه الآيات ليستدل بها على أنه الحق، وأن كل ما

---

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط عام ١٤١٥: ٦/ ٦٧٣.
(٢) العنكبوت: ٦١.
(٣) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٩٤، وانظر: تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٦١.
(٤) الأنعام: ٧٥.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٩٠، وانظر: تفسير السعدي: ٢٦٢.
(٦) لقمان: ٢٩-٣٠.

سواه باطل، وأنه القادر على هذه الأشياء وحده، فكل ما في السماوات والأرض خلقه وعبيده، فوجب أن تكون العبادة له وحده لا إله إلا هو[(١)].

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾﴾[(٢)].

فلما ذكر الله ﷻ الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر، والتي تقطع الفلك وتسير إلى غاية لا يعلم قدرها إلا الذي قدرها وسخرها وسيرها، قال بعد ذلك: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ﴾، فالذي "يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس، الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو الله ربكم"[(٣)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾[(٤)].

فهذا استدلال واعتبار" بخلق الله تعالى وعجائب مصنوعاته المشاهدة، على انفراده تعالى بالإلهية المستلزم لانتفاء الإلهية عما لا تقدر على مثل هذا الصنع العجيب، فلا يحق لها أن تعبد ولا أن تشرك مع الله تعالى في العبادة إذ لا حق لها في الإلهية"[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١٤/ ٧٩، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٣٥٠.
(٢) فاطر: ١٣-١٤.
(٣) تفسير الطبري: ٢٢/ ١٤٨.
(٤) الأنعام: ٩٥-٩٦.
(٥) التحرير والتنوير: ٦/ ٣٧٨، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٠٤.

كما أخبر تعالى" أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها"[(١)] - ومن ذلك الشمس -، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ الآية[(٢)].

وعن أبي ذر، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدري أين تذهب هذه الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب فتسجد تحت العرش، ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت»[(٣)].

١- بعض أنواع العبادة القلبية، ومنها:

أ- اليقين والإخلاص:

إن رؤية الآيات - ومنها الشمس - والتفكر فيها يزيد القلب يقينًا وإيمانًا، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾[(٤)] أي"نريه ملكوت السماوات والأرض، ليستدل به وليكون من الموقنين"[(٥)].

ثم ذكر الله عز وجل قول إبراهيم عليه السلام بعد غياب الشمس، وأنه تبرأ من الشرك، وأنه وجه وجهه لله عز وجل، مخلصًا له، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨﴾[(٦)].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥/ ٤٠٣.
(٢) الحج: ١٨.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان: ١/ ١٣٨ برقم (١٥٩).
(٤) الأنعام: ٧٥.
(٥) تفسير البغوي: ٢/ ٣٦.
(٦) الأنعام: ٧٨.

وفي حديث الكسوف حث النبي ﷺ عند رؤية هذه الآية إلى الإخلاص لله تعالى، حيث أمر بالمبادرة بالعبادة لله تعالى[(١)].

ب- التوكل:

لما ذكر الله ﷻ أنه رب المشرق والمغرب بين سبحانه أنه الإله الحق، وأنه هو الذي يجب أن يتخذ وكيلا، قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾[(٢)]، فهو "المالك المتصرف في المشارق والمغارب الذي لا إله إلا هو، وكما أفردته بالعبادة فأفرده بالتوكل"[(٣)].

٢- القسم:

أقسم الله ﷻ بالشمس ومشرقها في مواضع من كتابه على أنه تعالى لا إله إلا هو، وعلى كمال قدرته، فقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾[(٥)] الآيات، فأقسم تعالى بهذه الآيات العظيمة، على النفس المفلحة، وغيرها من النفوس الفاجرة[(٦)]، وعلى سبق القدر، وكتابة الأعمال، وأن الله ﷻ أرشد النفس إلى فجورها وتقواها، وبين لها ذلك، وهداها إلى ما قدر لها[(٧)].

وهذا القسم "فيه التنبيه على كمال ربوبيته وعزته، وحكمته وقدرته،

---

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، القاهرة، ط٣: ٣/ ٣٣٦.
(٢) المزمل: ٩.
(٣) تفسير ابن كثير: ٨/ ٢٥٥.
(٤) المعارج: ٤٠.
(٥) الشمس: ١.
(٦) انظر: تفسير السعدي: ٩٢٦.
(٧) انظر: تفسير البغوي: ٤/ ٦٢٣-٦٢٤، وتفسير ابن كثير: ٨/ ٤١٠.

وتدبيره وتنوع مخلوقاته الدالة عليه، المرشدة إليه، بما تضمنته من عجائب الصنعة، وبديع الخلقة، وتشهد لفاطرها وبارئها بأنه الواحد الأحد الذي لا شريك له، وأنه الكامل في علمه وقدرته ومشيئته وحكمته وربوبيته وملكه، وأنها مسخرة مذللة، منقادة لأمره، مطيعة لمراده منها، ففي الأقسام بها تعظيم لخالقها تبارك وتعالى، وتنزيه له عما نسبه إليه أعداؤه الجاحدون المعطلون لربوبيته وقدرته ومشيئته ووحدانيته.

...وأنها أدلة على بارئها وفاطرها، وعلى وحدانيته، وأنه لا تنبغي الربوبية والإلهية لها بوجه ما، بل لا تنبغي إلا لمن فطرها وبرأها"(١).

٣- التوسل:

قد كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم فالق الإصباح، وجاعل الليل سكنا، والشمس والقمر حسبانا، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر، وأمتعني بسمعي وبصري وقوتي في سبيلك»(٢).

"فهذا دعا لله تعالى وتوسل إليه بما وصف به نفسه في قوله ﷻ"(٣): ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦﴾(٤).

---

(١) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٦٤.

(٢) رواه مالك في الموطأ، كتاب القرآن، باب ما جاء في الدعاء، تحقيق: كلال حسن علي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١: ١٨٩ برقم (٥٠٦)، قال ابن عبد البر: " لم تختلف الرواة عن مالك في إسناد هذا الحديث ولا في متنه، ورواه أبو شيبة عن أبي خالد الأحمر عن يحيى بن سعيد عن مسلم بن يسار". انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تحقيق: سعيد أعراب: ٢٤/ ٥٠، والمصنف لابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، جدة، ط١: ١٥/ ١١ برقم (٢٩٨٠٣).

(٣) انظر: المنتقى شرح موطأ مالك للقاضي سليمان الباجي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ٢/ ٤٢٩.

(٤) الأنعام: ٩٦.

خامسًا: الإيمان بالرسل:

أخبر النبي ﷺ أن الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان أو قرن الشمس، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قام إلى جنب المنبر فقال: «الفتنة ها هنا، الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان(١) أو قال قرن الشمس»(٢).

"وكان ﷺ يحذر من ذلك، ويعلم به قبل وقوعه، وذلك من دلالات نبوته ﷺ"(٣).

وقد حبست الشمس لنبي من الأنبياء، وهو يوشع بن نون عليه السلام فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنما أو خلِفات، وهو ينتظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه»(٤)، "وحبس الشمس

(١) اختلف الناس في المراد بقرن الشيطان، فقيل: حزبه وأتباعه، وقيل: قوته وطاقته، وقيل: إن ذلك استعارةً وكناية عن إضراره، لما كانت ذوات القرون تسلط بقرونها على الأذى استعير للشيطان ذلك، وقيل: قرن الشيطان أمة تعبد الشمس، وقيل: القرنان: جانبا الرأس، فهو على ظاهره، قال النووي: "وهذا هو الأقوى". انظر: إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم: ٣/ ٢٠٨. والتمهيد: ٤/ ١٠، والاستذكار لابن عبد البر، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار قتيبة، بيروت، ط ١: ١/ ٣٦٤، وشرح النووي على صحيح مسلم: ٦/ ١١٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ "الفتنة من قبل المشرق": ١٣٥٥ برقم (٧٠٩٢).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٤/ ١٩٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الغنائم، باب قول النبي ﷺ: " أحلت لكم الغنائم": ٥٩٧ برقم (٣١٢٤).

على هذا النبي من أعظم معجزاته، وأخص كراماته"[(١)].

سادسًا: الإيمان باليوم الآخر:

ذكر الله ﷿ في سورة الرعد تفصيل بعض آياته - ومنها الشمس احتجاجًا بها على المعاد ولقاء الله - فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾[(٢)] أي" يفصل لكم ربُّكم آيات كتابه، فيبينها لكم احتجاجًا بها عليكم أيها الناس، لتوقنوا بلقاء الله والمعاد إليه، فتصدقوا بوعده ووعيده، وتنزجروا عن عبادة الآلهة والأوثان، وتخلصوا له العبادة إذا أيقنتم ذلك"[(٣)].

وقال الله تعالى مستدلًا على البعث - بعد أن ذكر جملة من الآيات والمخلوقات العظيمة، ومنها الشمس - ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ﴾[(٤)]، أي اطلب منهم الفتوى، فيما تسألهم عنه أهم أشد خلقا؟ أم من خلقنا من المخلوقات التي هي أعظم وأكبر منهم؟.

"وجواب الاستفتاء المذكور الذي لا جواب له غيره، هو أن يقال: من خلقت يا ربنا من الملائكة، ومردة الجن، والسماوات والأرض، والمشارق، والمغارب، والكواكب، أشد خلقا منا؛ لأنها مخلوقات عظام أكبر وأعظم منا، فيتضح بذلك البرهان القاطع على قدرته جل وعلا على البعث بعد الموت؛ لأن من المعلوم بالضرورة أن من خلق الأعظم الأكبر كالسماوات والأرض، وما ذكر معهما - ومن ذلك الشمس - قادر على أن يخلق الأصغر الأقل"[(٥)].

---

(١) فتح الباري: ٦/ ٢٢٣، وانظر: تفسير القرطبي: ٦/ ١٣١.
(٢) الرعد: ٢.
(٣) تفسير الطبري: ١٣/ ١١٥، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٣٠.
(٤) الصافات: ١١.
(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٦/ ٦٧٨.

وقد قرر الله تعالى وقوع المعاد مستدلا بخلقه السماوات والأرض وجعله المشارق والمغارب للشمس والكواكب، فقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٤١﴾(١)، فالذي خلق السماوات والأرض، وجعل مشرقًا ومغربًا، وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها، قادر على أن يعيدهم يوم القيامة(٢).

وأخبر النبي ﷺ أن جهنم تسجر إذا قامت الشمس حتى تزول، ففي حديث إسلام عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه قال: «يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة؟ قال: صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع؛ فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة فإنه حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار»(٣).

وهذا دليل على أن النار مخلوقة وموجودة الآن.

كما أخبر ﷺ عن الجنة والنار عندما كسفت الشمس(٤)، فدل هذا الحديث أيضًا على وجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان الآن.

(١) المعارج: ٤٠-٤١.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٨/ ٢٢٩، وتفسير السعدي: ٨٨٨.
(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة: ١/ ٥٦٩ برقم (٨٣٢).
(٤) صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي صلى الله عليه و سلم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار: ٢/ ٦٢٢ برقم (٩٠٤).

كما أن النبي ﷺ خرج فزعًا لما كسفت الشمس يخشى أن تكون الساعة، "لما جاء أن القيامة تكون وهما مكسوفان"(١).

سابعًا: الإيمان بالقدر:

بين تعالى قدرته على خلق الأشياء وتسخيره إياها على مقتضى حكمته، فذكر أنه خلق الشمس، وأنها تحت قهره وتسخيره ومشيئته، وأنها تجري لأجل مسمى، وأن جريانها مع القمر بحساب مقدر، لا يتغير ولا يضطرب، بل كل منهما له منازل يسلكها في الصيف والشتاء، قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾(٣)، "فدلهم الله ﷻ بذلك على قدرته ووحدانيته"(٤).

ولما كان هذا الأمر يدل على قدرة الله تعالى وتقديره وعلمه وعزته ختمت كثير من هذه الآيات بالعزة والعلم(٥) - والعلم من مراتب الإيمان بالقدر -، كما في قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾(٦).

ثامنًا: النهي عن مشابهة المشركين والمنافقين في عبادتهم:

ورد النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، لما في ذلك من

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم: ٣/ ٣٣٣.
(٢) يس: ٣٩-٤٠.
(٣) الأنعام: ٩٦.
(٤) تفسير القرطبي: ٧/ ٤٦.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٠٥، ٦/ ٥٧٧.
(٦) يس: ٣٧، ٣٨.

مشابهة المشركين والمنافقين في عبادتهم؛ فإن الشمس تطلع وتغرب بين قرني شيطان وعندئذ يسجد لها الكفار، "وقد نهينا عن التشبه بهم، بل وعما يؤدي إليه أو يوهمه"[(١)].

وفي حديث إسلام عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه قال: «يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة؟ قال: صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع؛ فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة فإنه حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار»[(٢)].

"وكان ﷺ يكره التشبه بالكفار ويحب مخالفتهم وبذلك وردت سنته ﷺ، وكأنه أراد - والله أعلم - أن يفصل دينه من دينهم، إذ هم أولياء الشيطان وحزبه فنهى عن الصلاة في تلك الأوقات"[(٣)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا»[(٤)]، وفي هذا الحديث التحذير من "التشبه

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد بن علان الصديقي، اعتنى به: سمير خالد الرجب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١: ٢/ ٣٣٥.
(٢) سبق تخريجه: ٢٩٤.
(٣) التمهيد: ٤/ ١١، وانظر: الاستذكار: ١/ ٣٦٤.
(٤) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التبكير بالعصر: ١/ ٤٣٤ برقم (٦٢٢).

بأفعال المنافقين الذين كانوا لا يأتون الصلاة إلا كسالى"[(١)].

وكان أهل الجاهلية يقفون بالمزدلفة، ولا يفيضون حتى تطلع الشمس، فخالفهم رسول الله ﷺ فأفاض قبل أن تطلع الشمس[(٢)].

تاسعًا: النهي عن التشبه بالشيطان:

قد نهى النبي ﷺ أن يقعد الرجل بين الظل والشمس، وقد جاء أن الجلوس بين الشمس والظل هي جلسة الشيطان، فعن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ: «نهى أن يجلس بين الضح[(٣)] والظل، وقال مجلس الشيطان»[(٤)].

عاشرًا: الإيمان بالجن:

بين النبي ﷺ أن الشياطين تنتشر وتنبعث إذا غابت الشمس، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء[(٥)] فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء»[(٦)].

(١) الاستذكار: ١/ ٣٧٦.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب: متى يدفع من جمع: ٣٢٣ برقم (١٦٨٤).
(٣) والضِّحُّ بالكسر: ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٧٥.
(٤) مسند الإمام أحمد: ٢٤/ ١٧٤ برقم (١٥٤٢١)، وقال محققه: إسناده حسن، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/ ١١٧ برقم (١٢٩٢٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير كثير بن أبي كثير وهو ثقة.
(٥) الفواشي: كل منتشر من المال كالإبل والغنم وسائر البهائم وغيرها، وهي جمع فاشية؛ لأنها تفشو أي تنتشر في الأرض. وفحمة العشاء: ظلمتها وسوادها، وفسرها بعضهم هنا بإقباله وأول ظلامه. شرح النووي على مسلم: ١٣/ ١٨٦.
(٦) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب
=

الحادي عشر: أصول المناظرة:

من أصول المناظرة عند أهل السنة المخاطبة بالدليل والمقدمات التي لا يمكن أن يجحدها الخصم[(١)]، وإلزام المدعي بطرد حجته إن كانت صحيحة[(٢)]، فإبراهيم عليه السلام لما ذكر الدليل الأول على وجود الله وإلهيته، وأن الله هو الذي يحي ويميت، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾[(٣)]، وهذا الدليل" الذي استدل به إبراهيم قد تمَّ وثبت موجبه، فلما ادعى الكافر أنه يفعل كما يفعل الله فيكون إلها مع الله، طالبه إبراهيم بموجب دعواه مطالبة تتضمن بطلانها"[(٤)]: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(٥)].

"فقال: إن كنت أنت ربا كما تزعم، فتحيي وتميت كما يحيي ربي ويميت، فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فتنصاع لقدرته وتسخيره ومشيئته، فإن كنت أنت ربا فات بها من المغرب"[(٦)]، فعند ذلك بهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين.

= وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب: ٣/ ١٥٩٦ برقم (٢٠١٣).

(١) معارج الوصول لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى: ١٩/ ١٦٤.

(٢) الصواعق المرسلة: ٢/ ٤٩١.

(٣) البقرة: ٢٥٨.

(٤) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٨٤، وانظر: الصواعق المرسلة: ٢/ ٤٩٠.

(٥) البقرة: ٢٥٨.

(٦) المرجع السابق: ٢/ ٢٨٤.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الشمس -:

أولًا: عبادة الشمس:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية أنها عبدت من دون الله ﷿، فجعلوا من الشمس إله الآلهة ورب الأرباب[(١)]، وجعلوا لها مصحفًا، ويسبحون لها ويدعونها، قال تعالى مخبرا عن الهدد أنه قال عن قوم سبأ: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾[(٢)].

وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس»[(٣)].

قال ابن القيم ﵀: " وهؤلاء المشركون يعظمون الشمس والقمر والكواكب تعظيما يسجدون لها، ويتذللون لها، ويسبحونها تسابيح لها معروفة في كتبهم، ودعوات لا ينبغي أن يدعى بها إلا خالقها وفاطرها وحده.

ويقول بعضهم: في كتاب مصحف الشمس، مصحف القمر، مصحف زحل، مصحف عطارد، وبعضهم يقول: تسبيحة الشمس، تسبيحة القمر،

(١) ومنهم الصابئة، وعبدة الكواكب في الهند: الدينيكيتية. انظر: الملل والنحل للشهرستاني: ٢/ ١٢٩١، ١٣١٠، قصة الحضارة لول ديورانت، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، الإدارة الثقافية في الجامعة العربية: ١/ ١٠٣، والموسوعة الفلكية: ٢٣٦.

(٢) النمل: ٢٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية: ١/ ١٦٣ برقم (١٨٢).

تسبيحة عطارد، تسبيحة زحل، ولا يتحاشى من ذلك، وبعضهم يقول: دعوة الشمس، دعوة القمر، دعوة عطارد، دعوة زحل، وبعضهم يقول: هيكل الشمس والقمر وعطار.

... وفي هذا الكتاب من مخاطبة الشمس بالخطاب الذي لا يليق إلا بالله عز و جل ولا ينبغي لأحد سواه ومن الخضوع والذل والعبادة"(١).

فبين الله تعالى أن الشمس والقمر "عبدان من عبيده، تحت قهره وتسخيره، لا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره، فإنه لا يغفر أن يشرك به"(٢)، وبين أنها تسجد لخالقها، وأنها مربوبة مسخرة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾(٤).

ثانيًا: نسبة الحوادث إلى حركة الشمس:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية نسبة الحوادث إلى حركة الشمس، وما تقتضيه هذه الحركة "من السعد والنحس، وتعطيه من السعادة والشقاوة، وتهبه من الأعمار والأرزاق والآجال، والصنائع والعلوم والمعارف، والصور الحيوانية والنباتية والمعدنية، وسائر ما في هذا العالم من الخير والشر"(٥).

(١) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٦٦-٢٦٧.
(٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ١٨٧.
(٣) فصلت: ٣٧.
(٤) الحج: ١٨.
(٥) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٧٠، وانظر: إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم: ٣/ ١٨٢،
=

وليس في القرآن ولا السنة ما يدل على ذلك، بل فيهما ما يبطله ويرده، وقد بين النبي ﷺ في حديث الكسوف بطلان ما يعتقده أهل الجاهلية أن كسوف الشمس أو القمر لموت أحد أو حياته، فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته»(١).

ثالثًا: تحريف معنى سجود الشمس:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية تحريف معنى سجود الشمس الوارد في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾(٢).

وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدري أين تذهب هذه الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب فتسجد تحت العرش، ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت»(٣).

فقال بعضهم أن المراد بهذا السجود الخشوع والانقياد. وقيل المراد بالسجود الدلالة على الله، يعني أن هذه المخلوقات تدل على الله، وعلى أنه يستحق أن يسجد له كل شيء، وأن يعبده كل شيء(٤).

= وشرح النووي على مسلم: ٣/ ٣٣٣، وفتح الباري: ٢/ ٥٢٨، والتنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام لعبد المجيد بن سالم المشعبي، مكتبة ابن القيم، المدينة، ط١: ٣٥ وما بعدها، والموسوعة الفلكية: ٢٧٨.

(١) سبق تخريجه: ٨.

(٢) الحج: ١٨.

(٣) سبق تخريجه: ٢٨٩.

(٤) انظر: زاد المسير: ٤/ ٣١٩، ٤٥٣-٤٥٤، و تفسير البيضاوي: ٤/ ٦٩، ٢٤٣، ومشكلات الأحاديث النبوية وبيانها لعبد الله القصيمي، المجلس العلمي السلفي، =

وقيل المراد بسجود الشمس هو سجود الملك الموكل بها[(١)].

وأما سجودها تحت العرش، فإن العرش لعظم ذاته كالرحى فأينما سجدت الشمس سجدت تحت العرش وذلك مستقرها[(٢)].

وقيل المراد بالسجود تحت العرش هو وقوعها تحته حقيقة في آخر الدنيا عند انقضاء مهمتها، وسكون حركتها. والمعنى أن الشمس تبقى في شأنها إلى أن يأذن الله بفساد العالم، فتقع تحت العرش ساجدة[(٣)].

وقيل أن تقييد السجود بتحت العرش كناية عن رجوعها إلى الله، ومبالغة في الانقياد وعبارة عن تمام ذلك. والمعنى في ذلك المبالغة، ولا تراد الحقيقة. فقوله إنها تسجد تحت العرش يعنى أنها خاضعة له أكمل الخضوع وأتمه[(٤)].

فالحديث عبارة عن أن الشمس مسخرة لله، خاضعة لأمره الكوني، سائرة على حسب ما أراد وقدر، حتى كأنها عاقلة، تسمع خطابه[(٥)].

والجواب أنه قد سبق في مبحث عبودية الكائنات[(٦)] أن هذه الآيات الكونية تسجد لله سجودًا حقيقيًا الله أعلم بكيفيته، وأن كل شيء يسجد لله طوعا وكرها، وأن سجود كل شيء مما يختص به[(٧)]، كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ

= باكستان، ط ١: ١٦٢.

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١٥/ ١١٩.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٢٢/ ١١٩.

(٣) انظر: فتح الباري: ٨/ ٥٤٢، ومشكلات الأحاديث النبوية: ١٦٤.

(٤) مشكلات الأحاديث النبوية: ١٦٣.

(٥) انظر: فتح الباري: ٦/ ٢٢٣، وطرح التثريب في شرح التقريب، للحافظ العراقي، دار أم القرى، القاهرة: ٧/ ٢٤٧، ومشكلات الأحاديث النبوية: ١٦٥.

(٦) انظر: ٧١.

(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ٤٠٣.

لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[١].

وهذه الأقوال التي ذكرت ليس عليها دليل ومخالفة" لظاهر الحديث، وعدول عن حقيقته، وإنما أخبر عن غيب فلا نكذبه ولا نكيفه، إن علمنا لا يحيط به"[٢].

رابعًا: إنكار استئذان الشمس لطلوعها:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية تحريف معنى استئذان الشمس الوارد في السنة من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: «دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس، فلما غابت الشمس، قال يا أبا ذر: هل تدري أين تذهب هذه؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب فتستأذن في السجود، فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها»[٣].

فقيل بأن استئذان الشمس مجاز يراد به طاعتها لخالقها، وطلوعها وغروبها بمشيئته وإرادته، حتى كأنه يأمرها وينهاها فتعقل عنه، وحتى كأنها تستأذنه في رواحها وغدوها، وهذا كله يعبر عن الخضوع[٤].

ونقول في ذلك مثل ما سبق في السجود، وأنها تستأذن حقيقة، والله أعلم بكيفية ذلك، فقد أخبرنا أنها تستأذن، ولم يخبرنا كيف تستأذن.

---

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١٥/ ١١٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان: ١/ ١٣٨ برقم (١٥٩).

(٤) مشكلات الأحاديث النبوية: ١٦٣.

خامسًا: إنكار حبس الشمس:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية إنكار حبسها لنبي من الأنبياء، وأن هذا يتعارض مع نواميس الكون، ويحدث له اضطربًا.

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنما أو خلفات، وهو ينتظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه»(١).

والجواب عن أن الأمر متعلق بآية وكرامة لنبي من أنبيائه، "وحبس الشمس على هذا النبي من أعظم معجزاته، وأخص كراماته"(٢)، وما نواميس الكون ومسير الشمس والقمر إلا أمر من المعتاد على الناس، فإذا أمرهما خالقهما بالتخلف، أو التأخر، أو حتى تغيير الوجهة تماما، فلا يسعهما إلا الامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى والله على كل شيء قدير(٣).

سادسًا: إنكار جريان الشمس:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية إنكار جريانها، وأنها ثابتة، وأن الذي يسير هو الفلك(٤).

وقد أخبر الله ﷻ في آيات كثير أن الشمس تجري، فقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ

(١) سبق تخريجه: ٢٩٢.
(٢) فتح الباري: ٦/ ٢٢٣، وانظر: تفسير القرطبي: ٦/ ١٣١.
(٣) انظر: المفهم لما أشكل في تلخيص كتاب مسلم: ٣/ ٥٣٢، وفتح الباري: ٦/ ٢٢٣.
(٤) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١٥/ ١١٩، والموسوعة الكونية الكبرى: ٢/ ٢١٣، ٢١٥، ونقض النظريات الكونية: ١٤٣، وكتاب النور في الرد على من قال أن الشمس ثابتة والأرض حولها تدور لمحمد اليحيا، ط٣: ١٨، ٢٣.

ﭐﻟﺸَّﻤۡﺲَ وَٱﻟۡﻘَﻤَﺮَۖ ﻛُﻞّٞ ﻳَﺠۡﺮِي ﻟِﺄَﺟَﻞٖ ﻣُّﺴَﻤّٗﻰۚ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَٱﻟﺸَّﻤۡﺲُ ﺗَﺠۡﺮِي ﻟِﻤُﺴۡﺘَﻘَﺮّٖ ﻟَّﻬَﺎۚ ذَٰﻟِﻚَ ﺗَﻘۡﺪِﻳﺮُ ٱﻟۡﻌَﺰِﻳﺰِ ٱﻟۡﻌَﻠِﻴﻢِ ٣٨﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾[٣]، إلى غير ذلك من الآيات، فيجب علينا " أن نأخذ في هذا الأمر بظاهر القرآن، وألا نلتفت لقول أحد مخالف لظاهر القرآن؛ لأننا متعبدون بما يدل عليه القرآن؛ . . . ولأن الذي أنزل القرآن أعلم بما خلق، قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾[٤]، "[٥]، "وهذه الآيات الكريمات دلائل قاطعة، وبراهين ساطعة على أن الشمس جارية لا ثابتة"[٦].

سابعًا: اعتقاد أن نور الشمس من نور الكرسي:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية اعتقاد أن نور الشمس جزء من نور الكرسي، والكرسي جزء من نور العرش، ونور العرش جزء من نور الستر[٧]، واستدلوا على ذلك بقول عكرمة رضي الله عنه أنه قال: «لو جعل الله نور جميع أبصار الإنس والجن والدواب والطير في عيني عبد، ثم كشف حجابًا واحدًا من سبعين حجابا دون الشمس، لما استطاع أن ينظر إليها، ونور

---

(١) الرعد: ٢.
(٢) يس: ٣٨.
(٣) الأنبياء: ٣٣.
(٤) الملك: ١٤.
(٥) تفسير سورة البقرة لابن عثيمين: ٣/ ٢٨٣، وانظر: التعليق المختصر على القصيدة النونية لابن القيم، تعليق الشيخ صالح الفوزان، أشرف على الطبع: عبد السلام السليمان: ١/ ٣٣٠.
(٦) الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، مكتبة الرياض الحديثة، ط ٣: ٢٢.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٤٨٩.

الشمس جزء من سبعين جزءًا من نور الكرسي، ونور الكرسي جزء من سبعين جزءًا من نور العرش، ونور العرش جزء من سبعين جزءًا من نور الستر. فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه وقت النظر إلى وجه ربه الكريم عيانا﴾.

وهذا الأثر ضعيف ولا يثبت(١).

ثامنًا: اعتقاد أن اسم اللّٰه مكتوب على الشمس، أو أن نورها من نور اللّٰه:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية اعتقاد أن اسم الله مكتوب على الشمس، أو نورها من نور الله، ولذلك نهى بعض الفقهاء عن استقبال الشمس وقال في علة ذلك: أن اسم الله مكتوب عليها، ومنهم من قال لأن نورها من نور الله(٢).

وهذا لم يثبت به حديث عن النبي ﷺ(٣).

تاسعًا: إنكار كون كسوف الشمس آية من آيات اللّٰه يخوف بهما عبادة:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية إنكار كون كسوف الشمس آية من آيات الله يخوف بها عباده، وأن هذا أمر طبيعي.

---

(١) قال ابن كثير: ٧/ ٤٨٩: "رواه ابن أبي حاتم". ولم أجده - حسب بحثي -، وذكره ابن حجر في فتح الباري: ٩/ ٢١، وعزاه لعبد بن حميد عن إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة، ثم قال: " وإبراهيم فيه ضعف".

(٢) انظر: كشاف القناع عن متن الإقناع لمنصور البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبد الحميد، دار عالم الكتب، الرياض، ط عام ١٤٢٣: ١/ ٧٦.

(٣) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٨٦.

وقد سبق الكلام على منزلة الأسباب في الشريعة[(١)]، وأن الناس في هذا المقام طرفان ووسط:

الطرف الأول: غلا في إثبات الأسباب، وأن هذه أمور طبيعية.

والطرف الثاني: أنكر الأسباب، ورد جميع ما قاله أهل الهيئة من حق وباطل.

والوسط: أن كسوف الشمس له أسباب حسية يقدرها الله ﷻ، وأنه آية يخوف الله بها عباده[(٢)].

فأسباب الكسوف وحسابه والنظر في ذلك ليس من علم الغيب، والأحاديث الواردة عن النبي ﷺ ليس فيها "إلا نفي تأثير الكسوف في الموت والحياة على أحد القولين، أو نفي تأثر النيرين بموت أحد أو حياته على القول الآخر، وليس فيه تعرض لإبطال حساب الكسوف، ولا الإخبار بأنه من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله"[(٣)].

وفيها كذلك بيان أنها من آيات الله يخوف بها عباده، والأمر بالأسباب التي يدفع به موجب الكسوف من أمر النبي ﷺ بالعتاقة والصلاة والدعاء والصدقة[(٤)].

"وكونه تخويفا لا ينافي ما قدره أهل الهيئة فيه؛ لأن لله أفعالا على حسب العادة، وأفعالا خارجة عنه، وقدرته حاكمة على كل سبب ومسبب بعضهما على بعض"[(٥)].

---

(١) ص: ١٨٥.
(٢) انظر: مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٩١ وما بعدها.
(٣) انظر: المرجع السابق: ٢/ ٢٩٥.
(٤) انظر: المرجع السابق: ٢/ ٢٩٦.
(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، دار المعرفة: ٢/ ٣٤٧.

وليس "من شرط التخويف ألا يكون له سبب، فإن الله كون العالم على هذا الشكل الذي يوجد فيه كسوف، ولو شاء لكونه على خلاف ذلك"(١).

والتخويف الذي يحصل لأهل الإيمان من هذه الآية" من وجوه متعددة، أوضحها: أن ذلك مذكر بالكسوفات التي تكون بين يدي الساعة، ويمكن أن يكون ذلك الكسوف منها، ولذلك قام النبي ﷺ فزعًا يخشى أن تقوم الساعة؛ وكيف لا وقد قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾(٢)؟.

وأيضًا فإن كل ما في هذا العالم علويّه وسفليّه دليل على نفوذ قدرة الله تعالى، وتمام قهره، واستغنائه، وعدم مبالاته، وذلك كله يُوجب عند العلماء بالله خوفه وخشيته؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾(٣)، وخصّ هنا خسوفهما بالتخويف؛ لأنهما أمران علويان نادران طارئان عظيمان، والنادر العظيم مخوف موجع، بخلاف ما يكثر وقوعه، فإنه لا يحصل منه ذلك غالبًا.

وأيضًا فلما وقع فيهما من الغلط الكثير للأمم التي كانت تعبدهما، ولما وقع للجهّال من اعتقاد تأثيرتهما"(٤).

العاشر: الجزم بوقوع الكسوف:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية الجزم بوقوع الكسوف،

(١) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: ٣/ ١٢٨.
(٢) القيامة: ٧-٩.
(٣) فاطر: ٢٨.
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٢/ ٥٥٢-٥٥٣، وانظر: فتح الباري: ٢/ ٥٣٧، وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، ط: ١/ ٤٠٦، فقد ذكر سبع فوائد لحدوث الكسوف.

ووقوع الكسوف يدرك بالحساب، وليس من علم الغيب والمستقبل، إلا أنه لا يجزم بوقوعه، ولا يصدق القائل به ولا يكذب، لأنه أمر حسابي قد يصيب وقد يخطئ، كأخبار بني إسرائيل[١]، "وفرق بين من يعلن ذلك ويجزم به، وبين من يخبر عن أهل الحساب أنهم يقولون ذلك"[٢].

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن تحديد أهل الحساب لوقت الكسوف: فبين أن حكم ذلك حكم أخبار بني إسرائيل التي قال فيها رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»[٣]، والعلة في ذلك هو احتمال أَن يكون ما ذكروه حقًا فيكون من كذبهم مكذبًا بحق، أو احتمال أَن يكون ما اخبروا به كذبًا فيكون من صدقهم مصدقًا بالكذب.

ومثلهم المخبرين عن الكسوف والخسوف قد يكونون مصيبين في حسابهم فيكون مكذبهم مكذبًا بصدق، وقد يكونون مخطئين فيكون مصدقهم مصدقًا بالباطل والكذب[٤].

الحادي عشر: تحديد عمر الشمس:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية تحديد عمر الشمس في الماضي بـ ٤,٤٩ مليار سنة، وأنها تبقى قريبا من هذا الرقم[٥]، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٦].

---

(١) انظر: فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم: ٣/ ١٢٨.

(٢) انظر: المرجع السابق: ١/ ١٦٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ ٨٤٨ برقم (٤٤٨٥).

(٤) مجموع الفتاوى: ٢٤/ ٢٥٨.

(٥) انظر: الموسوعة الكونية الكبرى: ٢/ ٢١٦-٢١٧.

(٦) النمل: ٦٤.

والله سبحانه وتعالى أخبر أن الساعة من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا هو، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[(١)]، والشمس إنما تجمع عند قيام الساعة، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾[(٢)].

الثاني عشر: سب الشمس:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية سب الشمس، وقد ورد النهي عن ذلك، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الليل ولا النهار، ولا الشمس ولا القمر، ولا الرياح فإنها ترسل رحمة لقوم، وعذابا لقوم»[(٣)].

فهي من مخلوقات الله المسيرة بأمره، وسبها يعود على خالقها، وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: «يؤذني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر اقلب الليل والنهار»[(٤)].

---

(١) الأعراف: ١٨٧.

(٢) القيامة: ٦-٩.

(٣) مسند أبي يعلى: ٤/ ١٣٩ برقم (٢١٩٤)، والطبراني في الأوسط: ٧/ ٤٣ برقم (٦٧٩٥)، وقال الهيثمي في المجمع ٨/ ١٣٧ برقم (١٣٠٠١): " رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سعيد بن بشير، وثقه جماعة وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات، ورواه أبو يعلى بإسناد ضعيف" .

(٤) صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر: ٤/ ١٧٦٢ برقم (٢٢٤٦).

الثالث عشر: مشابهة المشركين في السجود للشمس عند طلوعها أو غروبها:

من المخالفات المتعلقة بهذه الآية الكونية مشابهة المشركين في الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ فإنه وقت مقارنة الشيطان للشمس وعند ذلك يسجد لها الكفار، وقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة في هذه الأوقات.

"فهذه الصلاة في وقت النهي فيها مصلحة تكثير العبادة، وتحصيل الأرباح، ومزيد الثواب، والتقرب إلى رب الأرباب، وفيها مفسدة المشابهة بالكفار في عبادة الشمس، وفي تركها مصلحة سد ذريعة الشرك، وفطم النفوس عن المشابهة للكفار حتى في وقت العبادة، وكانت هذه المفسدة أولى بالصلاة في أوقات النهي من مصلحتها، فلو شرعت لما فيها من المصلحة لفاتت مصلحة الترك وحصلت مفسدة المشابهة التي هي أقوى من مصلحة الصلاة حينئذ"(١)

الرابع عشر: الطعن في القرآن وزعم تناقضه حيث ورد فيه لفظ "المشرق" بصيغة الإفراد، والتثنية، والجمع.

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية زعمهم التناقض في القرآن، فقالوا: إنه ورد في القرآن آيات متناقضة، فورد لفظ المشرق مرة بصيغة الإفراد في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾(٢)، ومرة بصيغة التثنية في قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾(٣)، ومرة بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾(٤)، وهذا تناقض.

---

(١) مفتاح دار السعادة: ٢/١٤٦.
(٢) البقرة: ١١٥.
(٣) الرحمن: ١٧.
(٤) المعارج: ٤٠.

وقد بين أهل العلم المراد بذلك، فقالوا: إن قوله: " ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾[(١)]، المراد به جنس المشرق والمغرب، فهو صادق بكل مشرق من مشارق الشمس التي هي ثلاثمائة وستون، وكل مغرب من مغاربها التي هي كذلك، فلله المشرق الذي تشرق منه الشمس كل يوم والمغرب الذي تغرب فيه كل يوم.

وقوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾ يعني مشرق الشتاء، ومشرق الصيف ومغربهما. وقيل: مشرق الشمس والقمر ومغربهما.

وقوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ أي: مشارق الشمس ومغاربها الثلاثمائة وستون. وقيل: مشارق الشمس والقمر والكواكب ومغاربها"[(٢)].

الخامس عشر: الأقوال والألفاظ المخالفة:

١- تسمية بعض الزهور بـ"عباد الشمس":

وهذا أمر لا يجوز لأن الزهور لا تعبد الشمس وهو تعبيد لغير الله، وهي إنما تعبد الله ﷻ كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧﴾[(٣)]. "وإنما يقال عبارة أخرى ليس فيها ذكر العبودية كمراقبة الشمس، ونحو ذلك من العبارات"[(٤)].

---

(١) البقرة: ١١٥.

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب لمحمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ١: ٢٢، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٤٩٢، فتح الباري: ٤/ ٤٤٧، وأضواء البيان ٦/ ٦٧٥.

(٣) فصلت: ٣٧.

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٣/ ١١٨، وانظر: معجم المناهي اللفظية: ٣٧٤.

٢- التسمية بـ" عبد الشمس" :

وهذا تعبيد لغير الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كان المشركون يعبدون أنفسهم وأولادهم لغير الله؛ فيسمون بعضهم عبد الكعبة، كما كان اسم عبد الرحمن بن عوف، وبعضهم عبد شمس، كما كان اسم أبى هريرة، واسم عبد شمس بن عبد مناف، وبعضهم عبد اللات، وبعضهم عبد العزى، وبعضهم عبد مناة وغير ذلك مما يضيفون فيه التعبيد إلى غير الله، من شمس أو وثن أو بشر أو غير ذلك مما قد يشرك بالله.

ونظير تسمية النصارى عبد المسيح. فغير النبى ﷺ ذلك وعبدهم لله وحده"[(١)].

(١) مجموع الفتاوى: ١/ ٣٧٨، وانظر: معجم المناهي اللفظية: ٣٧٦، ٣٨٠.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- دعاء النبي ﷺ على الشمس:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت، فقال: «في نار الله الحامية، في نار الله الحامية، لولا ما يزعها من أمر الله، لأحرقت ما على الأرض»(١).

٢- الشمس والقمر ثوران عقيران في النار:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الشمس والقمر ثوران عقيران في النار»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة». فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: أحسبه قال: وما ذنبهما(٣).

---

(١) مسند الإمام أحمد: ١١/ ٥٢٦ برقم (٦٩٣٤)، وقال محققه: "إسناده ضعيف"، وذكره ابن كثير في تفسيره ٥/ ١٩٢، وقال: "وفي صحة رفع هذا الحديث نظر، ولعله من كلام عبد الله بن عمرو من زاملتيه اللتين وجدهما يوم اليرموك، والله أعلم".

(٢) مسند أبي يعلى: ٧/ ١٤٨ برقم (٤١١٦)، قال ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٠٦: "لا يصح". وقال ابن كثير ٨/ ٣٢٩: "هذا حديث ضعيف؛ لأن يزيد الرقاشي ضعيف".

(٣) مسند البزار، لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار، تحقيق: عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١: ١٥/ ٢٤٣ برقم (٨٦٩٦)، وقال: "هذا الحديث لا نعلمه

=

وقد ورد الحديث عند البخاري بلفظ: "الشمس والقمر مكوران(١) يوم القيامة"(٢).

٣- خشوع الشمس عند تجلي الله:

في بعض ألفاظ حديث الكسوف: «إن الشمس والقمر خَلْقان من خَلْق الله، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن الله ﷻ إذا تَجَلى لشيء من خلقه خشع له»(٣).

٤- لا تخرج الشمس حتى ينخسها سبعون ألف ملك:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال له: أرأيت ما جاء عن النبي ﷺ في أمية بن أبي الصلت، آمن شعره، وكفر قلبه، قال: هو حق فما أنكرتم من شعره؟ قالوا أنكرنا قوله:

والشمس تطلع كل آخر ليلةٍ حمراء يصبح لونها يتوردُ

= يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، ولا نعلم روى عبد الله الداناج عن أبي سلمة، إلا هذا الحديث".

(١) أي يلفان ويجمعان ويلقيان فيها. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ٢٠٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر: ٦١٥ برقم (٣٢٠٠).

(٣) سنن النسائي، كتاب الكسوف، نوع آخر من صلاة الكسوف: ١٧٤ برقم (١٤٨٥)، مسند الإمام أحمد: ٣٠/ ٢٩٥ برقم (١٨٣٥١)، قال ابن حجر في فتح الباري - عن هذا الحديث وقد نقل عن أبي حامد الغزالي إنكار هذه الزيادة - ٢/ ٥٣٧: "قد أثبته غير واحد من أهل العلم، وهو ثابت من حيث المعنى أيضا".
وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٩٦: "وليس الأمر في هذه الزيادة كما قاله أبو حامد فإن اسنادها لا مطعن فيه، رواته كلهم ثقات حفاظ؛ لكن لعل هذه اللفظة مدرجة في الحديث من كلام بعض الرواة، ولهذا لا توجد في سائر أحاديث الكسوف، فقد رواها عن النبي ﷺ بضعة عشر صحابيا... فلم يذكر أحد منهم هذه اللفظة التى ذكرت في حديث النعمان بن بشير، فمن ههنا نخاف أن تكون أدرجت في الحديث إدراجا". وانظر: مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٧٧.

تأبى فما تطلع لهم في رُسْلها إلا معذبةً وإلا تجلدُ

فما بال الشمس تجلد؟ فقال: والذي نفسي بيده ما طلعت الشمس قط حتى ينخسها سبعون ألف ملك، فيقولون لها: اطلعي اطلعي، فتقول: لا أطلع على قوم يعبدونني من دون الله، فيأتيها ملك عن الله يأمرها بالطلوع، فتشتعل لضياء بني آدم، فيأتيها شيطان يريد أن يصدها عن الطلوع، فتطلع بين قرنيه فيحرقه الله تحتها، وما غربت الشمس قط إلا خرت ساجدة، فيأتيها شيطان يريد أن يصدها عن السجود فتغرب بين عينيه، فيحرقه الله تحتها"[(١)].

٥- اعتقاد أن الشمس حبست لعلي ﵁:

عن أسماء بنت عميس ﵂ أن رسول الله ﷺ صلى الظهر بالصهباء[(٢)]، ثم أرسل عليًا في حاجة، فرجع وقد صلى النبي ﷺ العصر، فوضع النبي ﷺ رأسه في حِجْر علي فنام، فلم يحركه حتى غابت الشمس، فقال النبي ﷺ: «اللهم إن عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه، فرد عليه الشمس»[(٣)].

(١) الاستذكار: ١/ ٣٦٢، التمهيد: ٤/ ٩، وإسناده ضعيف، انظر: فيض القدير: ١/ ٥٧، كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني، تصحيح: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، ط ٢: ١/ ١٩.

(٢) موضع قريب من خيبر. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢: ٣/ ٤٣٥.

(٣) المعجم الكبير لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، دار الرشد، الرياض، ط٢: ٢٤/ ١٤٤، ١٤٧ - ١٥٢. وحكم عليه محقق الكتاب بالوضع، وشرح مشكل الآثار للطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢: ٣/ ٩٢- ٩٤ برقم (١٠٦٧، ١٠٦٨)، وحكم عليه محقق الكتاب بالضعف، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات: ٢/ ١١٩ برقم (٦٦٧).

المبحث الثالث

القمر

القمر في اللغة: القاف والميم والراء أصل صحيح يدلُ على بياضٍ في شيء، ثم يتفرّع منه. ومن ذلك القَمَر: قَمَر السَّماء، سمَّي قمرًا لبياضه، وتصغير القمر: قُمير[(١)].

وفي الصحاح[(٢)]: أن القمر بعد ثلاث إلى آخر الشهر سُمّي قَمَرًا لبياضه... وليلة قَمْراءُ أي مُضِيئة، وأقمرت ليلتنا أي أضَاءتْ، وأَقْمَرْنَا أي طلع علينا القَمَرْ.

وفي الاصطلاح: هو جرم صغير غير ملتهب، كروي الشكل سيار تابع للأرض[(٣)].

وفي الموسوعة الفلكية: جسم سماوي يدور حول الأرض... يضيء بواسطة ضوء الشمس المنعكس عليه[(٤)].

وقد ورد لفظ القمر في القرآن في (٢٦) موضعًا[(٥)]، معظمها جاءت مقترنة بلفظة الشمس في (١٨) موضعًا[(٦)].

ووردت في السنة في (٣٢) حديثًا[(٧)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٢٥.
(٢) الصحاح: ٢/ ٧٩٨.
(٣) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ١٨/ ٣١٨.
(٤) الموسوعة الفلكية: ٣٤٧.
(٥) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٩٠٢.
(٦) المرجع السابق: ٩٠٢.
(٧) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٧.

الدلائل العقدية للآية الكونية - القمر -:

القمر آية من آيات التي تدل على خالقها وعلى قدرته وعلمه وحكمته، فهو آية عظيمة على عظمة الرب وكبريائه، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾[(١)].

وقد سبق في المبحث السابق - عن الآية الكونية الشمس[(٢)] - كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بأن الله عَزَّ وَجَلَّ "لم يقسم بشيء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر"[(٣)].

وقال رَحِمَهُ اللهُ عن القمر: "وانظر إلى القمر وعجائب آياته، كيف يُبديه الله كالخيط الدَّقيق، ثم يتزايد نوره، ويتكامل شيئًا فشيئًا كلَّ ليلة حتى ينتهي إلى إبداره وكماله وتمامه، ثم يأخذ في النقصان حتى يعود على حالته الأولى؛ ليظهر من ذلك مواقيتُ العباد في معاشهم وعباداتهم ومناسكهم، فتميَّزت به الأشهر والسنون، وقام به حسابُ العالم مع ما في ذلك من الحكَم والآيات والعبر التي لا يُحصيها إلَّا الله"[(٤)].

ولما كان القرآن كثيرًا ما يقرن بين الشمس والقمر كان الاستدلال بالقمر على المسائل العقدية- في مواضع كثيرة - هو نفس الاستدلال بالشمس،

---

(١) يس: ٣٧-٤٠.
(٢) ص: ٢٨١.
(٣) مفتاح دار السعادة: ١/ ٣٠٣-٣٠٤.
(٤) المرجع السابق: ١/ ٣٠٦.

وسأشير إلى ذلك - إن شاء الله تعالى -.

أولًا: وجود الله:

سبق في مبحث الآية الكونية الشمس الاستدلال بها في مناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه على وجود الله[١]، وأنه المستحق للعبادة، وكذلك استدل إبراهيم عليه السلام بالقمر من ضمن أدلته على وجود الله وأنه المستحق للعبادة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾[٢].

كما ذكر في المبحث السابق - الشمس -[٣] أن الله عز وجل ذكر من الأدلة على وجوده وقدرته التامة العظيمة خلق الشمس، وكذلك في هذا الموضع فإن خلق القمر، وتقديره منازلَ، وجعله يسير سيرًا آخر، يستدل به على مضي الشهور[٤]، "يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلا قليل النور، ثم يزداد نورًا في الليلة الثانية، ويرتفع منزلة، ثم كلما ارتفع ازداد ضياء - وإن كان مقتبسًا من الشمس - حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر، حتى يصير كالعرجون القديم - وهو أصل العذق[٥] -"[٦]، دليل وأوضح بيّن على وجود الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ

---

(١) ص: ٢٨١.
(٢) الأنعام: ٧٧-٧٩.
(٣) ص: ٢٨٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/ ٩، وتفسير القرطبي: ١٥/ ٢٦، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٥٧٥.
(٥) تفسير القرطبي: ١٥/ ٣٠.
(٦) تفسير ابن كثير: ٦/ ٥٧٥.

فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾[١].

وفي قوله ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله»[٢]، " أي دليلان على وجود الحق سبحانه، وقهره، وكمال الإلهية"[٣].

ثانيًا: توحيد الربوبية:

الرب هو الخالق المدبر المتصرف، والله ﷻ يخبر أنه رب السماوات والأرض وما بينهما، ومن ذلك القمر[٤]، قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾[٧].

فالقمر مخلوق مدبر مسخر، لا تصرف له في نفسه بوجه ما، بل ربه وخالقه سبحانه يتصرف به كيف شاء، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٨].

وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال، قال:

---

(١) يس: ٣٧-٤٠.
(٢) سبق تخريجه: ٨.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٢/ ٥٥٢.
(٤) انظر: تفسير البغوي: ٣/ ٦٥٤، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٤٢٦، ٧/ ٨٦.
(٥) الصافات: ٥.
(٦) الأنبياء: ٣٣.
(٧) نوح: ١٥-١٦.
(٨) الأعراف: ٥٤.

«اللهم أهلله[١] علينا باليمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله»[٢].

وفي قوله: «ربي وربك الله»، "تنزيه للخالق أن يشاركه في تدبير ما خلق شيء،... وعلى أن التوجه فيه إلى الرب لا إلى المربوب، والالتفات في ذلك إلى صنع الصانع لا إلى المصنوع"[٣].

ولهذا كان النبي ﷺ إذا رأى الهلال كبر، فعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال: «الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربي وربك الله»[٤].

"لأنه آية عظيمة على عظمة الرب وكبريائه، والتكبير تعظيم لله، واعتقاد أنه أكبر من كل شيء، وأنه لا شيء أكبر منه"[٥].

---

(١) كذا عند الترمذي، وعند أحمد" أهله".

(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال: ٥٤٥ برقم (٣٤٥١)، والمسند: ٣/ ١٧ برقم (١٣٩٧)، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وقال ابن علان في"الفتوحات الربانية" ٤/ ٣٢٩: "إنما حسنه الترمذي لشواهده، وقول الترمذي: غريب، أي: بهذا السند"، وانظر السلسلة الصحيحة: ٤/ ٤٣٠ برقم (١٨١٦).

(٣) فيض القدير: ٥/ ١٣٥.

(٤) سنن الدارمي، كتاب الصوم، باب ما يقال عند رؤية الهلال: ٢/ ٧ برقم (١٦٨٧)، قال الألباني: " حديث صحيح بشواهده". انظر: الكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، ط ١: ١٣٩.

(٥) فقه الأدعية والأذكار، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن القيم، الدمام، ط ١: ٣/ ٢٥٤.

ثالثًا: توحيد الأسماء والصفات:

١- صفة العلم والقدرة:

قد سبق في مبحث الشمس[(١)] بيان الاستدلال بخلقها على كمال قدرة الله وعلمه، وعظيم سلطانه، وأن في جعله الشمس ضياءً والقمر نورًا، وفي جريانهما على نظام واحد، دليل من أعظم الدلائل على علم الله وقدرته.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾[(٢)]، دليل على قدرته وعلمه، حيث جعل "سلطان القمر بالليل، وقدره منازل، فأول ما يبدو صغيرًا، ثم يتزايد نُوره وجرمه، حتى يستوسق ويكمل إبداره، ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حاله الأول في تمام شهر"[(٣)].

وفي آية أخرى بعد أن ذكر التقدير للشمس والقمر، بين أن هذا التقدير من عزيز عليم، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[(٤)].

٢- صفة الرؤية والعلو:

سبق في مبحث الشمس بيان الاستدلال بها على صفة الرؤية والعلو[(٥)]، وحيث قرن القمر بالشمس في نفس الحديث؛ فإنه يستدل به نفس الاستدلال من إثبات رؤية الله تعالى وعلوه، وأن المؤمنين يرون ربهم كما يرون الشمس والقمر صحوًا ليس دونها سحاب، ومن جهة العلو.

---

(١) ص: ٢٨٣.
(٢) يس: ٣٩-٤٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٤٨.
(٤) الأنعام: ٩٦.
(٥) ص: ٢٨٤.

رابعًا: توحيد الألوهية:

سبق في مبحث الشمس الاستدلال بها على توحيد الألوهية[(١)]، وحيث قرن القمر بالشمس في الآيات القرآنية كان وجه الدلالة منه على توحيد الألوهية هو نفس وجه دلالة الشمس على توحيد الألوهية، فإن الخالق لهذه الآية الكونية - القمر - المسخر له هو المستحق للعبادة، والذي يجب أن يفرد بالعبادة كما أنه المتفرد بالخلق والتسخير.

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾[(٣)].

١- بعض أنواع العبادات القلبية:

أ- الاستعاذة بالله:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾[(٤)]، والغاسق: القمر، وإذا وقب: أي دخل في الخسوف، وأخذ الغيبوبة وأظلم، أو دخل في الظلمة[(٥)].

وقد أمر النبي ﷺ بالاستعاذة من القمر إذا وقب، فعن عائشة رضي الله عنها أن

(١) ص: ٢٨٦.
(٢) العنكبوت: ٦١.
(٣) لقمان: ٢٩-٣٠.
(٤) الفلق: ١-٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/ ٤٣٠، وتفسير البغوي: ٤/ ٧٢٥، وتفسير ابن كثير: ٨/ ٥٣٥.

النبي ﷺ نظر إلى القمر فقال: «يا عائشة، تعوذي بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب»(١).

ب- اليقين والإخلاص:

إن رؤية الآيات الكونية - ومنها القمر - والتفكر فيها يزيد القلب يقينًا وإيمانًا، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾(٢)، "أي نريه ذلك ليكون عالمًا وموقنًا"(٣).

ثم ذكر الله ﷻ قول إبراهيم عليه السلام بعد غياب القمر، وأنه تبرأ من الشرك، ووجه وجهه لله ﷻ، مخلصًا له، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾(٤).

وفي حديث الكسوف حث النبي ﷺ عند رؤية هذه الآية إلى الإخلاص لله، حيث أمر بالمبادرة بالعبادة لله تعالى(٥).

٢- القسم:

سبق في المبحث السابق الشمس إقسام الله بها(٦)، وحيث قرن القمر

---

(١) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المعوذتين: ٥٣٣ برقم (٣٣٦٦)، والمسند: ٨/٤٣ برقم (٢٥٨٠٢)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وانظر: السلسلة الصحيحة: ١/ ٧١٤ برقم (٣٧٢).

(٢) الأنعام: ٧٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٩١.

(٤) الأنعام: ٧٧-٧٨.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم: ٣/ ٣٣٦.

(٦) ص: ٢٩٠.

بالشمس، فإنه ذكر معها في الآيات المقسم بها، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾[١].

كما أقسم تعالى بالقمر، وبالليل وقت إدباره، والنهار وقت إسفاره، على أن سقر - جهنم - إحدى الأمور العظام، لاشتمال هذه المذكورات على آيات الله العظيمة، الدالة على كمال قدرة الله وحكمته، وسعة سلطانه، وعموم رحمته، وإحاطة علمه[٢]، فقال تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ۝٣٤ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ۝٣٥﴾[٣].

٣- التوسل:

سبق في المبحث السابق: الشمس[٤] بيان أن من دعاء النبي ﷺ: «اللهم فالق الإصباح، وجاعل الليل سكنا، والشمس والقمر حسبانا، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر، وأمتعني بسمعي وبصري وقوتي في سبيلك»[٥].

وأن هذا توسل إلى الله ﷻ بما وصف من أفعاله به نفسه - ومنه جعل الشمس والقمر حسبانًا - في قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٩٦﴾[٦].

---

(١) الشمس: ١-٢.
(٢) انظر: تفسير البغوي: ٤/ ٥٠٦، وتفسير السعدي: ١/ ٨٩٧.
(٣) المدثر: ٣٢-٣٥.
(٤) ص: ٢٩١.
(٥) سبق تخريجه: ٢٩١.
(٦) الأنعام: ٩٦.

خامسًا: الإيمان بالرسل:

قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[(١)]، وقد كان هذا في زمن رسول الله ﷺ[(٢)]، وهو من الأدلة والآيات البينة على نبوة محمد ﷺ.

فقد سأل أهل مكة رسولَ الله ﷺ آية، فأراهم انشقاق القمر، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «سأل أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين، فقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[(٣)].

وعنه رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شِقَّين، حتى رأوا حِرَاء بينهما[(٤)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقين حتى نظروا إليه، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ٱشْهَدُواْ﴾[(٥)].

وفي شمائل الرسول ﷺ وصف وجه كأنه قطعة قمر، ففي قصة توبة كعب بن مالك رضي الله عنه، قال: «فلما سلمت على رسول الله ﷺ، وهو يبرق وجهه من السرور، وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه»[(٦)].

وقد سئل البراء رضي الله عنه: «أكان وجه النبي مثل السيف قال لا، بل مثل القمر»[(٧)].

---

(١) القمر: ١.

(٢) انظر: دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن حسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١: ٢/ ٢٦٢، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٤٧٢، ٤٧٥، والبراهين العلمية على صحة العقيدة الإسلامية: ٢٠٥-٢٠٦.

(٣) سبق تخريجه: ٦٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر: ٧٣٣ برقم (٣٨٦٧).

(٥) سبق تخريجه: ٦٦.

(٦) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ: ٦٨١ برقم (٣٥٥٦).

(٧) صحيح البخاري كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ: ٦٨١: برقم (٣٥٥٢).

"كأن السائل أراد أنه مثل السيف في الطول، فرد عليه البراء رضي الله عنه فقال: بل مثل القمر، أي في التدوير، ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف في اللمعان والصقال؟ فقال: بل فوق ذلك، وعدل إلى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان"(١).

سادسًا: الإيمان باليوم الآخر:

سبق في المبحث السابق: الشمس بيان الاستدلال بها على الإيمان باليوم الآخر(٢)، وحيث قرن القمر بالشمس؛ فإنه يستدل به على الإيمان باليوم الآخر بنفس الاستدلال بالشمس.

وقد ذكر الله عز وجل أنه يفصّل الآيات - ومنها القمر - لعل الناس يوقنون بلقاء ربهم، فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾، ثم قال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾(٣) أي" يفصل لكم ربُّكم آيات كتابه، فيبينها لكم احتجاجًا بها عليكم، أيها الناس، لتوقنوا بلقاء الله، والمعاد إليه، فتصدقوا بوعده ووعيده، وتنزجروا عن عبادة الآلهة والأوثان، وتخلصوا له العبادة إذا أيقنتم ذلك"(٤).

وكما ذُكر أيضًا في المبحث السابق: الشمس(٥)، وجه الدلالة على البعث، من جهة أن الذي خلق هذه الآيات العظيمة - ومنها الشمس والقمر - قادر على البعث بعد الموت، وإعادة الخلق.

---

(١) فتح الباري: ٦/ ٥٧٣، ٨/ ١٢٢، عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٢٤/ ١١٠.
(٢) ص: ٢٩٣.
(٣) الرعد: ٢.
(٤) تفسير الطبري: ١٣/ ١١٥، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٣٠.
(٥) ص: ٢٩٤.

وفي بيان أول زمرة[(١)] تدخل الجنة بين ﷺ أنهم على صورة القمر، فقال: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوء كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا زمرة واحدة، منهم على صورة القمر» الحديث[(٣)].

" يعني: أنهم في إشراق وجوههم على صفة القمر ليلة تمامه، وكماله، وهي ليلة أربعة عشر، وبذلك سمي القمر بدرًا في تلك الليلة، ومقتضى هذا أن أبواب الجنة متفاوتة بحسب درجاتهم "[(٤)].

وقد أقسم الله تعالى بآيات الليل - ومنها القمر إذا امتلأ نورًا بإبداره[(٥)] - على ركوب الناس أطوارًا متعددة، وأحوالًا متباينة، من خلق في مراحل متعددة، ثم موتٍ، ثم بعثٍ ومجازاةٍ، وهذه الأمور دالة على أن الله وحده هو المعبود، المدبر لعباده بحكمته ورحمته، وعلى البعث والجزاء[(٦)]، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾الآيات[(٧)].

---

(١) الزمرة: الجماعة في تفرقة بعضها في اثر بعض. انظر: شرح النووي على مسلم: ٣/ ٩٠.
(٢) صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة: ٤/ ٢١٧٨ برقم (٢٨٣٤).
(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب: ١/ ١٩٨ برقم (٢١٧).
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٧/ ١٧٩، وانظر: فتح الباري: ١١/ ٤١٣.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٨/ ٣٥٩.
(٦) تفسير السعدي: ١/ ٩١٨.
(٧) الانشقاق: ١٦-١٩.

سابعًا: الإيمان بالقدر:

سبق في المبحث السابق: الشمس الاستدلال بها على الإيمان بالقدر[(١)]، وحيث قرن القمر بالشمس فإنه يستدل به نفس الاستدلال بالشمس على الإيمان بالقدر من جهة خلق الله للأشياء ومنها القمر، وتسخيره له على مقتضى حكمته، وأن ذلك بتقدير من العزيز العليم، قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾[(٣)].

---

(١) ص: ٢٩٥.
(٢) يس: ٣٩-٤٠.
(٣) الأنعام: ٩٦.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية:

أولًا: عبادة القمر:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية أنها عبدت من دون الله ﷻ، فجعلوا القمر إلهًا وربًا[(١)]، وجعلوا له مصحفًا، ويسبحون له ويدعونه.

وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر»[(٢)].

وسبق في المبحث السابق: الشمس[(٣)] كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن تعظيم المشركين للشمس والقمر والكواكب، وأنهم يسجدون لها، ويتذللون لها، ويسبحونها تسابيح لها معروفة في كتبهم، ودعوات لا ينبغي أن يدعى بها إلا خالقها وفاطرها وحده.

وأنهم جعلوا للقمر مصحفًا، وتسبيحةً خاصة، وأن في مصحف القمر من مخاطبته بالخطاب الذي لا يليق إلا بالله ﷻ، ولا ينبغي لأحد سواه، ومن الخضوع والذل والعبادة.

وسبق بيان أنهما مخلوقان من مخلوقاته، تحت قهره وتسخيره، وأنهما يسجدان لخالقهما، وأن الله نهى عن عبادتهما والسجود لهما، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ

---

(١) ومنهم الصابئة، وعبدة الكواكب في الهند - الجندريكنية. انظر: الملل والنحل: ٢/ ١٢٩٢، والموسوعة العربية: ١٨/ ٣٣٠.

(٢) سبق تخريجه: ٢٩٩.

(٣) ص: ٢٩٩.

وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[١]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾[٢].

وفي حديث رؤية الهلال[٣]: قوله: «ربي وربك الله»: "فيه إثبات أن الناس والقمر وجميع المخلوقات كلها مربوبة لله مسخرة بأمره خاضعة لحكمه، وفي هذا رد على من عبدها من دون الله.

وفيه إقتداء النبي ﷺ بأبيه إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾[٤]، بعد قوله ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾[٥]"[٦].

ثانيًا: نسبة الحوادث إلى حركة القمر:

سبق في المبحث السابق: الشمس[٧] بيان أن من المخالفات العقدية نسبة الحوادث إلى حركة الشمس، وما تقتضيه هذه الحركة من السعود والنحوس، وما تعطيه من السعادة والشقاوة، وتهبه من الأعمار والأرزاق والآجال، والصنائع والعلوم والمعارف، والصور الحيوانية والنباتية والمعدنية، وسائر ما في هذا العالم من الخير والشر.

وبيان أنه ليس في القرآن ولا السنة ما يدل على ذلك، بل فيهما ما يبطله ويرده، وقد بين النبي ﷺ في حديث الكسوف بطلان ما يعتقده أهل الجاهلية

---

(١) فصلت: ٣٧.
(٢) الحج: ١٨.
(٣) سبق تخريجه: ٣٢١.
(٤) الأنعام: ٧٦.
(٥) الأنعام: ٧٦.
(٦) فيض القدير: ٥/ ١٣٥.
(٧) ص: ٣٠٠.

من أن كسوف الشمس أو القمر لموت أحد أو حياته، فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته»[(١)].

وكذلك يقال في القمر، وأن حركته ليس لها تأثير في الحوادث، وأن القمر مسخر بأمر الله[(٢)]، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٣)].

ثالثًا: تحريف معنى سجود القمر:

سبق في المبحث السابق: الشمس[(٤)]، بيان أن من المخالفات العقدية تحريف معنى سجود الشمس الوارد في الكتاب والسنة، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨)﴾[(٥)].

فقال بعضهم: أن المراد بهذا السجود الخشوع والانقياد، وقيل: المراد بالسجود الدلالة على الله.

وكذلك قيل في سجود القمر.

والجواب أنه قد سبق في مبحث عبودية الكائنات[(٦)] أن هذه الآيات الكونية تسجد لله سجودًا حقيقيًا الله أعلم بكيفيته، وأن هذا السجود من الأمور الغيبية التي يجب أن نصدق بها ونسلم، وأن كل شيء يسجد لله طوعا

---

(١) سبق تخريجه: ٨.
(٢) انظر: مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٩٨-٢٩٩.
(٣) الأعراف: ٥٤.
(٤) ص: ٣٠١.
(٥) الحج: ١٨.
(٦) انظر: ٧١.

وكرها، وأن وسجود كل شيء مما يختص به[١]، كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[٢].

رابعًا: اعتقاد أن اسم الله مكتوب على القمر، أو أن نوره من نور الله:

سبق في المبحث السابق: الشمس[٣] أن من المخالفات العقدية اعتقاد أن اسم الله مكتوب على الشمس، أو نورها من نور الله، ولذلك نهى بعض الفقهاء عن استقبال الشمس وقال في علة ذلك: أن اسم الله مكتوب عليها، ومنهم من قال لأن نورها من نور الله.

وكذلك قيل في القمر، أن اسم الله مكتوب عليه، أو أن نوره من نور الله[٤]، وهذا لم يثبت به حديث عن النبي ﷺ[٥].

خامسًا: إنكار كون خسوف القمر آية من آيات الله يخوف الله به عبادة:

سبق في المبحث السابق: الشمس[٦] بيان أن من المخالفات العقدية إنكار كون كسوف الشمس آية من آيات الله يخوف بها عباده، وأن هذا أمر طبيعي.

وبينتُ فيه منزلة الأسباب في الشريعة، وأن الناس في هذا المقام طرفان ووسط:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٥/٤٠٣.
(٢) الإسراء: ٤٤.
(٣) ص: ٣٠٦.
(٤) انظر: كشاف القناع عن متن الإقناع: ١/٧٦.
(٥) مفتاح دار السعادة: ٢/٢٨٦.
(٦) ص: ٣٠٦.

الطرف الأول: غلا في إثبات الأسباب، وأن هذه أمور طبيعية.

والطرف الثاني: أنكر الأسباب، ورد جميع ما قاله أهل الهيئة من حق وباطل.

والوسط: أن كسوف الشمس له أسباب حسية يقدرها الله ﷻ، وأنه آية يخوف الله بها عبادة.

وأن أسباب الكسوف وحسابه والنظر في ذلك ليس من علم الغيب، وأن حدوث الكسوف آية يخوف الله بها عبادة، وأن ذلك لا يتعارض مع الأسباب الحسية ومعرفتها.

وأنه ليس من شرط التخويف أن لا يكون له سبب.

وأن التخويف الذي يحصل لأهل الإيمان من هذه الآية من وجوه متعددة، أوضحها: أن ذلك مذكر بالكسوفات التي تكون بين يدي الساعة، ويمكن أن يكون ذلك الكسوف منها، ولذلك قام النبي ﷺ فزعًا يخشى أن تقوم الساعة، وكيف لا وقد قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾[(١)]؟.

وكذلك يقال في خسوف القمر، وأنه آية من آيات الله يخوف الله به عباده.

سادسًا: الجزم بوقوع الخسوف:

سبق في المبحث السابق: الشمس[(٢)] أن من المخالفات العقدية الجزم بوقوع الكسوف، وبيان أن معرفة وقوع الكسوف لا يلزم منه وقوعه، وأن أخبار الحسابين كأخبار بني إسرائيل، لا تصدق ولا تكذب.

---

(١) القيامة: ٧-٩.

(٢) ص: ٣٠٨.

وكذلك يقال في خسوف القمر، وأنه لا يجوز الجزم بوقوعه، وأن أمر الحسابين في ذلك لا يصدق، ولا يكذب.

سابعًا: إنكار انشقاق القمر:

إن من دلائل نبوة محمد ﷺ انشقاق القمر له عليه الصلاة والسلام، وقد أنكر كفار قريش ذلك، وقالوا: إنه سحر[١]، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾[٢].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة.

قال: فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السّفّار، فإن محمدًا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. قال: فجاء السّفّار فقالوا: ذلك"[٣].

ثامنًا: سب القمر:

سبق في المبحث السابق: الشمس[٤] بيان أن من المخالفات العقدية سب الشمس، وذكر الحديث الوارد في ذلك، وفيه النهي أيضًا عن سب القمر، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الليل ولا النهار، ولا الشمس ولا القمر، ولا الرياح فإنها ترسل رحمة لقوم، وعذابا لقوم»[٥].

---

(١) انظر: دلائل النبوة: ٢/ ٢٦٢، ومنهج المدرسة العقلية: ٥٨٣.

(٢) القمر: ١-٢.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط ١: ١/ ٢٣٦ برقم (٢٩٣)، والبيهقي في دلائل النبوة: ٢/ ٢٦٢، والبخاري تعليقًا، كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر: ٧٣٤ برقم (٣٨٦٩)، وانظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٤٧٤، وتغليق التعليق على صحيح البخاري للحافظ أحمد بن حجر، تحقيق: سعيد القزقي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢: ٤/ ٨٨.

(٤) ص: ٣١١.

(٥) سبق تخريجه: ٣١١.

وبيان أن سبها يعود على خالقها، وأن الله تعالى قال في الحديث القدسي: «يؤذني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر اقلب الليل والنهار»[(١)].

تاسعًا: استقبال القمر عند الدعاء كاستقبال القبلة عند الصلاة:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية استقبال الهلال عند الدعاء كما تستقبل القبلة عند الصلاة، "وكل ذلك لا يجوز؛ لما تقرر في الشرع أنه لا يستقبل بالدعاء إلا ما يستقبل بالصلاة"[(٢)].

عن علي ﵁ قال: «إذا رأى أحدكم الهلال فلا يرفع به رأسا، بل يكفي أحدكم أن يقول: ربي وربك الله»[(٣)].

وعن ابن عباس ﵄ «أنه كره أن ينتصب للهلال، ولكن يعترض فيقول الله أكبر الحمد لله الذي أذهب هلال كذا وكذا، وجاء بهلال كذا وكذا»[(٤)].

(١) سبق تخريجه: ٣١١.

(٢) تعليق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني على كتاب الكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية: ١٣٩.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: حمد الجمعة ومحمد اللحيدان، دار الرشد، الرياض، ط١: ٤/ ١٥٨ برقم (٩٨١٧).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٤/ ١٦٠ برقم (٩٨٢٦).

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- سحر القمر:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كُسِفَ القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: سُحِر القمر، فنزلت: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾[١]»[٢].

٢- الشمس والقمر ثوران عقيران في النار:

سبق في المبحث السابق: الشمس[٣] بيان ضعف الحديث الوارد في ذلك وأنه لا يصح.

٣- خشوع القمر عند تجلي الله:

في بعض ألفاظ حديث الكسوف: «إن الشمس والقمر خَلْقان من خَلْق الله، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن الله ﷻ إذا تَجَلى لشيء من خلقه خشع له».

وسبق في المبحث السابق: الشمس بيان ضعف هذالزيادة في الحديث وأنها لا تصح[٤].

---

(١) القمر: ١-٢.

(٢) المعجم الكبير للطبراني: ١١/ ٢٥٠ برقم (١١٦٦٨).

(٣) ص: ٣١٤.

(٤) ص: ٣١٥.

المبحث الرابع
النجم

النجم في اللغة:

النون والجيم والميم أصلٌ صحيح يدلُّ على طلوع وظهور، ونَجَمَ النَّجمُ: طَلَعَ، ونجم السن والقرنُ: طلعا.

والنجم الثريا، اسم لها. وإذا قالوا طلع النجم، فإنهم يريدونها. وليس لهذا الحديث نجم، أي أصل ومَطْلَع(١).

وفي الصحاح: النجم: الكوكب. والنجم الثريا، وهو اسم لها علم، فإذا قالوا طلع النجم يريدون الثريا، وإن أخرجت منه الألف واللام تَنَكّر(٢).

وفي الاصطلاح: النَّجمة كرة ضخمة من غاز متوهج في السماء(٣).

وفي الموسوعة الفلكية: النجم: كرة غازية مضيئة، وذات درجة حرارة عالية(٤).

النوء في اللغة:

نوى: النون والواو والحرف المعتلّ أصلٌ صحيح يدلُّ على معنيين: أحدهما مَقْصَدٌ لشيء، والآخر عَجَمُ شيء.

وبالهمز كلمةٌ تدلُّ على النُّهُوض وناءَ ينوءُ نوءًا: نَهَضَ.... والنَّوْءُ من

(١) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٣٩٦-٣٩٧.
(٢) الصحاح: ٥/ ٢٠٣٩.
(٣) الموسوعة العربية العالمية: ٢٥/ ٢٢٧.
(٤) الموسوعة الفلكية: ٥٢٥.

أنواءِ المطَر كأنَّه ينهَض بالمطر[(١)].

وفي الصحاح: نوأ: ناء ينوء نوءا: نهض بجهد ومشقة. وناء: سقط وهو من الأضداد، والنوء: سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر، وطلوع رقيبه من الشرق يقابله من ساعته، والجمع أنواء[(٢)].

الكوكب في اللغة:

في معجم مقاييس اللغة: معنى كوكب في مادة "كب"، وهذا الباب أصل صحيح يدل على جمع وتجمع، ولا يشذ منه شيء، يقال لما تجمع من الرمل كُباب، ومن الباب كوكب الماء وهو معظمه... والكوكب يسمى كوكبًا من هذا القياس[(٣)].

وفي الصحاح: الكوكب النجم، يقال كوكب وكوكبة، كما قالوا: بياض وبياضة، وعجوز وعجوزة. وكوكب الشئ: معظمه[(٤)].

وقد ورد لفظ النجم في القرآن في (٤) مواضع، وبلفظ الجمع في (٩) مواضع[(٥)]، أما لفظ النوء فلم يرد في القرآن.

وأما لفظ الكوكب فقد ورد في القرآن في (٣) مواضع، وبلفظ الجمع في موضعين[(٦)].

وقد وردت النجوم والكواكب في السنة في (٦٠) حديثًا[(٧)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٣٦٦.
(٢) الصحاح: ١/ ٧٨-٧٩.
(٣) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ١٢٤.
(٤) الصحاح: ١/ ٢١٣.
(٥) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٨٦١.
(٦) انظر: المرجع السابق: ٧٩٠.
(٧) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٧.

الدلائل العقدية للآية الكونية - النجم -:

النجم آية من آيات الله التي تدل على خالقها وعلى قدرته وعلمه وحكمته، فهو آية عظيمة على عظمة الرب وكبريائه، وقد ذكرها الله ﷻ ضمن جملة من آياته في سورة النحل، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾[١]، ثم قال: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾[٢].

وقد سبق في المبحثين السابقين - عن الآيتين الكونية الشمس والقمر[٣] - كلام ابن القيم - رحمه الله - بأن الله ﷻ لم يقسم بشيء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر.

"وهو سبحانه يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لتضمنه الآيات والعجائب الدالة عليه، وكلما كان أعظم آية وأبلغ في الدلالة كان إقسامه به أكثر من غيره، ولهذا يعظم هذا القسم"[٤] كقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾[٦].

---

(١) النحل: ١٢.
(٢) النحل: ١٦-١٧.
(٣) ص: ٢٨١، ٣١٨.
(٤) مفتاح دار السعادة: ١/ ٣٠٤.
(٥) الواقعة: ٧٥-٧٦.
(٦) النجم: ١.

أولًا: وجود الله:

سبق في المبحثين السابقين - الشمس والقمر -[١] الاستدلال بهما في مناظرة إبراهيم عليه السلام على قومه على وجود الله ووحدانيته، وأنه المستحق للعبادة[٢]، وكذلك استدل إبراهيم عليه السلام بالكوكب - وهو النجم - من ضمن أدلته على وجود الله وأنه المستحق للعبادة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾[٣].

وهذه النجوم التي خلقها الله، وجعلها مصابيح وزينة للسماء، وعلامات يهتدى بها، "من أدل الدلائل على وجود الخالق وقدرته وإرادته وعلمه وحكمته ووحدانيته"[٤].

ثانيًا: توحيد الربوبية:

الرب هو الخالق المدبر المتصرف، والله عز وجل يخبر أنه رب السماوات والأرض وما بينهما، ومن ذلك النجوم[٥]، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ

(١) ص: ٢٨١، ٣١٩.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٩٠.
(٣) الأنعام: ٧٥-٧٩.
(٤) مفتاح دار السعادة: ١/ ٣٢٦.
(٥) انظر: تفسير البغوي: ٣/ ٦٥٤، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٤٢٦، ٧/ ٨٦.

يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[٣]، فدلائل "التسخير والاضطرار عليها من لزومها حركة لا سبيل لها إلى الخروج عنها، ولزومها موضعا من الفلك لا تتمكن من الانتقال عنه، واطراد سيرها على وجه مخصوص لا تفارقه البتة أبين دليل على أنها مسخرة مقهورة على حركاتها، محركة بتحريك قاهر لا متحركة بإرادتها واختيارها"[٤].

فلا تصرف لها في نفسها بوجه ما، بل ربها وخالقها سبحانه يتصرف بها كيف شاء، وهذا من أدلة ربوبية الله ووحدانيته، ومن أعظم الأدلة "وأوضحها على أن العالم مخلوق لخالق حكيم قدير عليم، قدره أحسن تقدير، ونظمه أحسن نظام، وأن الخالق له يستحيل أن يكون اثنين، بل إله واحد لا إله إلا هو، تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا"[٥].

وقد أخبر الله ﷻ بأنه رب الشعرى - وهو نجم -، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾[٦]، "وخصها الله بالذكر، وإن كان رب كل شيء، لأن هذا النجم مما عبد في الجاهلية، فأخبر تعالى أن جنس ما يعبده المشركون

(١) النحل: ١٢.
(٢) النحل: ١٦-١٧.
(٣) الأعراف: .
(٤) مفتاح دار السعادة: ٢/ ١٧٩.
(٥) المرجع السابق: ١/ ٣١٩.
(٦) النجم: ٤٩.

مربوب مدبر مخلوق، فكيف تتخذ إلها مع الله"(١).

وأقسم الله ﷻ بالنجوم، وعظم ذلك القسم، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾(٢)، وهو" سبحانه إنما يقسم من مخلوقاته بما هو من آياته الدالة على ربوبيته ووحدانيته"(٣).

ثالثًا: توحيد الألوهية:

قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝١٦ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾(٤)، لما ذكر تعالى ما خلقه من المخلوقات العظيمة - ومنها النجوم -، وما أنعم به من النعم العظيمة، ذكر أنه لا يشبهه أحد، وأنه الخالق لجميع المخلوقات، وهو الفعال لما يريد، فكما أنه المنفرد بالخلق والتدبير فهو أحق بالعبادة كلها، وهو واحد في خلقه وتدبيره وواحد في إلهيته وتوحيده وعبادته(٥).

١- اليقين والإخلاص:

سبق في المبحثين السابقين الشمس والقمر(٦) بيان أن رؤية الآيات الكونية - ومنها الشمس والقمر - والتفكر فيها يزيد القلب يقينًا وإيمانًا، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾(٧)، "أي نريه ذلك ليكون عالمًا وموقنًا"(٨).

---

(١) تفسير السعدي: ٨٢٢، وانظر: تفسير الطبري: ٢٧/ ٩٠.
(٢) الواقعة: ٧٥-٧٦.
(٣) مفتاح دار السعادة: ١/ ٣٠٥.
(٤) النحل: ١٦-١٧.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٦٤، تفسير السعدي: ٤٣٧.
(٦) ص: ٢٨٩، ٣٢٤.
(٧) الأنعام: ٧٥.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٩١.

وبيان قول إبراهيم عليه السلام بعد غياب الشمس والقمر، وأنه تبرأ من الشرك، ووجه وجهه لله عز وجل، مخلصًا له.

وفي أول الآيات ذكر الله عز وجل قول إبراهيم - عليه السلام - عن الكوكب - وهو النجم -، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾[١].

ثم ذكر بعدها توجه إبراهيم عليه السلام إلى ربه، وبراءته من الشرك وإخلاصه العبادة للذي فطر السماوات والأرض: ﴿...قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾[٢]

٢- القسم:

الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا يجوز له أن يقسم إلا بالخالق وأسمائه وصفاته[٣].

وقد أقسم الله تعالى بالنجم عند هويّه أي سقوطه في الأفق في أخر الليل، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[٤]، كما أقسم تعالى بالسماء وما جعل فيها من النجوم فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾[٥].

" لأن في ذلك من آيات الله العظيمة، ما أوجب أن أقسم به"[٦]، وغاية

---

(١) الأنعام: ٧٦.
(٢) الأنعام: ٧٨-٧٩.
(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: ٥٩٠.
(٤) النجم: ١-٤.
(٥) الطارق: ١-٤.
(٦) تفسير السعدي: ٨١٨.

هذا الإقسام من الله " التنبيه على كمال ربوبيته وعزته وحكمته وقدرته وتدبيره، وتنوع مخلوقاته الدالة عليه المرشدة إليه، بما تضمنته من عجائب الصنعة، وبديع الخلقة، وتشهد لفاطرها وبارئها بأنه الواحد الأحد الذي لا شريك له، وأنه الكامل في علمه وقدرته ومشيئته وحكمته وربوبيته وملكه، وأنها مسخرة مذللة منقادة لأمره، مطيعة لمراده منها "(١).

ثالثًا: الإيمان بالكتب:

قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾(٢).

لما قال الكفار ما قالوا عن القرآن من أنه سحر وشعر وكهانة(٣) أقسم الله تعالى بالنجوم ومواقعها أي مساقطها في مغاربها، وعظم هذا المقسم به " لأن في النجوم وجريانها، وسقوطها عند مغاربها، آيات وعبرا لا يمكن حصرها "(٤).

أقسم بذلك على " إثبات القرآن، وأنه حق لا ريب فيه، ولا شك يعتريه، وأنه كريم "(٥)، في كتاب معظم محفوظ موقر.

وسبق بيان إقسام الله تعالى بالنجم عند هويه(٦)، ومن جملة المقسم عليه " صحة ما جاء به الرسول ﷺ من الوحي الإلهي، لأن في ذلك مناسبة عجيبة، فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء، فكذلك الوحي وآثاره زينة

---

(١) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٦٤.
(٢) الواقعة: ٧٥-٧٨.
(٣) انظر: تفسير البغوي: ٤/ ٣١٤، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٥٤٣.
(٤) تفسير السعدي: ٨٣٦.
(٥) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٤/ ٥٠.
(٦) ص: ٣٤٤.

للأرض، فلولا العلم الموروث عن الأنبياء، لكان الناس في ظلمة أشد من الليل البهيم"(١).

رابعًا: الإيمان بالرسل:

كان من علامة مبعث النبي ﷺ رمي الجن بالنجوم، ومنعها من استراق السمع، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا، فأما الكلمة فتكون حقا، وأما ما زادوه فيكون باطلا، فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس، ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائمًا يصلي بين جبلين أراه قال: بمكة، فلقوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض»(٢).

وسبق بيان إقسام الله تعالى بالنجم عند هويه(٣)، ومن جملة المقسم عليه "تنزيه الرسول ﷺ عن الضلال في علمه، والغي في قصده، ويلزم من ذلك أن يكون مهتديا في علمه، هاديا، حسن القصد، ناصحا للأمة بعكس ما عليه أهل الضلال من فساد العلم، وفساد القصد"(٤).

---

(١) تفسير السعدي: ٨١٨، وانظر: تيسير العزيز الحميد: ٣٩٧.

(٢) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة سبأ: ٥١٢ برقم (٣٣٢٤)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ومسند الإمام أحمد: ٤/ ٢٨٣ برقم (٢٤٨٢)، ٥/ ١٢٥ برقم (٢٩٧٦)، وقال المحقق: إسناده حسن.

(٣) ص: ٣٤٤.

(٤) تفسير السعدي: ٨١٨.

خامسًا: الإيمان بالملائكة:

سبق في مبحث الآية الكونية السماء[(١)] بيان الإقسام من الله ﷻ بالسماء والطارق، والمقسم عليه أن كل نفس عليها من الله حافظ من الملائكة يحرسها من الآفات[(٢)]، كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾[(٣)].

سادسًا: الإيمان باليوم الآخر:

أخبر النبي ﷺ أن الجنة درجات، وأن أهل الدرجات العلى يراهم من تحتهم كما يرون النجم الطالع في أفق السماء، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر، وعمر منهم وأنعما»[(٤)].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة، كما تراؤون الكوكب في السماء»[(٥)].

وفي بيان صورة أهل الجنة عند دخولهم الجنة بين ﷺ أن الزمرة الثانية على أشد نجم في السماء، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم

---

(١) ص: ٢٣٩، ٣٤٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/ ١٧٣، تفسير البغوي: ٤/ ٥٩٣.

(٣) الرعد: ١١.

(٤) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ٥٧٣، برقم (٣٦٥٨)، وقال: هذا حديث حسن روي من غير وجه، ومسند الإمام أحمد: ١٧/ ٣١٠ برقم (١١٢١٣)، قال المحقق: حسن لغيره، وقال البغوي في شرح السنة: ١٤/ ٩٩ برقم (٣٨٩٢): هذا حديث حسن.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء: ٤/ ٢١٧٧ برقم (٢٨٣٠).

على أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل»[(١)].

وفي حديث أخر بين ﷺ أنهم على صورة أضواء كوكب دري، فقال: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوإ كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب»[(٢)].

وأخبر ﷺ أنه أعطي الحوض، وأن عدد آنيته عدد النجوم، وفي رواية أكثر من عدد النجوم، فعن أنس رضي الله عنه قال: «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت علي آنفا سورة فقرأ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾[(٣)]، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير وحوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج[(٤)] العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي؟ فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك»[(٥)].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم: ٤/ ٢١٧٨ برقم (٢٨٣٤).

(٢) سبق تخريجه: ٣٢٨.

(٣) الكوثر: ١-٣.

(٤) أي يجتذب ويقتطع، وأصل الخلج: الجذب والنزع. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٥٩.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة: ١/ ٣٠٠ برقم (٤٠٠).

ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل»[(١)].

سابعًا: منزلة الصحابة:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[(٢)].

في هذا الحديث تشبيه منزلة الصحابة للأمة بمنزلة النجوم للسماء[(٣)]؛ فالنجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وكذلك الصحابة، والنجوم زينة للسماء، ورجوم للشياطين حائلة بينهم وبين استراق السمع لئلا يلبسوا بما يسترقونه من الوحي الوارد إلى الرسل من الله على أيدي ملائكته، وكذلك الصحابة زينة للأرض ورجومًا لشياطين الإنس والجن الذي يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا[(٤)]، فإذا انطمست النجوم، أوشك أن تضل الهداة، وهو "إشارة إلى الفتن الحادثة بعد انقراض عصر الصحابة من طمس السنن وظهور البدع وفشو الفجور في أقطار الأرض"[(٥)].

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته: ٤/ ١٧٩٨ برقم (٢٣٠٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة: ٤/ ١٩٦١ برقم (٢٥٣١).

(٣) انظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: أحمد أبو العينين، دار الفضيلة، الرياض، ط ١: ٤٣٧.

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة: ١/ ١٠٩.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تحقيق، عبد الرحمن محمد عثمان، دار ابن تيمية، القاهرة: ١٠/ ٢٢٧.

ثامنًا: النهي عن مشابهة المشركين واليهود والنصارى:

سبق في المبحث السابق: الشمس الاستدلال بها على النهي عن مشابهة المشركين[(١)] في السجود لها عند غروبها، وفيما يتعلق بالنجم ورد في الحديث أن النبي ﷺ نهى عن الصلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد، وهو النجم - وسمي النجم شاهدا؛ لأنه يشهد بمغيب الشمس ودخول الليل[(٢)].

عن أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ العصر بالمخَمَّص[(٣)] فقال: «إن هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها، فمن حافظ عليها كان له أجره مرتين، ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد»[(٤)].

كما أن النبي ﷺ أخبر أن تأخير الفطر حتى تشتبك النجوم وكذلك تأخير صلاة المغرب عادة أهل الكتاب - اليهود والنصارى - وقد أمرنا بمخالفتهم[(٥)]، قال ﷺ: «لا تزال أمتي بخير - أو قال على الفطرة - ما لم يؤخروا المغرب حتى تشتبك النجوم»[(٦)] وكذلك فعلت الرافضة[(٧)] فالحديث

(١) ص: ٢٩٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٣/ ٤٥٨.

(٣) بخاء معجمة: طريق في جبل عير إلى مكة. انظر: معجم البلدان: ٥/ ٧٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها: ١/ ٥٦٨ برقم (٨٣٠).

(٥) انظر: منهاج السنة النبوية: ١/ ٣١.

(٦) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في وقت المغرب: ٧٠ برقم (٤١٨)، ومسند الإمام أحمد: ٢٨/ ٥٦٤ برقم (١٧٣٢٩)، وقال محققه: إسناده حسن، وصححه الألباني: انظر: صحيح سنن أبي داود: ١/ ٨٤.

(٧) الرافضة: طائفة من أهل البدع والضلال، سموا بذلك لكونهم رفضوا زيد بن علي لما تولى الشيخين، وهم يعرفون اليوم بالشيعة والإمامية، والاثنى عشرية والجعفرية، وأصولهم أربعة: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامية، وقد ستروا تحت كل واحد منها بعض بدعهم، ويغلب عليهم الغلو في أئمتهم.

=

يدل على استحباب المبادرة بصلاة المغرب وكراهة تأخيرها إلى اشتباك النجوم، وقد عكست الروافض القضية فجعلت تأخير صلاة المغرب إلى اشتباك النجوم، مستحبا والحديث يرده»[(١)].

= انظر: فرق الشيعة للحسن النوبختي، تحقيق: محمد آل بحر العلوم، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت: ١/ ٦٥، الفرق بين الفرق: ٢٩، الفصل في الملل والنحل: ٥/ ٣٥.

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة: ٢/ ٨٧، وانظر: سبل السلام شرح بلوغ المرام لمحمد بن إسماعيل الصنعاني: ٢/ ٣١٣.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - النجم -:

أولًا: عبادة النجوم:

سبق في المبحثين السابقين: الشمس والقمر[(١)]، بيان أنهما عبدا من دون الله ﷻ، وأنهما جعلا آلهة وأربابًا[(٢)]، وجعلوا لهما مصحفًا، ويسبحون لهما ويدعونهما.

كماسبق أيضًا في المبحثين السابقين: الشمس والقمر كلام ابن القيم رحمه الله عن تعظيم المشركين للشمس والقمر والكواكب، وأنهم يسجدون لها، ويتذللون لها، ويسبحونها تسابيح لها معروفة في كتبهم، ودعوات لا ينبغي أن يدعى بها إلا خالقها وفاطرها وحده.

وأنهم جعلوا للكواكب مصحفًا، وتسبيحةً خاصة، وأن في مصحف الكواكب من مخاطبته بالخطاب الذي لا يليق إلا بالله ﷻ، ولا ينبغي لأحد سواه، ومن الخضوع والذل والعبادة.

وهذه النجوم والكواكب من مخلوقات الله، تحت قهره وتسخيره، وتسجد لخالقها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾[(٣)].

---

(١) ص: ٢٩٩، ٣٣٠.

(٢) انظر: الملل والنحل: ٢/ ١٢٩٢، والموسوعة العربية العالمية: ١/ ٦٠٣.

(٣) الحج: ١٨.

ثانيًا: نسبة الحوادث إلى حركة النجوم:

سبق في المبحثين السابقين: الشمس والقمر[(١)] بيان أن من المخالفات العقدية نسبة الحوادث إلى حركة الشمس والقمر، وما تقتضيه هذه الحركة من السعود والنحوس، وما تعطيه من السعادة والشقاوة، وتهبه من الأعمار والأرزاق والآجال، والصنائع والعلوم والمعارف، والصور الحيوانية والنباتية والمعدنية، وسائر ما في هذا العالم من الخير والشر.

وكذلك يقال في نسبة الحوادث والسعود والنحوس إلى النجوم والبروج، فقد جعلوا لكل نجم ولكل برج من البروج تأثيرًا في الحوادث وعلامة عليها، وربط لها بالاعتقادات الباطلة.

وقد كانت العرب إذا رمي بنجم تقول: ولد رجل عظيم، أو مات رجل عظيم، وتدعي نسبة ما يحدث في هذه المدة من مطر أو ريح أو برد أو حر إلى النجم الساقط، أو النجم الطالع[(٢)].

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله ﷺ: «ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا قالوا الله ورسوله أعلم، كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمرا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ماذا قال، قال فيستخبر بعض

---

(١) ص: ٣٠٠، ٣٣١.

(٢) انظر: كتاب الاستذكار، كتاب الاستسقاء، باب الاستمطار بالنجوم: ٧/ ١٥٣.

أهل السماوات بعضا، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون(١) فيه ويزيدون»(٢).

وعلم التنجيم ينقسم إلى قسمين(٣):

الأول: علم التأثير، وهو أن يستدل بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية؛ فهذا محرم باطل، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»(٤).

وقال ﷺ في الشمس والقمر: «إنهما آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته»(٥)، فالأحوال الفلكية لا علاقة بينها وبين الحوادث الأرضية.

الثاني: علم التسيير، وهو ما يستدل به على الجهات والأوقات؛ فهذا جائز، وقد يكون واجبا أحيانا، كما قال الفقهاء: إذا دخل وقت الصلاة يجب على الإنسان أن يتعلم علامات القبلة من النجوم والشمس والقمر(٦)،

---

(١) قال النووي في شرح صحيح مسلم ١٤/ ٢٢٦: هذه اللفظة ضبطوها من رواية صالح على وجهين: أحدهما: بالراء والثانى بالذال، ووقع فى رواية الأوزاعى وبن معقل الراء باتفاق النسخ، ومعناه يخلطون فيه الكذب، وهو بمعنى يقذفون.

(٢) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان: ٤/ ١٧٥٠ برقم (٢٢٢٩).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد: ٤٤١، والقول المفيد على كتاب التوحيد: ١/ ٥١٩.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في النجوم: ٤٢٨ برقم (٣٩٠٥)، وسنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب في تعلم النجوم: ٤٠٠ برقم (٣٧٢٦)، والإمام أحمد في مسنده: ٥/ ٤١ برقم (٢٨٤٠)، وقال محققه: إسناده صحيح. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ٢/ ٧٣٩.

(٥) سبق تخريجه: ٨.

(٦) انظر: المغني: ٢/ ١٠٢ وما بعدها، وروضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي، إشراف

=

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ١٦﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٩٧﴾[(٢)].

ونسبة الحوادث إلى الكواكب على أقسام[(٣)]:

القسم الأول: نسبة الفعل للكوكب، وادعاء أنه هو يفعل بذاته فهذا كفر أكبر؛ لأن الخلق والأمر لله وحده، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[(٤)].

القسم الثاني: اعتقاد أن الفعل من عند الله، مع نسبته إلى الكوكب والنوء نسبة سبب، فهذا من الشرك الأصغر، وقد دلت الأدلة على تحريمه، منها:

قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾[(٥)]، فهذه الآية نزلت في الذين يقولون: مطرنا بنوء كذا، ولا ينسبونه إلى الله تعالى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله، وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا قال فنزلت هذه الآية ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ٧٥﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾[(٦)]»[(٧)].

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة

= زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣: ١/ ٢١٧.

(١) النحل: ١٦.

(٢) الأنعام: ٩٧.

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد: ٣٩٤، والقول المفيد: ٢/ ٣١، والتنجيم والمنجمون وحكم الإسلام في ذلك: ١٥٢ وما بعدها.

(٤) الأعراف: ٥٤.

(٥) الواقعة: ٨٢.

(٦) الواقعة: ٧٥-٨٢.

(٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء: ١/ ٨٤ برقم (٧٣).

الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»(١).

القسم الثالث: جعل الأنواء علامة على المطر مع عدم نسبته إليه لا قولًا ولا اعتقادًا، وهذا جائز، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾(٣).

وقد دلت الآيات السابقة على جواز جعل الرياح علامة على المطر بحسب ما جرت به العادة، وكذلك الأنواء يجوز جعلها علامة على ما جرت به العادة، بشرط أن يعتقد أن النوء لا تأثير له في نزول المطر، ولا هو فاعل، وأن المنفرد بإنزاله هو الله وحده(٤).

وعن سعيد بن المسيب(٥) رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: "قد حدثني من لا أتهم أنه شهد

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء: ١/ ٨٣ برقم (٧١).
(٢) الأعراف: ٥٧.
(٣) الفرقان: ٤٨.
(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد: ٣٩٥، والقول المفيد: ٢/ ٣١.
(٥) هو: سعيد بن حزن بن المسيب القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقيل: لأربع مضين منها بالمدينة. وتوفي سنة ٩٤.

المصلى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقي بالناس عام الرمادة، قال: فدعا والناس طويلًا، واستسقى طويلًا، وقال للعباس بن عبد المطلب: يا عباس كم بقي من نوء الثريا؟ فقال له العباس رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين إن أهل العلم بها يزعمون أنها تعترض بالأفق بعد وقوعها سبعًا. قال: فوالله ما مضت تلك السبع حتى أغيث الناس"(١).

قال الشافعي رحمه الله: " إنما أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: كم بقي من وقت الثريا؟ ليعرفهم بأن الله عز وجل قدر الأمطار في أوقات فيما جربوا، كما علموا أنه قدر الحر والبرد بما جربوا في أوقات"(٢).

ثالثًا: تحريف معنى سجود النجوم:

سبق في المبحثين السابقين: الشمس والقمر(٣)، بيان أن من المخالفات العقدية تحريف معنى سجود الشمس والقمر، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾(٤).

فقال بعضهم: أن المراد بهذا السجود الخشوع والانقياد، وقيل: المراد

انظر: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢١٧، وشذرات الذهب: ١/ ٣٧٠.

(١) السنن الكبرى للبيهقي: ٣/ ٣٥٩، والطبري في تفسيره: ٢٧/ ٢٤٣ قال الذهبي في المهذب في اختصار السنن الكبير، تحقيق حامد إبراهيم أحمد، ومحمد العقبي، مطبعة الإمام، مصر: ٣/ ٣٣٢: "حسن غريب".

(٢) الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، مصر، ط: ٢/ ٥٥٢.

(٣) ص: ٣٠١، ٣٣٢.

(٤) الحج: ١٨.

بالسجود الدلالة على الله.

وكذلك قيل في سجود النجوم، وأن سجودها سجود ظلها كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾[(١)]، وقيل: أن سجوده طلوعه[(٢)].

والجواب أنه قد سبق في مبحث عبودية الكائنات[(٣)] أن هذه الآيات الكونية تسجد لله سجودًا حقيقيًا الله أعلم بكيفيته، وأن هذا السجود من الأمور الغيبية التي يجب أن نصدق بها ونسلم، وأن كل شيء يسجد لله طوعا وكرها، وأن سجود كل شيء مما يختص به[(٤)]، كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[(٥)].

رابعًا: نسبة علم النجوم إلى إبراهيم عليه السلام:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية نسبة علم النجوم إلى إبراهيم عليه السلام استدلالًا بقوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾[(٦)]، وهذا من "الكذب والافتراء على خليل الرحمن عليه السلام؛ فإنه ليس في الآية أكثر من أنه نظر نظرة في النجوم، ثم قال لهم: إني سقيم، فمن ظن من هذا أن علم أحكام النجوم من علم الأنبياء، وأنهم كانوا يراعونه ويعانونه فقد كذب على الأنبياء، ونسبهم إلى ما لا يليق، وهو من جنس من نسبهم إلى

---

(١) النحل: ٤٨.
(٢) انظر: تفسير البغوي: ٤/ ٢٨٤، تفسير ابن كثير: ٧/ ٤٨٩.
(٣) انظر: ٧١.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ٤٠٣، تفسير السعدي: ٨٢٨.
(٥) الإسراء: ٤٤.
(٦) الصافات: ٨٨-٨٩.

الكهانة والسحر وزعم أن تلقيهم الغيب من جنس تلقى غيرهم...

ولا ريب أن هؤلاء أبعد الخلق عن الأنبياء وأتباعهم ومعرفتهم ومعرفة مرسلهم وما أرسلهم به"[(١)].

وهذا الفعل والصنيع من صنائع المشركين وعلومهم، وقد بعثت الرسل بالإنكار على هؤلاء المشركين ومحقهم، ومحق علومهم وأعمالهم من الأرض، وهذا معلوم بالاضطرار لكل من آمن بالرسل صلوات[(٢)].

خامسًا: الأقوال والألفاظ المخالفة:

ومن المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - النجم - ذكر بعض الأقوال المخالفة، منها:

١- قول مطرنا بنوء كذا، ونحوه:

وسبق بيان حكم ذلك والتفصيل فيه[(٣)].

---

(١) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٧٢-٢٧٣، وانظر: تيسير العزيز الحميد: ٣٨٣.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٢/ ٢٧٣.

(٣) ص: ٣٥٥، وانظر: معجم المناهي اللفظية: ٥١٣-٥١٩.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- الاستدلال بحديث «إذا ذكرت النجوم فأمسكوا» على التنجيم:

عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا ذكر أصحابي فامسكوا، وإذا ذكرت النجوم فامسكوا، إذا ذكر القدر فأمسكوا»(١).

قال ابن القيم رحمه الله: " فهذا الحديث لو ثبت لكان حجة عليه لا له؛ إذ لو كان علم الأحكام النجومية حقا لا باطلا لم ينه عنه النبي ﷺ، ولا أمر بالإمساك عنه؛ فإنه لا ينهى عن الكلام في الحق، بل هذا يدل على أن الخائض فيه خائض فيما لا علم له به، وأنه لا ينبغي له أن يخوض فيه، ويقول على الله ما لا يعلم، فأين في هذا الحديث ما يدل على صحة علم أحكام النجوم"(٢).

٢- النهي عن السفر والقمر في العقرب:

روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: «لا تسافروا في محاق الشهر، ولا إذا كان

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير: ٢/ ٩٦ برقم (١٤٢٧)، ورواه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: ١٠/ ١٩٨ برقم (١٠٤٤٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٤١٢: "فيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف"، وقال في حديث ابن مسعود: "فيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح".

(٢) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٩٨.

القمر في العقرب»[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما أحاديث النهي عن السفر والقمر في العقرب فصحيح من كلام المنجمين، وأما رسول رب العالمين فبريء ممن نسب إليه هذا الحديث وأمثاله ولكن إذا بعد الإنسان عن نور النبوة واشتدت غربته عما جاء به الرسول ﷺ جوز عقله مثل هذا"[٢].

(١) يروى عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من قوله، انظر: الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث لأحمد بن عبد الكريم العامري، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار الراية، الرياض، ط٢: ١٤٠، وقال الصغاني في الموضوعات: ١/ ٦١ برقم (٩٩): "موضوع"، وانظر مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٦١.

(٢) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٩٨.

المبحث الخامس
الرعد والبرق والصواعق

الرعد في اللغة:

الراء والعين والدال أصل واحد يدل على حركة واضطراب. وكل شيء اضطرب فقد ارتعد... ومن الباب الرَّعْد، وهو مَصْع مَلَكٍ يسوق السَّحَاب. والمَصْع: الحركة والذهاب والمجيء[١].

والرعد: الصوت الذي يسمع من السحاب[٢].

وفي الاصطلاح: الرَّعد تفريغ كهربائي من سحابة إلى أخرى أو من سحابة إلى الأرض، يصحبه انبعاث شرارات تعرف بالبرق. وهذه الشرارات تحدث حرارة عالية في مناطق الهواء التي تنبعث منها فتتمدد تلك المناطق على نحو فجائي، وهذه الحرارة تجعل جزيئات الهواء تتمدد أو تتطاير في كل الاتجاهات. وبينما تبحث الجزيئات عن حيز أكبر، فإنها تصطدم بعنف بطبقات الهواء البارد، محدثة موجة هوائية ضخمة يكون لها صوت الرعد[٣].

البرق في اللغة:

الباء والراء والقاف أصلان تتفرع الفروع منهما: أحدهما لمعانُ الشيء، والآخر اجتماع السواد والبياض في الشيء. والبرق: وَمِيضُ السَّحاب، يقال

(١) معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٤١١.
(٢) الصحاح: ٢/ ٤٧٤.
(٣) الموسوعة العربية العالمية: ١١/ ٢٥٣.

بَرَقَ السَّحَابُ بَرْقًا وبَرِيقًا. وأَبْرَقَ أيضًا لغة[(١)].

وفي الصحاح: برق السيف وغيره يبرق بروقا، أي تلالا. والاسم البريق. والبرق: واحد بروق السحاب. ويقال رعدت السماء وبرقت برقانا[(٢)].

وفي الاصطلاح: البَرْق شرارة كهربائية عملاقة في السماء. وأغلب البرق الذي يراه الناس يكون بين السحابة وسطح الأرض. ولكن من الممكن حدوث البرق أيضًا داخل سحابة، أو بين السحابة والهواء، أو بين سحابتين[(٣)].

الصواعق في اللغة:

الصاد والعين والقاف أصل واحد يدلّ على صَلْقَةٍ وشِدَّة صوت. ومن ذلك الصعق، وهو الصوت الشديد. يقال حِمارٌ صَعِقُ الصوت، إذا كان شديده. ومنه الصَّاعقة، وهي الوقع الشديد من الرعد. ومنه قولهم: صَعِق، إذا مات، كأنَّه أصابته صاعقة[(٤)].

وفي الصحاح: الصاعقة: نار تسقط من السماء في رعد شديد. يقال: صعقتهم السماء إذا ألقت عليهم الصاعقة. والصاعقة أيضا: صيحة العذاب[(٥)].

وفي الاصطلاح: دوي حاد يسبقة عادة وميض البرق، وهو ناتج عن

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ١/ ٢٢١.
(٢) الصحاح: ٤/ ١٤٤٨.
(٣) الموسوعة العربية العالمية: ٤/ ٣٣٦.
(٤) معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٢٨٥.
(٥) الصحاح: ٤/ ١٥٠٦.

انفجار شحنة كهربائية كامنة في السماء[١].

وقد ورد لفظ الرعد في القرآن في موضعين[٢]، ولفظ البرق في (٥) مواضع[٣]، ولفظ الصاعقة في (٦) مواضع، وبلفظ الجمع في موضعين[٤].

وورد الرعد والبرق والصاعقة في السنة في (٢١) حديثًا[٥].

(١) قاموس الجغرافيا لمجموعة من الأساتذة بإشراف علي لبيب، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١: ١٤٧.
(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٤٠٩.
(٣) انظر: المرجع السابق: ١٥٠.
(٤) انظر: المرجع السابق: ٥١٨.
(٥) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٧.

الدلائل العقدية للآيات الكونية - الرعد والبرق والصواعق -:

الرعد والبرق والصواعق من آيات الله الكونية، وجند من جنود الله التي لا يعلمها إلا هو.

وأفرد القرآن الكريم سورة باسم الرعد ذكر الله تعالى فيها من آيات القدرة وعجائب الكون الدالة على وحدانيته وقدرته: الرعد والبرق والصواعق، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾[١].

أولًا: وجود الله:

أمر الله ﷻ بالتفكر في آياته المشاهدة المحسوسة ومنها البرق، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾[٢] فجعل "إراءتهم البرق، وأنزل الماء من السماء، وإحياء الأرض به آيات لقوم يعقلون؛ فإن هذه أمور مرتبة بالأبصار، مشاهدة بالحس، فإذا نظر فيها ببصر قلبه - وهو عقله - استدل بها على وجود الرب تعالى وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته، وإمكان ما أخبر به من حياة الخلائق بعد موتهم كما أحيا هذه

(١) الرعد: ١٢-١٣.
(٢) الروم: ٢٤.

الأرض بعد موتها، وهذه أمور لا تدرك إلا ببصر القلب - وهو العقل - فإن الحس دل على الآية، والعقل دل على ما جعلت له آية، فذكر سبحانه الآية المشهودة بالبصر، والمدلول عليه المشهود بالعقل"[١].

ثانيًا: توحيد الربوبية:

قد جعل الله ﷻ البرق دليلًا على عظمته[٢]، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾[٣].

ومن آيات الله التي يستدل بها على توحيد الربوبية إنزال المطر الذي تحيا به البلاد والعباد، وقبل نزوله مقدماته من الرعد والبرق الذي يُخاف ويُطمع فيه، فهذه الآيات دالة على عموم إحسانه وسعة علمه وكمال إتقانه، وعظيم حكمته وأنه يحيي الموتى كما أحيا الأرض بعد موتها[٤].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾[٥].

ثالثًا: توحيد الأسماء والصفات:

١- التسبيح:

أخبر الله ﷻ أن الرعد يسبحه وينزهه عن كل عيب ونقص[٦]، قال تعالى:

---

(١) مفتاح دار السعادة: ١/ ٢٨٩.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٧٣.
(٣) النور: ٤٣-٤٤.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٣١٠، وتفسير السعدي: ٦٣٩.
(٥) الروم: ٢٤.
(٦) انظر: تفسير البغوي: ٢/ ٥١٨.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾[(١)].

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث، وقال: «سبحان من يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته»[(٢)].

رابعًا: توحيد الألوهية:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾[(٣)].

أخبر الله عز وجل في هذه الآيات - فيما يتعلق بالبرق والرعد والصواعق - أنه يُري عباده البرق الذي يخاف منه الصواعق والهدم، وأنواع الضرر على بعض الثمار ونحوها ويطمع في خيره ونفعه، وأن الرعد يسبح بحمده، وأنه يرسل الصواعق على من يشاء من عباده بحسب ما شاءه وأراده[(٤)].

فإذا كان الله عز وجل هو الذي يفعل ذلك وحده، فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، وأن تصرف جميع العبادات له وحده، وأن غيره مما عبد من دون الله فألوهيته باطلة[(٥)]، لذا قال بعدها: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ

---

(١) الرعد: ١٣.

(٢) موطأ الإمام مالك، كتاب الكلام، باب: القول إذا سمعت الرعد: ٧٥٧ برقم (١٩٣٠)، والسنن الكبرى للبيهقي: كتاب صلاة الاستسقاء، باب: ما يقول إذا سمع الرعد: ٣/ ٣٦٢، وصححه النووي في الأذكار، كتاب الأذكار في صلوات مخصوصة، باب ما يقول إذا سمع الرعد: ٣٠٢ برقم (٥٢١). وانظر: الاستذكار، كتاب الكلام، باب: القول إذا سمعت الرعد: ٢٧/ ٣٨٠.

(٣) الرعد: ١٢-١٣.

(٤) انظر: تفسير السعدي: ٤١٤.

(٥) انظر: المرجع السابق: ٤١٤.

مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾[(١)].

خامسًا: الإيمان بالملائكة:

من الإيمان بالملائكة الإيمان بما أخبر به النبي ﷺ من أعمالهم، وقد سئل النبي ﷺ عن الرعد، فأخبر أنه ملك من الملائكة موكل بالسحاب، وأن الصوت الذي يسمع هو زجره السحاب[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق[(٣)] من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله»، فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: «زجرة بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر، قالوا: صدقت»[(٤)].

وهذا لا يخالف التفسير العلمي له، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد روي عن بعض السلف أقوال لا تخالف ذلك، كقول من يقول: إنه اصطكاك أجرام السحاب، بسبب انضغاط الهواء فيه، فإن هذا لا يناقض

---

(١) الرعد: ١٤.

(٢) انظر: كتاب المطر والرعد والبرق والريح: ١١٣، ١٢٣، وتفسير البغوي: ٢/ ٥١٨، والاستذكار، كتاب الكلام، باب القول إذا سمعت الرعد: ٢٧/ ٣٨٠.

(٣) مخاريق: جمع مخراق، وهو في الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا، أراد أنه آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه. انظر: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٢٦.

(٤) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الرعد: ٤٩٦ برقم (٣١١٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب كيف تؤنث المرأة وكيف يذكر الرجل: ٨/ ٢١٧ برقم (٩٠٢٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ٣/ ٦٤.

ذلك، فإن الرعد مصدر رعد يرعد رعدًا، وكذلك الراعد يسمى رعدًا، كما يسمى العادل عدلا.

والحركة توجب الصوت، والملائكة هي التي تحرك السحاب، وتنقله من مكان إلى مكان.

وكل حركة في العالم العلوي والسفلي فهي عن الملائكة. وصوت الإنسان هو عن اصطكاك أجرامه الذي هو شفتاه، ولسانه، وأسنانه ولهاته، وحلقه، وهو مع ذلك يكون مسبحا للرب، وآمرا بمعروف وناهيا عن منكر، فالرعد إذًا صوت يزجر السحاب"[(١)].

سادسًا: الإيمان بالرسل:

الصواعق جند من جند الله يؤيد بها رسله، وقد بعث النبي ﷺ رجلًا مرة إلى رجل من فراعنة العرب يدعوه إليه، فذهب إليه، وقال: يدعوك رسول الله ﷺ. قال: وما الله؟ أمن ذهب هو أو من فضة أو من نحاس؟ فأخبر النبي ﷺ بذلك، فأرسل إليه النبي ﷺ مرارًا، وهو يقول مثل هذا، فأرسل الله عليه صاعقة فذهبت بقحف[(٢)] رأسه[(٣)]، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[(٤)] "أي يرسلها نقمَةً ينتقم بها ممن يشاء"[(٥)].

---

(١) مجموع الفتاوى: ٢٤/ ٢٦٣. وانظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١/ ١٧١.

(٢) القحف: العظم فوق الدماغ. انظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٦١.

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي، تحقيق: أحمد صقر، دار القبلة، جدة: ٣١٤، وتفسير القرطبي: ٩/ ٢٦٩.

(٤) الرعد: ١٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٤٢.

سابعًا: الإيمان باليوم الآخر:

في بيان حال الناس يوم القيامة عند مرورهم على الصراط بحسب أعمالهم بين النبي ﷺ أن أولهم يمر كالبرق، ففي حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فيأتون محمدا ﷺ، فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتى الصراط يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق». قال: قلت بأبي أنت وأمي: أي شيء كمر البرق؟ قال: «ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال، تجرى بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجىء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا - قال -: وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج، ومكدوس فى النار»[(١)].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم، قيل يا رسول الله: وما الجسر؟ قال دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد، فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاود الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم»[(٢)].

ثامنًا: الإيمان بالقدر:

من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بمشية الله، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدني أهل الجنة منزلة فيها: ١/ ١٨٦ برقم (١٩٥).
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية: ١/ ١٦٧ برقم (١٨٣).

وقد أخبر الله ﷻ أنه يصيب بالصواعق من يشاء، ويصرفه عمن يشاء، وأن ذلك بحسب ما اقتضاه حكمه القدري[(١)]، قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾[(٢)].

تاسعًا: مسائل الأسماء والأحكام:

بين الله ﷻ في أول سورة البقرة أن الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: مؤمنين خلص، وكفار خلص، ومنافقين.

وهؤلاء المنافقون قسمان: خلص، وهم المضروب لهم المثل الناري، ومنافقون يترددون، تارة يظهر لهم لمع من الإيمان وتارة يخبو وهم أصحاب المثل المائي[(٣)] - الذي ذكر الله فيه الرعد والبرق والصواعق - قال تعالى: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾[(٤)].

وقد استدل أهل السنة والجماعة بهذه الآية على أن الإنسان قد تكون فيه شعبة من إيمان، وشعبة من نفاق، إما اعتقادي مخرج عن الإسلام، أو عملي لا يخرج عن الإسلام[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير السعدي: ٥٧٠.
(٢) الرعد: ١٣.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٨٨.
(٤) البقرة: ١٩-٢٠.
(٥) انظر: مجموع الفتاوى: ٧/ ٢٨٠، وتفسير ابن كثير: ١/ ١٨٩.

عاشرًا: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:

ضرب الأمثال:

من منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال ضرب الأمثلة لتوضيح الحقائق وتقريبها، وقد ضرب الله مثلًا في أول سورة البقرة للإسلام وحال المنافقين، - ذكر فيه الرعد والبرق والصواعق -، قال تعالى: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾[(١)].

فالمطر الإسلام، وقلوب المنافقين في حال شكهم وكفرهم وترددهم كالمطر من السماء الذي فيه ظلمات ورعد وبرق، والظلمات ما فيه من البلاء والمحن، والرعد: ما فيه من الوعيد والمخاوف في الآخرة؛ فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والفزع،، والبرق ما فيه من الوعد والوعيد، وما يلمع في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان، من نور الإيمان.

والصواعق: جمع صاعقة، وهي نار تنزل من السماء وقت الرعد الشديد.

ثم قال: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ﴾[(٢)] " لشدته وقوته في نفسه، وضعف بصائرهم، وعدم ثباتها للإيمان...

فكلما ظهر لهم من الإيمان شيء استأنسوا به واتبعوه، وتارة تعْرِض لهم الشكوك أظلمت قلوبهم فوقفوا حائرين"[(٣)].

---

(١) البقرة: ١٩.

(٢) البقرة: ٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ١/ ١٨٩.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الرعد والبرق والصواعق -:

أولًا: اعتقاد أن البرق أحد أسلحة الآلهة:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية اعتقاد أن البرق أحد أسلحة الآلهة الباطلة، فقد ظن قدماء الإغريق والرومان أن البرق هو أحد أسلحة الآلهة. وفي بعض المجتمعات الإفريقية كانوا يعتقدون أن الناس والأماكن التي يصيبها البرق ملعونة. وحتى القرن الثامن عشر، كان بعض الناس في أوروبا وأمريكا يعتقدون بإمكان تفادي حدوث البرق إذا دقوا أجراس الكنائس[(١)].

ثانيًا: اعتقاد أن قوس قزح[(٢)] هو إله الرعد والبرق عند العرب:

(١) الموسوعة العربية العالمية: ٤/ ٣٣٦.

(٢) قوس قزح هو الخطوط والطرائق الملونة التي تبدوا في السماء على شكل قوس أيام الربيع، وهو من التقزيح وهو التحين، وقيل من القزح، وهي الطرائق والألوان التي في القوس أو هو من قزح الشيء إذا ارتفع.. ويقال: قزح اسم ملك موكل به. وقزح أيضًا اسم جبل بالمزدلفة. انظر: لسان العرب: ٥/ ٣٦١٩.

وجاء قوس قزح في بعض الأحاديث منها: «لا تقولوا قوس قزح فإن قزح شيطان - أو هو الشيطان - ولكن قولوا قوس الله عز وجل فهو أمان لأهل الأرض من الغرق»، وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في كتاب الموضوعات: ١/ ٢١٣، والكتاني في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعة: ١/ ١٩١.

وقال عنه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة: ٢/ ٢٦٤: "موضوع".

وقال الشيخ ابن باز: لا دليل على كراهة قول قوس قزح. انظر: الدرر البازية على زاد المعاد، تفريغ لتعليقات الشيخ ابن باز رحمه الله على زاد المعاد لابن القيم، مطبوع بالحاسب الآلي: ١/ ٨٤.

=

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات اعتقاد أن قوس قزح هو إله الرعد والبرق والمطر عند العرب[(١)].

ثالثًا: بعض الأدعية والأقوال المخالفة:

ومن المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الرعد والبرق والصواعق - ذكر بعض الأدعية والأقوال المخالفة، منها:

١- قول "غضبت السماء" عند نزول الصواعق:

في سؤال وجه لفضيلة الشيخ عبد الرحمن البراك - حفظه الله -: "هل تصح هذه العبارة (غضبت السماء)؟ وهي تكثر عند الأدباء والشعراء".

فأجاب بقوله: " الذي يظهر أن هذه العبارة تقال إذا نزلت شهب أو صواعق مرعبة أو بَرَد مدمر أو طوفان مغرق، فهذه الأمور يجوز أن يقال عنها: إنها نقم سماوية أو مصائب سماوية، على معنى أنها جاءت من جهة السماء، وأما أن تنسب إلى غضب السماء فلا يجوز، لأن ذلك يتضمن أن السماء تغضب، ولا دليل على هذا، ويتضمن أن هذه الكوارث بفعل السماء، وليس كذلك، بل هي بفعل الله، فيلزم منه الشرك في الربوبية، وإذا أريد بقول القائل: (غضبت السماء) التجوز بذلك عن غضب الله، فهو أقبح، فإنه يتضمن إضافة صفة الله إلى غيره، أو تشبيه غيره تعالى به، وبكل حال فلا يجوز استعمال هذه العبارة، والله أعلم.

ويشبه هذه العبارة قول بعضهم (عدالة السماء)، يريد بها الأحكام الشرعية، المشتملة على غاية العدل والحكمة"[(٢)].

---

(١) الموسوعة العربية العالمية: ١/ ٦٠٣، وانظر: موقع ويكيبديا: www.wikipedia.org، والبرق بين العلم والإيمان لعبد الدائم الكحيل: ٤.

(٢) موقع الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك الرسمي. http://albrrak.net/index.php?option=com_ftawa&task=view&id=36953

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- الرعد والبرق والصواعق فوق السماء السابعة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي، لما انتهينا إلى السماء السابعة، فنظرت فوقي، فإذا أنا برعد وبرق وصواعق». الحديث[(١)].

٢- البرق والرعد والصواعق غضب من الله:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال: «اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال ربكم عز وجل: لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولما أسمعتهم صوت الرعد»[(٣)].

---

(١) مسند الإمام أحمد: ١٤/ ٢٨٦ برقم (٨٦٤١)، قال المحقق: إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد، وجهالة أبي الصلت، وضعفه ابن كثير، انظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ٥١٧.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا سمع الرعد: ٥٤٥، برقم (٣٤٥٠)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ومسند الإمام أحمد: ١٠/ ٤٧ برقم (٥٧٦٣) وقال محققه: إسناده ضعيف، وضعفه النووي في الأذكار، كتاب الأذكار في صلوات مخصوصة، باب ما يقول إذا سمع الرعد: ٣٠٢ برقم (٥٢٠).

(٣) مسند أبي داود الطيالسي: ٤/ ٣١٢ برقم (٢٧٠٩)، ومسند الإمام أحمد: ١٤/ ٣٢٧ برقم (٨٧٠٨)، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: ٢/ ٣٠٦،

=

المبحث السادس
المطر والثلج والبرد

المطر في اللغة:

الميم والطاء والراء أصل صحيح فيه معنيان: أحدهما الغيث النازل من السماء، والآخر جنس من العدو. فالأول المطر، ومطرنا مطرا. وقال ناس: لا يقال أمطر إلا في العذاب، قال الله تعالى: ﴿أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾[(١)]. وتمطر الرجل: تعرض للمطر. ومنه المستمطر: طالب الخير.

والثاني قولهم: تمطّر الرجل في الأرض، إذا ذهب. والمتمطّر: الراكب الفرس يجري به. وتمطّرت به فرسه: جرت[(٢)].

وفي الصحاح: المطر: واحد الأمطار. ومطرت السماء تمطرا مطرا، وأمطرها الله، وقد مطرنا. وناس يقولون: مطرت السماء وأمطرت بمعنى. ومطر الرجل في الأرض مطورا، أي ذهب. وتمطّر مثله. ويقال: ذهب البعير فلا أدرى من مطّر به[(٣)].

وفي الاصطلاح: المطر شكل من أشكال قطرات الماء المتساقطة. وتتشكل قطرات المطر عندما تتحد قطيرات الماء في السحب، أو عندما تنصهر أشكال التساقط مثل الجليد والمطر الثلجي والبَرَد. وتسقط الأمطار

= والألباني في السلسة الضعيفة: ٢/ ٢٨٧ برقم (٨٨٣).

(١) الفرقان: ٤٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٣٣٢- ٣٣٣.

(٣) الصحاح: ٢/ ٨١٨.

على معظم أنحاء العالم، ويكون التساقط في المناطق المدارية على شكل أمطار. أما في القارة المتجمدة الجنوبية وفي بعض الأماكن الأخرى في العالم فيكون التساقط ثلجًا.

وتتفاوت قطرات المطر في أحجامها تفاوتًا كبيرًا، كما تتفاوت في سرعة سقوطها(١).

والمطر في القرآن على وجهين(٢):

أحدهما: المطر المعروف. ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾(٣).

والثاني: الحجارة. ومنه قوله تعالى في قصة قوم لوط: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾(٤).

الثلج في اللغة:

الثاء واللام والجيم أصل واحد، وهو الثلج المعروف. ومنه تتفرع الكلمات المذكورة في بابه. يقال أرض مثلوجة إذا أصابها الثلج(٥).

وفي الاصطلاح: الثلج ماء متجمّد يتكون عندما تنخفض درجة حرارة المياه إلى درجة الصفر المئوية على أسطح البحيرات، والأنهار، والشوارع والأرصفة المبتلة. ويعد الجليد، والمطر الثلجي، والصقيع، والبَرَد صورًا من الثلج(٦).

---

(١) الموسوعة العربية العالمية: ٢٣/ ٤١٥.
(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ٥٤١.
(٣) النساء: ١٠٢.
(٤) الأعراف: ٨٤، الشعراء: ١٧٣.
(٥) معجم مقاييس اللغة: ١/ ٣٨٥، الصحاح: ١/ ٣٠٢.
(٦) الموسوعة العربية العالمية: ٨/ ٤٧.

البرد في اللغة:

الباء والراء والدال أصول أربعة: أحدها خلاف الحر، والآخر السكون والثبوت، والثالث الملبوس، والرابع الاضطراب والحركة. وإليها ترجع الفروع[(١)].

والبرَد بالتحريك: حب الغمام، وحب المزن[(٢)].

وفي الاصطلاح: البَرَدُ مطر جامد ينزل من السماء على شكل كتل جليدية كروية، أو غير منتظمة، وتُسمى هذه الكتل حبُّ البرد. ويتراوح حجم هذه الكتل، بين حجم حبة البازلاء، وحجم البرتقالة، ويمكن أن يكون أكبر من ذلك[(٣)].

وقد ورد لفظ المطر في القرآن في (٦) مواضع[(٤)]، ولفظ الثلج لم يرد في القرآن، ولفظ البرد في موضع واحد[(٥)].

وورد المطر في السنة في (٤٩) حديثًا[(٦)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ١/ ٢٤١.
(٢) القاموس المحيط: ٢٤٢، الصحاح: ١/ ١٠٥، ٢/ ٤٤٦.
(٣) قاموس الجغرافيا: ١٤٧.
(٤) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٨٤٢.
(٥) انظر: المرجع السابق: ١٤٩.
(٦) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٧.

الدلائل العقدية للآيات الكونية - المطر والثلج والبرد -[١]:

المطر والثلج والبرد من آيات الله الكونية، وقد ذكر الله ﷻ إنزال المطر في معرض الامتنان على عباده، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾[٢]، وفي موضع آخر بعد أن ذكر إنزال المطر من السماء نهى عن جعل الند له سبحانه وتعالى، فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[٣].

"والله سبحانه إنما يدعو عباده إلى النظر والفكر في مخلوقاته العظام لظهور أثر الدلالة فيها وبديع عجائب الصنعة والحكمة فيها واتساع مجال الفكر والنظر في أرجائها"[٤]، قال تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾[٥].

أولًا: وجود الله:

قد أمر الله ﷻ بالتفكر في آياته المشاهدة المحسوسة ومنها المطر، قال

---

(١) انظر: الدلالات العقدية للماء في القرآن الكريم للدكتور محمد السحيم، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، العدد (٩٨).
(٢) النحل: ١٠-١١.
(٣) البقرة: ٢٢.
(٤) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٧٦.
(٥) الروم: ٥٠.

تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾[١]، وقد سبق نقل كلام ابن القيم رحمه الله على هذه الآية[٢]، وأن الأمور المذكورة فيها " مرتبة بالأبصار، مشاهدة بالحس فإذا نظر فيها ببصر قلبه - وهو عقله - استدل بها على وجود الرب تعالى وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته، وإمكان ما أخبر به من حياة الخلائق بعد موتهم كما أحيا هذه الأرض بعد موتها، وهذه أمور لا تدرك إلا ببصر القلب - وهو العقل - فإن الحس دل على الآية، والعقل دل على ما جعلت له آية، فذكر سبحانه الآية المشهودة بالبصر، والمدلول عليه المشهود بالعقل "[٣].

ثانيًا: توحيد الربوبية:

قد بين الله عز وجل عظيم قدرته في مخلوقاته وأنه الخالق لها المتصرف فيها، ومن ذلك ما ذكره الله عز وجل عن المطر والبرد في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾[٤]، فمن أدلة عظمته - سبحانه وتعالى - وربوبيته أنه يسوق السحاب قطعا متفرقة، ثم يؤلف بين تلك القطع، فيجعله سحابا متراكما مثل الجبال، فينزل منه المطر وينتفع به الناس، وتارة ينزل الله من

---

(١) الروم: ٢٤.
(٢) ص: ٣٦٥.
(٣) مفتاح دار السعادة: ١/ ٢٨٩.
(٤) النور: ٤٢-٤٤.

ذلك السحاب بردا يتلف ما يصيبه بحسب ما اقتضاه حكمه القدري، وحكمته التي يحمد عليها، فالذي أنشأها وساقها لعباده المفتقرين، وأنزلها على وجه يحصل به النفع وينتفي به الضرر، كامل القدرة، نافذ المشيئة، واسع الرحمة"(١).

ومن آيات الله التي يستدل بها على توحيد الربوبية "إنزال المطر الذي تحيا به البلاد والعباد، وقبل نزوله مقدماته من الرعد والبرق الذي يُخاف ويُطمع فيه، فهذه الآيات دالة على عموم إحسانه وسعة علمه وكمال إتقانه، وعظيم حكمته وأنه يحيي الموتى كما أحيا الأرض بعد موتها"(٢)، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾(٣).

وكان من هدي النبي ﷺ أن يفسر عن ثوبه عند نزول المطر، فسئل عن ذلك فقال: «إنه حديث عهد بربه»(٤) أي قريب العهد بخلق الله تعالى له(٥)، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾(٦).

ومن أدلة ربوبية الله ﷻ استجابته لدعاء الداعي، ومن مواطن الاستجابة عند نزول المطر(٧)، قال ﷺ: " ثنتان لا تردان، أو قل ما تردان، الدعاء عند

---

(١) تفسير السعدي: ٥٧٠، بتصرف يسير.
(٢) انظر: المرجع السابق: ٦٣٩، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٣١٠.
(٣) الروم: ٢٤.
(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء: ٢/ ٦١٥ برقم (٨٩٨).
(٥) انظر: فتح الباري: ٢/ ٦٠٤، وشرح صحيح مسلم للنووي: ٦/ ٤٣٥.
(٦) البقرة: ١١٧.
(٧) انظر: مجموع الفتاوى: ٢٧/ ١٢٩.

النداء، وتحت المطر"[١].

أما الاستمطار وهو: "عملية إسقاط المطر من السحب بطريقة علمية بحته تُجْرَى على السحب المتكوِّنة في الجو. ويسمى أيضًا تطعيم السحب. يستخدم الناس هذه الطريقة، لزيادة كمية المياه بمنطقة معيَّنة، أو لتوفير المياه للري، أو لتوليد الطاقة الكهربائية من المحطات الكهرومائية. وتُستخدم أيضًا لمنع سقوط الأمطار الغزيرة، في المناطق الزراعية خوفًا من تلف المحاصيل"[٢]، فهذا لا يتم إلا في ظروف خاصة كتوفر السحب، ودرجة معينة لها، إلى غير ذلك من الشروط، و لا يزال العلماء غير قادرين على إثبات أثرها العلمي في كل الحالات[٣].

وعلى هذا فإنه يجب الإيمان بأن الله تعالى هو الذي ينزل المطر في كل الأحوال، والإنسان بما يسميه الاستمطار الصناعي لم يصنع المطر، ولم يسقطه إلى الأرض، بل يتسبب من خلال ما وفقه الله وهداه إليه من العلم ببعض السنن الكونية التي جعلها الله تعالى في هذا الكون على توفير سبب نزول المطر، ويبذل سببًا، والأمر إلى الله تعالى أولًا وأخرًا، إن شاء انزل المطر، وإن شاء منعه.

(١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب الدعاء عند اللقاء: ٢٨٨ برقم (٢٥٤٠)، وله شواهد، انظر: معجم الطبراني الكبير: ٨/ ١٦٠ برقم (٧٧١٣)، ومعجم الطبراني الصغير: ١/ ٢٨٦، وصحيح الجامع الصغير: ١/ ٥٩٠ برقم (٣٠٧٨).
(٢) الموسوعة العربية العالمية: ١/ ٧٢٤.
(٣) المرجع السابق: ١/ ٧٢٤.

ثالثًا: توحيد الأسماء والصفات:

١- صفة الرحمة:

المطر من رحمة الله[(١)]، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾، ثم قال: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾[(٣)]

وكان النبي ﷺ إذا رأى المطر يقول: «رحمة»[(٤)].

٢- حكمة الله:

إن التأمل والتفكر في هذه الآيات الكونية - المطر والثلج والبرد - يدل على حكمة الله ﷻ في نزول المطر على الأرض من علو ليعم بسقيه وهادها وتلالها وظرابها وآكامها ومنخفضها ومرتفعها، ولو كان ربها تعالى إنما يسقيها من ناحية من نواحيها لما أتى الماء على الناحية المرتفعة إلا إذا اجتمع في السفلى وكثر، وفي ذلك فساد فاقتضت حكمته أن سقاها من فوقها...

ثم أنزله على الأرض بغاية من اللطف والحكمة التي لا اقتراح لجميع عقول الحكماء فوقها فأنزله ومعه رحمته على الأرض...

ثم تأمل الحكمة البالغة في إنزاله بقدر الحاجة حتى إذا أخذت الأرض

(١) تفسير القرطبي: ١٤/ ٤٣، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٣٢١.
(٢) الروم: ٤٦-٥٠.
(٣) الشورى: ٢٨.
(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر: ٢/ ٦١٦ برقم (٨٩٩).

حاجتها منه وكان تتابعه عليها بعد ذلك يضرها اقلع عنها وأعقبه بالصحو "[(١)]، ولو استمر أحدهما - المطر أو الصحو - لحصل الفساد والضرر.

"فاقتضت حكمة اللطيف الخبير أن عاقب بين الصحو والمطر على هذا العالم فاعتدل الأمر وصح الهواء ودفع كل واحد منهما عادية الأخر واستقام أمر العالم وصلح "[(٢)].

٣- صفة العلو:

سبق بيان أن من هدي النبي ﷺ أنه يحسر عن ثوبه عند نزول المطر[(٣)]، وعندما سئل عن ذلك قال: «إنه حديث عهد بربه»، لأنه نزل من جهة العلو[(٤)].

وهذا من الأدلة التي فيها إثبات علو الله تعالى، وأنه فوق السماوات، وقد ذكر هذا الحديث الذهبي - رحمه - في كتابه العلو في سياق الأحاديث الدالة على علو الله[(٥)]، ولو كان على ما يقول المبتدعه من أن الله " في كل مكان، ما كان المطر أحدث عهدًا بالله من غيره من المياه والخلائق "[(٦)].

٤- الصفات الفعلية الاختيارية:

الله ﷻ يفعل ما يشاء ويختار، فهو سبحانه يفعل ما يشاء في أي وقت شاء، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي

(١) مفتاح دار السعادة: ١/ ٢٢٣.
(٢) المرجع السابق: ١/ ٢٢٣.
(٣) ص: ٣٨١.
(٤) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع: ٥/ ٢٢٥.
(٥) العلو للعلي الغفار: ١/ ٤٦٧.
(٦) الرد على الجهمية لأبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، ت: بدر البدر، دار ابن الأثير، الكويت، ط٢: ٥٣.

ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾[١]، وفي الحديث السابق أن النبي ﷺ قال عن المطر: «إنه حديث عهد بربه»، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء، وهذا المطر خلقه الله تعالى في حين نزوله، ويستفاد من ذلك "ثبوت الأفعال الاختيارية لله ﷻالتي تقع بمشيئته"[٢].

رابعًا: توحيد الألوهية:

من منهج القرآن الكريم في تقرير توحيد الألوهية الاستدلال عليه بالربوبية؛ فإن الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، ومن ذلك الاستدلال على المشركين عباد الأصنام الذين يقرون بأن الله ﷻ هو الخالق، - وبأنه الذي ينزل المطر وينبت الشجر - على إفراد الله بتوحيد العبادة، " والقرآن مناد عليهم بذلك محتج بما أقروا به من ذلك على صحة ما دعتهم إليه رسله"[٣]، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾[٥].

فإذا كان الله ﷻ هو الذي يفعل ذلك وحده، فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، وأن تجعل جميع العبادات له وحده، وأن غيره مما

---

(١) الشورى: ٢٧.
(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع: ٥/ ٢٢٥.
(٣) مفتاح دار السعادة: ١/ ٩٤.
(٤) النمل: ٦٠.
(٥) العنكبوت: ٦٣.

عبد من دون الله فألوهيته باطلة[(١)].

١- التبرك:

قد سمى الله ﷻ المطر رحمة، وجعله مباركًا، وطهورًا، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾[(٣)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر، قال: فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر فقلنا: يا رسول الله: لم صنعت هذا؟ قال: «لأنه حديث عهد بربه تعالى»[(٤)].

فهو حديث عهد بربه أي بتكوين ربه إياه، والمعنى أن المطر رحمة وهو قريب العهد بخلق الله تعالى فيتبرك بها[(٥)].

خامسًا: الإيمان بالملائكة:

من الإيمان بالملائكة الإيمان بما ورد من أعمالهم في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرًا ﴿٥﴾﴾[(٦)]، ومن أعمالهم إنزال المطر، والموكل بذلك هو ميكائيل عليه السلام[(٧)].

---

(١) انظر: تفسير ابن سعدي: ٤١٤.
(٢) الفرقان: ٤٨.
(٣) ق: ٩.
(٤) سبق تخريجه: ٣٨١.
(٥) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٢/ ٥٤٦، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، دار ابن عفان، الخبر، ط١: ٢/ ٤٧٤.
(٦) النازعات: ٥.
(٧) انظر: تفسير القرطبي: ١٤/ ٨٦، ١٩/ ١٩٤، وتفسير ابن كثير: ١/ ٣٢٤، وتفسير

=

سادسًا: الإيمان بالرسل:

من دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ استجابة الله لدعائه بنزول المطر[(١)]، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله قائم يخطب، فاستقبل رسول الله قائما ثم قال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا، قال فرفع رسول الله يديه، ثم قال اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، قال أنس ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال فلا والله ما رأينا الشمس سبتا، قال ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله قائم يخطب، فاستقبله قائما، فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا، قال فرفع رسول الله يديه، ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر فانقلعت وخرجنا نمشى في الشمس»[(٢)].

وهذا من دلائل نبوة محمد ﷺ "وعظيم كرامته على ربه سبحانه وتعالى بإنزال المطر سبعة أيام متوالية متصلا بسؤاله من غير تقدم سحاب ولا قزع ولا سبب آخر لا ظاهر ولا باطن"[(٣)].

= البغوي: ٤/ ٥٤٧.

(١) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، ت: محمد رواس قلعجي، وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٣: ٤٤٨، والصحيح المسند من دلائل النبوة، لمقبل بن هادي الوادعي، دار ابن تيمية، القاهرة، ط٢: ٢٠٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة: ٢٠١ برقم (١٠١٤)، وصحيح مسلم، كتاب الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء: ٢/ ٦١٢ برقم (٨٩٧)

(٣) شرح النووي على مسلم: ٦/ ١٩٢، وانظر: فتح الباري: ٢/ ٥٠٦.

سابعًا: الإيمان باليوم الآخر:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ مما يكون فيه، ومن ذلك الحوض، وفي وصف النبي ﷺ وصفه له بأنه أشد بياضًا من الثلج، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن حوضى أبعد من أيلة من عدن، لهو أشد بياضا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم»(١).

ثامنًا: الإيمان بالقدر:

من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بمشية الله، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن.

وقد أخبر الله عز وجل أنه يسوق السحاب قطعا متفرقة، ثم يؤلف بين تلك القطع فيجعله سحابًا متراكبًا مثل الجبل، ثم ينزل منها البرد، فيصيب به من يشاء، ويصرفه عمن يشاء، وأن ذلك بحسب ما اقتضاه حكمه القدري(٢)، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾(٣).

وأخبر النبي ﷺ أنه ما من ساعة من ليل و لانهار إلا والسماء تمطر فيها، يصرفه الله حيث يشاء، فعن المطلب بن حنطب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء: ١/ ٢١٧ برقم (٢٤٧).

(٢) انظر: تفسير السعدي: ٥٧٠.

(٣) النور: ٤٣.

من ساعة من ليل ولا نهار إلا السماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء»(١).

تاسعًا: الإيمان بالغيب:

إن للآيات الكونية ارتباطًا وثيقًا بعلم الغيب، حيث أن أوقات حدوثها لا يعلمه إلا الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾(٢).

وقد بين النبي ﷺ أن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، وذكر منها المطر، فعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»(٣).

عاشرًا: مسائل الأسماء والأحكام:

سبق الكلام في المبحث السابق - الرعد والبرق والصواعق(٤) - أن الله عز وجل بين في أول سورة البقرة أن الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: مؤمنين خلص، وكفار خلص، ومنافقين.

وهؤلاء المنافقون قسمان: خلص، وهم المضروب لهم المثل الناري، ومنافقون يترددون، تارة يظهر لهم لمع من الإيمان وتارة يخبو وهم أصحاب

(١) معرفة السنن والآثار للبيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء، القاهرة، ط١: ٥/ ١٩٤ برقم (٧٢٦٢)، وهو مرسل، انظر: فيض القدير: ٥/ ٤٩٤.

(٢) لقمان: ٣٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الرعد، باب قوله: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾: ٩٠٠ برقم (٤٦٩٧).

(٤) ص: ٣٧١.

المثل المائي[(١)]، قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾[(٢)].

وقد استدل أهل السنة والجماعة بهذه الآية على أن الإنسان قد تكون فيه شعبة من إيمان، وشعبة من نفاق، إما اعتقادي مخرج عن الإسلام، أو عملي لا يخرج عن الإسلام[(٣)].

الحادي عشر تكفير الذنوب:

كان من هدي النبي ﷺ إذا افتتح صلاته أن يسأل الله ﷻ أن يطهره الله من الخطايا بالماء والثلج والبرد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاتة- قال: أحسبه قال: هنية - فقلت بأبي وأمي يا رسول الله: إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد»[(٤)].

وذلك أن" الخطايا توجب للقلب حرارة ونجاسة وضعفا فيرتخي القلب وتضطرم فيه نار الشهوة وتنجسه؛ فإن الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذي يمد النار ويوقدها، ولهذا كلما كثرت الخطايا اشتدت نار القلب

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٨٨.
(٢) البقرة: ١٩-٢٠.
(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ٧/ ٢٨٠، وتفسير ابن كثير: ١/ ١٨٩.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب ما يقول بعد التكبير: ١٥٥ برقم (٧٤٤).

وضعفه، والماء يغسل الخبث ويطفئ النار، فإن كان باردا أورث الجسم صلابة وقوة، فإن كان معه ثلج وبرد كان أقوى في التبريد وصلابة الجسم وشدته فكان أذهب لأثر الخطايا "(١).

وكذلك كان النبي ﷺ يدعو للميت بذلك، فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: «اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارا خيرا من داره، وأهلا خيرا من أهله، وزوجا خيرا من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر - أو من عذاب النار -، قال: حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت»(٢).

فجعل " الخطايا بمنزلة نار جهنم لأنها مستوجبة لها بحسب وعد الشارع، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾(٣)، فعبر عن إطفاء حرارتها بالغسل تأكيدا في الإطفاء وبالغ فيه باستعمال المبردات ترقيا عن الماء إلى أبرد منه وهو الثلج، ثم إلى أبرد من الثلج وهو البرد بدليل جموده؛ لأن ما هو أبرد فهو أجمد"(٤).

---

(١) المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١: ١/ ٢١٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة: ٢/ ٦٦٢ برقم (٩٦٣).

(٣) الجن: ٢٣.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٥/ ٢٩٤، وانظر: فتح الباري: ٢/ ٢٣٠.

الثاني عشر: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:

ضرب الأمثال:

من منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال ضرب الأمثلة لتوضيح الحقائق وتقريبها، وقد سبق في المبحث السابق - الرعد والبرق والصواعق[(١)] - أن الله ضرب مثلًا في أول سورة البقرة للإسلام وحال المنافقين، - ذكر فيه المطر -، قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾[(٢)].

"فالمطر الإسلام، وقلوب المنافقين في حال شكهم وكفرهم وترددهم كالمطر من السماء الذي فيه ظلمات ورعد وبرق"[(٣)].

وأخبر النبي ﷺ أن الفتن تقع خلال البيوت كمواقع المطر، فعن أسامة رضي الله عنه قال: أشرف النبي ﷺ على أطم[(٤)] من آطام المدينة فقال: «"هل ترون ما أرى؟» قالوا: لا. قال: «إني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كمواقع المطر»[(٥)].

والتشبيه بمواقع المطر: في الكثرة والهرم[(٦)].

(١) ص: ٣٧٢.
(٢) البقرة: ١٩.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٨٩.
(٤) الأطم: بضم الهمزة والطاء هو القصر والحصن. ومعنى أشرف: علا وارتفع. شرح النووي على مسلم: ١٨/ ٧.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: " ويل للعرب من شر قد اقترب": ١٣٥٠ برقم (٧٠٦٠)، وصحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر: ٤/ ٢٢١١ برقم (٢٨٨٥).
(٦) شرح النووي على مسلم: ١٨/ ٧.

وضرب النبي ﷺ في بيان خيرية الأمة مثلًا بالمطر، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره»[(١)].

ومعناه أن الدين "كما هو محتاج إلى أول الأمة في إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها، وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم.

وكذلك الزرع الذي يحتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثاني، ولكن العمدة الكبرى على الأول، واحتياج الزرع إليه آكد، فإنه لولاه ما نبت في الأرض، ولا تعلق أساسه فيها"[(٢)].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الأدب: ٤٥٩ برقم (٢٨٦٩)، وقال: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. ومسند الإمام أحمد: ١٩/ ٣٣٤ برقم (١٢٣٢٧)، وقال المحقق: حديث قوي بطرقه وشواهده، وهذا إسناد حسن.

(٢) تفسير ابن كثير: ٧/ ٥١٩، وانظر: فتح الباري: ٧/ ٦، وفيض القدير: ٥/ ٥١٦.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - المطر والثلج والبرد -:

أولًا: نسبة المطر إلى الكواكب:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية نسبة المطر إلى الكواكب، عن زيد بن خالد ﵁ قال: خرجنا مع رسول الله: عام الحديبية، فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلى لنا رسول الله ﷺ الصبح، ثم أقبل علينا، فقال: «أتدرون ماذا قال ربكم؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: قال الله: أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر بي، فأما من قال: مطرنا برحمة الله، وبرزق الله، وبفضل الله، فهو مؤمن بي، كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنجم كذا وكذا، فهو مؤمن بالكوكب، كافر بي»(١).

وسبق بيان حكم نسبة المطر إلى الكواكب، وأنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام(٢):

القسم الأول: نسبة الفعل للكوكب، وادعاء أنه هو يفعل بذاته فهذا كفر أكبر؛ لأن الخلق والأمر لله وحده.

القسم الثاني: اعتقاد أن الفعل من عند الله، مع نسبته إلى الكوكب والنوء نسبة سبب، فهذا من الشرك الأصغر.

القسم الثالث: جعل الأنواء علامة على المطر مع عدم نسبته إليه لا قولًا ولا اعتقادًا، وهذا جائز.

---

(١) سبق تخريجه: ١٨٧، ٣٥٥.

(٢) ص: ١٨٥، ٣٥٥.

ثانيًا: قصر احتباس المطر على الأسباب المادية:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية قصر احتباس المطر على الأسباب المادية، ونسبة ذلك إلى طبائع الأماكن الأرضية والرياح[(١)] دون اعتقاد أن ذلك قد يكون بسبب الذنوب والمعاصي، وأن ذلك ابتلًا أو اختبارًا من الله ﷻ لعباده ليعلم سبحانه من يصبر ويحتسب ويرجع إلى ربه، ومن يقنط ويسخط من قضاء الله[(٢)]، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[(٤)]،

قال ابن قدامة[(٥)] رحمه الله: " فإن المعاصي سبب الجدب، والطاعة تكون سببًا للبركات "[(٦)].

---

(١) انظر: غربة الإسلام، للشيخ حمود بن عبد الله التويجري، ت: عبد الكريم التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط١: ٢/ ٥٧٩.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٧/ ٢٥٣، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٤٥١.

(٣) الأعراف: ٩٦.

(٤) الروم: ٤١.

(٥) هو عبد الله بن محمد بن قدامه الجماعيلي المقدسي، من أكابر علماء الحنابلة، من مؤلفاته: المغني، وروضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، وغيرها من المؤلفات، توفي عام: ٦٢٠.
انظر: شذرات الذهب: ٧/ ١٥٥، وسير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٦٥-١٧٣.

(٦) المغني: ٢/ ١٤٨.

ثالثًا: تحريف قوله ﷺ عن المطر" حديث عهد بربه":

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية تحريف قوله ﷺ: «حديث عهد بربه»(١)، وأن المراد به ظهور متعلق الإرادة، وأن إرادة الله قديمة(٢).

وأهل السنة والجماعة يقولون: إن الله ﷻ فعال لما يريد، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾(٤).

فالله ﷻ متصف بصفة الإدارة ولم يزل متصف بتلك الصفة، وإرادة الله جل وعلا متجددة، فما من شيء يحدث في ملكوت الله إلا وقد شاءه الله جل وعلا حال كونه وأراده، كما أنه جل وعلا شاءه في الأزل وأراده.

فمشيئته في الأزل بمعنى إرادة إحداثه في الوقت الذي جعل الله جل وعلا ذلك الشيء يحدث فيه، لكن من حيث تعلقها بالمعين هذا متجددة(٥).

وفي هذا الحديث إثبات الأفعال الاختيارية لله ﷻ(٦).

---

(١) سبق تخريجه: ٣٨١.
(٢) انظر: إكمال المعلم شرح صحيح مسلم لأبي عبد الله الأبي، مكتبة طبرية: ٣/ ٤٩.
(٣) هود: ١٠٧.
(٤) البروج: ١٤-١٦.
(٥) اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح آل الشيخ، اعداد: عادل رفاعي، دار العاصمة، الرياض، ط١: ١/ ٣١٢.
(٦) انظر: شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين: ١٥٥.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- المطر بالليل بسب طاعة الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال ربكم عز وجل: لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولما أسمعتهم صوت الرعد».

سبق تخريجه وبيان ضعفه(١).

٢- النهي عن الإشارة إلى المطر والبرق:

عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم البرق أو الودق فلا يشر إليه، وليصف ولينعت»(٢).

قال الشافعي رحمه الله: لم تزل العرب تكره الإشارة إليه في الرعد، ولعل ذلك خوفا من الصواعق(٣).

---

(١) سبق تخريجه: ٣٧٥.

(٢) المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢: ٣/ ٩٤ برقم (٤٩١٧)، والسنن الكبرى للبيهقي، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الإشارة للمطر: ٣/ ٣٦٢، وهو ضعيف، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ١٠/ ٢٥٦ برقم (٤٧١٠).

(٣) الأم للشافعي، دار الفكر، بيروت ط٢: ١/ ٢٩٠.

المبحث السابع
الريح والرياح

الريح في اللغة:

أصل الياء في الريح الواو، وإنما قلبت ياء لكسرة ما قبلها[(١)]، والريح: الغلبة والقوة[(٢)] في قوله تعالى: ﴿فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾[(٣)].

والريح: الهواء إذا تحرك[(٤)]، ونسيم الهواء، وكذلك نسيم كل شيء، وهي مؤنثة[(٥)].

والريح: واحدة الرياح والأرياح، وقد تجمع على أرواح، لأن أصلها الواو، وإنما جاءت بالياء لانكسار ما قبلها، فإذا رجعوا إلى الفتح عادت إلى الواو، كقولك: أروح الماء، وتروحت بالمروحة. ويقال: ريح وريحة، كما قالوا: دار ودارة[(٦)].

والرياح بلفظ الجمع تطلق ويراد بها الخير، والريح بلفظ المفرد تطلق ويراد بها العذاب أو الشر غالبًا إلا إذا قيد هذا المفرد بوصف خرج عن هذه القاعدة[(٧)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٤٥٤.
(٢) المصدر السابق: ٢/ ٤٦٤.
(٣) الأنفال: ٤٦.
(٤) المعجم الوسيط: ١/ ٣٨١.
(٥) لسان العرب: ٣/ ١٧٦٣.
(٦) الصحاح: ١/ ٣٦٧، لسان العرب: ٣/ ١٧٦٣.
(٧) لسان العرب: ٣/ ١٧٦٣، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٣١.

قال القرطبي: " فمن وحد الريح فلأنه اسم للجنس يدل على القليل والكثير.

ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح.

ومن جمع مع الرحمة ووحد مع العذاب فإنه فعل ذلك اعتبارا بالأغلب في القرآن، نحو: ﴿ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾[(١)]، و ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾[(٢)]، فجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب، إلا في يونس في قوله: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[(٣)] "[(٤)].

وفي الاصطلاح:

الرياح هواء متحرّك عبر سطح الأرض[(٥)]، وتموجات مكونات الغلاف الجوي من غازات وأبخرة وغبار حسب العوامل والمؤثرات.

"وتحدث الرياح نتيجة التسخين غير المتساوي للغلاف الجوي، عن طريق الطاقة المنبعثة من الشمس. تُسخِّن الشمس سطح الأرض بطريقة غير متساوية، فالهواء الذي يعلو المناطق الحارة يتمدد ويرتفع، ويحل محله هواء من المناطق الأبرد، وتسمى هذه العملية دورة.

فالدورة فوق الأرض بكاملها تسمى الدورة العامة، بينما تسمى الدورات النسبية الصغرى والتي يمكن أن تتسبب في حدوث تغيرات في الرياح يومًا بعد يوم، الدورات النسبية الشاملة للرياح.

---

(١) الروم: ٤٦.
(٢) الذاريات: ٤١.
(٣) يونس: ٢٢.
(٤) تفسير القرطبي: ٢/ ١٩٨، وانظر: التحرير والتنوير ٢١/ ١٢١، البرهان في علوم القرآن ٤/ ٩-١١.
(٥) الموسوعة العربية العالمية: ١١/ ٤٣٣.

أما الرياح التي من الممكن أن تحدث في مكان واحد فقط، فإنها تسمى الرياح المحلية"[(١)].

وذكر بعض المفسرين أن الريح في القرآن على ثلاثة أوجه[(٢)]:

أحدها: الريح نفسها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا﴾[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾[(٥)].

والثاني: الرائحة. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾[(٦)].

والثالث: القوة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[(٧)].

وقد ورد لفظ الريح في القرآن في (١٧) موضعًا، ولفظ الرياح في (١٠) مواضع[(٨)].

وورد لفظ الريح والرياح في السنة في (٨٠) حديثًا[(٩)].

---

(١) المرجع السابق: ١١/ ٤٣٤.
(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ٥٤١.
(٣) البقرة: ١٦٤.
(٤) الأعراف: ٥٧.
(٥) الروم: ٤٦.
(٦) يوسف: ٩٤.
(٧) الأنفال: ٤٦.
(٨) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٤١٤.
(٩) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٢.

الدلائل العقدية للآية الكونية - الريح والرياح -:

الريح والرياح من آيات الله الكونية، وقد ذكرها الله ﷻ ممتن بها على عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾[٢].

فهذه آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة، والحكمة الباهرة، والرحمة الواسعة، وتصريف الرياح في هاتين الآيتين هي من الأمور التي امتن الله بها على عباده دالة من تفكر فيها وتأملها أن وراءها خالقًا حكيما[٣].

وقد جعلها الله أحد جنوده المسخرين تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه، يأمرها بالخير فتكون السحاب وتسوقه إلى حيث يشاء ثم ينزل المطر، ويأمرها فتلقح الأشجار والسحاب. ويأمرها فتلطف الجو وتحسنه، ويأمرها بغير ذلك مما شاء فتلحق الضرر والدمار بمن يشاء، إلى غير ذلك من مزاياها وخصائصها.

"وهذه الريح فيها من المصالح ما لا يعلمه إلا الله، فتأمل مثلًا: كم سخر للسحاب من ريح حتى أمطر، فسخرت له المثيرة أولًا فتثيره بين السماء

---

(١) البقرة: ١٦٤.

(٢) الجاثية: ٣-٥.

(٣) انظر: التبيان في أقسام القرآن: ٢/ ٦٦-٦٧.

والأرض، ثم سخرت له الحاملة التي تحمله على متنها كالجمل الذي يحمل الراوية، ثم سخرت له المؤلفة فتؤلف بين كِسفه وقطعه، ثم يجتمع بعضها إلى بعض فيصير طبقا واحدا، ثم سخرت له اللاقحة بمنزلة الذكر الذي يلقح الأنثى فتلقحه بالماء ولولاها لكان جهاما لا ماء فيه، ثم سخرت له المزجية التي تزجيه وتسوقه إلى حيث أمر فيفرغ ماءه هنالك، ثم سخرت له بعد إعصاره المفرقة التي تبثه وتفرقه في الجو فلا ينزل مجتمعا ولو نزل جملة لأهلك المساكن والحيوان والنبات بل تفرقه فتجعله قطرا "[١].

أولًا: توحيد الربوبية:

من آيات الله الدالة على قدرته وتدبيره وسلطانه، تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره، وإجرائه الهواء بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم، وتصرفه سبحانه في هذه الريح التي لو شاء لأسكنها حتى لا تتحرك السفن، بل تظل راكدة لا تجيء ولا تذهب، بل واقفة على ظهره.

قال تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢].

أي تقليبها في مهابها: قبولًا ودبورًا وجنوبًا وشمالًا، وفي أحوالها: حارةً وباردةً وعاصفةً ولينة، وتارة مبشرة بين يدي السحاب، وطورًا تسوقه، وأوانةً تجمعه، ووقتًا تفرقه، وحينًا تصرفه. وتارة بالرحمة وتارة بالعذاب[٣]، آية من آيات الله يتصرف فيها، وذلك مما لا يقدر عليه أحد إلا الله، فلو أراد كل من في العالم قلب الريح من الشمال إلى الجنوب أو إذا كان الهواء ساكنًا أن

(١) مفتاح دار السعادة: ١/ ٣٣.
(٢) البقرة/ ١٦٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢/ ٧٨، وتفسير القرطبي: ٢/ ١٩٧.

يحركه لتعذر[(١)]، وهذا من أدلة ربوبيته - سبحانه وتعالى -.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾[(٢)].

"فهو سبحانه إذا شاء جعل الريح ساكنة فوقفت، وإن شاء أرسلها ريحًا قوية عاتية، فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم، فصرفتها ذات اليمين أو ذات الشمال، آبقة لا تسير على طريق، ولا إلى جهة مقصد؛ ولكن من لطفه ورحمته أنه يرسله بحسب الحاجة"[(٣)]، وهذا دليل على كمال قدرته وسلطانه[(٤)].

وأخبر تعالى أنه مالك كل شيء، وأن كل شيء سهل عليه، يسير لديه، وأن عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف، وأنه ينزل من هذه الخزائن بقدر معلوم كما يشاء ويريد، لما له في ذلك من الحكمة البالغة، والرحمة بعباده.

وأنه وحده تعالى يرسل الرياح اللواقح[(٥)]، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾[(٦)].

---

(١) انظر: تفسير الرازي: ٢٧/ ١٤٩، ١٤/ ١١٤.
(٢) الشورى: ٣٢-٣٥.
(٣) تفسير ابن كثير: ٧/ ٢٠٩.
(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٧/ ٢٢٩، زاد المسير: ٦/ ٣٠٧.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٣١، وتفسير السعدي: ٤٣١.
(٦) الحجر: ٢١-٢٥.

ثانيًا: توحيد الأسماء والصفات:

صفة الرحمة:

الرياح من المبشرات برحمة الله، وهي كذلك تسير الفلك وهذا من رحمة الله[(١)]، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾[(٣)]

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «الريح من روح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب فلا تسبوها، وسلوا الله من خيرها وتعوذوا به من شرها»[(٤)].

والروح "بفتح الراء بمعنى الرحمة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[(٥)]، أي يرسلها الله تعالى من رحمته لعباده"[(٦)].

ثالثًا: توحيد الألوهية:

من منهج القرآن الكريم في تقرير توحيد الألوهية الاستدلال عليه

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٢١.
(٢) الروم: ٤٦.
(٣) الفرقان: ٤٨-٥٠.
(٤) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الريح: ٥٥٠ برقم (٥٠٩٧)، والمسند: ١٣/ ٦٩ برقم (٧٦٣١)، وقال محققه: "صحيح لغيره"، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ٣/ ٩٦٠.
(٥) يوسف: ٨٧.
(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود: ١٤/ ٣.

بالربوبية؛ فإن الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، ومن ذلك الاستدلال على المشركين الذين يقرون بأن الله ﷻ هو الخالق المتصرف في الكون على إفراد الله بتوحيد العبادة، والإخلاص في جميع الأحوال.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾[(١)].

فالمشركون يتركون ما كانوا يعبدون من دون الله لعلمهم أنهم ضعفاء عاجزون عن كشف الضر، ويصرخون بدعوة فاطر الأرض والسماوات - الذي تستغيث به في شدائدها جميع المخلوقات - وأخلصوا له الدعاء والتضرع في هذه الحال[(٢)]، فإذا كان الله ﷻ هو الذي يفعل ذلك وحده، وهو الذي يخلصهم من شر هذه الريح؛ فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، وأن تجعل جميع العبادات له وحده، وأن غيره مما عبد من دون الله فألوهيته باطلة[(٣)].

ولذلك يشرع للمسلم إذا عصفت الريح أن يقول ما حدثت به عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به»[(٤)].

(١) يونس: ٢٢.
(٢) تفسير السعدي: ٤٦٣.
(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٨/ ٣٢٥، وتفسير السعدي: ٤١٤، ٤٦٣.
(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر: ٢/ ٦١٦ برقم (٨٩٩).

وقد أمر النبي ﷺ بالاستعاذة بالله عند شدة الريح، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: بينا أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والأبواء؛ إذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بـ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾(١)، و ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾(٢)، ويقول: «يا عقبة! تعوّذ بهما؛ فما تعوذ متعوذ بمثلهما!». قال: وسمعته يؤمنا بهما في الصلاة(٣).

ومن الدلائل السماوية على ألوهية الله أن الله ﷻ يرسل الرياح بين يدي السحاب الذي فيه مطر، يغيث به عباده المجدبين الأزلين القنطين، قال تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾، ثم قال تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٤) أي أإله مع الله فعل هذا، فيستحق أن يعبد!. فإذا كان الله هو الذي يفعل هذا الأمر وحده إذا فهو المستحق للعبادة وحده(٥).

وقد ذكر الله ﷻ من الأدلة على تفرده بالإلهية تفرده بالخلق والملك والتصرف، ومما ذكر سبحانه وتعالى تصريف الرياح، تارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب، تارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب، وتارة تسوقه، وتارة تجمعه، وتارة تفرقه، وتارة تصرفه، ثم تارة تأتي من الجنوب، وتارة من الشمال، وتارة من الشرق، وتارة من الغرب(٦)، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ

---

(١) الفلق: ١.
(٢) الناس: ١.
(٣) سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب في المعوذتين: ١٧٦ برقم (١٤٦٣)، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود: ١/ ٢٧٥.
(٤) النمل: ٦٣.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٠٦.
(٦) انظر: المرجع السابق: ١/ ٤٧٥.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[١].

وفي تعداد الآيات الدالة على تفرد الله بالألوهية في سورة فاطر بعد أن ذكر الله ﷻ خلق السماوات والأرض، ذكر الرياح مستدلًا " بتصريف الأحوال بين السماء والأرض - وذلك بإرسال الرياح وتكوين السحاب وإنزال المطر "[٢] - على ألوهيته، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾[٣] الآيات.

رابعًا: الإيمان بالرسل:

الريح من جند الله، يعز الله بها أولياءه، ويذل بها أعداءه، أكرم الله تعالى بها أنبيائه ونصرهم بها، فأكرم الله ﷻ بها سليمان عليه السلام[٤]، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾[٦].

ونصر بها نبينا ﷺ والمؤمنين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

---

(١) البقرة: ١٦٤.
(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٢٢/ ٢٦٧.
(٣) فاطر: ٩.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ٣٥٨.
(٥) ص: ٣٥-٣٦.
(٦) الأنبياء: ٨١.

بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾[(١)]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور[(٢)]»[(٣)].

ومن دلائل نبوة الأنبياء وصدقهم نصر الله لهم على أعدائهم وإهلاكهم، وقد أخبر الله ﷻ أنه أهلك بعض الأمم المكذبة للرسل بإرسال الريح عليهم، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾[(٥)].

وفي تسلية الله ﷻ لنبيه ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه أخبر الله ﷻ أنه عذب القوم المجرمين بالريح التي فيها عذاب اليم[(٦)]، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا

(١) الأحزاب: ٩.
(٢) الصبا: بفتح المهملة وتخفيف الموحدة مقصور هي الريح الشرقية، والدبور بفتح أوله وتخفيف الموحدة المضمومة مقابلها. فتح الباري: ٦/ ٣٠١.
(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب: ٧٨٠ برقم (٤٠١٥).
(٤) فصلت: ١٥-١٦.
(٥) الحاقة: ٦.
(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٢٨٥-٢٨٦.

مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾[١].

ولذلك كان النبي ﷺ إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك في وجهه وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُرَّ به وذهب عنه ذلك، قالت عائشة رضي الله عنها: فسألته، فقال: «إني خشيت أن يكون عذابا سلط على أمتي»[٢].

ومن دلائل نبوته ﷺ إخباره بالغيب الذي أطلعه الله عليه من وقت الريح وأنها ستهب الليلة وما يتبع ذلك من ضرر[٣]، فعن أبي حميد رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك فأتينا وادي القُرى على حديقة لامرأة، فقال رسول الله ﷺ: اخرصوها، فخرصناها وخرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسق، وقال: أحصيها حتى نرجع إليك - إن شاء الله -، وانطلقنا حتى قدمنا تبوك، فقال: رسول الله ﷺ: ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم فيها أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عقاله، فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيئ»[٤].

خامسًا: الإيمان باليوم الآخر:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ مما يكون فيه، ومن ذلك المرور على الصراط، وقد أخبر النبي ﷺ أن بعض من يمر عليه يمر كالريح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول وهل أخرجكم من الجنة

(١) الأحقاف: ٢١-٢٥.
(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر: ٢/ ٦١٦ برقم (٨٩٩).
(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم: ١٥/ ٤٢.
(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ: ٤/ ١٧٨٤ برقم (١٣٩٢).

إلا خطيئة أبيكم آدم، لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، قال فيقول إبراهيم ج لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلا من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليما، فيأتون موسى فيقول لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى لست بصاحب ذلك، فيأتون محمدا فيقوم، فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق، قال قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق قال ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا، قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار»[(١)].

سادسًا: الإيمان بالقدر:

من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بمشيئة الله، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن.

وقد أخبر الله ﷻ أن الريح تُسيّر السفن بمشيئته، فإن شاء جعل الريح ساكنه، وإن شاء حركها، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾[(٢)]، فهذه الريح التي تسير السفن لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك، ولو شاء لحركها حتى لا تقف[(٣)].

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدني أهل الجنة منزلة فيها: ١/ ١٨٦ برقم (١٩٥).
(٢) الشورى: ٣٢-٣٤.
(٣) تفسير الطبري: ٢٥/ ٤١، وتفسير القرطبي: ١٦/ ٣٣.

ثم هو سبحانه إذا شاء جعل هذه الريح طيبة باردة، وإذا شاء جعلها قوية مدمرة مع" أنها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى، وهي مع ذلك في غاية القوة، تقلع الشجر والصخر، وتخرب البنيان العظيم"[(١)].

سابعًا: مسائل الأسماء والأحكام:

أخبر النبي ﷺ أن بعث الريح قد يكون لموت منافق، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قدم من سفر فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب فزعم أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت هذه الريح لموت منافق»، فلما قدم المدينة فإذا منافق عظيم من المنافقين قد مات[(٢)].

أي عقوبة له، وعلامة لموته وراحة البلاد والعباد منه[(٣)].

ثامنًا: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:

ضرب الأمثال:

من منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال ضرب الأمثلة لتوضيح الحقائق وتقريبها، وقد ضرب الله مثلًا لمحق ثواب أعمال الكفار في هذه الدنيا في إنفاقهم مثل الريح الباردة الشديدة التي فيها نار إذا أنزلت على حرث قد آن حصاده فدمرته وأهلكته[(٤)]، قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾[(٥)].

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل لعلي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩: ١/ ١٣٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم: ٤/ ٢١٤٥ برقم (٢٧٨٢).

(٣) شرح النووي على مسلم: ١٧/ ١٢٧.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ١٠٦.

(٥) آل عمران: ١١٧.

وضرب الله مثلًا لأعمال الكفار الذين عبدوا مع الله غيره، وكذبوا رسله، وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح فانهارت بالرماد إذا اشتدت به الريح العاصفة، فلا يقدرون على شيء من أعمالهم التي كسبوها في الدنيا إلا كما يقدرون على جمع هذا الرماد في هذا اليوم[١]، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾[٢].

وضرب الله للمشرك مثلًا في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى بمن تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد مهلك لمن هوى فيه، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٣].

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٩/ ٣٥٣.
(٢) إبراهيم: ١٨.
(٣) الحج: ٣١.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الريح والرياح -:

أولًا: سب الريح:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية سبها، وهو سب لخالقها؛ لأنه الخالق لها، المتصرف فيها، والمرسل والآمر لها، قال ﷺ: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت، به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به»[(١)].

ثانيًا: نسبة حصول الذكورة والأنوثة في المولود للريح:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية نسبة الذكورة والأنوثة في المولود إلى الريح" فإذا كانت الريح شمالا كان الولد ذكرا، وإذا كانت جنوبا كان المولود أنثى"[(٢)].

وهذا "باطل من وجوه كثيرة معلومة بالحس والعقل وأخبار الأنبياء؛ فإن الإذكار والإيناث لا يقوم عليه دليل ولا يستند إلى أمر طبيعي وإنما هو مجرد مشيئة الخالق البارئ المصور الذي ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾﴾[(٣)]،

(١) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب النهي عن سب الريح: ٣٢٧ برقم (٢٢٥٢)، والمسند: ٣٥/ ٧٥ برقم (٢١١٣٨)، وقال محققه: " حديث صحيح"، وصححه الألباني: انظر: صحيح سنن الترمذي: ٢/ ٢٥٣.

(٢) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢١٧.

(٣) الشورى: ٤٩-٥٠.

﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[(١)]، وكذا هو قرين الأجل والرزق والسعادة والشقاوة حين يستأذن الملك الموكل بالمولود ربه وخالقه فيقول: يا رب أذكر أم أنثى؟ سعيد أم شقي؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيقضي الله ما يشاء ويكتب الملك[(٢)]"[(٣)].

(١) طه: ٥٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته: ٤/ ٢٠٣٦ برقم (٢٦٤٣).

(٣) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢١٧.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- الريح مسخرة من الأرض الثانية:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الريح مسخرة من الثانية - يعني من الأرض الثانية - فلما أراد الله أن يهلك عادًا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عادا، قال أي رب، أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور؟ قال له الجبار: لا إذًا تكفأ الأرض ومن عليها، ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي يقول الله في كتابه: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾[1]»[2].

٢- ريح الجنوب من الجنة والشمال من النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ريح الجنوب من الجنة، وهي الريح اللواقح، وهي التي ذكر الله في كتابه، فيها منافع للناس، والشمال من النار تخرج فتمر بالجنة فتصيبها نفحة منها فبردها هذا من ذاك»[3].

---

(١) الذاريات: ٤٢.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠/ ٣٣١٣ برقم (١٨٦٦٥)، والحاكم في المستدرك: ٤/ ٥٩٤، وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: "بل منكر، فيه عبد الله بن عياش ضعفه أبو داود، وعند مسلم أنه ثقة، ودراج وهو كثير المناكير". وقال ابن كثير: "هذا الحديث رفعه منكر، والأقرب أن يكون موقوفا على عبد الله بن عمرو، من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك، والله أعلم". انظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٤٢٣.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المطر والرعد والبرق والريح: ١٤٠، والطبري في تفسيره:

=

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق في الجنة ريحا بعد الريح بسبع سنين، وإن من دونها بابا مغلقا، وإنما يأتيكم الريح من ذلك الباب، ولو فتح لأذرت ما بين السماء والأرض من شيء، وهي عند الله الأزيب[١] وهي فيكم الجنوب»[٢].

= ١٤/ ٣٠، وضعفه ابن كثير في تفسيره: ٤/ ٥٣١، والألباني في ضعيف الجامع الصغير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣: ٤٦١ برقم (٣١٤٤).

(١) من أسماء ريح الجنوب. وأهل مكة يستعملون هذا الاسم كثيرا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٣٢٤.

(٢) مسند الحميدي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط٢: ٢٢٣ برقم (١٢٩)، والعظمة للأصبهاني: ٤/ ١٣٣٨ برقم (٨٤٥)، وقال الألباني: موضوع. انظر: ضعيف الجامع الصغير: ٢٣٢ برقم (١٦٠٧).

الفصل السادس

الآيات الكونية الأرضية ودلالتها العقدية.

وفيه تمهيد وتسعة مباحث:

المبحث الأول: الأرض.

المبحث الثاني: الجبال.

المبحث الثالث: الزلازل والخسوف والبراكين.

المبحث الرابع: البحار والأنهار.

المبحث الخامس: الليل والنهار.

المبحث السادس: الحياة والموت.

المبحث السابع: النوم.

المبحث الثامن: النبات.

المبحث التاسع: الأمراض.

تمهيد

الآيات الكونية الأرضية هي الآيات السفلية كالأرض والجبال والبحار والأنهار وغيرها.

وفي هذا الفصل أذكر الآية الكونية ومعناها وورودها في القرآن والسنة، ودلالتها العقدية على التوحيد بأقسامه - الربوبية والأسماء والصفات والألوهية - وبقية أركان الإيمان ومسائل العقيدة.

ثم أذكر المخالفات العقدية والأحاديث الموضوعة والضعيفة المتعلقة بهذه الآيات الكونية.

المبحث الأول: الأرض

الأرض في اللغة:

الهمزة والراء والضاد ثلاثة أصول، أصل يتفرع وتكثر مسائله، وأصلان لا ينقاسان بل كل واحد موضوع حيث وضعته العرب. فأما هذان الأصلان فالأرض الزكمة، رجل مأروض أي مزكوم، وهو أحدهما، والآخر الرِعدة، يقال بفلان أرض أي رِعدة.

وأما الأصل الأول: فكل شيء يسفل ويقابل السماء، يقال لأعلى الفرس سماء، ولقوائمه أرض.

والأرض: التي نحن عليها أنثى وهي اسم جنس، وكان حق الواحدة منها أن يقال أرضة؛ ولكنهم لم يقولوا، وفي التنزيل ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾[(١)]، والجمع آراض وأرضين وأروض وأرضون الواو عوض من الهاء المحذوفة المقدرة[(٢)].

وفي الاصطلاح:

الأرض كرة ضخمة يتكون سطحها من صخور وتربة وماء، ويحيط بها الهواء. وليست كروية تمامًا؛ إذ إن المسافة بين القطبين أقصر من قطرها عند خط الاستواء[(٣)].

---

(١) الغاشية: ٢٠.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: ١/ ٧٩-٨١، لسان العرب: ٣/ ٢١٠٧.

(٣) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ١/ ٥١١، ٥١٤.

وقد ورد لفظ الأرض في القرآن في (٤٥١) موضعًا، ولم يرد بلفظ الجمع[(١)].

ووردت الأرض في السنة في (١٠٣) حديثًا[(٢)].

وذكر بعض المفسرين أن الأرض في القرآن على سبعة عشر وجها[(٣)]:

الأول: بمعنى الجنة، قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾[(٥)].

الثاني: بمعنى أرض مكة، قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[(٦)]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[(٧)].

الثالث: بمعنى المدينة النبوية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾[(٨)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾[(٩)]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾[(١٠)].

الرابع: بمعنى أرض الشام وبيت المقدس، قال تعالى: ﴿كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ﴾[(١١)]، وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ۝٧١﴾[(١٢)].

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٣٤-٤٢.

(٢) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٢.

(٣) انظر: نزهة الأعين النواظر: ١٦٨، وبصائر ذوي التمييز: ٢/ ٥٤.

(٤) الأنبياء: ١٠٥.

(٥) الزمر: ٧٤.

(٦) النساء: ٩٧.

(٧) الرعد: ٤١.

(٨) النساء: ٩٧.

(٩) العنكبوت: ٥٦.

(١٠) الإسراء: ٧٦.

(١١) الأعراف: ١٣٧.

(١٢) الأنبياء: ٧١.

الخامس: بمعنى أرض مصر خصوصًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾[(٢)].

السادس: أرض الغرب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[(٣)].

السابع: الأرضون السبع، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[(٤)].

الثامن: أرض الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾[(٥)].

التاسع: بمعنى القبر، قال تعالى: ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾[(٦)].

العاشر: أرض القيامة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[(٧)].

الحادي عشر: أرض التيه، قال تعالى: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[(٨)].

الثاني عشر: بمعنى أرض بني قريظة، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾[(٩)].

---

(١) القصص: ٤.
(٢) يوسف: ٥٥.
(٣) الكهف: ٩٤.
(٤) هود: ٦.
(٥) المائدة: ٣٣.
(٦) النساء: ٤٢.
(٧) الزمر: ٦٩.
(٨) المائدة: ٢٦.
(٩) الأحزاب: ٢٧.

الثالث عشر: أرض الروم: ومنه قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾[١].

الرابع عشر: أرض الأردن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾[٢].

الخامس عشر: أرض الحجر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ﴾[٣].

السادس عشر: أرض فارس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ﴾[٤]، وقيل: أراد بهذه الأرض النساء.

السابع عشر: القلب: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[٥] يعنى منفعة مواعظ القرآن في قلوب الخلْق.

---

(١) الروم: ١-٣.
(٢) البقرة: ٦٠.
(٣) الأعراف: ٧٣.
(٤) الأحزاب: ٢٧.
(٥) الرعد: ١٧.

الدلائل العقدية للآية الكونية - الأرض -:

عظم الله من شأن الأرض في كتابه ودعا عباده إلى النظر إليها والتفكر في خلقها، ونوه بذكرها أكثر مما عظم من شأن الشمس والقمر والكواكب. وقرن خلقها مع خلق السماوات في عدة آيات من القرآن. وأخبر أنه خلقها وما فيها في أربعة أيام، وأنه خلق السماوات وما فيهن في يومين وذلك يدل على عظم الأرض(١)، "وعظمة خالقها، وسعة سلطانه، وعميم إحسانه، وإحاطة علمه، بالظواهر والبواطن"(٢)، وأنه وحده الأحد الفرد الصمد، وأنه لم يخلق الخلق سدى.

قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾(٧)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾(٨).

---

(١) ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق، للشيخ حمود بن عبد الله التويجري، ط١: ١٧.

(٢) تفسير السعدي: ٨٠٩.

(٣) الذاريات: ٢٠.

(٤) الذاريات: ٤٨.

(٥) غافر: ٦٤.

(٦) البقرة: ٢٢.

(٧) الغاشية: ١٧-٢٠.

(٨) الجاثية: ٣.

قال ابن القيم ﵀ مبينًا شأن هذه الآية الكونية: "وإذا نظرت إلى الأرض وكيف خلقت رأيتها من أعظم آيات فاطرها وبديعها" . . .

ثم ذكر بعض أنواع الخلق فيها، وأن الله ﷻخلقها "فراشا ومهادا، وذللها لعباده، وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم، وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم، وأرساها بالجبال فجعلها أوتادا تحفظها لئلا تميد بهم" . . .

ثم قال ﵀: " ولولا أن هذا من أعظم آياته لما نبه عليه عباده وهداهم إلى التفكير فيه"[(١)].

ولما كان القرآن كثيرًا ما يقرن بين السماوات والأرض كان الاستدلال بالأرض على المسائل العقدية- في مواضع كثيرة - هو نفس الاستدلال بالسماوات، وسأشير إلى ذلك - إن شاء الله تعالى -.

ثبات الأرض:

أخبر الله ﷻ أنه خلق الأرض ومدها وأرساها بجبال راسيات شامخات ترسو بها، أي تثبت[(٢)]، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ

---

(١) مفتاح دار السعادة: ١/ ٣٠٨-٣٠٩ باختصار، وانظر: التحرير والتنوير: ٢٧/ ١٩، ٣٠/ ٣٠٣.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٩/ ٢٨٠، ١٠/ ١٣، ٩٠، وتفسير البغوي: ٢/ ٥٠٩، وتفسير ابن كثير: ٤/ ٤٣١، ٥٦٣، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٢/ ٣٦٠.

(٣) الرعد: ٣.

﴿أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾[(١)]، "ولو كانت تجري وتدور على الشمس... لكانت تزول من مكان إلى مكان وهذا خلاف نص الآية الكريمة"[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾[(٤)] أي: "قارة ساكنة ثابتة، لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهادًا بساطًا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك"[(٥)].

وقد نقل أكثر من واحد الإجماع على وقوف الأرض وسكونها[(٦)]، بل نُقل إجماع المسلمين وأهل الكتاب على ذلك[(٧)].

وأن حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيبها، وزلزلة الأرض على نوعين: زلزلة عامة وهي التي تكون يوم القيامة، وزلزلة خاصة وهي التي تكون في نواحي الأرض[(٨)].

---

(١) فاطر: ٤١.
(٢) الصواعق الشديدة: ٢٣.
(٣) غافر: ٦٤.
(٤) النمل: ٦١.
(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٠٣.
(٦) انظر: الفرق بين الفرق: ٢٩٠.
(٧) تفسير القرطبي: ٩/ ٢٨٠. وانظر: الصواعق الشديدة: ٥٣، وذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق: ٣٤٧.
(٨) انظر: تفسير التحرير والتنوير: ١٧/ ١٨٧، وتتمة أضواء البيان للشيخ عطية سالم: ٩/ ٤٣٠.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فعاد بها عليها فاستقرت»[(١)].

وفي حديث صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «ذكر بابا من قبل المغرب مسيرة عرضه، أو يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عاما، قال سفيان قبل الشام، خلقه الله يوم خلق السموات والأرض مفتوحا - يعني للتوبة - لا يغلق حتى تطلع الشمس منه»[(٢)].

"وهذا الحديث الصحيح من أقوى الأدلة على أن الأرض ساكنة لا تدور ولا تفارق موضعها أبدًا. وهذا مستفاد من النص على أن باب التوبة ثابت في ناحية المغرب لا يزايله ولا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها"[(٣)]، ولو كانت متحركة لكانت وجهة ذلك الباب تختلف بحسب دوران الأرض فتكون من ناحية المغرب تارة ومن ناحية المشرق تارة...[(٤)].

والله "لم يقرن الأرض في القرآن كله من أوله إلى آخره في حال ذكرها مقرونة مع غيرها لم يذكرها مقرونة إلّا مع السماوات، وأما الشمس فلم يذكرها مقرونة إلّا مع القمر والنجوم الأخرى، وهذا له دلالة على أن الثابت يُذكر مقرونًا مع الثابت، والمتحرك يُذكر مقرونًا مع المتحرك، بل حتى لو جاء ذكر تلك الأجرام مقرونة فإن الله تعالى يذكر أولًا السماوات والأرض بعدها،

(١) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ١١٥: ٥٣٣ برقم (٣٣٦٩)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه. وضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي: ٤٤٠ برقم (٦٦٨).

(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده: ٥٥٦ برقم (٣٥٣٥)، وقال: حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني، انظر: صحيح الترمذي: ٣/ ١٧٣ برقم (٢٨٠١).

(٣) الصواعق الشديدة: ٣٣.

(٤) انظر: المصدر السابق: ٣٣.

ثم يذكر الشمس والقمر والنجوم بعد ذلك، فلم يأت قط في القرآن أن الشمس ذُكرت مقرونة مع السماوات في آية، أو أن الشمس تُذكر بعد السماوات في حال ذكر الأجرام الكونية معها، ثم تُذكر الأرض مع القمر والنجوم، وهذا يدل على أن الثوابت تذكر مع بعضها وهي السماوات والأرض، وأن المتحركة تذكر مع بعضها وهي الشمس والقمر والنجوم وهذه الحقيقة واضحة لكل من تدبر آيات القرآن"(١).

وقد سئل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: عن دوران الأرض؟ ودوران الشمس حول الأرض؟ وما توجيهكم لمن أسند إليه تدريس مادة الجغرافيا وفيها أن تعاقب الليل والنهار بسبب دوران الأرض حول الشمس؟ فأجاب فضيلته بقوله: "خلاصة رأينا حول دوران الأرض أنه من الأمور التي لم يرد فيها نفي ولا إثبات لا في الكتاب ولا في السنة، وذلك لأن قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾(٢) ليس بصريح في دورانها، وإن كان بعض الناس قد استدل بها عليه محتجًا بأن قوله: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ يدل على أن للأرض حركة، لولا هذه الرواسي لاضطربت بمن عليها. وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾(٣). ليس بصريح في انتفاء دورانها، لأنها إذا كانت محفوظة من الميدان في دورانها بما ألقى الله فيها من الرواسي صارت قرارًا وإن كانت تدور.

أما رأينا حول دوران الشمس على الأرض الذي يحصل به تعاقب الليل والنهار، فإننا مستمسكون بظاهر الكتاب والسنة من أن الشمس تدور على

(١) جريان الشمس وسكون الأرض لخالد بن صالح الغيص،
http: //islamtoday.net/nawafeth/artshow-40-142726.htm
(٢) النحل: ١٥.
(٣) غافر: ٦٤.

الأرض دورانًا يحصل به تعاقب الليل والنهار، حتى يقوم دليل قطعي يكون لنا حجة بصرف ظاهر الكتاب والسنة إليه - وأنى ذلك - فالواجب على المؤمن أن يستمسك بظاهر القرآن الكريم والسنة في هذه الأمور وغيرها "(١).

وهذه المسألة تكمن أهميتها في أنها تتعلق بإيماننا وتصديقنا بالقرآن الكريم الذي سنسأل عنه يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾(٢).

فإن من أولى صفات المؤمنين المذكورة في القرآن هي أنهم يؤمنون بالغيب كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾(٣)، ودين الله لم يأت ليوافق ما درج وسار عليه الناس في أقوالهم وعاداتهم وعلومهم بل جاء ليبين الحق ولو خالف ما عليه الناس من باطل، كما جاء في صفة نبينا ﷺ عندما سأل هرقل عظيم الروم أبا سفيان عن نبينا: «قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة»(٤).

أولًا: وجود الله:

سبق في الفصل الخامس - مبحث السماء(٥) - الاستدلال بالآية الكونية - السماء - على وجود الله، وذلك أن خلقها ووجودها بعد العدم، وتسخيرها

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ١/ ٧٠.
(٢) الزخرف: ٤٣-٤٤.
(٣) البقرة: ٣-٤.
(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: ٢٢ برقم (٧).
(٥) ص: ٢١٠.

دليل قاطع على وجود الله ﷻ؛ لافتقار المخلوق إلى الخالق، واحتياج المحدَث إلى المحدِث[(١)]، وأن العناية بها، والإتقان فيها يدل على وجود خالقها وكمال ذاته وصفاته، وكذلك يقال في خلق الأرض والاستدلال به على وجود الله ﷻ كما قيل في السماء، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾[(٣)].

ثانيًا: توحيد الربوبية:

سبق في الفصل الخامس - مبحث السماء[(٤)] - بيان الاستدلال بالآية الكونية السماء على ربوبية الله، وأن النظر في ملكوت السماوات والتأمل في خلقها يدل على ربوبية الله ووحدانيته ﷻ، في ملكه وخلقه، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه[(٥)]، وكذلك يقال في الآية الكونية - الأرض - كما قيل في السماء، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾[(٦)].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: ١٦/ ٤٤٥، والأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد: ٢٠٩-٢٢٦.
(٢) العنكبوت: ٤٤.
(٣) إبراهيم: ١٠.
(٤) ص: ٢١٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٧/ ٢٨٣، ٢٨٦، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٢٩٠.
(٦) الأنعام: ٧٥.

دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾[١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[٣].

ثالثًا: توحيد الأسماء والصفات:

١- التنزيه:

سبق في الفصل الخامس - مبحث السماء[٤] - أن السماء والأرض تسبح الله وتقدسه، وتنزهه عما وصفه المشركون، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾[٦].

٢- صفة الكلام لله ﷻ:

سبق في الفصل الخامس - مبحث السماء -[٧] أن من الأدلة التي استدل بها أهل السنة والجماعة لإثبات صفة الكلام لله ﷻ والرد على من زعم أن

---

(١) البقرة: ١٠٧

(٢) ص: ٦٥-٦٦.

(٣) لقمان: ٢٥.

(٤) ص: ٢١٥.

(٥) الإسراء: ٤٤.

(٦) مريم: ٩٠ - ٩١.

(٧) ص: ٢٢٢.

المتكلم لا بد أن يكون له لسان وجوف وشفتان، أن الله ﷻ أخبر أن السماء تكلمت، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١﴾[(١)]، فكذلك يستدل بتكلم الأرض على إثبات صفة الكلام لله ﷻ ويرد على من زعم أن المتكلم لا بد أن يكون له لسان وجوف وشفتان[(٢)].

رابعًا: توحيد الألوهية:

الله - تعالى - يذكر ويعدد من دلائل إنفراده بالتصرف والخلق - في الأرض وغيرها - مما هو مشاهد وأوضح الدلالة على المشركين لإفراد الله ﷻ بالعبادة[(٣)].

قال تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦١﴾[(٤)].

أي "أعبادة ما تشركون أيها الناس بربكم خير وهو لا يضر ولا ينفع، أم الذي جعل الأرض لكم قرارا تستقرون عليها لا تميد بكم ﴿وَجَعَلَ﴾ لكم ﴿خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ يقول: بينها أنهارا ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ وهي ثوابت الجبال، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ﴾ بين العذب والملح، أن يفسد أحدهما صاحبه ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾سواه فعل هذه الأشياء فأشركتموه في عبادتكم إياه؟

وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله، وما عليهم من الضر في إشراكهم في

---

(١) فصلت: ١١.
(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل: ٢/ ٣٩٣، ٤/ ١٥٩.
(٣) التحرير والتنوير: ٢٤/ ١٨٩، ١٧/ ٥٧ وانظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٣٩٦.
(٤) النمل: ٦١.

عبادة الله غيره، وما لهم من النفع في إفرادهم الله بالألوهة، وإخلاصهم له العبادة، وبراءتهم من كل معبود سواه"[(١)].

خامسًا: الإيمان باليوم الآخر:

استدل الله ﷻ على البعث وإعادة الأجساد بقدرته على خلق السماوات والأرض، فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾[(٢)].

فلو تدبروا هذه الحجة وتأملوها لبأن لهم وظهر أن الذي خلق السماوات والأرض قادر على البعث وإعادة الأجساد، وأن من أنكر ذلك فإنه مستكبر معناد للحق[(٣)]، قال ابن كثير رحمه الله: "أي إن في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجّاع إلى الله، على قدرة الله على بعث الأجساد ووقوع المعاد؛ لأن من قدر على خلق هذه السماوات في ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام"[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري: ١٩/ ٤٨٤.
(٢) سبأ: ٩.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ١٥٢، وتفسير ابن سعدي: ٧٥٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٦/ ٤٩٦.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الأرض -:

أولًا: التكفير لمن قال بدوران الأرض:

من المخالفات المتعلقة بهذه الآية الكونية الإقدام على تكفير من قال بدوران الأرض، "بغير حجة يعتمد عليها، من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، ولا شك أن هذا من الجرأة على الله وعلى دينه، ومن القول عليه بغير علم، وهو خلاف طريقة أهل العلم والإيمان من السلف الصالح رضي الله عنهم وجعلنا من أتباعهم بإحسان، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما»[(١)]، وقال ﷺ: «من دعا رجلا بالكفر، أو قال يا عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه[(٢)] أي رجع عليه ما قال»[(٣)].

وقد أنكر الشيخ عبد العزيز بن باز[(٤)] رحمه الله تكفير من قال بدوران الأرض،

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر: ١/ ٧٩ برقم (٦٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم: ١/ ٧٩ برقم (٦١).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز، جمع: محمد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٣: ٩/ ٢٥٦، وانظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: ٢/ ١٢٥.

(٤) هو الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، من أئمة أهل السنة في هذا العصر، له من المؤلفات: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، والعقيدة الصحيحة، ونقد القومية العربية، وغيرها، توفي عام ١٤٢٠.
انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة: ١/ ٣٠، وعالم فقدته الأمة لممحمد بن سعد الشويعر، ط١.

فقال: "أما دورانها فقد أنكرته وبينت الأدلة على بطلانه ولكني لم أكفر من قال به"(١).

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز: ٩/٢٢٨.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- لو كان الله ينام لم تستمسك السماء والأرض:

عن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن موسى ﵇ على المنبر قال: «وقع في نفس موسى ﵇: هل ينام الله ﷿؟ فأرسل الله إليه ملكا، فأرقه ثلاثا، وأعطاه قارورتين، في كل يد قارورة، وأمره أن يحتفظ بهما. قال: فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان، ثم يستيقظ فيحبس إحداهما عن الأخرى، حتى نام نومه، فاصطفقت يداه فتكسرت القارورتان. قال: ضرب الله له مثلًا إن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض»(١).

(١) سبق تخريجه: ٢٧٧.

المبحث الثاني

الجبال

الجبل في اللغة:

الجيم والباء واللام أصل يطرد ويقاس، وهو تجمع الشيء في ارتفاع. والجبل معروف، وهو اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال، والجمع أَجْبُل وأَجْبال وجِبال، وأَجْبَل القومُ صاروا إِلى الجَبَل وتَجَبَّلوا دَخَلوا في الجَبَل[١].

وفي الاصطلاح:

الجبل جزء من تضاريس الأرض، يعلو كل ما يجاوره. والجبال عامة أكبر من التلال.

وللجبال جوانب ومنحدرات شديدة وقمم وأجرف حادة، أو مستديرة قليلًا. وكثير من علماء الأرض يعتبرون المنطقة المرتفعة من الأرض جبلًا إذا احتوت على نطاقين مناخيين أو أكثر، ونطاقين من الحياة النباتية أو أكثر، على ارتفاعات مختلفة. وفي معظم أرجاء العالم فإن ارتفاع جبل ما يجب ألا يقل عن ٦٠٠م عمَّا حوله ليحتوي على نطاقين مناخيين. وعادة يعبر عن ارتفاع الجبل بالمسافة التي ترتفعها قمته فوق مستوى سطح البحر[٢].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ١/ ٥٠٢، لسان العرب: ١/ ٥٣٧.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٨/ ٢٠١.

وقد ورد لفظ الجبل في القرآن في (٦) مواضع، وبلفظ الجمع في (٣٣) موضعًا[١].

وورد الجبل والجبال في السنة في (٤٢) حديثًا[٢].

وذكر بعض المفسرين أن الجبل في القرآن على عشرين وجها[٣]:

الأول: جبال الموج للسلامة في حق نوح عليه السلام، والهلكة في حق المشركين من قومه: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾[٤].

الثاني: جبال ثمود للمهارة والحذاقة: ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾[٥]، وفي موضع: ﴿فَـٰرِهِينَ﴾[٦].

الثالث: محل موسى عليه السلام حال التجلي: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾[٧].

الرابع: جبل إبراهيم عليه السلام لإظهار القدرة والإحياء بعد الإماتة: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾[٨].

الخامس: جبل بنى إسرائيل لقبول الأمر والشريعة: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾[٩].

السادس: الجبل المذكور لتأثير المكر والحيلة من القرون الماضية: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾[١٠].

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٢٠٧-٢٠٨.
(٢) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٢.
(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز: ٢/ ٣٦٢.
(٤) هود: ٤٢.
(٥) الحجر: ٨٢.
(٦) الشعراء: ١٤٩.
(٧) الأعراف: ١٤٣.
(٨) البقرة: ٢٦٠.
(٩) الأعراف: ١٧١.
(١٠) إبراهيم: ٤٦.

السابع: جبل النحل لتحصيل العسل للشفاء والراحة: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾[(١)].

الثامن: المذكور للكنّ والكفاية: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا﴾[(٢)].

التاسع: المذكور لقهر المتكبرين عن الرعونة والتكبر: ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[(٣)].

العاشر: تزعزع الجبال بيانا لصعوبة حال القيامة: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾[(٤)]، ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾[(٥)]، ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾[(٦)].

الحادي عشر: المذكور للمتكبرين والمدعين لإظهار السياسة: ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾[(٧)].

الثاني عشر: السؤال عن حال الجبال وبيان صعوبتها: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾[(٨)].

الثالث عشر: المذكور بالتسبيح موافقة لداود عليه السلام: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾[(٩)]، ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ﴾[(١٠)]، ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾[(١١)].

---

(١) النحل: ٦٨.
(٢) النحل: ٨١.
(٣) الإسراء: ٣٧.
(٤) الكهف: ٤٧.
(٥) الطور: ١٠.
(٦) التكوير: ٣.
(٧) مريم: ٩٠.
(٨) طه: ١٠٥.
(٩) ص: ١٨.
(١٠) الأنبياء: ٧٩.
(١١) سبأ: ١٠.

الرابع عشر: المذكور للانقياد وموافقته للشجر والنجوم إظهارا للخدمة[(١)]: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ﴾[(٢)].

الخامس عشر: جبال البرد والمطر: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾[(٣)].

السادس عشر: الإخبار عن حال الجبال في القيامة لبيان الحيرة والدهشة: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[(٤)].

السابع عشر: المذكور لعرض الأمانة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾[(٥)].

الثامن عشر: المذكورة في سورة الواقعة والحاقة والقارعة لتأثير صعوبة القيامة: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥﴾[(٦)]، ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾[(٧)]، ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾[(٨)].

التاسع عشر: المذكور لتثبيت الأرض وتسكينها: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢﴾[(٩)].

العشرون: لبيان برهان الموحدين: ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩﴾[(١٠)].

(١) انظر: مبحث عبودية الكائنات: ٧١، وفيه بيان سجود وتسبيح هذه الكائنات سجودا وتسبيحًا حقيقيًا، الله أعلم بكيفيته.
(٢) الحج: ١٨.
(٣) النور: ٤٣.
(٤) النمل: ٨٨.
(٥) الأحزاب: ٧٢.
(٦) الواقعة: ٥.
(٧) الحاقة: ١٤.
(٨) القارعة: ٥.
(٩) النازعات: ٣٢.
(١٠) الغاشية: ١٩.

الدلائل العقدية للآية الكونية - الجبال -:

الجبال من آيات الله العظيمة التي أمر الله ﷻ بالتفكر فيها[(١)]، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾[(٢)].

وهي من دلائل وحدانية الله ﷻ ومما يقر به المشركون، وقد سأل ضمام رضي الله عنه قبل إسلامه النبي ﷺ واستحلفه "بالذي نصب الجبال"[(٣)] على صدق رسالته، وأن الله أمره بالدعوة إلى التوحيد.

قال ابن القيم رحمه الله مبينًا شأن هذه الآية الكونية: " فصل، ثم تأمل الحكمة العجيبة في الجبال الذي يحسبها الجاهل الغافل فضلة في الارض لا حاجة اليها وفيها من المنافع ما لا يحصيه الا خالقها وناصبها، وفي حديث إسلام ضمام بن ثعلبة قوله للنبي ﷺ: «بالذي نصب الجبال وأودع فيها المنافع آلله امرك بكذا وكذا قال اللهم نعم»...

ثم ذكر جملة من المنافع، ثم قال: " ولقد دعانا الله سبحانه في كتابه إلى النظر فيها وفي كيفية خلقها فقال: ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾[(٤)]، فخلْقُها ومنافعها من أكبر الشواهد على قدره باريها وفاطرها وعلمه وحكمته

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢٠/ ٣٤، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٠٤.
(٢) الغاشية: -
(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام: ١/ ٤١ برقم (١٢)، وحديث إسلام ضمام بن ثعلبة في صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم: ٣٦ برقم (٦٣)
(٤) الغاشية: ١٧-٢٠.

ووحدانيته، هذا مع أنها تسبح بحمده وتخشع له، وتسجد وتشقق وتهبط من خشيته، وهي التي خافت من ربها وفاطرها وخالقها على شدتها وعظم خلقها من الأمانة إذ عرضها عليها وأشفقت من حملها...

فهذا حال الجبال وهي الحجارة الصلبة وهذه رقتها وخشيتها وتدكدكها من جلال ربها وعظمته"[1].

أولًا: توحيد الأسماء والصفات:

١- التنزيه:

سبق في الفصل الخامس - مبحث السماء[2] - أن السماء والأرض تسبح الله وتقدسه، وتنزهه عما وصفه المشركون، وكذلك الجبال فإنها تكاد أن تسقط من دعوة المشركين لله الولد تنزيها وتعظيما لله تعالى، قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾[3].

٢- صفة التجلي ورؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾[4].

---

(١) مفتاح دار السعادة: ١/ ٣٣٦ باختصار.
(٢) ص: ١٨٨.
(٣) مريم: ٩٠ - ٩١.
(٤) الأعراف: ١٤٣.

في هذه الآية إثبات صفة التجلي لله ﷻ، فإن الله تجلى للجبل فجعله دكًا ولم يطق الثبات(١).

وعن أنس بن مالك ؓ عن النبي ﷺ في قولـه تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾، قال: قال هكذا يعني أنه أخرج طرف الخنصر، قال أحمد: أراناه معاذ، قال: فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ قال فضرب صدره ضربة شديدة. وقال: من أنت يا حميد؟ وما أنت يا حميد! يحدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ فتقول أنت ما تريد إليه"(٢).

قال الإمام أحمد رحمه الله: " وهو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش، وهو الذي كلم موسى تكليمًا، وتجلى للجبل فجعله دكًا، ولا يماثله شيءٌ من الأشياء في شيءٍ من صفاته، فليس كعلمه علم أحد، ولا كقدرته قدرة أحد، ولا كرحمته رحمة أحد، ولا كاستوائه استواء أحد، ولا كسمعه وبصره سمع أحد ولا بصره، ولا كتكليمه تكليم أحد، ولا كتجلِّيه تجلِّي أحد"(٣).

وفي الآية أيضًا دليل على إثبات رؤية المؤمنين لربهم؛ لأن الله رتب الرؤية في هذه الآية على ثبوت الجبل، فقال - لموسى عليه السلام في بيان سبب عدم إجابته للرؤية - ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾(٤) إذا تجلى اللّه له ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾(٥).

---

(١) انظر: التمهيد: ٧/ ١٥٣، مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢١٤، وتفسير السعدي: ٣٠٢، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٢/ ٤٠.

(٢) مسند الإمام أحمد: ١٩/ ٢٨١ برقم (١٢٢٦٠)، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمه فمن رجال مسلم.

(٣) مجموع الفتاوى: ٥/ ٢٥٧.

(٤) الأعراف: ١٤٣.

(٥) الأعراف: ١٤٣.

فالله ﷻ لم ينسب موسى عليه السلام إلى الجهل بسؤال الرؤية، ولم يقل إني لا أرى، بل علق الرؤية على استقرار الجبل، واستقرار الجبل على التجلي غير مستحيل إذا جعل الله تعالى له تلك القوة، والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا.

وهذا من أدلة رؤية المؤمنين لربهم، ولكنهم لا يرونه في الدنيا، وإنما يرونه في الآخرة، كما وردت بذلك الآيات والأحاديث الصحيحة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[1]، وقال تعالى في الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[2]، فإنه يفهم من مفهوم مخالفته أن المؤمنين ليسوا محجوبين عنه جل وعلا[3]. وقال ﷺ: «تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه ا حتى يموت»[4].

ثانيًا: توحيد الألوهية:

سبق في المبحث السابق - الأرض[5] - أن الله - تعالى - يذكر ويعدد من دلائل إنفراده بالتصرف والخلق - في الأرض وغيرها - مما هو مشاهد وأضح الدلالة على المشركين لإفراد الله ﷻ بالعبادة[6]، وذكر منها الجبال التي جعلها الله رواسي، قال تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ

(١) القيامة: ٢٢-٢٣.
(٢) المطففين: ١٥.
(٣) انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة، تحقيق: الوليد بن سيف نصر، دار الراية، الرياض، ط١: ٣/ ٥٩، وكتاب التوحيد لابن خزيمة: ١/ ٣٥٤.
(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد: ٤/ ٢٢٤٤ برقم (١٦٩).
(٥) ص: ٤٣٢.
(٦) التحرير والتنوير: ٢٤/ ١٨٩، ١٧/ ٥٧، وانظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٣٩٦.

أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾[١].

وفي دعوة الله للمشركين لإفراده بالعبادة ذكر الله ﷻ جملة من النعم، ومنها الجبال التي جعل منها الحصون والمعاقل، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ وعلل ذلك بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[٢]، "أي حتى تؤمنوا بالله وحده، وتتركوا الشرك وعبادة الأوثان، فتدخلوا جنة ربكم"[٣].

ومن دلائل توحيد الله ﷻ التفكر في خلق السماوات والأرض وما فيها، ومن ذلك نصب الجبال، فإن فيها خلق بديع، وقد سخرها الله للعباد، وذللها لمنافعهم الكثيرة التي يضطرون إليها[٤]، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾[٥].

الخشوع:

أخبر الله ﷻ أن من صفات عباده المؤمنين الخشوع، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾[٧].

---

(١) النمل: ٦١.
(٢) النحل: ٨١.
(٣) التحرير والتنوير: ١٧/ ٢٢٧.
(٤) تفسير السعدي: ٩٢٢.
(٥) الغاشية: ١٧-٢٠.
(٦) المؤمنون: ١-٢.
(٧) الأنبياء: ٩٠.

وبين الله ﷻ أن الجبال لو أنزل عليها القرآن لخشعت وتصدعت من خشية الله، فكذلك ينبغي أن يكون قلب المؤمن خاشعا عند سماعه للقرآن ومواعظه[(١)]، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[(٢)].

ثالثًا: الإيمان بالملائكة:

من الإيمان بالملائكة الإيمان بأعمالهم التي وكلهم الله بها، ومن ذلك الملك الموكل بالجبال وهو ملك الجبال، وقد ورد ذكره في حديث خروج النبي ﷺ إلى أهل الطائف في بداية البعثة ودعوته إياهم وعدم استجابتهم له، وفيه يقول النبي ﷺ: «فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا»[(٣)].

رابعًا: الإيمان بالكتب:

أخبر الله ﷻ أن القرآن الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ مهيمنا على جميع الكتب، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٨/ ٧٨، وتفسير السعدي: ٨٥٣.
(٢) الحشر: ٢١.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين: ٣/ ١٤٢٠ برقم (١٧٩٥).

ﭐلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾[(١)]، كما أخبر تعالى عن فضل القرآن على غيره من الكتب، وأنه لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره[(٢)]، وذلك "لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنس والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله، ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به، جاحدون له"[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ﴾[(٤)].

خامسًا: الإيمان بالرسل:

من الإيمان بالرسل الإيمان بالآيات التي أيد الله بها رسله، ومن تلك الآيات: الآية التي أظهرها الله ﷻ لقوم موسى عليه السلام لأخذ العهد عليهم للعمل بالتوراة، فكان رفع الطور[(٥)]، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧١﴾[(٦)].

ومن الآيات التي أيد الله بها رسله تسخير الجبال مع نبي الله داود عليه السلام: "وذلك أنه كان من أعبد الناس وأكثرهم لله ذكرا وتسبيحا وتمجيدا، وكان قد أعطاه الله من حسن الصوت ورقته ورخامته، ما لم يؤته أحدا من الخلق، فكان إذا سبح وأثنى على الله، جاوبته الجبال الصم والطيور البهم، وهذا

(١) المائدة: ٤٨.
(٢) انظر: تفسير السعدي: ٤١٨، والتحرير والتنوير: ١٣/ ١٤٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٦٠، وانظر: تفسير الطبري: ١٦/ ٤٤٩.
(٤) الرعد: ٣١.
(٥) انظر: سنن النسائي الكبرى، كتاب التفسير، سورة طه: ١٠/ ١٧٢ برقم (١١٢٦٣)، وتفسير الطبري: ٩/ ١٣٠.
(٦) الأعراف: ١٧١.

فضل الله عليه وإحسانه"[١]. قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿...وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾[٣].

ومن دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ أنه ضرب جبل أحد برجله لما رجف به، وقال له: اسكن فسكن، عن أنس رضي الله عنه قال: صعد النبي ﷺ أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم الجبل، فقال: "اسكن، وضربه برجله فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان"[٤].

ومن دلائل نبوة الأنبياء الكرامات التي يجريها الله على ﷻ على يدي أتباع الرسل، إجابة لدعوتهم ونصرة لهم، ومن ذلك قصة الغلام مع الملك الذي أرداد أن يقتله إن لم يرجع عن دينه، فأبى الغلام، فأمر الملك" نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك"[٥].

(١) تفسير السعدي: ٥٢٨، وانظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٤٩٧، والتحرير والتنوير: ١٧/ ١١٩.
(٢) الأنبياء: ٧٩.
(٣) ص: ١٧-١٨.
(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه: ٧٠٦ برقم (٣٦٩٧)، وانظر: دلائل النبوة للبيهقي: ٦/ ٣٥٠، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ٦/ ٤٥٥.
(٥) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقاق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام: ٤/ ٢٢٩٩ برقم (٣٠٠٥) وانظر: شرح النووي على مسلم: ١٨/ ١٣٠، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٨/ ٤٨٤.

سادسًا: الإيمان باليوم الآخر:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما أخبرت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام - من البعث والجزاء، وقد بين الله ﷻ من الأدلة على ذلك وعلى صدق ما جاءت به الرسل أنه سبحانه جعل الجبال أوتادا للأرض تمسكها عن الأضطراب، وأن القادر على ذلك قادرٌ على البعث والجزاء، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ۝١٧﴾[1].

فالذي أنعم "بهذه النعم العظيمة، التي لا يقدر قدرها، ولا يحصى عددها، كيف تكفرون به وتكذبون ما أخبركم به من البعث والنشور؟! أم كيف تستعينون بنعمه على معاصيه وتجحدونها؟"[2].

وفي معرض الأدلة الواضحة التي استدل الله بها على منكري البعث ذكر الله ﷻ أنه ثبت الأرض بالجبال الرواسي[3]، قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٣﴾[4].

سابعًا: الإيمان بالقدر:

من الإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله وخلقه ومشيئته، وقد نبه الله ﷻ على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾[5]، فخلق الجبال مختلفة الألوان، كما

---

(١) النبأ: ٦-١٧.
(٢) تفسير السعدي: ٩٠٦.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٨/٣١٦، وتفسير السعدي: ٩٠٩.
(٤) النازعات: ٢٧-٣٣.
(٥) فاطر: ٢٧.

هو مشاهد من بيض وحمر، وفي بعضها طرائق - وهي الجدد جمع جدة - مختلفة الألوان. وفيها غرابيب سود، أي شديدة السواد جدا؛ ليدل العباد على كمال قدرته وبديع حكمته.

وفي "تفاوتها دليل عقلي على مشيئة اللّه تعالى، التي خصصت ما خصصت منها، بلونه، ووصفه، وقدرة اللّه تعالى حيث أوجدها كذلك، وحكمته ورحمته، حيث كان ذلك الاختلاف، وذلك التفاوت، فيه من المصالح والمنافع، ومعرفة الطرق، ومعرفة الناس بعضهم بعضا، ما هو معلوم. وذلك أيضا، دليل على سعة علم اللّه تعالى"[(١)].

ثامنًا: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:

ضرب الأمثال:

ضرب الله ﷻ مثالًا للقاسية قلوبهم - الذين نسوا الله - وانتفاء تأثرهم بقوارع القرآن بالجبل الجامد الذي لو أنزل عليه القرآن لخشع وتصدع من خشية الله، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[(٢)].

أي "لو كان المخاطب بالقرآن جبلا، لتأثر بخطاب القرآن تأثرا ناشئا من خشية لله خشية تؤثرها فيه معاني القرآن"[(٣)].

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾[(٤)]، قيل: أن الجبال "ضُربت مثلًا لأمر النبي

(١) تفسير السعدي: ٦٨٨.
(٢) الحشر: ٢١.
(٣) التحرير والتنوير: ٢٨/ ١١٦، وانظر: تفسير القرطبي: ١٨/ ٤٤.
(٤) إبراهيم: ٤٦.

ﷺ، وثبوت دينه كثبوت الجبال الراسية والمعنى: لو بلغ كيدهم إلى إزالة الجبال، لما زال أمر الإسلام"(١).

وفي بيان عناية الله تعالى بصدقة عبده إذا قبلها منه أخبر النبي ﷺ أن الله ﷻ يربيها حتى تكون مثل الجبل، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل»(٢).

تاسعًا: مسائل الأسماء والأحكام:

من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون بكل ذنب، وأن من أرتكب كبيرة من الكبائر فهو تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾(٣).

وأخبر النبي ﷺ أن أناس من المسلمين يأتون يوم القيامة بذنوب كالجبال فيغفرها لهم، عن أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «يجيء الناس يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى(٤)» ....

(١) زاد المسير في علم التفسير: ٤/ ٣٧٤، وانظر: تفسير البغوي: ٢/ ٥٦٩.
(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾، وقوله جل ذكره: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾: ١٤١٥ برقم (٧٤٣٠) وانظر: فتح الباري: ١٣/ ٤١٥، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان: ١/ ٣٨٤.
(٣) النساء: ٤٨.
(٤) معناه: أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين ويسقطها عنهم ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين، ولا بدمن هذا التأويل لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾، وقوله ويضعها المراد: يضع عليهم مثلها بذنوبهم، كما ذكرناه؛ لكن لما أسقط سبحانه وتعالى عن المسلمين سيئاتهم

=

. . . . . [(١)](#) .

= وأبقى على الكفار سيئاتهم صاروا فى معنى من حمل إثم الفريقين لكونهم حملوا الاثم الباقى وهو إثمهم، ويحتمل أن يكون المراد آثاما كان للكفار سبب فيها بأن سنوها فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى ويوضع على الكفار مثلها لكونهم سنوها ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها. والله أعلم. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي: ١٧/ ١٨٥.

(١) صحيح مسلم، كتابة التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله: ٤/ ٢١١٩ برقم (٢٧٢٦)،.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الجبال -:

أولًا: من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الجبال - التحريف لمعنى محبة الجبل للنبي ﷺ، فقد أخبر النبي ﷺ عن جبل أحد بقوله: «هذا جبل يحبنا ونحبه»(١).

فقيل المراد بذلك: يحبنا أهله، وقيل: نحن نحبه ونستبشر برؤيته، فلو كان هو ممن يعقل لأحبنا على سبيل مطابقة الكلام ومجانسة الألفاظ، وقيل: يحتمل أن يكون المعنى: أن محبتنا له محبة من يعتقد أنه يحبنا، وقيل: أن تكون المحبة هنا عبارة عن الانتفاع بمن يحبنا في الحماية والنصرة(٢).

والصحيح أن"محبته حقيقية كما يسبح كل شيء حقيقة؛ ولكن لا يفهم ذلك الناس وغير نكير أن يصنع الله محبة رسوله في الجماد وفيما لا يعقل كعقل الآدميين،كما وضع الله خشيته في الحجارة فأخبر في محكم كتابه بأن منها ما يهبط من خشية الله... ومثل هذا كثير قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾(٣)"(٤).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه: ٢/ ١٠١١ برقم (١٣٩٢).

(٢) انظر هذه الأقوال في: الأسماء والصفات للبيهقي: ٢/ ٢٨١، وإكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم: ٤/ ٤٨٥، والاستذكار: ٢٥/ ٣٤.

(٣) الإسراء: ٤٤.

(٤) الاستذكار ٢٥/ ٣٥، وانظر: شرح النووي على مسلم: ٩/ ١٤٠، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٨/ ١٠.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لما تجلى الله للجبال طارت لعظمته ستة أجبل، فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة، بالمدينة: أحد، وورقان، ورضوى. ووقع بمكة: حراء، وثَبِير، وثور»[١].

---

(١) وهو حديث موضوع: قال أبو حاتم بن حبان الحافظ: هذا حديث موضوع ولا أصل له. انظر الموضوعات لابن الجوزي: ١/ ١٧٣، وقال ابن كثير: "هذا حديث غريب، بل منكر". انظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ٤٠١.

المبحث الثالث
الزلازل والخسوف والبراكين

الزلزال في اللغة:

الزاء واللام أصل مطرد منقاس في المضاعف، وكذلك في كل زاء بعدها لام في الثلاثي. وهذا من عجيب هذا الأصل. تقول: زلَّ عن مكانه زَليلًا وزَلًّا. وتزلزَلت الأرضُ: اضطربت، وزُلْزِلَتْ زِلْزَالًا.

والزَّلْزَلة والزَّلْزال تحريك الشيء، وقد زَلْزَله زَلْزَلةً وزِلْزالًا، والاسم الزَّلْزال وزَلْزَلَ اللهُ الأَرْضَ زَلْزَلَةً وزِلْزالًا بالكسر فَتَزَلْزَلَتْ هي. والزَّلْزَلة التخويف والتحذير ومنه قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾[(١)] أَي خوفوا وحذروا، والزلازل الشدائد والأهوال، والزَّلزلة في الأصل الحركة العظيمة والإزعاج الشديد ومنه زَلْزَلة الأرض[(٢)].

وفي الاصطلاح:

الزلزال هو: اهتزاز الأرض بسبب انكسار وزحزحة مفاجئة لقطاعات عريضة من قشرة الأرض الصخرية الخارجية. وهو من أعظم الأحداث ذات القوة الهائلة التي تُصيب الأرض ولها نتائج مرعبة[(٣)].

---

(١) البقرة: ٢١٤.
(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٢، لسان العرب: ٣/ ١٨٥٦.
(٣) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ١١/ ٥٩١.

الخسف في اللغة:

الخاء والسين والفاء أصل واحد يدل على غموض وغؤور، وإليه يرجع فروع الباب. فالخسْف والخسَف غموض ظاهر الأرض. قال الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾[(١)].

والخسف سُؤُخ الأَرض بما عليها. خَسَفَتْ تَخْسِفُ خَسْفًا وخُسوفًا وانْخَسَفَتْ، وخَسَفَها اللّه، وخَسَف اللّه به الأَرضَ خَسْفًا أَي غابَ به فيها. وخَسَفَ المكانُ يَخْسِفُ خُسوفًا: ذهَب في الأَرض وخَسَفَه اللّه تعالى، وخُسِفَ بالرجل وبالقوم إذا أَخذته الأرض ودخل فيها والخَسْفُ إلْحاقُ الأَرض الأُولى بالثانية[(٢)].

وفي الاصطلاح:

انقلاب بعض ظاهر الأرض إلى باطنها، وعكسه. يقال: خسفت الأرض وخسف الله الأرض فانخسفت، فهو يستعمل قاصرا ومتعديا، وإنما يكون الخسف بقوة الزلزال[(٣)].

البركان في الاصطلاح:

هو فتحة في سطح الأرض، تتفجر وتثور من خلالها الحمم، والغازات الحارة، والشظايا الصخرية. وتتشكل هذه الفتحة عند اندفاع الصخر المنصهر من باطن الأرض، متفجرًا على سطح الأرض. وتكون معظم البراكين على هيئة جبال، وبخاصة الجبال المخروطية الشكل التي تكونت حول الفتحة

(١) القصص: ٨١.
(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٢/ ١٨٠، ولسان العرب: ٢/ ١١٥٧.
(٣) التحرير والتنوير: ٢٠/ ١٨٥.

نتيجة تجمع وتراكم الحمم ومواد أخرى قُذِفت إلى سطح الأرض أثناء الثوران البركاني[(١)].

وقد وردت الزلزلة في القرآن في (٦) مواضع، والخسف في (٨) مواضع، أما البركان فلم يرد في القرآن[(٢)].

ووردت الزلازل في السنة في (٢٣) حديثًا[(٣)].

(١) الموسوعة العربية العالمية: ٤/ ٣٤٢.

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٢٩٥، ٤٢١.

(٣) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٨.

الدلائل العقدية للآيات الكونية - الزلازل والخسوف والبراكين -:

الزلازل والخسوف والبراكين من آيات الله الدالة على عظمته وقدرته، وتصرفه سبحانه وتعالى في هذا الكون، ونفوذ مشيئته، فما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن.

وفيها تذكير الله لعباده بقوته، وتعريفهم بعجزهم وضعفهم، وأنهم مهما بلغ تقدمهم المادي، ومعرفتهم بوقت هذه الزلازل فإنهم لا يقدرون ردها، ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فالله ﷻ هو المهيمن على كل شيء، فلا راد لما قضاء.

وهي جند من جنود الله التي يسخرها الله عقابا للمذنبين، وابتلاء للصالحين، وعبرة للناجين، وظهور هذه الزلازل والخسوف والبراكين وعيد من الله لأهل الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا﴾[٣].

قال ابن القيم رحمه الله مبينًا أثر هذه الآيات الكونية على حياة الناس: " فصل، ثم تأمل خلق الارض على ما هي عليه حين خلقها واقفة ساكنة لتكون مهادا ومستقرا للحيوان والنبات والأمتعة، ويتمكن الحيوان والناس من السعي

---

(١) الإسراء: ٥٩.
(٢) يونس: ١٠١.
(٣) الإسراء: ٦٠.

عليها في مآربهم، والجلوس لراحاتهم، والنوم لهدوهم، والتمكن من أعمالهم، ولو كانت رجراجة متكفئة لم يستطيعوا على ظهرها قرارا ولا هدوا، ولا ثبت لهم عليها بناء، ولا أمكنهم عليها صناعة ولا تجارة ولا حراثة ولا مصلحة، وكيف كانوا يتهنّون بالعيش والأرض ترتج من تحتهم، واعتبر ذلك بما يصيبهم من الزلازل على قلة مكثها كيف تصيرهم إلى ترك منازلهم والهرب عنها، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾[(٢)]"[(٣)].

أولًا: توحيد الربوبية:

الزلازل والخسوف والبراكين من أعظم الدلائل على عظمة الله تعالى، ففيها بيان قدرة الله وعظيم تصرفه وملكه وتدبيره لهذا الكون، وأن القادر على هذه الأمور كلها هو الله سبحانه، وأن المخلوقات مع ما وصلت إليه من الإمكانات والطاقات والقدرات، وما اخترعوه من أجهزة الأرصاد التي يعرفون من خلالها أي حدث يحدث من زلازل وغيرها عاجزة عن أن تفعل أي شيئًا.

فحدوث هذه الآيات الكونية فجاءة يحبط إدعاءتهم وما قدروه[(٤)]، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ

---

(١) النحل: ١٥.

(٢) غافر: ٦٤.

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم، طبعة رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض: ١/ ٢١٧.

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٢٠/ ٢٥١، والإعجاز العلمي في القرآن لسامي الموصلي: ٦٩.

حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[(٤)]

ثانيا: توحيد الأسماء والصفات:

١- صفة الرحمة:

أخبر الله تعالى عن حلمه وإمهاله وإنظاره العصاة الذين يعملون السيئات ويدعون إليها، ويمكرون بالناس في دعائهم إياهم وحملهم عليها، مع قدرته على أن يخسف بهم الأرض، فقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾[(٥)]، فهم لا يُعجزون الله على أي حال كانوا عليه.

فبين سبب عدم الخسف بهم وهو أنه سبحانه وتعالى رؤوف رحيم، حيث لم يعاجلهم بالعقوبة[(٦)].

وهذه الزلازل والخسوف والبراكين لو حدثت فهي رحمة للمؤمنين، فإن ما يصيبهم في الدنيا يحصل لهم به تكفير السيئات، قال ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر

(١) النحل: ٤٥.
(٢) الإسراء: ٦٨.
(٣) الملك: ١٦.
(٤) النمل: ٦٥.
(٥) النحل: ٤٥-٤٧.
(٦) تفسير ابن كثير: ٦/ ٤٩٦.

فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوّلهم وآخرهم»، قالت: قلت: يا رسول الله كيف يخسف بأوّلهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: «يخسف بأوّلهم وآخرهم، ثمّ يبعثون على نيّاتهم»[(٢)].

"بعث كل واحد منهم على حسب أعماله من خير وشر، فإن كانت نيته وعمله صالحة فعقباه صالحة وإلا فسيئة، فذلك العذاب طهرة للصالح ونقمة على الفاسق، فالصالح ترفع درجاته والطالح تسفل دركاته، فلا يلزم من الاشتراك في الموت الاشتراك في الثواب والعقاب، بل يجازى كل واحد بعمله على حسب نيته"[(٣)].

٢- العدل:

إن الله عز وجل حكم عدل لا يظلم الناس شيئا، وإذا أصاب الناس زلزال أو خسف أو غيرهما فإن ذلك بسبب ذنوبهم وعصيانهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[(٤)].

ولما ذكر الله عز وجل عقوبة قارون، وفرعون، وهامان، بعد أن بعث اللّه إليهم موسى عليه السلام، بالآيات البينات، والبراهين الساطعات، بين أن سبب تلك العقوبة - والتي منها الخسف - هو ظلمهم، وأن الله لم يظلمهم، فلم "يكن الله ليهلك هؤلاء الأمم - الذين أهلكهم - بذنوب غيرهم، فيظلمهم

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير: ٤/ ٢٢٩٥ برقم (٢٩٩٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق: ٣٩٩ برقم (٢١١٨).

(٣) فيض القدير بشرح الجامع الصغير: ٢/ ٢٠١.

(٤) الكهف: ٤٩.

بإهلاكه إياهم بغير استحقاق، بل إنما أهلكهم بذنوبهم، وكفرهم بربهم، وجحودهم نعمه عليهم، مع تتابع إحسانه عليهم"(١).

قال تعالى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾(٢).

فالله ﷻ "ما ينبغي ولا يليق به تعالى أن يظلمهم لكمال عدله، وغناه التام عن جميع الخلق"(٣).

ثالثًا: توحيد الألوهية:

في دعوة المشركين إلى إفراد الله بالعبادة والدعاء، يخوفهم الله ﷻ بعقابه ويذكر ما يدل من أفعاله على وحدانيته، وأنه هو النافع الضار، المتصرف في خلقه بما يشاء، ومن جملة ما يذكره الله ﷻ هذه الآيات الكونية - الزلازل والخسوف -(٤)، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾(٦).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٨.
(٢) العنكبوت: ٣٩-٤٠.
(٣) تفسير السعدي: ٦٣١
(٤) التحرير والتنوير: ٢٢/ ١٥٣.
(٥) سبأ: ٩.
(٦) الإسراء: ٦٧-٦٨.

فذكرهم الله تعالى بشواهد الربوبية والإنعام، وأنه على كل شيء قدير، إن شاء أنزل عليهم العذاب من أسفل منهم بالخسف، وبأنه تعالى قادر على تعذيب من كفر بالله وأشرك معه إلها آخر(١)، ليتدبروا فيتركوا العناد، ويفردوه بالعبادة.

وعند وجود الشدائد والخوف - ومن ذلك الزلازل - يلجأ الإنسان إلى ربه ومعبوده، ويتعوذ به من جميع الشرور، ففي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: «يا أرض ربى وربك الله، أعوذ بالله من شرك، وشر ما فيك، وشر ما خلق فيك، ومن شر ما يدب عليك، وأعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد»(٢).

فقوله: "من شرك"، "أي من شر ما حصل من ذاتك من الخسف والزلزلة والسقوط عن الطريق والتحير في الفيافي"(٣).

رابعًا: الإيمان بالرسل:

من الإيمان بالرسل الإيمان بجميع ما أخبروا به مما وقع، ومما سيقع، ومن ذلك الزلازل والخسوف التي أخبر بها النبي ﷺ وهي من دلائل نبوته(٤).

---

(١) انظر: المرجع السابق: ٢٩/ ٣٢.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا نزل المنزل: ٢٩٤، برقم (٢٦٠٣)، ومسند الإمام أحمد: ١٠/ ٣٠٠ برقم (٦١٦١)، وقال محققه: إسناده ضعيف. وانظر: سنن أبي داود: ٢٥٥.

(٣) عون المعبود: ٧/ ٢٦٣.

(٤) لمعرفة الزلازل التي وقعت على الأمة الإسلامية انظر: كتاب المدهش لابن الجوزي، ت: فتحي الجندي، دار الكوثر، الرياض، ط ١: ١٠٠، وكتاب كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة للسيوطي، ت: عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة، ط١: ٦٤، وزلازل جزيرة العرب في المصادر الإسلامية (منذ القرن الأول حتى القرن الحادي عشر

=

ومن الآيات النبوية التي أخبر بها النبي ﷺ كثرة الزلازل في آخر الزمان، قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج - وهو القتل القتل - حتى يكثر فيكم المال فيفيض»(١).

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا يا رسول الله: وفي نجدنا، قال: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا يا رسول الله: وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان»(٢).

قيل المراد بالزلازل: " على ظاهره جمع زلزلة وهي اضطراب الأرض "(٣).

وقوله ﷺ: «في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، فقال رجل من المسلمين:

يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال: إذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور»(٤).

= الهجري/القرن السابع حتى القرن السابع عشر الميلادي) لخالد يونس الخالدي، مجلة الجامعة الإسلامية- سلسلة الدراسات الإنسانية - المجلد السابع عشر، العدد الأول: ٣٥٩-٣٧٠.

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات: ٢٠٥ برقم (١٠٣٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات: ٢٠٥ برقم (١٠٣٧).

(٣) فتح الباري: ١/ ١٢٨.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب علامة المسخ والخسف: ٣٦٧ برقم (٢٢١٣). وصححه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة: ٤/ ٣٩٢ برقم (١٧٨٧).

خامسًا: الإيمان باليوم الآخر:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما أخبرت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام - من أحوال القبر وعذابه ونعميه، ومن أن الأرض تأكل أجساد الأموات إلا الأنبياء[١]، فعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب»[٢].

وقد أخبر النبي ﷺ عن رجل خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجّل جُمتَه، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة»[٣]، "ومقتضى هذا الحديث أن الأرض لا تأكل جسد هذا الرجل"[٤].

سادسًا: الإيمان بالقدر:

من الإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله وخلقه ومشيئته وكتابته لكل شيء، فهذا الكون يجري بتقدير الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[٥]، ومن الأمثلة على ذلك الزلازل والخسوف التي يحدثها الله تعالى، فإنها تقع بمشيئة الله، ولا يستطيع أحد ردها، مهما وضع الخلق من أجهزة والآت لرصدها؛ فإنها تقع بإذن الله، بل يفجؤون بها، وتقلب عليهم بيوتهم وجسورهم ونحو ذلك

---

(١) انظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: ٣٦٧، وشرح العقيدة الطحاوية: ٤٠١.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين: ٤/ ٢٢٧٠ برقم (٢٩٥٥).

(٣) صحيح البخاري: كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء: ١١٣٢ برقم (٥٧٨٩).

(٤) فتح الباري: ١٠/ ٢٦١.

(٥) الحديد: ٢٢.

دون أن يشعروا بقرب وقوعه.

"فما من شيء يحدث في الأرض ولا في السماء، في البر أو البحر أو الجو إلا في كتاب، وهذا يجعل الإنسان المؤمن يسلم ويرضى بالقضاء والقدر، فما من مصيبة كالزلازل والخسوف والبراكين وغير ذلك إلا وقد كتبها الله سبحانه وتعالى من قبل خلق الإنسان، وهذا يدل على أن الإيمان بالقضاء والقدر يقتضي الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى قدر هذه الأشياء قبل أن توجد"(١).

ومن كمال "قدرة الله تعالى أنه أعطى بعض الحيوانات، التي ليس لها عقول تفكر، ولا علم ولا حضارة، أعطاها غريزة الاحساس بقرب وقوع الزلزال، ولذلك فهي تسارع بمغادرة المكان أو يحدث لها هياج، إن كانت محبوسة في الأقفاص أو حظائر مغلقة، وذلك ليلفتنا الله سبحانه وتعالى إلى أن العلم يأتي منه سبحانه وتعالى ولا يحصل عليه الانسان بقدرته، فيعطي سبحانه من لا قدرة له على الفكر والكشف العلمي ما لا يعطيه لذلك الذي ميزه بالعقل والعلم.

لماذا؟ لنعلم أن كل شيء من الله فلا نعبد قدراتنا، ولا نقول: انتهى عصر الدين والايمان وبدأ عصر العلم، بل نلتفت الى أن الله يعطي لمن هم دوننا في الخلق علما لا نصل نحن اليه، فنعرف أن كل شيء بقدرته وحده سبحانه وتعالى"(٢).

(١) تيسير لمعة الاعتقاد لعبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، الرياض، ط١: ٢٣٢، بتصرف يسير.

(٢) الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى، لمحمد متولي الشعراوي، أشرف واعتنى به: أحمد الزغبي: ١٤.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الزلازل والخسوف والبراكين -:

أولًا: اعتقاد أن للبراكين آلهة غير اللّٰه تعالى:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - البراكين - اعتقاد أن لها آلة غير الله تعالى، ويعود لفظ بركان إلى Valcan إله النار عند الرومان القدماء، ويعتقدون أن ما ينتج عنها من دمار وخراب هو من غضب الإله[(١)].

ثانيًا: نسبة حدوث هذه الآيات الكونية - الزلازل والخسوف والبراكين - إلى الطبيعة أو بعض الخرافات:

فبعظهم ينسب حدوث هذه الآيات الكونية إلى وجود دواب خيالية تشبه الحيوانات التي يراها ولكنها أكثر منها ضخامة تقوم بحمل الأرض، ونتيجة لحركة هذه الدواب تهتز الأرض محدثة الزلازل، ومن تلك الأساطير المعروفة أسطورة الثور الذى يحمل الأرض على أحد قرنيه، فإذا ما أجهده حمله الثقيل نقلها إلى القرن الثاني، وهو ما ينجم عنه اهتزاز كوكب الأرض[(٢)].

أو تنسب هذه الآيات الكونية إلى غير خالقها سبحانه كأن ينسب ما يحدث من زلازل وبراكين وفيضانات إلى الطبيعة[(٣)].

---

(١) انظر: الموسوعة الكونية الكبرى: ١٣/ ١٨٧، الله لعباس محمود العقاد: ٧٦.

(٢) انظر: الموسوعة الكونية الكبرى: ١٣/ ١٧٩.

(٣) انظر: الإسلام يتحدى: ٨١.

ومنهم من يفسر الزلازل والخسوف والبراكين تفسيرا ماديا بحتًا، فيقولون أن سبب هذا الزلزال ضعف في القشرة الأرضية، ووجود اختلالات وفجوات في داخلها، أو أن هذا شيء يحصل في الكرة الأرضية كل مائتي عام.

والجواب عن هذا أن نقول نحن لا ننكر وجود مثل هذه الأسباب[١]، ولكننا يجب أن نعلم أن وراء هذه الأسباب المادية أسبابًا شرعية هي التي سببت هذا الخلل في القشرة الأرضية أو غيره من الأسباب، ثم حصلت تلك الكوارث والمصائب، فهذه الأسباب المادية التي يذكرونها - إن صحت - لا تعدو أن تكون وسيلة لما تقتضيه الأسباب الشرعية من المصائب والعقوبات العامة. يقول الله تعالى بعد أن ذكر مصارع الأمم السالفة: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[٢].

وهذه "الزلازل من الآيات التي يخوف الله بها عباده كما يخوفهم بالكسوف وغيره من الآيات والحوادث لها أسباب وحكم فكونها آية يخوف الله بها عباده هي من حكمة ذلك.

وأما أسبابه فمن أسبابه انضغاط البخار في جوف الأرض كما ينضغط الريح والماء في المكان الضيق فإذا انضغط طلب مخرجا فيشق ويزلزل ما قرب منه من الأرض.

وأما قول بعض الناس إن الثور يحرك رأسه فيحرك الأرض فهذا جهل، وإن نقل عن بعض الناس، وبطلانه ظاهر، فإنه لو كان كذلك لكانت الأرض

---

(١) انظر: فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ: ٣/ ١٠٦ ومجلة البحوث العدد ٧٧: ٤٥.

(٢) العنكبوت: ٤٠.

كلها تزلزل، وليس الأمر كذلك، والله أعلم"[(١)].

ثم إن وجود هذه الأسباب التي خلقها الله تعالى، التي متى وجدت وجد الزلازل هذا لا يمنع أبدًا من تغير هذه السنة، ووقوعها في مناطق صلبة.

والله ﷻ لم يخلق الأشياء ولم يقدرها إلا لحكمة، وحصر الحكمة والعلة في الظواهر الطبيعة، من تغير في سير الأرض، ومواقع الجزر والقارات: تحكم بغير دليل.

ولما حدث الخسف بقارون فعلًا لم يكن السبب أن القشرة الأرضية كانت لينة وهينة بل السبب أنه عصى الله ورسوله، قال الله عنه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾[(٢)].

وعندما أخبر ﷺ عن الرجل الذي خسف به لم يقل: إن السبب في الخسف هزة أرضية بل خسف به بسبب تكبره وتجبره، قال ﷺ: «بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[(٤)].

فقوله: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ أي الرجفة والخسف[(٥)]، فلا تنسب الحوادث للطبيعة ولا نشتم الطبيعة لأنها غير فاعلة، وإنما الفاعل هو الله،

---

(١) مجموع الفتاوى: ٢٤/ ٢٦٤، وانظر: كشف الصلصلة في وصف الزلزلة: ٢٥.
(٢) القصص: ٨١.
(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب(٥٤): ٦٧١ برقم (٣٤٨٥).
(٤) الأنعام: ٦٥.
(٥) تفسير القرطبي: ٧/ ٩.

وهو الذي يجعلها سببا لعذابه أو بلائه أو رحمته.

والقول عن هذه الآيات بأنه أمر طبيعي يبطل انتقام الله لأوليائه، قال سبحانه وتعالى عن قوم صالح عليه السلام: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾[١].

وقال تعالى عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾[٢].

(١) الأعراف: ٧٧-٧٨.

(٢) العنكبوت: ٣٧.

المبحث الرابع
البحار والأنهار

البحر في اللغة:

سمِّي البَحر بحرًا لاستبحارِه، وهو انبساطُه، وسَعَتُه، وعمقه، ويقال إِنما سمي البَحْر بَحْرًا لأَنه شَقَّ في الأَرض شقًّا وجعل ذلك الشق لمائه قرارًا، والبَحْرُ في كلام العرب الشَّقُّ.

والبَحْرُ الماءُ الكثيرُ مِلْحًا كان أَو عَذْبًا وهو خلاف البَرِّ، وقد غلب على المِلْح حتى قَلّ في العَذْبِ، وجمعه أَبْحُرٌ وبُحُورٌ وبِحارٌ، وماءٌ بَحْرٌ مِلْحٌ قَلَّ أَو كثر.

والأنهار كلها بحار، وكل نهر لا ينقطع ماؤه من الأَنهار العذبة الكبار فهو بَحْرٌ، و أَما البحر الكبير الذي هو مغيض هذه الأَنهار فلا يكون ماؤُه إِلَّا ملحًا أُجاجًا ولا يكون ماؤه إِلَّا راكدًا، وأَما هذه الأَنهار العذبة فماؤُها جار وسميت هذه الأَنهار بحارًا لأَنها مشقوقة في الأَرض شقًّا[(١)].

وفي الاصطلاح:

المحيط: جسم مائي عظيم يغطي أكثر من ٧٠٪ من سطح الأرض. ويحتوي على ٩٧٪ من جميع المياه الموجودة على الأرض.

ويشتمل كل محيط على أجسام مائية أصغر حجمًا تسمى بحارا وخلجانًا وشبه خلجان، تقع على امتداد حواف المحيطات. وعمومًا تعني كلمة البحر أيضًا المحيط[(٢)].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ١/ ٢٠١، لسان العرب: ١/ ٢١٥.
(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٢٢/ ٢٧٩، ٤/ ١٩٣.

النهر في اللغة:

النون والهاء والراء أصل صحيح يدلّ على تفتُّح شيءٍ أو فتحِه. وسمِّي النّهرُ لأنَّه يَنْهَر الأرض أي يشقُّها. وجمع النَّهر أنهارٌ ونُهُر ونهور. واستَنْهَرَ النّهرُ: أخَذَ مَجراه. وأنْهَر الماءُ: جرى[(١)].

والنَّهَر من مجاري المياه. ونَهَرَ الماءُ، إذا جرى في الأَرض، وجعل لنفسه نَهَرًا، ونَهَرْتُ النَّهْرَ حَفَرْتُه، ونَهَرَ النَّهْرَ يَنْهَرُهُ نَهْرًا أَجراه[(٢)].

وفي الاصطلاح:

مسطح مائي ينساب على اليابسة في مجرى طويل. وتبدأ معظم الأنهار من أعالي الجبال أو التلال، وقد يكون منبع النهر مثلجة، أو نهرًا جليديًا ينصهر، أو ينبوعًا، أو بحيرة تفيض مياهها. ويتلقى النهر أثناء جريانه في مجراه المزيد من المياه من الجداول، والأنهار الأخرى، ومياه الأمطار، ويقع مصب النهر في نهايته، حيث تصب مياهه في نهر أكبر، أو في بحيرة، أو في أحد المحيطات[(٣)].

وقد ورد لفظ البحر في القرآن في (٣٣) موضعًا، وبلفظ التثنية في (٥) مواضع، وبلفظ الجمع في (٣) مواضع[(٤)].

وورد لفظ النهر في القرآن في (٣) مواضع، وبلفظ الجمع في (٥١) مواضع[(٥)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٣٦٢.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٣٦٢، ولسان العرب: ٦/ ٤٥٦٦.

(٣) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٢٥/ ٥٣٩.

(٤) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ١٤٥.

(٥) انظر: المرجع السابق: ٨٩٠.

أما في السنة فقد وردت البحار في (٥٩) حديثًا[١].

وذكر بعض المفسرين أن البحر في القرآن ورد على أنحاء[٢]:

الأول: بمعنى ضد البر: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ﴾[٣]، ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾[٤].

الثاني: بمعنى بحر فارس والروم: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ﴾[٥].

الثالث: بمعنى البحر الذي تحت العرش المجيد، وفيه عجائب لا يعلمها إلا الله: ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦﴾[٦].

الرابع: بمعنى الأرياف والقرى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾[٧] أي في البوادي والحواضر.

أما النهر فورد على أنحاء كذلك[٨]:

الأول: نهر الأردن بالشام، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾[٩].

الثاني: معناه العيون. قال تعالى: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾[١٠].

---

(١) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٢.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز: ٢/ ٢٢٥.

(٣) الدخان: ٢٤.

(٤) يونس: ٩٠.

(٥) فاطر: ١٢.

(٦) الطور: ٤-٦.

(٧) الروم: ٤١.

(٨) انظر: بصائر ذوي التمييز: ٢/ ١٢٩.

(٩) البقرة: ٢٤٩.

(١٠) محمد: ١٥.

الثالث: بساتين الدنيا وأنهارها، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[1].

الرابع: تجرى تحت غرفها وعلاليها الأنهار، قال تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[2]. والله أعلم.

(١) نوح: ١٢.
(٢) البينة: ٨.

الدلائل العقدية للآيات الكونية - البحار والأنهار -:

تعددت الآيات الكريمة التي يذكر الله فيها تسخير البحر، وأن ذلك دليل على قدرته سبحانه وتعالى ورحمته بعباده، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾(٣).

قال ابن القيم رحمه الله مبينًا شأن هذه الآية الكونية: " فصل ومن آياته وعجائب مصنوعاته البحار المكتنفة لأقطار الأرض التي هي خلجان من البحر المحيط الأعظم بجميع الارض، حتى أن المكشوف من الارض والجبال والمدن بالنسبة الى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم، وبقية الأرض مغمورة بالماء، ولولا إمساك الرب تبارك وتعالى له بقدرته ومشيئته وحبسه الماء لطفح على الأرض وعلاها كلها، هذا طبع الماء، ولهذا حار عقلاء الطبيعيين في سبب بروز هذا الجزء من الأرض مع اقتضاء طبيعة الماء للعلو عليه وأن يغمره، ولم يجدوا ما يحيلون عليه ذلك إلا الاعتراف بالعناية الأزلية والحكمة الإلهية التي اقتضت ذلك ليعيش الحيوان الأرضي في الأرض، وهذا حق،

---

(١) الجاثية: ١٢.

(٢) النحل: ١٤.

(٣) الحج: ٦٥.

ولكنه يوجب الاعتراف بقدرة الله وإرادته ومشيئته وعلمه وحكمته وصفات كماله، ولا محيص عنه" . . .

ثم ذكر جملة من عجائب البحر، وقال: "وإذا تأملت عجائب البحر وما فيه من الحيوانات على اختلاف اجناسها وأشكالها ومقاديرها ومنافعها ومضارها وألوانها" . . . .

ثم قال: "فما أعظمها من آية، وأبينها من دلالة، ولهذا يكرر سبحانه ذكرها في كتابه كثيرًا، وبالجملة فعجائب البحر وآياته أعظم وأكثر من أن يحصيها إلا الله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾[(١)]" [(٢)].

أولًا: توحيد الربوبية:

لما بين الله تعالى جهل المعرضين عن أدلة التوحيد ومناقشتهم وفساد تفكيرهم في ذلك، ذكر أدلة دالة على وجوده وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادة من الآيات الكونية التي يدركها ويشاهدها عيانا كل مخلوق، ومنها: البحار المالحة والعذبة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾[(٣)] فالله وحده هو "الذي جعل البحرين المتضادين متجاورين متلاصقين لا يمتزجان، هذا ماء زلال عذب شديد العذوبة، وهذا مالح شديد الملوحة، ولكن لا يختلط أحدهما بالآخر، قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا

(١) الحاقة: ١٢-١٣.
(٢) مفتاح دار السعادة: ١/ ٢٠٤-٢٠٥.
(٣) الفرقان: ٥٣.
(٤) الرحمن: ١٩-٢١.

أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(١)]"[(٢)].

وفي سورة النمل لما ذكر الله تعالى قصص بعض الأنبياء مع أقوامهم، ثم رد على المشركين ببيان الأدلة المختلفة على وحدانيته وتفرده بالخلق، وقدرته، وإخلاص العبادة له، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾[(٣)]، فذكر منها مما يتعلق بالأرض وأنه جعل ﴿خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ وجعل ﴿بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ﴾، ثم قال: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أيوجد إله مع الله فعل هذا وأبدع هذه الكائنات؟! بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الحق فيتبعونه، ولا يعرفون قدر عظمة الإله المستحق للعبادة.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾[(٤)] دليل على ربوبية الله تعالى، فإن خلق البحر على هذه الصفة العظيمة ميسرا للانتفاع بالأسفار فيه حين لا تغني طرق البر في التنقل عنه، فجعله قابلا لحمل المراكب العظيمة منها، أن يكون آية للناس على وجود الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته[(٥)].

---

(١) النمل: ٦١.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢: ١٩/ ٨٤، وانظر: التحرير والتنوير: ١٩/ ٥٣.

(٣) النمل: ٥٩-٦١.

(٤) لقمان: ٣١.

(٥) التحرير والتنوير: ٢١/ ١٩٠.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[(١)].

فهذه المخلوقات العظيمة، وما فيها من العبر دالة على كماله سبحانه وتعالى وإحسانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ﴾ "أي: الذي انفرد بخلقها وتسخيرها، وهو وحده المتصرف فيها، وهو الرب المألوه المعبود، الذي له الملك كله، وأن الذي يدعى من غير الله الله لا يملكون شيئًا"[(٢)].

وأخبر النبي ﷺ أن ملك الله ﷻ لا ينقص منه شيء ولو أعطى كل إنسان مسألته إلا كما ينقص البحر إذا أدخل فيه المخيط، وهذا من باب التوضيح والتقريب وإلا فملك الله أعظم من ذلك، وعن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ عن الله ﷻ قال: «يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك من ملكي شيئا، إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل في البحر»[(٣)].

---

(١) فاطر: ١٢-١٤.

(٢) انظر: تفسير السعدي: ٦٨٦.

(٣) صحيح مسلم، باب تحريم الظلم، كتاب البر والصلة والآداب: ٤/ ١٩٩٤برقم (٢٥٧٧).

ثانيًا: توحيد الأسماء والصفات:

١- العلم:

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[(١)].

هذه الآية العظيمة، من أعظم الآيات تفصيلا لعلم الله المحيط" وأنه شامل للغيوب كلها، ومن ذلك ما في البحار من حيواناتها، ومعادنها، وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها.

فهذه الآية دلت على علمه المحيط بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث"[(٢)].

وفي بيان سعة علم الله قال الخضر لموسى عليه السلام: «والله ما علمي وما علمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر»[(٣)]، "فلو جمع علم الخلائق من الأولين والآخرين، أهل السماوات وأهل الأرض، لكان بالنسبة إلى علم العظيم، أقل من نسبة عصفور وقع على حافة البحر، فأخذ بمنقاره من البحر بالنسبة للبحر وعظمته، ذلك بأن الله له الصفات العظيمة الواسعة الكاملة، وأن إلى ربك المنتهى"[(٤)].

٢- صفة الكلام:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ

---

(١) الأنعام: ٥٩.

(٢) تفسير السعدي: ٢٥٩ باختصار.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: ٩١، برقم (٤٧٢٦).

(٤) تفسير السعدي: ٤٨٨، ٦٥٠.

سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[١]، فأخبر الله ﷻ عن عظمته وسعة صفاته وأن العباد لا يحيطون بشيء منها، ومن تلك الصفات كلام الله، الذي لو كان البحر مددًا لها، وأشجار الدنيا من أولها إلى آخرها، من أشجار البلدان والبراري، والبحار، أقلام، لنفد البحر، وتكسرت الأقلام، قبل أن تنفد كلمات ربي، وهذا شيء عظيم، لا يحيط به أحد.

وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[٢].

"وهذا من باب تقريب المعنى إلى الأذهان، لأن هذه الأشياء مخلوقة، وجميع المخلوقات، منقضية منتهية، وأما كلام الله، فإنه من جملة صفاته، وصفاته غير مخلوقة، ولا لها حد ولا منتهى، فأي سعة وعظمة تصورتها القلوب فالله فوق ذلك"[٣].

ثالثًا: توحيد الألوهية:

سبق في المبحث السابق - الأرض[٤] - أن الله - تعالى - يذكر ويعدد من دلائل إنفراده بالتصرف والخلق - في الأرض وغيرها - مما هو مشاهد وأوضح الدلالة على المشركين لإفراد الله ﷻ بالعبادة[٥]، وذكر منها الأنهار التي جعلها في الأرض[٦]، قال تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾[٧].

---

(١) لقمان: ٢٧.
(٢) الكهف: ١٠٩.
(٣) تفسير ابن سعدي: ٤٨٨.
(٤) ص: ٤٣٢.
(٥) التحرير والتنوير: ٢٤/ ١٨٩، ١٧/ ٥٧، وانظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٣٩٦.
(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٢٠٣.
(٧) النمل: ٦١.

ولما ذكر الله ﷻ أنه الإله الواحد المعبود بقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[١] ذكر الحجة على ذلك التي تبين التوحيد، وكان من جملة ما ذكر الله تعالى تسخير البحر لتجري فيه الفلك[٢]، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[٣].

وقد أمر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ أن يقول للمشركين ملزما لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، على ما أنكروا من توحيد الإلهية: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾[٤].

ثم كان الجواب: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ "فأي برهان أوضح من هذا على بطلان الشرك، وصحة التوحيد؟"[٥].

وقد استدل الله بما على الأرض من بحار وأنهار وما في صفاتها من دلالة زائدة على دلالة وجود أعيانها، بتفرده سبحانه وتعالى بالإلهية فقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾[٦]، "فصيغ هذا الاستدلال على أسلوب بديع إذ اقتصر فيه على التنبيه على الحكمة الربانية في المخلوقات وهي ناموس تمايزها

(١) البقرة: ١٦٣.
(٢) تفسير القرطبي: ٢/ ١٩٢، والتحرير والتنوير: ٢/ ٧٦.
(٣) البقرة: ١٦٤.
(٤) الأنعام: ٦٣.
(٥) تفسير السعدي ص: ٢٦٠، ٣٦١، وانظر: التحرير والتنوير: ٧/ ٣٩٢، ١١/ ١٣٥.
(٦) فاطر: ١٢.

بخصائص مختلفة واتحاد أنواعها في خصائص متماثلة استدلالًا على دقيق صنع الله تعالى، ويتضمن ذلك الاستدلال بخلق البحرين أنفسهما لأن ذكر اختلاف مذاقهما يستلزم تذكر تكوينهما.

فالتقدير: وخلق البحرين العذب والأجاج على صورة واحدة وخالف بين أعراضهما، ففي الكلام إيجاز حذف، وإنما قدم من هذا الكلام تفاوت البحرين في المذاق واقتصر عليه؛ لأنه المقصود من الاستدلال بأفانين الدلائل على دقيق صنع الله تعالى"[(١)] الذي يستلزم إفراد الله بالعبادة لأن القادر على ذلك هو الله وحده.

١- القسم:

يقسم الله بمخلوقاته مما هو من آياته الدالة على ربوبيته ووحدانيته[(٢)]، ويقسم بها على أن القيامة واقعة، ومن ذلك القسم بالبحر، قال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾[(٣)].

فالله سبحانه وتعالى يقسم بهذه الخلائق العظيمة على أمر عظيم، وهو وقوع العذاب على الكافرين[(٤)].

"ومناسبة القسم به - البحر - أنه به أهلك فرعون وقومه حين دخله موسى وبنو إسرائيل فلحق بهم فرعون[(٥)].

(١) التحرير والتنوير: ٢٢/ ٢٧٩.
(٢) انظر: مفتاح دار السعادة: ١/ ٣١٤، وإمعان في أقسام القرآن: ٩/ ٤١.
(٣) الطور: ١-٧.
(٤) انظر: زاد المسير ٨/ ٤٧.
(٥) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٣٩.

رابعًا: الإيمان بالرسل:

من الإيمان بالرسل الإيمان بالآيات التي أيد الله بها رسله، ومن تلك الآيات الآية التي أظهرها الله ﷻ لموسى عليه السلام وقومه حينما أمره بضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كالطود العظيم فنجى الله موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه[(١)]، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[(٣)].

وقد كان المشركون يطلبون من النبي ﷺ - على سبيل التحدي والتعجيز - بعض الآيات والتي منها تفجير الأنهار وأنهم لن يؤمنوا حتى يفعل ذلك[(٤)]، قال الله تعالى مخبرًا عن حالهم أنهم قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾[(٥)].

ومن دلائل نبوة الأنبياء الكرامات التي يجريها الله ﷻ لأتباع الرسل،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ١٤٥، وتفسير السعدي: ٥٩٢، والتحرير والتنوير: ١/ ٤٩٤.
(٢) الشعراء: ٦١-٦٨.
(٣) البقرة: ٥٠.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ١٢٠، ٦/ ٩٥، وتفسير السعدي: ٥٧٨.
(٥) الإسراء: ٩٠-٩٣.

إجابة لدعوتهم ونصرة لهم[١].

وقد شكا الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع فقال: «عسى الله أن يطعمكم»، فأتينا سيف البحر، فزخر[٢] البحر زخرة، فألقى دابة، فأورينا على شقها النار فاطبخنا واشتوينا وأكلنا حتى شبعنا "[٣].

خامسًا: الإيمان باليوم الآخر:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما أخبرت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام - من البعث والجزاء، وقد أقسم الله ﷻ بالبعث والجزاء بالآيات العظيمة التي منها البحر المسجور[٤].

قال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾[٥].

هذه "الأشياء التي أقسم الله بها، مما يدل على أنها من آيات الله وأدلة توحيده، وبراهين قدرته، وبعثه الأموات، ولهذا قال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾ أي: لا بد أن يقع، ولا يخلف الله وعده وقيله "[٦].

وأخبر الله ﷻ أن في الجنة أنهارًا، فقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ

(١) شرح النووي على مسلم: ١٨/ ١٤٧
(٢) أي: علا موجه، شرح النووي على مسلم: ١٨/ ١٤٧.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر: ٤/ ٢٣٠٨ برقم (٣٠١٤).
(٤) المسجور: أي المملوء، وقيل: الموقد، انظر: تفسير القرطبي: ١٧/ ٦١.
(٥) الطور: ١-٧.
(٦) تفسير السعدي: ٨١٣.

وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾[١].

وأخبر النبي ﷺ عن ما في الدنيا من أنهار الجنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة»[٢].

وفي الحديث: عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ورفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر، فإذا ورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار، نهران باطنان، ونهران ظاهران، فسألت جبريل؟ فقال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران النيل والفرات»[٣].

ففي الأرض أربعة أنهار أصلهما من الجنة[٤]، "وهذا لا يمنعه عقل ولا شرع وهو ظاهر الحديث فوجب المصير إليه"[٥].

وفي بيان شدة حر جهنم أخبر النبي ﷺ أن نار الدنيا جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، وأنها ضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك لما انتفع بها، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد»[٦].

---

(١) محمد: ١٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة: ٤/ ٢١٨٣ برقم (٢٨٣٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: ٦١٦ برقم (٣٢٠٧).

(٤) فتح الباري- ٧/ ٢١٣.

(٥) شرح النووي على مسلم ١/ ٢٩٥.

(٦) مسند أحمد ١٢/ ٢٨٠، برقم (٧٣٢)، قال المحقق: وهو صحيح على شرط الشيخين، وقال ابن كثير: إسناده صحيح. انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ١٨٩.

سادسًا الإيمان بالقدر:

سبق في المبحث السابق - الجبال[(١)] - أن من الإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله وخلقه ومشيئته، وأن الله ﷻ نبه على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف، وفي هذه الآيات الكونية - البحار والأنهار - يقول تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾[(٢)].

وهذا التفاوت دليل عقلي على مشيئة الله تعالى التي خصصت ما خصصت منها بطعمه، فهذا عذاب فرات وهذا ملح أجاج، وقدرة الله وحكمته ورحمته، وسعة علمه[(٣)].

سابعًا: مسائل على الإيمان:

تكفير السيئات:

في بيان النبي ﷺ تكفير الأعمال الصالحة - ومنها التهليل والتكبير والتحميد والتسبيح - للسيئات أخبر النبي ﷺ أن هذه الخطايا تُكفّر وإن كانت مثل زبد البحر[(٤)]، وهذا كناية عن المبالغة في الكثرة[(٥)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال سبحان الله وبحمده

---

(١) ص: ٤٤٩.
(٢) فاطر: ١٢.
(٣) انظر: تفسير السعدي: ٦٨٨، التحرير والتنوير: ٢٢/ ٢٧٩.
(٤) وهو ما يعلو على وجه البحر. فيض القدير: ٦/ ١٤٧.
(٥) فتح الباري: ١١/ ٢٠٦، ٢/ ١٢، فيض القدير ٦/ ١٩٠.

في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»(١).

وعنه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وحمد الله ثلاثا وثلاثين، وكبر الله ثلاثا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير - غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»(٢).

ثامنًا: الجن:

الجن وصفاتهم من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها، وقد أخبر النبي ﷺ أن عرش إبليس على البحر(٣).

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن عرش إبليس على البحر، فيبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة»(٤)

تاسعًا: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:

ضرب الأمثال:

من منهج وطريقة أهل السنة في الاستدلال ضرب الأمثال للتوضيح والتقريب، ومن ذلك مما يتعلق بهذه الآيات الكونية - البحار والأنهار - قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ﴾(٥).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل التهليل: ١٢٢٩، برقم (٦٤٠٥).
(٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفة: ١/ ٤١٨ برقم (٥٩٧).
(٣) انظر: فتح الباري: ٦/ ٣٤١.
(٤) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا: ٤/ ٢١٦٧ برقم (٢٨١٣).
(٥) فاطر: ١٢.

وهذا مثل ضربه الله "في حق الكفر والإيمان أو الكافر والمؤمن، فالإيمان لا يشتبه بالكفر في الحسن والنفع كما لا يشبه البحر العذب والملح الأُجاج، ومن كل أي ومن كل واحد منهما تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون حلية"[(١)].

وقال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾[(٢)].

وهذا مثل ضربه الله للكافر وبطلان عمله بالبحر اللجي، وهو البعيد القعر الكثير الماء، يغشاه يعلوه موج، وهو ما ارتفع من الماء، من فوقه موج متراكم بعضه على بعض، من فوق الموج سحاب، وهذه كلها ظلمات بعضها فوق بعض، ظلمة السحاب، وظلمة الموج، وظلمة البحر[(٣)]

"وهذا التمثيل من قبيل تشبيه حالة معقولة بحالة محسوسة كما يقال شاهدت سواد الكفر في وجه فلان"[(٤)]

(١) انظر: تفسير الرازي: ٢٦/ ١٠، والكشاف: ٣/ ٦١٤.
(٢) النور: ٤٠.
(٣) انظر: تفسير القرطبي ١٢/ ٢٨٣، وتفسير السعدي: ٥٦٩.
(٤) التحرير والتنوير ١٨/ ٢٥٥.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - البحار والأنهار -:

أولًا: تخصيص البحر ببعض الأدعية المبتدعة:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - البحار والأنهار - تخصيص أدعية خاصة بالبحر، ومنها دعاء البحر، والذي فيه:

"وسخر لنا هذا البحر، وكل بحر هو لك في الأرض والسماء والملك والملكوت وبحر الدنيا وبحر الآخرة... كما سخرت البحر لموسى - عليه السلام -"[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "هذا كلام لا يقوله من يتصور ما يقول فإن الإنسان إذا كان راكبا بحرا من البحار فما يصنع حينئذ بتسخير البحار البعيدة؟!...

وأيضا فقول القائل: سخر لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسى كلام باطل، فإن الله فرق البحر لموسى حتى مشى على الأرض لم يركب البحر، وهذا الداعي ليس مطلوبه أن يفرقه له، ولو طلب ذلك لم يفرقه الله له، فلا يجوز طلب تسخير كتسخير موسى، وإن قال: أردت به أصل التسخير لا صفته فقوله سخر لنا هذا البحر كاف، فلا حاجة إلى التشبيه، مع أن فرق البحر لموسى لا يسمى تسخيرا بل هو أعظم من التسخير.

وإن أراد به خرق العادة كما خرقت العادة لموسى وإبراهيم وداود

(١) انظر: حزب البحر - ضمن كتاب درة الأسرار وتحفة الأبرار للحميري: ٧٥، ومواقع الفرقة الشاذلية على الانترنت

وسليمان كان هذا جهلا فإن ركوب البحر والسلامة فيه ليس فيه خرق عادة.

والكلام المعروف في مثل هذا أن يقال: يا من فرق البحر لموسى، وجعل النار بردا وسلاما على إبراهيم، وسخر الريح والجن لسليمان سخر لنا هذا البحر؛ لأن هذا وصف لله بكمال القدرة العظيمة التي فعل بها هذه الأمور الخارقة للعادة، فيقال: يا من فعل هذا افعل بنا هذا.

وأما أن يقال: سخر لنا هذا كما سخرت هذا فلم يعرف عن المتقدمين مثل هذا الكلام بل هو من الكلام المنكر الذي لا يقوله من يتصور ما يقول"[(١)].

(١) الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة، ط١: ٣٦-٤٥، باختصار.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- حديث استأذن البحر أن يغرق أهلها.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات، يستأذن الله أن ينفضخ عليهم، فيكفه الله عز وجل»[(١)].

٢- حديث كلام الله للبحر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن الله تعالى كلم البحر، فقال للبحر الذي بالشام يا بحر إنما قد خلقتك فأكثرت فيك من الماء حامل فيك عبادا يسبحوني ويحمدوني ويهللوني ويكبروني ويمجدوني فما أنت صانع بهم قال أغرقهم، قال الله إني أحملهم على ظهرك، وأجعل بأسك في نواحيك ثم قال للبحر الذي باليمين مثل ذلك، فما أنت صانع بهم قال أسبحك وأحمدك وأهلك وأكبرك معهم، فأحملهم في بطني وبين أضلاعي، قال الله أفضلك على البحر الآخر بالحلية والطيب»[(٢)].

٣- البحر هو جهنم.

عن يعلى بن أمية رضي الله عنه، عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «البحر هو جهنم»،

---

(١) مسند أحمد: ١/ ٣٩٥ برقم (٣٠٣) وقال محققه: إسناده ضعيف لجهالة الشيخ الذي روى عنه العوام بن حوشب، وأبو صالح مولى عمر مجهول أيضًا. وانظر: العلل المتناهية: ١/ ٤١، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٤٣٠.

(٢) حديث موضوع، انظر: العلل المتناهية: ١/ ٣٧-٤٠، والسلسلة الضعيفة: ١٣/ ١٠٦٧.

قالوا ليعلى، فقال: ألا ترون أن الله ﷻ يقول: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾[(١)] قال: «لا، والذي نفس يعلى بيده، لا أدخلها أبدا حتى أعرض على الله ﷻ، ولا يصيبني منها قطرة حتى ألقى الله ﷻ»[(٢)].

٤- إن تحت البحر نار، وتحت النار بحر.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز فى سبيل الله فإن تحت البحر نارا وتحت النار بحرا»[(٣)].

٥- تولي الله ﷻ قبض أرواح شهداء البحر:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «شهيد البحر مثل شهيدي البر. والمائد في البحر كالمتشحط في دمه في البر. وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة الله. وإن الله ﷻ وكل ملك الموت بقبض الأرواح. إلا شهيد البحر فإنه يتولى قبض أرواحهم. ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدين. ولشهيد البحر الذنوب والدين»[(٤)].

---

(١) الكهف: ٢٩.

(٢) مسند أحمد: ٢٩/ ٤٧٨، برقم (٧٩٦)، وقال محققه: "إسناده ضعيف، محمد بن حيي مجهول، وعبد الله بن أمية لم يرو عنه غير أبي عاصم، ووثقه ابن معين، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة ١/ ٢٣٤، "رواه الحاكم في الأهوال من هذا الوجه، بلفظ إن البحر، وقال: إنه صحيح الإسناد، وقد قدمت الرواية الصحيحة، أن جهنم تحت الأرض السابعة". انتهى. وانظر: السلسلة الضعيفة: ٣/ ٩٢ برقم (١٠٢٣).

(٣) سنن أبى داود، كتاب الجهاد، باب في ركوب البحر في الغزو: ٢٨٣ برقم (٢٤٨٩)، وقال: "رواته مجهولون، وقال الخطابي: ضعفوا إسناده، وقال البخاري: ليس هذا الحديث بصحيح"، ورواه البزار من حديث نافع، عن ابن عمر مرفوعا، وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف. انظر: التلخيص الحبير: ٢/ ٤٢٤ برقم (٨٥٢)، والسلسلة الضعيفة: ١/ ٢٨١ برقم (٤٧٨).

(٤) سنن ابن ماجه: ٢/ ٩٢٨، كتاب الجهاد، باب فضل غزو البحر: ٣٠٣ برقم (٢٧٧٨)، وقال الألباني: ضعيف جدًا. سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٢/ ٢٢٢ برقم (٨١٧).

المبحث الخامس
الليل والنهار

الليل والنهار في اللغة:

الليل: اللام والياء واللام كلمة، وهي الليل خلاف النهار، والليل عقيب النهار ومبدؤه من غروب الشمس، والليل ظلام الليل، والنهار الضياء فإذا أفردت أحدهما من الآخر قلت: ليلة يوم.

النهار: النون والهاء والراء أصل صحيح يدل على تفتح شيء أو فتحه. ومنه النهار: انفتاح الظلمة عن الضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس[(١)].

والنهار اسم وهو ضد الليل، والنهار اسم لكل يوم، والليل اسم لكل ليلة، لا يقال نهار ونهاران ولا ليل وليلان، إنما واحد النهار يوم، وتثنيته يومان، وجمعه أيام، وضد اليوم ليلة وجمعها ليال .

وفي الاصطلاح:

اليوم هو الزمن (الوقت) الذي تستغرقه الأرض في الدوران حول نفسها[(٢)]، ويسمى اليوم الشمسي. وتطلق كلمة يوم في العادة على الوقت الذي تكون فيه الشمس ساطعة على ذلك الجزء الذي نعيش فيه على الأرض. وتطلق أيضا كلمة ليل على الوقت الذي يكون فيه الجزء الذي نعيش فيه مظلما، أو بعيدا عن الشمس. ولكن الليل في حقيقة الأمر ما هو إلا جزء من اليوم[(٣)].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٢٢٥، لسان العرب: ٥/ ٤١١٥، ٦/ ٤٥٥٧.

(٢) انظر: المبحث الأول من هذا الفصل: الأرض.

(٣) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٢٧/ ٣٨٩.

وقد ورد لفظ الليل في القرآن في (٩٠) موضعًا، وبلفظ الجمع في (٤) مواضع[١]، وأما لفظ النهار فقد ورد في (٥٧) موضعًا[٢].

وورد الليل في السنة في (٥٦) حديثًا، والنهار في (٣٧) حديثًا[٣].

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٨٣١-٨٣٣.
(٢) انظر: المرجع السابق: ٨٩٠-٨٩١.
(٣) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٦.

الدلائل العقدية للآيات الكونية - الليل والنهار -:

من أعظم حكمة الرب وكمال قدرته ومشيئته خلق الضدين، إذ بذلك تعرف ربوبيته وقدرته وملكه، كالليل والنهار.

قال ابن القيم رحمه الله مبينًا شأن هذه الآيات الكونية: " فصل، ومن آياته سبحانه تعالى الليل والنهار، وهما من أعجب آياته، وبدائع مصنوعاته، ولهذا يعيد ذكرهما في القرآن ويبديه كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾[(١)]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ۝٤٧﴾[(٢)] وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٣٣﴾[(٣)] وقوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾[(٤)]، وهذا كثير في القرآن فانظر إلى هاتين الآيتين وما تضمنتاه من العبر والدلالات على ربوبية الله وحكمته، كيف جعل الليل سكنا ولباسا، يغشى العالم فتسكن فيه الحركات وتأوى الحيوانات إلى بيوتها والطير إلى أوكارها، وتستجم فيه النفوس وتستريح من كد السعي والتعب، حتى إذا أخذت منه النفوس راحتها وسباتها وتطلعت إلى معايشها وتصرفها جاء فالق الإصباح سبحانه وتعالى بالنهار، يقدم جيشه بشير الصباح، فهزم تلك الظلمة ومزقها كل ممزق، وكشفها عن العالم فإذا هم مبصرون، فانتشر الحيوان وتصرف في معاشه ومصالحه، وخرجت الطيور من أوكارها، فياله

(١) فصلت: ٣٧.
(٢) الفرقان: ٤٧.
(٣) الأنبياء: ٣٣.
(٤) غافر: ٦١.

من معاد ونشأة دال على قدرة الله سبحانه على المعاد الأكبر وتكرره.

ودوام مشاهدة النفوس له بحيث صار عادة ومألفا منعها من الاعتبار به والاستدلال به على النشأة الثانية وإحياء الخلق بعد موتهم، ولا ضعف في قدرة القادر التام القدرة ولا قصور في حكمته ولا في علمه يوجب تخلف ذلك، ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهذا أيضًا من آياته الباهرة أن يعمي عن هذه الآيات الواضحة البينة من شاء من خلقه فلا يهتدي بها ولا يبصرها لمن هو واقف في الماء إلى حلقه وهو يستغيث من العطش وينكر وجود الماء، وبهذا وأمثاله يعرف الله ﷻ ويشكر ويحمد ويتضرع اليه ويسأل"[(١)].

أولًا: توحيد الربوبية:

بين الله ﷻ أن النظر في ملكوت السماوات والأرض والتأمل في خلقهما يدل على وحدانيته ﷻ، في ملكه وخلقه، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه[(٢)].

وعظمة هذا الكون، وإبداع السموات والأرض، وتصرف الرب ﷻ فيه ومن ذلك الليل والنهار، يدخل هذا على هذا، وهذا على هذا، ويتصرف فيهما بزيادة أحدهما ونقص الآخر، وتغير أحوالهما بالحرارة والبرودة، وتعاقبهما بنظام ثابت دقيق، دليل قاطع محسوس على وجود الإله الخالق المبدع، والرب الواحد المتصرف، الذي لا رب سواه، ولا معبود بحق غيره[(٣)].

قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾[(٤)].

---

(١) مفتاح دار السعادة: ١/ ٢٠٣-٢٠٤، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة: ٢/ ٦٢٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٧/ ٢٨٣، ٢٨٦، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٢٩٠.
(٣) انظر: التفسير المنير: ١٨/ ٢٦٥.
(٤) النور: ٤٤.

وقال النبي ﷺ - فيما يرويه عن ربه ﷻ: «قال الله يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار»(١).

ومن أعظم الأدلة على قدرة الله تعالى أن جميع الأشياء مسخرة مدبرة لا تملك من التدبير شيئًا، وخلقه تعالى الأضداد لبيان أنها مقهورة(٢)، ومن ذلك الليل والنهار فيدخل بعضها على بعض فيحصل الفصول والضياء والنور والظلمة والسكون والانتشار قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾(٣).

وقد ذكر الله ﷻ من الأدلة العقلية الأفقية الدالة على ربوبيته وإلهيته وعلى كماله في أسمائه وصفاته اختلاف الليل والنهار، وأخبر أنها آيات لقوم يتقون(٤)، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ٦﴾(٥).

كما أخبر الله ﷻ أنه جعل الليل سكنًا والنهار معاشًا وبين عجز الآلهة التي تعبد من دون الله عن ذلك، وأنه لا دليل لهم على عبادتها؛ فإنها لا تملك شيئًا، وهذه من الحجج والأدلة التي يستدل بها على عظمة الخالق وربوبيته(٦)، فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا

---

(١) سبق تخريجه: ٣١٠.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٦١، تفسير السعدي: ١٢٦.
(٣) آل عمران: ٢٦-٢٧.
(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٢/ ١٩٢، التفسير المنير: ١٥/ ٣٣.
(٥) يونس: ٦.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٨٢، ٥/ ٣٤١.

يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[(٢)].

ثانيًا: توحيد الأسماء والصفات:

١- العلم:

في سياق التذكير بعلم الله تعالى وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد وأنه محاسبهم يوم القيامة، بعد أن ذكر الله أن له ملك السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾[(٣)]، فكل ما سكن في الليل والنهار فهو ملك الله، وخص ما سكن من ذلك لتقرير عموم الملك لله تعالى بأن ملكه شمل الظاهرات والخفيات، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾.

٢- صفة العلو:

من الأدلة التي استدل بها أهل السنة والجماعة على علو الله تعالى أن الأعمال ترفع إليه سبحانه وتعالى، وقد جاء في الحديث أن الأعمال ترفع

(١) يونس: ٦٦-٦٧.
(٢) الأعراف: ٥٤.
(٣) الأنعام: ١٣.

إلى الله تعالى بالليل والنهار[(١)]، عن أبي موسى ﷺ قال: «قام فينا رسول الله ﷺ بأربع إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط ويخفضه، ويرفع إليه عمل النهار بالليل، وعمل الليل بالنهار»[(٢)].

٣- صفة اليد وبسطها:

من الأدلة التي استدل بها أهل السنة والجماعة على إثبات اليد لله تعالى، وأنه يبسطها كيفما شاء ما جاء في الحديث أن الله يبسط يده للتائب بالليل وبالنهار[(٣)]، عن أبي موسى ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[(٤)].

٤- صفة النزول:

أخبر النبي ﷺ أن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا وذلك كل ليلة[(٥)]، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له،

---

(١) انظر: الرد على الجهمية، للدارمي: ٥٣، والعلو للعلي الغفار للذهبي: ٢٣، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (في التوحيد)، للشيخ حافظ الحكمي، تحقيق: عمر أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط٣: ١/ ١٦١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه: ١/ ١٦١، برقم (١٥٧).

(٣) انظر: كتاب التوحيد لابن منده، تحقيق: علي الفقيهي، دار الغرباء، المدينة، ط٢: ٢/ ٩٣، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٣/ ٤١٤، والإبانة لابن بطة: ٣/ ٣٠٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة: ٤/ ٢١١٣، برقم (٢٧٥٩).

(٥) انظر: الإبانة لابن بطة: ٣/ ٢٠١، والتوحيد لابن خزيمة: ١/ ٢٨٩.

ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له»[١].

ثالثًا: توحيد الألوهية:

يقول تعالى منبهًا على قدرته التامة، وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء، وقهره لجميع المخلوقات وأنه المالك المتصرف في هذه الآيات الكونية العظمية، وهو المتفرد بذلك:

ومن ذلك تفرده بخلق السماوات والأرض، وتصرفه في الليل والنهار واختلافها في الأوصاف من النور والظلمة والطول والقصر، فهي آيات في خلقها وإحكامها وإتقانها يدل على وجوب إفراد الله بالعبادة وأن لا شريك معه غيره سبحانه وتعالى[٢]: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾[٤].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ الفتح: ١٥: ١٤٢٩ برقم (٧٤٩٤)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه: ١/ ٥٢١، برقم (٧٥٨).

(٢) تفسير القرطبي: ٢/ ١٩١-١٩٢، وتفسير السعدي: ١٦١.

(٣) آل عمران: ١٩٠-١٩١.

(٤) الأنعام: ٦٠.

﴿٣٠﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[(٣)]، "فالله ﷻ يظهر هذه الآيات ليستدل بها على أنه الحق، وأن كل ما سواه باطل، وأنه القادر على هذه الأشياء وحده، فكل ما في السماوات والأرض خلقه وعبيده، فوجب أن تكون العبادة له وحده لا إله إلا هو"[(٤)].

ومن الأدلة التي ذكرها الله ﷻ على أنه سبحانه هو المعبود وحده لا شريك له قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[(٥)].

"فخلْقُها وعظَمُها دالٌّ على كمال قدرته، وما فيها من الإحكام والانتظام والإتقان دال على كمال حكمته، وما فيها من المنافع والمصالح الضرورية وما دونها دال على سعة رحمته وذلك دال على سعة علمه، وأنه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له"[(٦)].

(١) لقمان: ٢٩-٣٠.
(٢) فاطر: ١٣-١٤.
(٣) الرعد: ٣.
(٤) تفسير الطبري: ٢٢/ ١٤٨، وانظر: تفسير القرطبي: ١٤/ ٧٩، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٣٥٠.
(٥) الأعراف: ٥٤.
(٦) تفسير السعدي: ٩١، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٠٤، والتحرير والتنوير: ٦/ ٣٧٨.

١- الاستعاذة:

أمر النبي ﷺ بالاستعاذة من الليل ومن شره وشر ما فيه[١]، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال: أراه قال فيهن: له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة، وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة، وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل، وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر، وإذا أصبح قال ذلك أيضا أصبحنا وأصبح الملك لله»[٢].

وقد أمر النبي ﷺ بالاستعاذة من الغاسق، وقد قيل إن الغاسق: هو الليل إذا أقبل بظلامه[٣]، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾[٤].

٢- القسم:

أقسم الله عز وجل بالليل والنهار "وهو سبحانه يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لتضمنه الآيات والعجائب الدالة عليه، وكلما كان أعظم آية وأبلغ في الدلالة كان إقسامه به أكثر من غيره" . . .

فهو "سبحانه إنما يقسم من مخلوقاته بما هو من آياته الدالة على ربوبيته ووحدانيته"[٥].

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي: ٩/ ٣٣٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل: ٤/ ٢٠٨٨، برقم (٢٧٣٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/ ٤٣٠، وتفسير البغوي: ٤/ ٧٢٥، وتفسير ابن كثير: ٨/ ٥٣٥.

(٤) الفلق: ١-٣.

(٥) مفتاح دار السعادة: ١/ ٣٠٣-٣٠٤، وانظر: إمعان في أقسام القرآن: ٩، ٤١.

فأقسم تعالى بالليل وقت إدباره، ووقت تغطيته وجه الأرض، والنهار وقت إسفاره وتجليته ما على الأرض، إلى غير ذلك، "لاشتمال المذكورات على آيات الله العظيمة، الدالة على كمال قدرة الله وحكمته، وسعة سلطانه، وعموم رحمته، وإحاطة علمه"[(١)].

فقال تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾﴾[(٤)].

رابعًا: الإيمان بالملائكة:

من الإيمان بالملائكة الإيمان بجميع ما أخبر الله به ورسوله ﷺ عنهم وعن أعمالهم، ومن ذلك أن النبي ﷺ أخبر أن لليل ملائكة وللنهار ملائكة ويجتمعون في صلاة الفجر[(٥)]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تفضل صلاة في الجميع على صلاة الرجل وحده خمسا وعشرين درجة، قال: وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر»، قال أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[(٦)]»[(٧)].

(١) تفسير السعدي: ٨٩٧، وانظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣١٢.
(٢) المدثر: ٣٢-٣٤.
(٣) الشمس" ١-٤.
(٤) الفجر: ٤.
(٥) انظر: فتح الباري: ٢/ ٣٦.
(٦) الإسراء: ٧٨.
(٧) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها: ١/ ٤٤٩، برقم (٦٤٩).

ومن أعمالهم أنهم يشهدون ويحضرون قراءة الليل[(١)]، عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أيكم خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر ثم ليرقد، ومن وثق بقيام من الليل فليوتر من آخره فإن قراءة آخر الليل محضورة وذلك أفضل»[(٢)].

وأن منهم من الموكل بحفظ أعمال بني آدم في الليل والنهار[(٣)]، كما في الحديث: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»[(٤)].

وأنهم يسبحون الله الليل والنهار[(٥)]، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[(٦)].

وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾[(٧)].

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم: ٣/ ٩٣، وفتح الباري: ١/ ١٠٦.
(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله: ١/ ٥٢٠، برقم (٧٥٥).
(٣) الإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة للشيخ صالح الفوزان، دار الوطن، الرياض، ط١: ١٨.
(٤) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما: ١/ ٤٣٩ برقم (٦٣٢).
(٥) تفسير ابن كثير: ٥/ ٣٣٦.
(٦) الأنبياء: ١٩-٢٠.
(٧) فصلت: ٣٧-٣٨.

خامسًا: الإيمان بالكتب:

أخبر الله ﷻ أنه أنزل هذا القرآن في الليل، بل أقسم على ذلك[(١)]، وبين أنه أنزله في ليلة مباركة[(٢)]، فقال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾[(٤)].

ولما ذكر الله ﷻ القرآن والأمر بتعظيمه في قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾[(٥)] ذكر من الآيات والأدلة ما يدل على صدق هذا القرآن العظيم وصحة ما اشتمل عليه من الحِكم والأحكام، ومن هذه الآيات التي ذكرها الليل والنهار[(٦)]، فقال تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾[(٧)].

وأقسم الله ﷻ على علو سند القرآن وجلالته بالليل إذا أدبر، وقيل أقبل، وبالصبح إذا انشق نوره[(٨)]، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩﴾[(٩)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٢٤٥، وتفسير السعدي: ٧٧١.
(٢) انظر: شرح النووي على مسلم: ٣/ ٩٣، فتح الباري: ١/ ١٠٦.
(٣) الدخان: ١-٣.
(٤) القدر: ١-٣.
(٥) الجاثية: ١-٢.
(٦) انظر: تفسير السعدي: ٧٧٥.
(٧) الجاثية: ٥-٦.
(٨) انظر: تفسير القرطبي: ١٩/ ٢٤٠، وتفسير السعدي: ٩١٢، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ١٥٢.
(٩) التكوير: ١٧-١٩.

سادسًا: الإيمان بالرسل:

من الإيمان بالرسل الإيمان بجميع ما أخبر الله به عنهم ومن ذلك الإسراء، وقد كان الإسراء بالنبي ﷺ ليلًا[(١)]، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾[(٢)].

فأسري به في ليلة واحدة إلى مسافة بعيدة جدا ورجع في ليلته، وأراه الله من آياته ما ازداد به هدى وبصيرة وثباتا وفرقانا، وهذا من اعتنائه تعالى به ولطفه.

ولما قال المشركون: أن الله ترك محمدًا ﷺ[(٣)] أقسم تعالى بالنهار إذا انتشر ضياؤه بالضحى، وبالليل إذا سجى وادلهمت ظلمته، على اعتناء الله برسوله ﷺ ونصره له[(٤)]، فقال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾[(٥)].

سابعًا: الإيمان باليوم الآخر:

أقسم الله تعالى بالقمر، وبالليل وقت إدباره، والنهار وقت إسفاره، على عظم النار يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ

---

(١) انظر: السنة لأحمد بن محمد بن هارون الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط١: ١/ ٢٣٩، والحجة في بيان المحجة: ١/ ٥٣٦، والإسراء والمعراج لمحمد بن ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، ط٥: ٧.

(٢) الإسراء: ١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والبر، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين: ٣/ ١٤٢١، رقم (١٧٩٧).

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٢٠/ ٩٢.

(٥) والضحى: ١-٣.

أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾[(١)]، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهَا﴾ أي النار ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾[(٢)] " أي لإحدى العظائم الطامة والأمور الهامة، فإذا أعلمناكم بها، وكنتم على بصيرة من أمرها، فمن شاء منكم أن يتقدم، فيعمل بما يقربه من ربه، ويدنيه من رضاه، ويزلفه من دار كرامته، أو يتأخر عما خلق له وعما يحبه الله ويرضاه، فيعمل بالمعاصي، ويتقرب إلى نار جهنم[(٣)].

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما أخبرت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام - من البعث والجزاء، وقد بين الله ﷻ من الأدلة على ذلك وعلى صدق ما جاءت به الرسل أنه سبحانه جعل الليل لباسًا وجعل النهار معاشا، وأنه أظلم الليل، وأبرز وأظهر النهار، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾[(٥)].

فالذي أنعم "بهذه النعم العظيمة، التي لا يقدر قدرها، ولا يحصى عددها، كيف تكفرون به وتكذبون ما أخبركم به من البعث والنشور؟! أم كيف

---

(١) المدثر: ٣٢-٣٤.
(٢) المدثر: ٣٥.
(٣) تفسير السعدي: ٨٩٧.
(٤) النبأ: ٦-١٧.
(٥) النازعات: ٢٧-٣٢.

تستعينون بنعمه على معاصيه وتجحدونها؟ "(١).

كما أن الله ﷻ أكد وقوع القيامة وما يتبعها من الأهوال وأقسم على ذلك بالنهار كله وبالليل وما جمعه(٢)، فقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ۝١٩﴾... الآيات(٣).

ثامنًا: مسائل الأسماء والأحكام:

خلق الله ﷻ الناس مؤمن وكافر، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾(٤) والله ﷻ في كتابه حينما يذكر الزمان ويذكر الليل والنهار يبين حال الناس بعدهما وأنهم فريقان مؤمن وكافر، مصدق ومكذب، مزكي لنفسه ومدسيها(٥)، واختيار القسم بالليل والنهار لبيان البون بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة(٦)، قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾(٧).

وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾(٨)، وقال تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ۝٣٤ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ۝٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧﴾(٩).

---

(١) تفسير السعدي: ٩٠٦.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٨/ ٣٥٩، والتفسير المنير: ٣٠/ ١٤٤.
(٣) الانشقاق: ١٦-١٩.
(٤) التغابن: ٢.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ٥٠.
(٦) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٧٨.
(٧) الليل: ١-٤.
(٨) الشمس: ١-١٠.
(٩) المدثر: ٣٢-٣٧.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الليل والنهار -:

١- اعتقاد أن الليل والنهار هما المتصرفان في إهلاك الناس:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الليل والنهار - اعتقاد أن الليل والنهار هما المتصرفان في إهلاك الناس، قال تعالى عن المشركين: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾[1]، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار»[2].

وقال تعالى: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾[3]، ومناسبة ذكره هذه الجملة: أن تقدير الليل والنهار وتعاقبهما من التصرفات الإلهية المشاهدة في أحوال السماوات والأرض وملابسات أحوال الإنسان، فهذه الجملة بدل اشتمال من جملة ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهو أيضا مناسب لمضمون جملة ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ تذكير للمشركين بأن المتصرف في سبب الفناء هو الله تعالى فإنهم يعتقدون أن الليل والنهار هما اللذان يفنيان الناس.

فإنه لما قال: "﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾ أبطل بعده اعتقاد أهل الشرك أن للزمان الذي هو تعاقب الليل والنهار والمعبر عنه بالدهر تصرفا فيهم"[4].

---

(١) الجاثية: ٢٤.

(٢) سبق تخريجه: ٣١٠.

(٣) الحديد: ٥-٦.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٧/٣٦٦.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- اعتقاد نزول الله ﷻ ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «فقدت رسول الله ﷺ ليلة، فخرجت فإذا هو بالبقيع، فقال: أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قلت يا رسول الله: إني ظننت أنك أتيت بعض نساءك، فقال: إن الله ﷻ ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب»(١).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا، فيقول ألا من مستغفر لي فأغفر له، ألا من مسترزق فأرزقه، ألا مبتلى فأعافيه، ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر»(٢).

وهي أحاديث ضعيفة.

أما نزول الله عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا فهو ثابت في الأحاديث الصحيحة(٣).

---

(١) رواه الترمذي، أبواب الصوم، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان برقم (٧٣٩)، وقال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه من الحجاج، وسمعت محمد بضعف هذا الحديث. وانظر: ضعيف سنن الترمذي برقم (٧٣٩).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، برقم (١٣٨٨). قال الألباني: ضعيف جدًا أو موضوع. وانظر: ضعيف سنن ابن ماجه برقم (١٣٨٨).

(٣) سبق تخريجه: ٢٢٩.

المبحث السادس
الحياة والموت

الحياة والموت في اللغة:

الحياة نقيض الموت كُتِبَتْ في المصحف بالواو ليعلم أَن الواو بعد الياء في حَدِّ الجمع وقيل على تفخيم الأَلف.

وحَيَّ يَحْيَا ويَحَيّ فهو حَيٌّ، وللجميع حَيُّوا بالتشديد، ولغة أُخرى حَيَّ، وللجميع حَيُوا خفيفة

والموت: الميم والواو والتاء أصلٌ صحيح يدلُّ على ذَهاب القُوّة من الشيء. منه المَوْتُ: خلاف الحياة، وقد مات يموت ويمات أيضًا.

ورجل مَيِّتٌ ومَيْتٌ، وقيل المَيْتُ الذي ماتَ، والمَيِّتُ والمائِتُ الذي لم يَمُتْ بَعْد، وقومٌ مَوتى وأَمواتٌ ومَيِّتُون ومَيْتون، والأُنثى مَيِّتة ومَيْتَة ومَيْتٌ والجمع كالجمع[(١)].

وفي الاصطلاح:

الحياة: يواجه معظم الناس بعض الصعوبات، في التمييز بين الكائنات الحية والجماد، ويعد الناس الأشياء كائنات حية إذا كان لديها القدرة على القيام ببعض الأنشطة مثل النمو والتكاثر... أما علماء الأحياء فيجدون صعوبات شديدة في تعريف الحياة، على الرغم من معرفتهم الواسعة بالأحياء. وتكمن هذه الصعوبة في تحديد الخط الفاصل بين الكائنات الحية

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٢٨٣، لسان العرب: ٢/ ١٠٧٥، ٦/ ٤٤٩٤، الصحاح: ٢/ ٢٨٨، ٧/ ١٧٣.

والجماد. فالفيروس على سبيل المثال، يعد جسيما بدون حياة وهو خارج الخلية الحية، ولكنه يكون أكثر نشاطا ويتكاثر بسرعة داخل الخلية الحية. وبدلا من إيجاد التعريف الدقيق للحياة، ركز علماء الأحياء بعمق على فهم الحياة عن طريق دراسة الكائنات الحية نفسها. ويطلق على العلم الذي يهتم بدراسة الحياة اسم علم الأحياء(١).

أما الموت فهو خروج الروح إلى بارئها، حيث ينتقل الشخص بعد ذلك إلى حياة برزخية ثم تقوم قيامته؛ وهو نهاية الحياة؛ فكل شيء حي نهايته الموت، ولكن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يستطيع أن يدرك الموت ويتخيله.

أما الأوجه الطبية للموت: فقد لاحظ العلماء ثلاثة أنواع للموت. وهذه الأنواع هي: البلى الفيزيولوجي، والنخر، والموت الجسدي.

والبلى الفيزيولوجي أو البلي الوظيفي: هو استمرار موت وتجدد الخلايا كل على حده أثناء الحياة. فباستثناء الخلايا العصبية فإن كل خلايا الكائن يستمر تجددها بمعدل ثابت. وعلى سبيل المثال، تتكون خلايا الجلد الجديدة تحت السطح لأن الخلايا القديمة تموت وتزول.

ويعني النخر: موت الأنسجة أو حتى العضو كله. فأثناء النوبة القلبية، على سبيل المثال، يوقف تجلط الدم وصوله إلى جزء من القلب، فيموت الجزء المتأثر، ولكن الكائن الحي يستمر في الحياة ما لم يكن التلف شديدا.

والموت الجسدي، نهاية كل عمليات الحياة في الكائن. فالشخص الذي يتوقف قلبه ورئتاه عن العمل قد يعتبر ميتا سريريا، ولكن الموت الجسدي ربما لا يكون قد حدث بعد؛ لأن الخلايا المنفردة تستمر في الحياة لعدة

---

(١) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٩/ ٥٩٣.

دقائق. وقد يعود الشخص إلى الحياة مرة أخرى إذا عاود القلب والرئتان العمل مرة ثانية، وأعطيت الخلايا حاجتها من الأكسجين. وبعد حوالي ثلاث دقائق تبدأ خلايا الدماغ وهي الأكثر حساسية لنقص الأكسجين في الموت، وغالبًا ما يتبعها موت الإنسان في الحال، وتستحيل إعادة الحياة إلى جسده. وتدريجيا تبدأ خلايا الجسم الأخرى كذلك في الموت. وآخر ما يموت خلايا العظم والشعر والجلد التي قد تستمر في النمو لعدة ساعات(١).

وقد ورد لفظ الحياة في القرآن في (٧١) مواضعًا(٢)، وورد لفظ الموت في (٣٥) موضعا(٣).

وذكر أهل التفسير أن الحياة في القرآن على خمسة أوجه(٤): -

أحدها: نفخ الروح في الحيوان بالخلق الأول، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾(٥) أي: نطفا فنفخ فيها الروح. وقال تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾(٦)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾(٧)، وقوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾(٨)، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾(٩).

---

(١) انظر: المصدر السابق: ٢٤/٣٥٨، بتصرف يسير.
(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٢٨٣-٢٨٦.
(٣) انظر: المصدر السابق: ٨٥١-٨٥٤.
(٤) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ٢٥٣، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٢/٥١٢.
(٥) البقرة: ٢٨.
(٦) آل عمران: ٢٧.
(٧) الحج: ٦٦.
(٨) غافر: ١١.
(٩) الجاثية: ٢٦.

والثاني: إحياء الموتى بعد خروج الأرواح منهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾[(٢)].

والثالث: الهدى، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾[(٥)].

والرابع: البقاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾[(٦)]، وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[(٧)]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[(٨)].

والخامس: حياة الأرض بالنبات، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾[(٩)].

أما الموت فقد ذكر بعض المفسرين أنه في القرآن على سبعة أوجه[(١٠)]: -

أحدها: الموت نفسه. ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[(١١)]،

---

(١) آل عمران: ٤٩.
(٢) القيامة: ٤٠.
(٣) الأنعام: ١٢٢.
(٤) يس: ٧٠.
(٥) فاطر: ٢٢.
(٦) البقرة: ٤٩.
(٧) البقرة: ١٧٩.
(٨) المائدة: ٣٢.
(٩) فاطر: ٩.
(١٠) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ٥٧١، وبصائر ذوي التمييز: ٤/ ٥٣٦.
(١١) آل عمران: ١٨٥.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾[2].

والثاني: النطفة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾[4]، فالموتة الأولى كونهم نطفا.

والثالث: الضلال. ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾[7].

والرابع: الجدب. ومنه قوله تعالى: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾[9]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾[10]، وكل بلد ميت في القرآن فالمراد به الأرض المجدبة.

والخامس: الحرب. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾[11].

(١) الزمر: ٣٠.
(٢) الجمعة: ٨.
(٣) البقرة: ٢٨.
(٤) غافر: ١١.
(٥) الأنعام: ١٢٢.
(٦) النمل: ٨٠.
(٧) فاطر: ٢٢.
(٨) فاطر: ٩.
(٩) يس: ٣٣.
(١٠) الزخرف: ١١.
(١١) آل عمران: ١٤٣.

والسادس: الجماد. ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾[(١)]، يعني الأوثان.

والسابع: الكفر. ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾[(٢)]، فالميت ها هنا الكافر.

(١) النحل: ٢١.

(٢) آل عمران: ٢٧.

الدلائل العقدية للآيات الكونية - الحياة والموت -:

قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾[(١)].

في هذه الآيات التعظيم للخالق سبحانه وتعالى والتأكيد على تفرده بالربوبية والألوهية.

وأنه سبحانه وتعالى خلق الموت والحياة ليبلو الناس أيهم أحسن عملا. ومن لوازم تفرده سبحانه وتعالى بكل ذلك ألا يعبد غيره، ولا يقصد سواه بدعاء أو رجاء أو طلب، ولا يشرك في عبادته أحد، وأن ينزه فوق كل وصف لا يليق بجلاله.

وفيها أيضًا بيان حكمة الرب وكمال قدرته ومشيئته في خلق الضدين - الحياة والموت - إذ بذلك تعرف ربوبيته وقدرته وملكه وعجز المخلوقين[(٢)].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣﴾[(٣)].

وهذه سنة الله في خلقه، منذ خلق آدم عليه السلام وحتى يوم القيامة فالبشرية مهما أوتيت من قوة وعلم فلن تستطيع أن تخلق أحدا، ولن تجد لها من الموت مهربًا ومخرجًا، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ

---

(١) الملك: ١-٢.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة: ٢/ ٦٢٥، ومدارج السالكين: ٢/ ١٩٤.

(٣) الحج: ٧٣.

ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا شأن هذه الآيات الكونية: " فصل وإذا تأملت ما دعى الله سبحانه في كتابه عباده الى الفكر فيه أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى، وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته وإحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وغضبه وثوابه وعقابه، فبهذا تعرّف إلى عباده وندبهم إلى التفكر في آياته، ونذكر لذلك أمثلة مما ذكرها الله سبحانه في كتابه يستدل بها على غيرها، فمن ذلك خلق الإنسان وقد ندب سبحانه إلى التفكر فيه والنظر في غير موضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ﴾[٥].

وهذا كثير في القرآن يدعو العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره، إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار

(١) الأحزاب: ٣٨.
(٢) الأحزاب: ٦٢.
(٣) الطارق: ٥.
(٤) الذاريات: ٢١.
(٥) الحج: ٥.

في الوقوف على بعضه، وهو غافل عنه معرض عن التفكر فيه، ولو فكر في نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره، قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾[(١)]، فلم يكرر سبحانه على أسماعنا وعقولنا ذكر هذا لنسمع لفظ النطفة والعلقة والمضغة والتراب، ولا لنتكلم بها فقط ولا لمجرد تعريفنا بذلك بل لأمر وراء ذلك كله، هو المقصود بالخطاب وإليه جرى ذلك الحديث"[(٢)].

وهو أن تظهر للعباد قدرة الرب في خلق المتضادات المتقابلات، وفي ذلك أدل الدلائل على كمال قدرة الله وعزته وسلطانه وملكه[(٣)].

أولًا: وجود الله:

قد دلت هذه الآية الكونية على وجود الله، فإن خلقها ووجودها بعد العدم، وتسخيرها دليل قاطع على وجود الله ﷻ، وذلك لافتقار المخلوق إلى الخالق، واحتياج المحدَث إلى المحدِث[(٤)].

"وشواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لهما من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه"[(٥)].

وأخبر الله ﷻ عن محاجة إبراهيم عليه السلام للنمرود في وجود الله، وكان النمرود ينكر وجود الله ﷻ، وأن يكون ثم إله غيره، وأنه يحي ويميت،

(١) عبس: ١٧-٢٢.
(٢) مفتاح دار السعادة: ١/ ١٨٧ باختصار.
(٣) انظر: مدارج السالكين: ٢/ ١٩٤.
(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ١٦/ ٤٤٥، والأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد: ٢٠٩-٢٢٦.
(٥) تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٨٢.

فاستدل إبراهيم عليه السلام على وجود الله، وأنه المالك المتصرف المستحق للعبادة وحده - بأن الله هو الذي يحي ويميت - بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[(١)].

"فحدوث هذه الأشياء المشاهدة وإيجادها بعد العدم، وعدمها بعد الوجود دليل على وجود الله؛ لأنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب، الذي يحيي ويميت والذي يتصرف في الوجود، في خلق ذواته، وتسخير كواكبه وحركاته"[(٢)].

وفي" ضمن هذه المناظرة من حسن الاستدلال بأفعال الرب المشهودة المحسوسة التي تستلزم وجوده وكمال قدرته ومشيئته وعلمه ووحدانيته من الإحياء والإماتة المشهودين الذين لا يقدر عليهما إلا الله وحده، وإتيانه تعالى بالشمس من المشرق لا يقدر أحد سواه على ذلك"[(٣)]، وهذا برهان لا يقبل المعارضة بوجه.

ثانيًا: توحيد الربوبية:

يخبر الله عز وجل أنه مالك الملك وأن له الملك المطلق والتدبير كله، وذكر من ذلك بعض التصاريف التي انفرد بها سبحانه وتعالى ومنها الإحياء والإماتة.

وهذا أعظم دليل على قدرة الله، وأن جميع الأشياء مسخرة مدبرة لا

---

(١) البقرة: ٢٥٨.
(٢) المرجع السابق: ١/ ٦٨٦، وانظر: تفسير السعدي: ١١١.
(٣) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٨٥.

تملك من التدبير شيئا[١]، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾[٢].

ومن الأدلة على تفرد الله ﷻ بالخلق والتدبير والإماتة والإحياء قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾[٣].

فهذا الرجل الذي مر على قرية خاوية على عروشها قد باد أهلها وفني مكانها، قال جهلًا بقدرة الله: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ﴾ فأماته الله ﷻ وحماره، ثم أحياه وحماره، وفي هذا أعظم دليل على تفرده سبحانه بالإحياء والإماتة[٤].

كما أخبر الله ﷻ في عدة آيات أن له ملك السماوات والأرض وأن هو المحيي المميت فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ

(١) تفسير السعدي: ١٢٦.
(٢) آل عمران: ٢٦-٢٧.
(٣) البقرة: ٢٥٩.
(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٣/ ٢٩٠.
(٥) التوبة: ١١٦.

وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾[(١)].

فقوله: ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾: "لتصوير معنى الملك في أتم مظاهره المحسوسة للناس المسلم بينهم أن ذلك من تصرف الله تعالى لا يستطيع أحد دفع ذلك ولا تأخيره"[(٢)].

ومن الأدلة على تفرد الله ﷻ بالخلق أنه سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام من غير أب ولا أم، وخلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب، وخلق باقي الخلق من أم وأب، قال تعالى عن آدم وعيسى عليهما السلام: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾[(٣)]، وقال أيضا عن عيسى عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾[(٤)] وقال عن بقية الخلق: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[(٦)]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[(٧)].

---

(١) الملك: ١-٢.
(٢) التحرير والتنوير: ١١/ ٤٨، وانظر: تفسير ابن كثير: ٨/ ١٧٦.
(٣) آل عمران: ٥٩.
(٤) آل عمران: ٤٥-٤٧.
(٥) النحل: ٤.
(٦) غافر: ٦٧.
(٧) النجم: ٤٥-٤٦.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا»(١).

وفيه إثبات خلق الله عز وجل لآدم عليه السلام(٢).

ثالثًا: توحيد الأسماء والصفات:

١- التسبيح:

أخبر الله عز وجل أنه يسبح له ما في السماوات والأرض، فقال: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾(٣) ثم علل ذلك التسبيح بأن له ملك السماوات والأرض فله ملك العوالم العليا والعالم الدنيوي، ومن ضمن ذلك أنه يحيي ويميت، فقال تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾(٤).

"فالإحياء والإماتة مما يشتمل عليه معنى ملك السماوات والأرض؛ لأنهما من أحوال ما عليهما، وتخصيص هذين بالذكر للاهتمام بهما لدلالتهما على دقيق الحكمة في التصرف في السماء والأرض، ولظهور أن هاذين الفعلين لا يستطيع المخلوق ادعاء أن له عملا فيهما، وللتذكير بدليل إمكان البعث الذي جحده المشركون، وللتعريض بإبطال زعمهم إلهية أصنامهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾(٥)"(٦).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته: ٦٣٤، برقم (٣٣٢٦)، وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير: ٤/ ٢١٨٣، برقم (٢٨١٤).

(٢) فتح الباري: ٦/ ٣٦١.

(٣) الحديد: ١.

(٤) الحديد: ٢.

(٥) الفرقان: ٣.

(٦) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٣٥٨.

٢- العلم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾[١].

في هذه الآية بيان سعة علم الله، وأن ما ذكر فيها من مفاتيح الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها؛ ومنها أنه لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه الله تعالى سواه، وكذلك لا تدري نفس بأي أرض تموت في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك[٢].

كما أخبر الله ﷻ عن عموم علمه وسعة اطلاعه وإحاطته بكل شيء، وأنه هو الذي يخلق الخلق، وأنه يعلم ما تحمل كل أنثى وما تسقطه الأرحام قبل التسعة الأشهر، وما تزد فوق التسعة[٣]، فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾[٤].

وكان رسول الله ﷺ يدعو ربه: الحياة على الخير أو الوفاة على الخير، ويتوسل إليه بصفة العلم والقدرة على الخلق: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي»[٥].

---

(١) لقمان: ٣٤.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١٤/ ٨٢، وتفسير ابن كثير: ٦/ ٣٩٢.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٩/ ٢٨٦، وتفسير السعدي: ٤١٤.

(٤) الرعد: ٨-٩.

(٥) سنن النسائي، كتاب السهو، باب (٦٢): ١٥٤، برقم (١٣٠٥)، ومسند أحمد:

=

٣- المحيي والمميت:

وهاتان الصفتان ثابتة بالكتاب والسنة، وهما صفتان فعليتان[(١)]، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[(٣)] وفي الحديث: «اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»[(٤)].

وقد ذكر إبراهيم عليه السلام هاتين الصفتين في خصائص المعبود الحق، فقال في وصف رب العالمين[(٥)]: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾[(٦)].

٤- اليد:

صفة اليد من الصفات الثابتة لله عز وجل ومما يتعلق بهذه الآية الكونية - الموت - فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الموت بيد الله عز وجل.

= ٣٠/ ٢٦٥، برقم (٨٣٢٥) وقال محققه: "حديث صحيح"، وصححه الألباني. انظر: صحيح سنن النسائي: ١/ ٢٨٠.

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي: ١/ ١٨٦.

(٢) الحج: ٦٦.

(٣) فصلت: ٣٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب تمني كراهة الموت لضر نزل به: ٤/ ٢٠٦٤، برقم (٢٦٨٠).

(٥) انظر: تفسير السعدي ص: ٥٩٢.

(٦) الشعراء: ٧٥-٨١.

فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال لي أنفق عليك، وقال رسول الله يمين الله ملآى لا يغيضها سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماء والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه قال وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض»[(١)].

ومعنى القبض الموت[(٢)].

٥- التردد:

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»[(٣)].

في هذا الحديث أن الله يكره أن يفعل شيئًا يكرهه عبده المؤمن، وهو يتعلق بهذه الآية الكونية - الموت - فيتردد لا للشك أو كون هذا مصلحة أو غير مصلحة، أي ليس عن جهل، لكن يتردد من جهة ما يتعلق بالعبد، هل يفعله والعبد يكره ذلك، أم لا يفعله.

"فالتردد نوعان: تردد للشك في النتيجة، وهذا منزه عنه الله ﷻ لأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء، وتردد بما يتعلق بالغيب مع العلم

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف: ٢/ ٦٩٠، برقم (٩٩٣).
(٢) انظر: شرح النووي على مسلم: ٣/ ٤٣٤، وفتح الباري: ١٣/ ٣٩٥.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع: ١٢٤٦، برقم (٦٥٠٣).

بالنتيجة، وهذا يوصف الله به وليس فيه نقص بأي وجه من الوجوه"(١).

رابعًا: توحيد الألوهية:

في تقرير الله ﷻ لألوهيته، واحتجاجه على المشركين بما يقرون به يقول تعالى منبهًا على قدرته التامة، وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء، وقهره لجميع المخلوقات وأنه المالك المتصرف في هذه الآية الكونية - الحياة والموت -، وهو المتفرد بذلك(٢):

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾(٤).

كما قرر الله هذا التوحيد، وأنكر على المشركين دعوتهم غير الله معه، وبأنه سبحانه هو الخالق للعباد وهو المحيي والمميت لهم، فإذا كان هو الذي يفعل ذلك وحده فيجب أن يعبد وحده(٥)، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ

---

(١) لقاءات الباب المفتوح للشيخ محمد بن عثيمين: ٥١-٦٠، دار الوطن، الرياض: ٢١٥، وانظر: مجموع الفتاوى: ١٠/ ٥٨، ١٨/ ١٢٩.
(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٢٥/ ٢٨٤.
(٣) الأنعام: ٦٠-٦٢.
(٤) التوبة: ١١٦.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٥/ ٤٥١، وتفسير السعدي: ٤٨/ ٦٤٣، ٧٤٢.

ﵟٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٦٨ﵞ[(١)].

وقال تعالى: ﵟوَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ٦٦ﵞ[(٢)]، وقال تعالى: ﵟكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ﵞ[(٣)].

وقال تعالى: ﵟٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٠ﵞ[(٤)].

وإبراهيم عليه السلام تبرأ من جميع الآلهة التي تعبد إلا الله رب العالمين الذي يحيي ويميت[(٥)]، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﵟقَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢ﵞ[(٦)].

١- فضل التوحيد:

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن فضل التوحيد، وأنه من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، فعلق هذه الفضل بالموت عليه[(٧)]، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار، وقلت: إنه من

---

(١) غافر: ٦٧-٦٨.
(٢) الحج: ٦٦.
(٣) البقرة: ٢٨.
(٤) الروم: ٤٠.
(٥) انظر: تفسير القرطبي: ١٣/ ١٠، وتفسير ابن كثير: ٦/ ١٤٥.
(٦) الشعراء: ٧٥-٨٢.
(٧) انظر: شرح النووي على مسلم: ١/ ١٩٧.

مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة»[(١)]. وفي حديث أبي ذر ﵁ أن جبريل ﵇ قال للنبي ﷺ: «بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة»[(٢)].

٢- الاستعاذة:

أمر النبي ﷺ بالاستعاذة بالله من فتنة المحيا والممات أي فتنة الحياة والموت[(٣)].

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»[(٤)].

خامسًا: الإيمان بالملائكة:

من الإيمان بالملائكة الإيمان بجميع ما أخبر الله عنه، وأخبر عن رسوله ﷺ عنهم وعن أسمائهم، ومن ذلك ملك الموت[(٥)]، وكذلك الإيمان بأعمالهم التي وكلهم الله بها، ومن ذلك الملائكة الموكلة بقبض الأرواح.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[(٦)].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات مشركًا دخل النار: ١/ ٩٤، برقم (٩٢).
(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة: ٢/ ٦٨٧ برقم (٩٤).
(٣) انظر: شرح النووي على مسلم: ٥/ ٨٥، ١٧/ ٣٠.
(٤) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في صلاة: ١/ ٤١٢، برقم (٥٨٨).
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٦١، والإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة: ١٧.
(٦) السجدة: ١١.

ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾[٤].

ومن الملائكة الملك الموكل بالأرحام ونفخ الروح[٥]، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك، مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»[٦].

سادسًا: الإيمان بالكتب:

أخبر الله ﷻ أن القرآن الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ مهيمنا على جميع الكتب، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾[٧]، كما أخبر تعالى عن فضل القرآن على غيره من

---

(١) الأنعام: ٦١.
(٢) النساء: ٩٧.
(٣) النحل: ٣٢.
(٤) محمد: ٢٧.
(٥) انظر: شرح النووي عل مسلم: ٨/ ٤٨٩، والإيمان بالملائكة وأثره على الأمة: ١٧.
(٦) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته: ٤/ ٢٠٣٦، برقم (٢٦٤٣).
(٧) المائدة: ٤٨.

الكتب أنه لو كان في الكتب الماضية كتاب يكلم الموتى لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره[(١)]، وذلك "لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنس والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله، ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به، جاحدون له"[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ﴾[(٣)].

ولما أخبر الله عن القرآن أنه منزل من عنده في قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾[(٤)] أيد ذلك بما ذكره من الآيات الأفقية والنفسية، وذكر منها خلق الإنسان وإحياء الأرض بعد موتها، فقال: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾[(٥)].

"فهذه كلها آيات بينات وأدلة واضحات على صدق هذا القرآن العظيم وصحة ما اشتمل عليه من الحكم والأحكام، ودالات أيضا على ما لله تعالى من الكمال وعلى البعث والنشور"[(٦)].

---

(١) انظر: تفسير السعدي: ٤١٨، والتحرير والتنوير: ١٣/ ١٤٣.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٦٠، وانظر: تفسير الطبري: ١٦/ ٤٤٩.
(٣) الرعد: ٣١.
(٤) الجاثية: ١-٢.
(٥) الجاثية: ٣-٦.
(٦) تفسير السعدي: ٧٧٥.

سابعًا: الإيمان بالرسل:

من الإيمان بالرسل الإيمان بالآيات التي أيد الله بها رسله، ومن تلك الآيات الآية التي أظهرها الله ﷻ لقوم عيسى عليه السلام وأنه كان يحيي الموت[(١)]، قال تعالى عن عيسى عليه السلام ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾[(٢)].

وأي "آية أعظم من جعل الجماد حيوانا، وإبراء ذوي العاهات التي لا قدرة للأطباء في معالجتها، وإحياء الموتى، والإخبار بالأمور الغيبية، فكل واحدة من هذه الأمور آية عظيمة بمفردها، فكيف بها إذا اجتمعت وصدق بعضها بعضها؟ فإنها موجبة للإيقان وداعية للإيمان"[(٣)].

ومن دلائل نبوة الأنبياء الكرامات التي يجريها الله ﷻ على يدي أتباع الرسل، إجابة لدعوتهم ونصرة لهم، ومن ذلك ما أخبر الله به عن قوم موسى عليه السلام حين أمرهم بضرب القتيل ببعض البقرة، فقام وأخبر بمن قتله، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾[(٤)].

ومن دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ فيما يتعلق بهذه الآيات - الحياة والموت - أنه أخبر بطول حياة الصحابي رويفع رضي الله عنه، فوقع كما أخبر[(٥)]

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ٤٥، وفتح الباري: ٦/ ٤٧٥.
(٢) آل عمران: ٤٩.
(٣) تفسير السعدي: ١٣١.
(٤) البقرة: ٧٢-٧٣.
(٥) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، المكتب
=

حيث طالت حياته إلى سنة ٥٦ للهجرة[(١)].

فعن رويفع ﷺ قال: قال لى رسول الله ﷺ: «يا رويفع لعل الحياة ستطول بك بعدى فأخبر الناس أنه من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمدا منه بريء»[(٢)].

ومن آيات الرسل أن الله ﷻ يخبرهم عند قبض أرواحهم[(٣)]، عن أبي سعيد الخدري ﷺ: «أن رسول الله جلس على المنبر، فقال إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده فبكى أبو بكر، وقال فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له، وقال الناس انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله هو المخير، وكان أبو بكر هو أعلمنا به»[(٤)].

ثامنًا: الإيمان باليوم الآخر:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما أخبرت به الرسل - عليهم الصلاة

= الإسلامي، بيروت، ط٢: ١/ ١٥١.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٦.

(٢) سنن أبى داود، كتاب الطهارة، باب ما ينهى عنه أن يتنجى به: ٢٩ برقم (٣٦)، وسنن النسائي، كتاب الزينة، باب عقد اللحية: ٥١٩، برقم (٥٠٦٧).
قال ابن الملقن إسناده جيد، انظر: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير لابن الملقن، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وآخرين، دار الهجرة، الدمام، ط١: ٢/ ٣٥٢. وصحيح سنن أبي داود: ١/ ١٠.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته: ٨٤٠، برقم (٤٤٣٧)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها: ٤/ ١٨٩٣، برقم (٢٤٤٤).

(٤) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة: ٧٤٠، برقم (٣٩٠٤).

والسلام - من البعث والجزاء، وقد بين الله ﷻ من الأدلة على ذلك وعلى صدق ما جاءت به الرسل إحياء الموتى، وذكر على ذلك أمثلة فقال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾(٣) وغيرها من الآيات.

فالذي أحيا هؤلاء الأموات قادر على أن يحيى جميع الخلق وفيه دليل على البعث(٤).

وفي جملة الأدلة التي استدل الله بها على منكري البعث ذكر الله ﷻ أنه يحي ويميت، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾(٥).

"فكان افتتاحه بأن الله هو المتوحد بملك ما في السماوات والأرض فهو

---

(١) البقرة: ٢٥٩.
(٢) البقرة: ٧٢- ٧٣.
(٣) البقرة: ٥٥-٥٦.
(٤) انظر: أضواء البيان: ٣/ ٢٠٤.
(٥) يونس: ٥٥-٥٦.

يتصرف في الناس وأحوالهم في الدنيا والآخرة تصرفا لا يشاركه فيه غيره فتصرفه في أمور السماء شامل للمغيبات كلها، ومنها إظهار الجزاء بدار الثواب ودار العذاب وتصرفه في أمور الأرض شامل لتصرفه في الناس. ثم أعقب بتحقيق وعده، وأعقب بتجهيل منكريه، وأعقب بالتصريح بالمهم من ذلك وهو الإحياء والإماتة والبعث"(١).

كما استدل الله ﷻ على البعث بأصل الخلق فقال تعالى في الإنكار على من استبعد وقوع البعث بعد الموت: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾(٤).

أما الآخرة فقد أخبر الله ﷻ بأنه من قدم عليه مجرمًا كافرًا بالله فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ

(١) التحرير والتنوير: ١١/١٩٩.
(٢) القيامة: ٣٦-٤٠.
(٣) الأنبياء: ١٠٤.
(٤) الحج: ٥-٧.

جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾[١]، وقال أيضًا عن الكافر الأشقى: ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾[٢].

فالمعذب "فيها لا يموت ولا يحيا، لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة يتلذذ بها، وإنما حياته محشوة بعذاب القلب والروح والبدن، الذي لا يقدر قدره، ولا يفتر عنه ساعة، يستغيث فلا يغاث، ويدعو فلا يستجاب له"[٣].

وأخبر النبي ﷺ أنه يؤتى بالموت في الآخرة فيذبح، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون»[٤].

تاسعًا: الإيمان بالقدر:

من الإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله وخلقه وقدرته ومشيئته، وقد نبه الله ﷻ على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتضادة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾[٦] إلى غيرها من الآيات.

---

(١) طه: ٧٤.
(٢) الأعلى: ١٢-١٣.
(٣) تفسير السعدي: ٥٠٩، وانظر: التحرير والتنوير: ١٨/ ١٥.
(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ مريم: ٣٩: ٩١٤ برقم (٤٧٣٠).
(٥) النجم: ٤٤.
(٦) الشعراء: ٨١.

وفي هذا دليل على علم الله ومشيئته وقدرته[(١)].

كما أخبر الله ﷻ أنه لن تموت نفس إلا بإذنه وتقديره حتى تستوفي المدة التي ضربها الله لها[(٢)] وأنه لا ينفع ولا يدفع الحذر من القدر، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[(٣)].

كما أخبر النبي ﷺ أن الآجال مكتوبة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»[(٤)].

عاشرًا: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:

١- ضرب الأمثال:

ضرب الله ﷻ مثلًا للمؤمنين بالأحياء، والكافرين بالأموات، وأنهم لا يستوون[(٥)]، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾[(٦)].

٢- استخدام الألفاظ الشرعية:

ورد في القرآن إطلاق لفظ الموت على الجمادات، وهو أيضا مشهور في لغة العرب[(٧)]، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ

(١) انظر: تفسير السعدي: ٦٨٨.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٢/ ١٢٩، ٢/ ٢٦٠، وتفسير السعدي: ٧٢٥.
(٣) آل عمران: ١٤٥.
(٤) سبق تخريجه: ٥٣٠.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٥٤٢.
(٦) فاطر: ٢٢.
(٧) انظر: شرح التدمرية للشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، إعداد: عبالرحمن بن صالح =

يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٠﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾[(٣)]، ففي هذا الرد على الغلاة نفاة الأسماء والصفات الذين ينفون الموت والحياة عن الجمادات، ويزعمون أن الجمادات لا يقال لها حية ولا ميتة، ويصح نفيها عما ليس قابلًا لهما[(٤)].

الحادي عشر: مسائل الأسماء والأحكام:

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الخلود في النار معلق بالموت على الكفر، وأن التوبة مقبولة ما لم يغرر العبد[(٥)]، وهم يرجون للمحسن، ويخافون على المسيء ولا يعلمون ما يختم للرجل، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[(٦)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

= السديس، دار التدمرية، ط١: ١٦٠-١٦٢.

(١) النحل: ٢٠-٢١.

(٢) المائدة: ١١٠.

(٣) الأعراف: ١١٧.

(٤) المرجع السابق: ٢٣١.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ٢/ ١٨٨، تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٣٨، والحجة في بيان المحجة: ١/ ٥١٧، وإعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد: ١/ ٢٥٥.

(٦) البقرة: ٢١٧.

وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾[(١)].

أما التوبة قبل الموت، فقد قال الله تعالى فيها: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾[(٢)].

وقال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرر»[(٣)].

---

(١) آل عمران: ٩١.

(٢) النساء: ١٨.

(٣) سنن الترمذي: كتاب الدعوات، باب (٩٨): ٥٥٦ برقم (٣٥٣٧)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ومسند الإمام أحمد: ١٠/ ٣٠٠ برقم (٦١٦٠)، وقال محققه: إسناده حسن.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الحياة والموت -:

أولًا: إنكار الحياة بعد الموت:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الحياة والموت - إنكار الحياة بعد الموت، قال الله تعالى مخبرًا عن المكذبين بالبعث: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾[1].

ورد الله عليهم قولهم بأن الذي بدأ الخلق فإن الإعادة عليه أهون[2]، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾[4].

ثانيًا: نسبة الإحياء والإماتة إلى الدهر:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الحياة والموت - نسبة الإحياء والإماتة إلى الدهر، قال تعالى مخبرًا عن حال المشركين: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[5] فأكذبهم الله في قولهم هذا فقال: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[6]، ثم بين أن الذي

(١) مريم: ٦٦-٦٧.
(٢) انظر: تفسير السعدي: ٤٩٨.
(٣) الروم: ٢٧.
(٤) مريم: ٦٧.
(٥) الجاثية: ٢٤.
(٦) الجاثية: ٢٤.

يحيى ويميت هو الله تعالى[(١)]، فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾[(٢)].

ثالثًا: القول بأن الموت أمر عدمي:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآيات الكونية - الحياة والموت - القول بأن الموت أمر عدمي، فإذا انعدمت الحياة مات المخلوق الحي، ويكون معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ﴾[(٣)] أي قدر.

وأهل السنة والجماعة على أن الموت أمر وجودي[(٤)].

ويؤكد ذلك حديث ذبح الموت الذي رواه أبوسعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يؤتي بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه. ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول المنادي: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ ﷺ قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾[(٥)]»[(٦)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٢٦٩.
(٢) الجاثية: ٢٦.
(٣) الملك: ٢.
(٤) انظر: درء التعارض: ٢/ ٢٨٣، وشرح الطحاوية: ٧٩، وتفسير ابن كثير: ٨/ ١٧٦، تتمة أضواء البيان: ٨/ ٣٣١.
(٥) مريم: ٣٩.
(٦) سبق تخريجه: ٥٣٦.

رابعًا: إنكار ذبح الموت يوم القيامة:

من المخالفات المتعلقة بهذه الآية الكونية - الحياة والموت - إنكار ذبح الموت، وقد جاء بذلك الحديث الصحيح وأنه يؤتى بالموت في صورة كبش أملح[(١)] فقيل معنى: "ثم يذبح: "ذاك شيء يخلق الله عند ذبحه علما ضروريا في قلوبهم أنه لا موت بعد ذلك، ولو شاء لخلق العلم من غير ذبح أيضا، لكن لا يسأل عما يفعل، وإلا فالموت على تقدير فرض تجسمه وذبحه لا يوجب ذبحه العلم بعدم الموت بعد ذلك، لإمكان خلق مثله وإعادته كما أعاد الموتى المذبوحين منهم وغيرهم"[(٢)].

وقيل: "الموت معنى والمعاني لا تنقلب جوهرا وإنما يخلق الله أشخاصا من ثواب الأعمال وكذا الموت يخلق الله كبشا يسميه الموت ويلقى في قلوب الفريقين أن هذا الموت يكون ذبحه دليلا على الخلود في الدارين"[(٣)].

والصحيح أنه لا مانع من ذلك فالله على كل شيء قدير، وذلك أنه ينشئ من الأعراض أجسامًا يجعلها مادة لها، كما ثبت في صحيح مسلم في حديث أن البقرة وآل عمران يجيئان كأنهما غمامتان[(٤)] ونحو ذلك من الأحاديث، وأن الأعمال توضع في ميزان والله على كل شيء قدير[(٥)].

(١) سبق تخريجه: ٥٣٦.

(٢) حاشية مسند الإمام أحمد لأبي الحسن محمد السندي، تحقيق: نور الدين طالب، وزارة الأوقاف القطرية، ط١: ٦/ ٣٧٠.

(٣) انظر: تفسير الرازي: ١/ ٢٩٨٣، وفتح الباري: ١١/ ٤٢١، وعارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي لابن العربي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٠/ ٢٧، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي: تحقيق: الصادق بن إبراهيم، دار المنهاج، ط١: ٢/ ٩٢٧.

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة: ١/ ٥٥٤ برقم (٨٠٥).

(٥) انظر: شرح الطحاوية: ٧٩، والتفسير القيم لابن القيم جمع محمد أويس الندوي،
=

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- حديث قبض ملك الموت لداود عليه السلام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان داود النبي فيه غيرة شديدة، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع»، قال: **" فخرج ذات يوم، وأغلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل الدار، والدار مغلقة، والله لتفتضحن بداود، فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا يمتنع مني الحجاب، فقال داود: أنت والله إذن ملك الموت، مرحبا بأمر الله، فرمل داود مكانه حيث قبضت روحه حتى فرغ من شأنه، وطلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي على داود، فأظلت عليه الطير حتى أظلمت عليهم الأرض، فقال لها سليمان: اقبضي جناحا جناحا "**[١].

= تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة.

(١) مسند أحمد: ١٥/ ٢٥٤، برقم (٩٤٣٢)، وقال محققه: إسناده ضعيف لانقطاعه.

المبحث السابع
النوم

النوم في اللغة:

النون والواو والميم أصلٌ صحيح يدل على جمود وسكون حركة. منه النوم. نامَ ينام نَوْمًا ومَناما. وهو نَؤُومٌ ونُوَمَة: كثير النَّوم.

وقد نام ينام فهو نائم. والجمع نيام، وجمع النائم نوم على الاصل، ونيم على اللفظ[(١)].

وفي الاصطلاح:

النوم فترة من الراحة يفقد النائم خلالها إدراكه بما يحيط به. ويختلف النوم عن الغيبوبة، في إمكانية إنهائه بسهولة.

وعندما ينام الإنسان، تتضاءل جميع أنشطته، وترتخي عضلاته. وتتباطأ ضربات القلب، وينخفض معدل التنفس، ويصبح الشخص كلما تعمق في نومه أقل إدراكا، لكل ما يجري حوله[(٢)].

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٧٢، والصحاح: ٦/ ٣٢٤، ولسان العرب: ٦/ ٤٥٨٣.
(٢) الموسوعة العربية العالمية: ٢٥/ ٥٨٩.

الدلائل العقدية للآية الكونية - النوم -:

يقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾[2].

فأخبر الله ﷻ أن من علامات قدرته ورحمته تعالى التمكين من الراحة من التعب، والهدوء والاستقرار بالليل، وأن في هذه الآية من الدلالات والعبر لمن تدبرها وتأملها، وذلك من وجهين:

"**أحدهما**: أن هذين حالتان متعاورتان على الناس، قد اعتادوهما، فقل من يتدبر في دلالتهما على دقيق صنع الله تعالى، فمعظم الناس في حاجة إلى من يوقفهم على هذه الدلالة ويرشدهم إليها.

وثانيهما: أن في ما يسمعه الناس من أحوال النوم ما هو أشد دلالة على عظيم صنع الله تعالى مما يشعر به صاحب النوم من أحوال نومه؛ لأن النائم لا يعرف من نومه إلا الاستعداد له، وإلا أنه حين يهب من نومه يعلم أنه كان نائما، فأما حالة النائم في حين نومه ومقدار تنبهه لمن يوقظه، وشعوره بالأصوات التي تقع بقربه، والأضواء التي تنتشر على بصره فتنبهه أو لا تنبهه، كل ذلك لا يتلقاه النائم إلا بطريق الخبر من الذين يكونون أيقاظا في وقت نومه. فطريق العلم بتفاصيل أحوال النائمين واختلافها السمع، وقد يشاهد

---

(١) الروم: ٢٣.

(٢) الفرقان: ٤٧.

المرء حال نوم غيره إلا أن عبرته بنومه الخاص به أشد، فطريق السمع هو أعم الطرق لمعرفة تفاصيل أحوال النوم، فلذلك قيل ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، وأيضًا لأن النوم يحول دون الشعور بالمسموعات باديء ذي بدء قبل أن يحول دون الشعور بالمبصرات"(١).

كما أن الله ﷻ يضرب لنا مثل الموت والبعث كمثل النوم والاستيقاظ حتى يقرّب المعنى إلى عقولنا(٢)، فيقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾(٣).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في بيان شأن هذه الآية الكونية: "فهذا النوم من آيات الله ﷻ، تأتي القوم مثلا في حجرة أو في سطح أو في بر، وهم نيام كجثث موتى لا يشعرون بشيء، ثم هؤلاء القوم يبعثهم الله ﷻ، ثم إن الإنسان يعتبر بالنوم اعتبارا آخر، وهو إحياء الأموات بعد الموت، فإن القادر على رد الروح حين يصحو الإنسان ويستيقظ ويعمل عمله في الدنيا، قادر على أن يبعث الأموات من قبورهم، وهو على كل شيء قدير"(٤).

أولًا: وجود الله:

لما ذكر الله ﷻ حال المعرضين عن التوحيد وجهلهم بقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ

---

(١) التحرير والتنوير: ٢١/ ٧٦، ٩/ ٤٥.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ١٠١.

(٣) الزمر: ٤٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين: مدار الوطن، الرياض، طبعة عام ١٤٢٦هـ: ٤/ ٣٣٤.

يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[(١)] ذكر سبحانه بعدها الأدلة القاطعة حسا وعقلا على وجود الصانع الحكيم، وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادة، وذكر منها - النوم - فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾[(٢)]، ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾[(٣)].

"ففي هذه الآيات الكونية الليل والنهار والنوم، الليل وسكونه، والنوم وراحته، والنهار وحركته دليل واضح على وجود الإله الخالق القادر المتصرف في الكون، فجعل الله لكل ظرف ما يناسبه تماما ويحقق المقصود على أكمل وجه"[(٤)].

ثانيًا: توحيد الربوبية:

يقول تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾[(٥)]، ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾[(٦)].

فهذه الآيات فيها "دليل على قدرة الله، وأن جميع الأشياء مسخرة مدبرة

---

(١) الفرقان: ٤٣-٤٤.
(٢) الفرقان: ٤٧.
(٣) الفرقان: ٥٠.
(٤) انظر: التفسير المنير: ١٩/ ٧٩ باختصار، وتفسير ابن كثير: ٦/ ١١٣.
(٥) الزمر: ٤٢.
(٦) الأنعام: ٦٠-٦١.

لا تملك من التدبير شيئا، فخلقه تعالى الأضداد، والضد من ضده بيان أنها مقهورة"[(١)].

فهو سبحانه المتصرف في الوجود وهو الذي يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى والوفاة الصغرى - النوم -.

وكان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام قال: «باسمك اللهم أموت وأحيا، وإذا استيقظ من منامه قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[(٢)].

فالإنسان يعتمد على الله "ويجعل كل شيء بيد الله ﷻ، ويعظم الله ﷻ ويعلم بأن كل شيء بقدرته ومشيئته وإرادته، وهو المحيي والمميت"[(٣)].

ثالثًا: توحيد الأسماء والصفات:

١- نفي السِنة والنوم عن الله ﷻ:

من عقيدة أهل السنة والجماعة نفي السنة والنوم عن الله ﷻ كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة؛ وذلك لكمال حياته وقيوميته[(٤)].

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾[(٥)].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، حجابه النور - أو النار - لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه[(٦)] ما انتهى إليه بصره من خلقه»[(٧)].

(١) تفسير السعدي: ٧٢٥، وانظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ١٠١.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح: ١٢١٧ برقم (٦٣٢٤).
(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: ٣/ ٢٨٨.
(٤) انظر: الإبانة لابن بطة: ٣/ ٣٢٣، شرح الطحاوية: ١/ ٧٦، وتفسير ابن كثير: ١/ ٦٧٨.
(٥) البقرة: ٢٥٥.
(٦) أي نوره وجلاله وبهاؤه. انظر: شرح النووي على مسلم: ٣/ ١٤.
(٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: «إن الله لا ينام» وفي قوله: «حجابه النور
=

٢- رؤية الله ﷻ في المنام:

رؤية الله ﷻ يقظة لا تحصل في الدنيا لأحد من الناس حتى الأنبياء عليهم السلام[(١)]، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾[(٢)]، وقال ﷺ: «لن يرى أحد منكم ربه ﷻ حتى يموت»[(٣)]، أما رؤيته أثناء النوم فقد تحصل على الوجه اللائق بكمال الله تعالى وجلاله، كما أن الرؤية تختلف بحسب حال العبد الرائي.

قال الشيخ: عبد العزيز بن باز رحمه الله: "ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وآخرون أنه يمكن أن يرى الإنسان ربه في المنام[(٤)]، ولكن يكون ما رآه ليس هو الحقيقة؛ لأن الله لا يشبهه شيء سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(٥)] فليس يشبهه شيء من مخلوقاته، لكن قد يرى في النوم أنه يكلمه ربه، ومهما رأى من الصور فليست هي الله جل وعلا؛ لأن الله لا يشبهه شيء سبحانه وتعالى، فلا شبيه له ولا كفو له.

وذكر الشيخ تقي الدين رحمه الله في هذا أن الأحوال تختلف بحسب حال العبد الرائي[(٦)]، وكل ما كان الرائي من أصلح الناس وأقربهم إلى الخير كانت

= لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»: ١/ ١٦١، برقم (١٧٩).

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة: ١/ ٢٦٧، وشرح العقيدة الطحاوية: ١٦٠، ١٦٢.

(٢) الأعراف: ١٤٣.

(٣) سبق تخريجه: ٤٤٤.

(٤) مجموع الفتاوى: ٣/ ٣٩٠، وانظر: نقض الدارمي: ٢/ ٣٨، وشرح السنة للبغوي: ١٢/ ٢٢٧- ٢٢٨.

(٥) الشورى: ١١.

(٦) المرجع السابق: ٣/ ٣٩٠.

رؤيته أقرب إلى الصواب والصحة، لكن على غير الكيفية التي يراها، أو الصفة التي يراها؛ لأن الأصل الأصيل أن الله لا يشبهه شيء سبحانه وتعالى.

ويمكن أن يسمع صوتًا، ويقال له كذا، وافعل كذا، ولكن ليس هناك صورة مشخصة يراها تشبه شيئا من المخلوقات؛ لأنه سبحانه ليس له شبيه ولا مثيل سبحانه وتعالى"(١).

رابعًا: توحيد الألوهية:

يذكر الله ﷻ من الأدلة على تفرده بالألوهية تفرده بالربوبية والخلق، وقهره لجميع المخلوقات وأنه المالك المتصرف في جميع المخلوقات ومنها هذه الآية الكونية - النوم -(٢).

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾(٣).

ولما كان النائم بمنزلة الميت، والنوم أخو الموت؛ علّم النبي ﷺ وأرشد من أراد النوم أن يدعو ربه ﷻ ويُسْلِمَ نفسه إليه، وأن يفوض أمره إليه وأن يوجه وجهه إليه مخلصًا له ويتوكل عليه(٤)، فقال ﷺ: «اللهم أسلمت نفسي

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز: ٦/ ٣٦٨، وانظر: كتاب رؤية الله في المنام لعمر إبراهيم، دار ابن الجوزي، عمان: ٣٨.
(٢) انظر: تفسير السعدي: ١٦١، ٢٥٩، والتحرير والتنوير: ٦/ ١٣٩.
(٣) الأنعام: ٦٠-٦٢.
(٤) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الرسالة بيروت، ط١: ٤/ ٢١٩.

إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوضت أمري إليك، رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبرسولك الذي أرسلت، فإن مات مات على الفطرة»(١).

وقد أمر الله ﷻ عباده بخوفه ورجاءه، ونهاهم عن الأمن من مكره فقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾(٣)، وفيما يتعلق بهذه الآية الكونية - النوم - فقد توعد الله ﷻ من أمن مكره أن يأتيهم العذاب وهم نائمون، وهذا من مكر الله بهم، فقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾(٤)، وقال تعالى عن أصحاب الجنة: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾(٥).

فالواجب على العبد أن يجعل خوفه مع الرجاء، ورجاءه مع الخوف، وأن لا يأمن من مكر الله كما لا يقنط من رحمة الله، فالخوف من مكر الله توحيد وإيمان، والأمن من مكر الله ينافي التوحيد؛ لأنه يدل على عدم الخوف من الله ﷻ(٦).

خامسًا: الإيمان بالملائكة:

رأي النبي ﷺ في اليقظة جبريل عليه السلام وله ستمائة جناح(٧)، أما غير النبي

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعا والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضطجع: ٤/ ٢٠٨١ برقم (٢٧١٠).
(٢) آل عمران: ١٧٥.
(٣) الأعراف: ٩٩.
(٤) الأعراف: ٩٧.
(٥) القلم: ١٩.
(٦) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: ٢/ ٧١.
(٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر سدرة المنتهى: ١/ ١٢٨، برقم (١٧٤).

ﷺ فإنهم لم يروا الملائكة إلا إذا تحول الملائكة إلى صورة بشرية، قال تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾(١) وقد رأى الصحابة رضي الله عنهم جبريل عليه السلام(٢).

أما رؤية الملائكة في المنام فهي جائزة(٣) ويدل لذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال ﷺ: «فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول أعوذ بالله من النار، قال فلقينا ملك آخر، فقال لم ترع»(٤).

وهذا لا يعني وصف حقيقة الملائكة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان، ويتخيلها على حقيقتها، بل هي خلاف ما يتخيله، ويتصوره في منامه، ويقظته، وإن كان ما رآه مناسبًا ومشابهًا لها"(٥).

سادسًا: الإيمان بالرسل:

١- الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:

ومما اختص الله تعالى به الأنبياء أنّ أعينهم تنام وقلوبهم لا تنام(٦)، قال

---

(١) مريم: ١٧.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان: ٣٣ برقم (٥٠).
(٣) انظر: شرح السنة للبغوي: ١٢/ ٢٢٨، وبيان تلبيس الجهمية: ١/ ٧٣-٧٤.
(٤) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ٤/ ١٩٢٧، برقم (٢٤٧٩).
(٥) بيان تلبيس الجهمية: ١/ ٧٤.
(٦) انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه: ٦٨٣، برقم (٣٥٧٠)، وشرح النووي على مسلم: ٣/ ٧٤، وفتح الباري: ٦/ ٥٧٩، ومدارج السالكين: ١/ ٦٢.

ﷺ عن نفسه: «إنّ عيني تنامان ولا ينام قلبي»[(١)].

٢- رؤية النبي ﷺ في المنام:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة»[(٢)].

و عن جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من رآني في النوم فقد رآني، فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي»[(٣)].

فقد دلت هذه الأحاديث على أن النبي ﷺ يُرى في المنام وأن من رآه فقد رآه حقيقة فإن الشيطان لا يتمثل به[(٤)].

٣- رؤيا الأنبياء وحي:

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾[(٥)].

فهذه الآية إخبار من الله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام أنه رأى في المنام أنه يذبح ابنه، ثم بين الله عز وجل أن هذه رؤيا حق حيث أن إبراهيم سعى لتنفيذ رؤياه ﴿فَلَمَّآ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة: ١/ ٥٠٩، برقم (٧٣٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام: ١٣٣٧ برقم (٦٩٩٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ: من رآني في المنام فقد رآني: ٤/ ١٧٧٦ برقم (٢٢٦٨).

(٤) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٢/ ٣٦٣، وفتح الباري: ١٢/ ٣٨٤-٣٨٥.

(٥) الصافات: ١٠٢-١٠٥.

أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ فأخبر الله ﷻ أن إبراهيم قد صدق هذه الرؤيا[(١)].

٤- الرؤيا الصالحة:

كان أول ما بدئ به الوحي الرؤيا الصالحة، فكان ﷺ إذا رأى الرؤيا تأتي كفلق الصبح[(٢)]، فكان ذلك إرهاصا للنبوة وتمهيدا لها لمدة ستة أشهر، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة؛ ولذا قال ﷺ: «الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة»[(٣)].

فالرؤيا الصالحة من المبشرات وفيها إشعار للمؤمن بخير سيقع ليغتنمه أو شر ليحذر منه[(٤)].

سابعًا: الإيمان باليوم الآخر:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بجميع ما أخبر الله به أو أخبرت به رسله - عليهم الصلاة والسلام - من البعث والجزاء، وقد بين الله ﷻ - من الأدلة على ذلك وعلى صدق ما جاءت به الرسل أنه سبحانه جعل النوم سباتًا أي راحة للأبدان[(٥)]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً

---

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي: ١/ ٤٩١، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٢٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: ٢١ برقم (٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الرؤيا: ٤/ ١٧٨٤، برقم (٢٢٦٣).

(٤) انظر: فتح الباري: ١٢/ ٣٦٣، وشرح النووي على مسلم: ٧/ ٤٥١، والرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين لسهل بن رفاع العتيبي، كنوز أشبيليا، الرياض، ط١: ٢٢٦.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ١٩/ ١٧١.

ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾[(١)].

"فالمساء والصيرورة إلى النوم بمنزلة الموت والمصير إلى الله، ولهذا جعل الله سبحانه في النوم والانتباه بعده دليلا على البعث والنشور لأن النوم أخو الموت والانتباه نشور وحياة"[(٢)].

ومما يتعلق أيضًا بهذه الآية الكونية من أمور الآخرة: "أن الجنة لا نوم فيها بإجماع المسلمين"[(٣)].

ثامنًا: صفة الشيطان:

أخبر النبي ﷺ أن الشيطان يبول في أذن من نام حتى أصبح ولم يصل[(٤)]، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «ذكر عند النبي ﷺ رجل فقيل: ما زال نائما حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة، فقال: بال الشيطان في أذنه»[(٥)].

فيستفاد منه وقت بول الشيطان[(٦)].

كما أخبر النبي ﷺ أن الشيطان يأتي الإنسان عند النوم فينومه حتى لا يقول الأذكار، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «خلتان من حافظ عليهما، أدخلتاه الجنة، وهما يسير، ومن يعمل بهما قليل قالوا وما هما يا رسول الله قال أن تحمد الله وتكبره وتسبحه

---

(١) النبأ: ٦-١٧.

(٢) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود: ١٣/ ٤٠٧، وانظر: تفسير السعدي: ٩٠٦.

(٣) مفتاح دار السعادة: ١/ ١٣.

(٤) انظر: فتح الباري: ٣/ ٢٨.

(٥) صحيح البخاري، أبواب التهجد، باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه: ٢٢٦، برقم (١١٤٤).

(٦) فتح الباري: ٣/ ٢٨.

في دبر كل صلاة مكتوبة عشرا، عشرا، وإذا أويت إلى مضجعك تسبح الله وتكبره وتحمده مائة مرة، فتلك خمسون ومائتان باللسان، وألفان وخمس مائة في الميزان، فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمس مائة سيئة قالوا كيف من يعمل بهما قليل قال يجيء أحدكم الشيطان في صلاته، فيذكره حاجة كذا وكذا، فلا يقولها، ويأتيه عند منامه، فينومه، فلا يقولها، قال ورأيت رسول الله يعقدهن بيده»[(١)].

كما أخبر النبي ﷺ إن الحلم من الشيطان، عن أبي قتادة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلما يخافه فليبصق عن يساره، وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره**»[(٢)].

وإضافة الحلم إلى الشيطان بمعنى أنها تناسب صفته من الكذب والتهويل وغير ذلك، بخلاف الرؤيا الصادقة فأضيفت إلى الله إضافة تشريف وإن كان الكل بخلق الله وتقديره[(٣)].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في التسبيح عند النوم: ٥٤٦ برقم (٥٠٦٠)، ومسند الإمام أحمد: ١١/ ٤١، برقم (٦٤٩٨)، وقال محققه: حديث حسن لغيره، وصححه الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود: ٣/ ٩٥٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده: ٦٢٩ برقم (٣٢٩٢).

(٣) فتح الباري: ١٢/ ٣٩٣.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - النوم -:

أولًا: ترك النوم تعبدًا:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية، ترك النوم تعبدًا، والظن أن ذلك من القربات، وهذا أمر لم يشرعه الله ﷻ وأنكره النبي ﷺ[(١)].

عن أنس رضي الله عنه: «أن نفرا من أصحاب النبي سألوا عن عمله في السر فقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا آكل اللحم، وقال بعضهم لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه، فقال ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[(٢)].

ثانيًا: الاعتماد على الرؤى في الأحكام:

سبق أن الرؤيا الصالحة من المبشرات[(٣)]؛ ولكن هذه الرؤيا - وإن كانت رأى فيها النبي ﷺ فلا يجوز أن يؤخذ منها الأحكام، ويخالف بها أحكام الشريعة دون أن يعرضها على الكتاب والسنة[(٤)].

---

(١) انظر: فتح الباري: ٩/ ١٠٥، ومعارج القبول: ٣/ ١٢٣٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح: ١٠٠٥ برقم (٥٠٦٣)، وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه: ٢/ ١٠٢٠ برقم (١٤٠١)، ١٣/ ٢٧٣.

(٣) ص: ٥٥٤، وانظر: فتح الباري: ١٢/ ٣٠١، ٤٠٥، والذخيرة للقرافي، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب، بيروت: ١٣/ ٢٧٣.

(٤) انظر: المدخل لابن الحاج، مكتبة دار التراث: ٤/ ٢٨٦.

فأخذ الأحكام من المنامات مخالف لقول النبي ﷺ: «تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله»[١] فجعل ﷺ النجاة من الضلالة في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقط لا ثالث لهما، ومن اعتمد على ما يراه في نومه فقد زاد لهما ثالث[٢].

فعلى من رأى رؤيا أن يعرضها على "الأحكام الشرعية فإن سوغتها عمل بمقتضاها وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة وأما استفادة الأحكام فلا "[٣].

أما الرؤى التي رآها الصحابة وعُمل بها كرؤيا عبد الله بن زيد رضي الله عنه في الأذان.

فإن النبي ﷺ لما سمعها أقرها، وقال: «إنها لرؤيا حق لقد أراك الله حقا»[٤]، **فكانت سنة تقرير كما يقرر بعض الناس على بعض الأفعال**[٥].

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ: ٢/ ٨٨٦، برقم (١٢١٨)، وفي لفظ آخر: "كتاب الله وسنتي" انظر: صحيح الجامع: ٣٢٣٢.

(٢) انظر: المدخل: ٤/ ٢٨٧.

(٣) الاعتصام للشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد، المنامة: ٢/ ٧٨.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب كيف الأذان: ٧٧، برقم (٤٩٩)، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود: ١/ ٩٨.

(٥) انظر: فتح الباري: ٢/ ٧٩.

الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في هذه الآية الكونية:

ورد في هذه الآية الكونية عدد من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والمتعلقة بالعقيدة، ومنها:

١- ما وقع في نفس موسى عليه السلام: هل ينام الله؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن موسى عليه السلام على المنبر، قال: «وقع في نفس موسى: هل ينام الله؟ فأرسل الله إليه ملكًا فأرقه ثلاثًا ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما». **قال:** «فجعل ينام تكاد يداه تلتقيان فيستيقظ فيحبس إحداهما على الأخرى، حتى نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان» **قال:** «ضرب الله له مثلا عز وجل: أن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض»[(١)].

٢- الدجال تنام عيناه ولا ينام قلبه:

عن أبي بكرة رضي الله عنه، عن أبيه قال: وصف رسول الله ﷺ ذات يوم صفة الدجال، وصفة أبويه، قال: «يمكث أبوا الدجال ثلاثين سنة لا يولد لهما، ثم يولد لهما ابن مسرور مختون، أقل شيء نفعا وأضره، تنام عيناه، ولا ينام قلبه»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه: ٢٧٧.

(٢) مسند الإمام أحمد: ٣٤/ ١٥٠، وقال محققه: إسناده ضغيف لضعف علي بن زيد- وهو ابن جدعان-، ومؤمل بن إسماعيل، وقال ابن كثير: "منكر جدًا". انظر: البداية والنهاية: ١٩/ ٢٠٤.

المبحث الثامن
النبات

النبات في اللغة:

نبت: النون والباء والتاء أصل واحد يدلّ على نماءٍ في مزروع، ثم يستعار. فالنَّبت معروفٌ، يقال نَبَت. وأنْبَتَتِ الأرض. ونَبَّتُّ الشَّجرَ: غَرستُه. وكلُّ ما أَنْبَتَ الله في الأَرض فهو نَبْتٌ والنَّباتُ فِعْلُه، ويَجري مجْرى اسمِه، يقال: أَنْبَتَ اللهُ النَّبات إِنْباتًا ونحو ذلك[١].

وفي الاصطلاح:

هي مجموعة رئيسة من الكائنات الحية، تشتمل على نحو ٣٥٠،٠٠٠ نوع، من أمثلتها الأشجار والأزهار والأعشاب والشجيرات والحشائش.

وتقسم النباتات إلى مجموعتين تبعًا لطريقة حصولها على غذائها. وتعرف جيمع النباتات الخضراء بأنها ذاتية التغذية، حيث تحتوي على يخضور (كلوروفيل)، يمكنها من اقتناص ضوء الشمس واستخدامه في إنتاج الغذاء، والمواد الأخرى التي تحتاج إليها في النمو. وتعرف الأنواع الأخرى من النباتات بأنها غير ذاتية التغذية، وتفتقر إلى اليخضور (الكلوروفيل)، ولا تستطيع إنتاج غذائها، وقد تكون متطفلة، أو رمِّية[٢].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٣٧٨، لسان العرب: ٦/ ٤٣١٧.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٢٥/ ٦٠/ ٨٣.

وقد ورد لفظ النبات في القرآن في (٤) مواضع[١]، وورد في السنة في (٥١) حديثًا[٢].

وذكر بعض المفسرين أن النبات في القرآن على أربعة أوجه[٣]:

أحدها: النبات بعينه. ومنه قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨﴾[٥].

والثاني: الإخراج، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾[٦].

والثالث: الخلق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾[٧].

الرابع: التربية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا﴾[٨].

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٨٦٠.
(٢) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٤.
(٣) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ٥٨١.
(٤) المؤمنون: ٢٠.
(٥) عبس: ٢٧-٢٨.
(٦) البقرة: ٢٦١.
(٧) نوح: ١٧.
(٨) آل عمران: ٣٧.

الدلائل العقدية للآية الكونية - النبات -:

ورد ذكر النباتات وإنباتها وإخراجها من الأرض وإثمارها، في كثير من آيات القرآن الكريم، وخصوصًا الآيات المكية.

وهذا لم يكن "لمجرد تعداد نعم الله فحسب، إنما جاء في آيات ترتبط بعملية الخلق والإحياء والبعث والنشور، وفي آيات تحض الناس على التبصر والتأمل، والتعقل والتدبر، وفي آيات تبطل ما ينكره الكافرون من قدرة الله على الإحياء وخلق الحي من الميت، وبعث الناس من قبورهم بعد موتهم وهلاكهم"[(١)].

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[(٢)].

ومن يتأمل في هذه النباتات والثمار كيف نوعها الخالق في أحجامها وأشكالها وألوانها وروائحها ومذاقها، وهي في بقعة واحدة، وتسقى بماء واحد. قال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾[(٣)].

فإنه سيرى:

---

(١) حياة النبات في ضوء القرآن والسنة والعلم الحديث، لكمال الدين البتانوني، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: www.quran-n.com/firas/ arabicold/print-details.php?page=show-det8&id=733

(٢) فصلت: ٣٩.

(٣) الرعد: ٤.

عجائبُ لا تنتهي في النبات تَدَلُّ على الخالق المقتدرْ[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا شأن هذه الآية الكونية: " فهذا النبات يغذي، وهذا يصلح الغذاء، وهذا ينفذه، وهذا يضعف، وهذا سم قاتل، وهذا شفاء من السم، وهذا يمرض، وهذا دواء من المرض، وهذا يبرد، وهذا يسخن، وهذا إذا حصل في المعدة قمع الصفراء من أعماق العروق، وهذا إذا حصل فيها ولد الصفراء واستحال اليها، وهذا يدفع البلغم والسوداء، وهذا يستحيل اليهما، وهذا يهيج الدم، وهذا يسكنه، وهذا ينوم، وهذا يمنع النوم، وهذا يفرح، وهذا يجلب الغم إلى غير ذلك من عجائب النبات التي لا تكاد تخلو ورقة منه ولاعرق ولا ثمرة من منافع تعجز عقول البشر عن الاحاطة بها وتفصيلها.

وانظر إلى مجاري الماء في تلك العروق الرقيقة الضئيلة الضعيفة التي لا يكاد البصر يدركها إلا بعد تحديقه، كيف يقوى قسره واجتذابه من مقره ومركزه إلى فوق، ثم ينصرف في تلك المجاري بحسب قبولها وسعتها وضيقها، ثم تتفرق وتتشعب وتدق إلى غاية لا ينالها البصر.

ثم انظر إلى تكون حمل الشجرة، ونقلته من حال إلى حال كتنقل أحوال الجنين المغيب عن الأبصار ترى العجب العجاب، فتبارك الله رب العالمين، وأحسن الخالقين، بينا تراها حطبا قائما عاريا لا كسوة عليها إذ كاسها ربها وخالقها من الزهر أحسن كسوة، ثم سلبها تلك الكسوة، وكساها من الورق كسوة هي أثبت من الأولى، ثم اطلع فيها حملها ضعيفا ضئيلا بعد أن أخرج ورقها صيانة وثوبا لتلك الثمرة الضعيفة لتستجب به من الحر والبرد والآفات،

(١) انظر: براهين وأدلة إيمانية لعبد الرحمن حسن حبنكه الميداني، دار القلم دمشق، ط١: ٤٦٩.

ثم ساق إلى تلك الثمار رزقها وغذاها في تلك العروق والمجاري فتغذت به كما يتغذى الطفل بلبان أمه، ثم رباها ونماها شيئا فشيئا حتى استوت وكملت وتناهى ادراكها، فأخرج ذلك الجني اللذيذ اللين من تلك الحطبة الصماء.

هذا وكم لله من آية في كل ما يقع الحس عليه ويبصره العباد وما لايبصرونه، تفنى الأعمار دون الإحاطة بها وجميع تفاصيلها"[١].

أولًا: توحيد الربوبية:

بين سبحانه قدرته العظيمة على خلق السموات والأرض، وما فيهما وما بينهما، ومن ذلك النباتات فقال تعاليك ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾[٢].

ثم بين سبحانه وتعالى أن هذا الذي ذكره في الآية هو خلقه سبحانه وتقديره وحده لا شريك له في ذلك[٣]، فقال: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ

(١) مفتاح دار السعادة: ١/ ٣٣٦.
(٢) لقمان: ١٠.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٣٣، ٣/ ٣٤٧.
(٤) لقمان: ١١.
(٥) الأنعام: ١٤١.

ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾[(١)].

فالله ﷻ هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما – ومن ذلك النباتات – بالحق، ليستدل بهما العباد على عظمة خالقهما، وأنه وحده المتصرف المدبر لهما، وفيها أيضًا بيان كمال قدرة الخالق ﷻ[(٢)].

لو اجتمعت البشرية جميعا على صناعة شجرة واحدة من العدم لما استطاعت، بل غصنا واحدا، بل ورقة واحدة، بل بذرة واحدة.

فهو سبحانه: ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[(٣)].

البركة:

أخبر النبي ﷺ عن بعض النباتات أنها مباركة ومن ذلك النخلة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينا نحن عند النبي ﷺ جلوس إذا أتي بجمار نخلة فقال النبي ﷺ: «إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم، فظننت أنه يعني النخلة، فأردت أن أقول هي النخلة يا رسول الله، ثم التفت فإذا أنا عاشر عشرة، أنا أحدثهم فسكت، فقال النبي هي النخلة»[(٤)].

وقال ﷺ: «من الشجر شجرة تكون مثل المسلم، وهي النخلة»[(٥)].

"وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، فمن

---

(١) النحل: ١٠-١١.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/٣٠٧، وتفسير السعدي: ٤٣٦.

(٣) الأنعام: ٩٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب أكل الجمار: ١٠٧٥، برقم (٥٤٤٤).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب بركة النخل: ١٠٧٥، برقم (٥٤٤٨).

حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعا، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها، حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال، ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته"(١).

ثانيًا: توحيد الأسماء والصفات:

١- كلام الله:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾(٢). وفي هذه الآية إخبار عن سعة كلام الله وعظمة قوله(٣).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن، مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»(٤).

فمثل النبي ﷺ في الحديث بهذه النباتات.

وفي هذا الحديث أيضا دليل على "أن التلاوة غير المتلو، فالتلاوة عمل العبد، وهي مخلوقة، وأما المتلو، فهو كلام الله عز وجل منزل غير مخلوق، ولهذا بوب البخاري رحمه الله بهذه الترجمة حتى قال: "لا تجاوز حناجرهم" فدل على

(١) فتح الباري: ١/ ١٤٥.
(٢) لقمان: ٢٧.
(٣) انظر: تفسير ابن سعدي: ٦٥١.
(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام: ٩٩٧ برقم (٥٠٢٠)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن: ١/ ٥٤٩، برقم (٧٩٧).

أن تلاوة القارئ عمل له. أما المتلو، فهو كلام الله يقرؤه البر والفاجر"[(١)]. والناس يتفاوتون في التلاوة فهي أعمالهم، وأعمالهم مخلوقة، وأما كلام الله فمنزل غير مخلوق[(٢)].

٢- التسبيح:

يسبح الله نفسه وينزهها عن أحوال المشركين تنزيها عن كل ما لا يليق بإلهيته وأعظمه الإشراك به[(٣)]، أو أنه يكون له ظهير، أو عوين، أو وزير، أو صاحبة، أو ولد، أو سَمِيٌّ، أو شبيه، أو مثيل في صفات كماله ونعوت جلاله، أو يعجزه شيء يريده[(٤)]، ويذكر في ذلك خلق النباتات، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾[(٥)].

ولما ذكر الله ﷻ بعض الأدلة على الألوهية والقدرة والبعث في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾[(٦)]. فهو سبحانه المتفرد بخلق النباتات وما يسره من الحرث والزرع، وأنه لو شاء لجعله

(١) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبد العزيز الراجحي، مطبوع بالحاسب الآلي: ١/ ٢٠٣.
(٢) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان: ٢/ ٦٣١.
(٣) التحرير والتنوير: ٢٣/ ١٥.
(٤) تفسير السعدي: ٦٩٥.
(٥) يس: ٣٣-٣٦.
(٦) الواقعة: ٦٣-٦٧.

محطما لا نفع فيه ولا رزق، أمر بتسبيحه وتنزيهه عن جميع النقائص[(١)]، قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[(٢)].

ثالثًا: توحيد الألوهية:

سبق في المبحث السابق: الأرض[(٣)] أن الله - تعالى - يذكر ويعدد من دلائل إنفراده بالتصرف والخلق - في الأرض وغيرها - مما هو مشاهد وأوضح الدلالة على المشركين لإفراد الله ﷻ بالعبادة[(٤)].

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾[(٥)].

"فخلق هذه النبات وتنوعها دالة على وحدانية الله لأن هذا الصنع الحكيم لا يصدر إلا عن واحد لا شريك له"[(٦)].

وقد ذكر الله في "تفاصيل ما به يعرف ويتعين أنه الإله المعبود وأن عبادته هي الحق وعبادة ما سواه هي الباطل"[(٧)] خلق النبات والأشجار فقال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾[(٨)].

ولما سأل فرعون موسى عن ربه ومعبوده كان من ضمن إجابته أنه الذي

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١٧/ ٢٢٢.
(٢) الواقعة: ٧٤.
(٣) ص: ٤٣٢.
(٤) التحرير والتنوير: ٢٤/ ١٨٩، ١٧/ ٥٧، وانظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ٣٩٦.
(٥) الشعراء: ٧-٩.
(٦) التحرير والتنوير: ١٩/ ١٠٠.
(٧) تفسير السعدي: ٦٠٧.
(٨) النمل: ٦٠.

خلق الأزواج من النبات[١]: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾[٢].

رابعًا: الإيمان بالملائكة:

من الإيمان بالملائكة الإيمان بأعمالهم التي وكلهم الله بها، ومن ذلك ميكائيل الموكل بالنبات[٣].

وأخبر النبي ﷺ أن الملائكة تتأذى من بعض النباتات كما يتأذى بنو آدم، فعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أكل من هذه البقلة - الثوم - وقال مرة: من أكل البصل والثوم والكراث، فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»[٤]، "وهذا يدل على أن الملائكة تُنزه عن هذه الروائح"[٥].

خامسًا: الإيمان بالكتب:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١١/ ٢٠٤، ٢٦٠.
(٢) طه: ٤٩-٥٤.
(٣) انظر: مسند الإمام أحمد: ١/ ٢٧٤، برقم (٢٤٨٣)، وشرح الطحاوية: ١/ ٢٨٠، والبداية والنهاية: ١/ ١٠٥.
(٤) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثومًا أو بصلًا أو كراثًا أو نحوها: ١/ ٣٩٤، برقم (٥٦٤).
(٥) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم: ٢/ ٤٩٩.

﴿لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢١﴾[(١)].

فمثل الله ﷻ "حالة إنزال القرآن واهتداء المؤمنين به والوعد بنماء ذلك الاهتداء، بحالة إنزال المطر ونبات الزرع به واكتماله. وهذا التمثيل قابل لتجزئة أجزائه على أجزاء الحالة المشبه بها:

فإنزال الماء من السماء تشبيه لإنزال القرآن لإحياء القلوب، وإسلاك الماء ينابيع في الأرض تشبيه لتبليغ القرآن للناس، وإخراج الزرع المختلف الألوان تشبيه لحال اختلاف الناس من طيب وغيره، ونافع وضار، وهياج الزرع تشبيه لتكاثر المؤمنين بين المشركين.

وأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ﴾ فهو إدماج للتذكير بحالة الممات واستواء الناس فيها من نافع وضار. وفي تعقيب هذا بقوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾[(٢)]، إشارة إلى العبرة من هذا التمثيل"[(٣)].

وفي معناه قول النبي ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[(٤)].

(١) الزمر: ٢١.
(٢) الزمر: ٢٢-٢٣.
(٣) التحرير والتنوير: ٢٣/ ٢٧٦.
(٤) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علِم وعلَّم: ٤١، برقم (٧٩).

سادسًا: الإيمان بالرسل:

من الإيمان بالرسل الإيمان بالآيات التي أيد الله بها رسله، ومن تلك الآيات التي أظهرها الله ﷻ لنبيه محمدًا ﷺ انقياد الأغصان والأشجار له عند قضاء حاجته.

فعن جابر رضي الله عنه قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديا أفيح، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئا يستتر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: انقادي علي بإذن الله، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: انقادي علي بإذن الله، فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصّف مما بينهما لأم بينهما - يعني جمعهما - فقال: التئما علي بإذن الله، فالتأمتا، قال جابر رضي الله عنه: فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد، فجلست أحدث نفسي، فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلا وإذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق"[(١)].

وكذلك حنين الجذع للنبي ﷺ[(٢)]، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع، فأتاه فمسح يده عليه»[(٣)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر: ٤/ ٢٣٠٦، برقم (٣٠١٢).

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم: ٤/ ٤٨٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: ٦٨٦، برقم (٣٥٨٣).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «أن النبي كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا، قال إن شئتم فجعلوا له منبرا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي فضمه إليه، تئن أنين الصبي الذي يسكن، قال كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها»[(١)].

سابعًا: الإيمان باليوم الآخر:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بجميع ما أخبر الله عنه وأخبرت عنه رسله - عليهم الصلاة والسلام - من البعث والجزاء، وقد ذكر الله ﷻ من الأدلة عليه إحياء الأرض بعد موتها بالنبات من كل زوج وصنف وهو دليل عقلي مشاهد محسوس[(٢)].

فقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝٣٣ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝٣٤ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٣٥ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦﴾[(٤)].

كما أمر الله ﷻ بالتفكر في تكوّن الحبوب والثمار التي بها طعام الإنسان،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: ٦٨٦، برقم (٣٥٨٤).
(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١٢/ ٦، ١٥/ ٢٥.
(٣) الحج: ٥-٧.
(٤) يس: ٣٣-٣٦.

فإن الأجساد تخرج من الأرض للبعث كما تخرج تلك النباتات[(١)]، قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾[(٢)].

وهذا المعنى كثير في القرآن، يضرب الله مثلا للقيامة بإحياء الأرض بعد موتها[(٣)].

وأخبر النبي ﷺ في بيان كيف ينبت الموحدون بعد خروجهم من النار وسرعة ذلك وحسنه[(٤)]، وشبه ذلك بنبات الحِبة في حميل السيل[(٥)].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل، فقال رجل من القوم كأن رسول الله قد كان بالبادية»[(٦)].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ١٣٠.

(٢) عبس: ١٧-٣٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣/ ٤٣.

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم: ٣/ ٢٣.

(٥) الحبة بكسر الحاء وهى بزر البقول والعشب تنبت في البرارى وجوانب السيول وجمعها، وأما حميل السيل فبفتح الحاء وكسر الميم وهو ما جاء به السيل من طين أو غثاء ومعناه محمول السيل. انظر: شرح النووي على مسلم: ٣/ ٢٣.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار:

=

كما أن النبي ﷺ شبه الخطاطيف التي على الجسر يوم القيامة بشوك السعدان، وهي شوكة عظيمة مثل المحك من كل الجوانب(١).

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان»(٢).

وقد ورد في الكتاب والسنة أن في الجنة أشجار ونباتات، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾(٣).

وقال تعالى عن نعيم أصحاب اليمين: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾(٤).

وقال تعالى عن الجنة: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾(٦).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»(٧).

= ١/ ١٧٢، برقم (١٨٥).

(١) انظر: شرح النووي على مسلم: ١/ ٣٢٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية: ١/ ١٦٧، برقم (١٨٣).

(٣) البقرة: ٢٥.

(٤) الواقعة: ٢٧-٣٠.

(٥) الرحمن: ٥٢.

(٦) الرحمن: ٦٨.

(٧) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة: ٦٢٤، برقم (٣٢٥١).

ثامنًا: الإيمان بالقدر:

من الإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله وخلقه ومشيئته، وقد نبه الله ﷻ على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وما فيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾[(٣)].

فهذا "الاختلاف في أجناس الثمرات والزروع، في أشكالها وألوانها، وطعومها وروائحها، وأوراقها وأزهارها.

فهذا في غاية الحلاوة وذا في غاية الحموضة، وذا في غاية المرارة وذا عَفِص، وهذا عذب وهذا جمع هذا وهذا، ثم يستحيل إلى طعم آخر بإذن الله تعالى. وهذا أصفر وهذا أحمر، وهذا أبيض وهذا أسود وهذا أزرق. وكذلك الزهورات مع أن كلها يستمد من طبيعة واحدة، وهو الماء، مع هذا الاختلاف الكبير الذي لا ينحصر ولا ينضبط، ففي ذلك آيات لمن

---

(١) فاطر: ٢٧.
(٢) الأنعام: ١٤١.
(٣) الرعد: ٤.

كان واعيا، وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار، الذي بقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾"[(١)].

وفي"تفاوتها أيضًا دليل عقلي على مشيئة اللّه تعالى، التي خصصت ما خصصت منها، بلونه، ووصفه، وقدرة اللّه تعالى حيث أوجدها كذلك، وحكمته ورحمته، حيث كان ذلك الاختلاف، وذلك التفاوت، فيه من المصالح والمنافع، ومعرفة الطرق، ومعرفة الناس بعضهم بعضا، ما هو معلوم. وذلك أيضا، دليل على سعة علم اللّه تعالى"[(٢)].

وأخبر الله ﷻ أن النبات إنما يخرج بإذن الله وإرادته، وليست الأسباب مستقلة بذلك[(٣)]، فقال تعالى: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ۝٥٨﴾[(٤)].

تاسعًا: منزلة الصحابة:

بين الله ﷻ أن مثل الصحابة في الإنجيل في مناصرتهم للنبي ﷺ وتأييدهم ومآزرتهم له كمأزرة فراخ الزرع للزرع إلى أن يشب ويقوى.

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٣٢، ٣/ ٣٠٧.
(٢) تفسير السعدي: ٦٨٨.
(٣) انظر: تفسير السعدي: ٢٩٢.
(٤) الأعراف: ٥٨.

مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾[(١)].

وقيل هذا مثل ضربه الله لأصحاب محمد ﷺ في أنهم يكونون قليلًا ثم يكثرون ويزدادون[(٢)].

وقيل: إن الصحابة "كالزرع في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم، فقوة إيمانهم وأعمالهم بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه، وكون الصغير والمتأخر إسلامه، قد لحق الكبير السابق ووازره وعاونه على ما هو عليه، من إقامة دين الله والدعوة إليه، كالزرع الذي أخرج شطأه، فآزره فاستغلظ"[(٣)].

عاشرًا: منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال:

ضرب الأمثال:

من منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال ضرب الأمثال للتوضيح والتقريب، وقد ضرب الله ﷻ مثلًا للذين ينفقون أموالهم في سبيل الله وبيان شرف هذه النفقة كمثل حبة أنبتت سبع سنابل، فقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[(٤)].

"وهذا إحضار لصورة المضاعفة بهذا المثل، الذي كأن العبد يشاهده ببصره فيشاهد هذه المضاعفة ببصيرته، فيقوى شاهد الإيمان مع شاهد العيان، فتنقاد النفس مذعنة للإنفاق سامحة بها مؤملة لهذه المضاعفة الجزيلة والمنة الجليلة"[(٥)].

---

(١) الفتح: ٢٩.
(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١٦/ ٢٩٥، وتفسير ابن كثير: ٧/ ٣٦٢.
(٣) تفسير السعدي: ٧٩٥.
(٤) البقرة: ٢٦١.
(٥) تفسير السعدي: ١١٢، وانظر: تفسير القرطبي: ٣/ ٣٠٣.

وضرب الله سبحانه وتعالى مثلًا للحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها، بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض من زرع وثمار، على اختلاف أنواعها وأصنافها، ثم أصبح هشيمًا تذروه الرياح[(١)]، فقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾[(٣)].

و ضرب النبي ﷺ مثلًا في بيان حال المؤمن الذي يقرأ القرآن، والذي لا يقرأ القرآن، والمنافق الذي يقرأ القرآن والذي لا يقرأ القرآن ببعض النباتات وذلك للتوضيح والتفريق بين حالهم[(٤)]، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٦٠.
(٢) الكهف: ٤٥.
(٣) يونس: ٢٤-٢٥.
(٤) انظر: شرح النووي على مسلم: ٦/ ٨٤، وفتح الباري: ١/ ١٤٧.
(٥) سبق تخريجه: ٥٦٦.

"هذه أمثال ضربها الرسول ﷺ لبيان تفاوت الناس في هذه الأمور، وأن من كان عنده القرآن فإنه جمع بين خصلتين محمودتين: إيمان وقراءة القرآن، وشبهه بالأترجة التي طعمها حلو، وريحها طيب، وشبه المؤمن الذي لا يقرأ القرآن بالتمرة التي طعمها طيب ولكن لا ريح لها، والفاجر الذي لا يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب، ولكن طعمها مر، والفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها"(١).

كما أن النبي ﷺ شبه المسلم بالنخلة في "كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس، وبعد أن ييبس يتخذ منه منافع كثيرة، ومن خشبها وورقها وأغصانها فيستعمل جذوعا وحطبا وعصيا ومخاصر وحصرا وحبالا وأوانى وغير ذلك، ثم آخر شيء منها نواها وينتفع به علفا للابل، ثم جمال نباتها وحسن هيئة ثمرها، فهي منافع كلها، وخير وجمال، كما أن المؤمن خير كله، من كثرة طاعاته، ومكارم أخلاقه، ويواظب على صلاته وصيامه وقراءته وذكره، والصدقة والصلة وسائر الطاعات وغير ذلك"(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي.

قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله، قال: فقال هي النخلة، قال: فذكرت ذلك لعمر، قال: لأن تكون قلت هي النخلة أحب إلي من كذا وكذا»(٣).

---

(١) شرح سنن أبي داود للشيخ عبد المحسن العباد، مطبوع على الحاسب الآلي: ١/ ٢.
(٢) شرح النووي على مسلم ١٧/ ١٥٤.
(٣) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن كالنخلة:
=

الحادي عشر: مسائل الأسماء والأحكام:

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الناس يتفاضلون في الإيمان[(١)]، وقد بين النبي ﷺ ذلك، وضربه له مثلا ببعض النباتات والثمار، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»[(٢)].

"وإبراز هذه المعاني وتصويرها إلى المحسوسات ما هو مذكور في الحديث، ولم يوجد ما يوافقها ويلائمها أقرب ولا أحسن ولا أجمع من ذلك؛ لأن المشبهات والمشبه بها واردة على تقسيم الحاصل؛ لأن الناس إما مؤمن أو غير مؤمن، والثاني إما منافق صرف أو ملحق به، والأول إما مواظب على القراءة أو غير مواظب عليها، وعلى هذا فقس الأثمار المشبه بها، ووجه الشبه في المذكورات منتزع عن أمرين محسوسين طعم وريح وليس بمفرق"[(٣)].

= ٤/ ٢١٦٤، برقم (٢٨١١).

(١) انظر: كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، ط١: ٣٢، والحجة في بيان المحجة: ١/ ٤٤٠، وصفة المنافق لجعفر بن محمد الفريابي، تحقيق: بدر البدر، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط١: ٥٧.

(٢) سبق تخريجه: ٥٦٦.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان ملاء القاري، تحقيق: جمال عيتاني، المكتبة العلمية، بيروت، ط١: ١٢/ ٦٤٦.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - النبات -:

أولًا: تسمية الله عز وجل بالزارع[(١)]:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - النبات - تسمية الله ﷻ بالزارع. من قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾[(٢)]، والصحيح أنه لا يجوز أن يقال لله تعالى: (الزارع) على أنه اسمًا له أو صفةً من صفاته وإنما يقال: هو الزارع على أنه خبر عن فعلٍ من أفعال الله تعالى، وليس كل فعلٍ فعله الله تعالى يشتق له منه اسمًا أو صفة[(٣)].

قال الشيخ حافظ حكمي[(٤)] رحمه الله: "ومن الخطأ ما عده بعضهم، ومنهم ابن العربي المالكي في كتابه أحكام القرآن حيث سماه بالفاعل والزارع، فإن الفاعل والزارع إذا أطلقا بدون متعلق ولا سياق يدل على وصف الكمال فيهما، فلا يفيدان مدحا، أما في سياقها من الآيات التي ذكرت فيها فهي

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي، بتحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت: ٢/ ٨٠٧، وإيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لمحمد بن إبراهيم المرتضى، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٦٠.

(٢) الواقعة: ٦٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ٨/ ١٩٦.

(٤) هو الشيخ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، عالم متفنن، له مؤلفات كثيرة منها: معارج القبول، وأعلام السنة المنشورة، والسبل السوية في فقه السنن المروية، واللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون، توفي عام ١٣٧٧هـ. انظر: الشيخ حافظ بن أحمد حكمي، د. أحمد بن علوش، والنهضة الإصلاحية في جنوب المملكة، لعمر مدخلي: ١٧٨

صفات كمال ومدح وتوحيد، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[١].. وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾[٢]. الآيات، بخلاف ما إذا عدت مجردة عن متعلقاتها وما سيقت فيه وله"[٣].

ثانيًا: تحريف معنى سجود الأشجار:

قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾[٤] والنجم ما لا ساق له، والشجر ما له ساق[٥].

فقيل في سجودهما أنهما يستقبلان الشمس إذا طلعت ثم يميلان معها حتى ينكسر الفيء. وقيل: سجودهما دوران الظل معهما، وقيل: إن معنى السجود أنها مسخرة لله فلا تعبدوها، وقيل: أصل السجود في اللغة الاستسلام والانقياد لله ﷻ، فهو من الموات كلها استسلامها لأمر الله ﷻ وانقيادها له[٦].

وقد سبق في مبحث عبودية الكائنات[٧] أن سجود هذه الكائنات سجود حقيقي الله أعلم بكيفيته لقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[٨].

---

(١) الأنبياء: ١٠٤.
(٢) الواقعة: ٦٣-٦٤.
(٣) معارج القبول: ١/ ١١٩.
(٤) الرحمن: ٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٧/ ١٣٦، وتفسير القرطبي: ١٧/ ١٥٣.
(٦) انظر هذه الأقوال في تفسير القرطبي: ١٧/ ١٥٤.
(٧) ص: ٦٥.
(٨) الإسراء: ٤٤.

المبحث التاسع
الأمراض

المرض في اللغة:

الميم والراء والضاد أصل صحيح يدل على ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان. منه العِلَّة. والمرض السقم نقيض الصحة يكون للإنسان والبعير، وهو اسم للجنس، ومرض فلان مَرَضًا ومرْضًا فهو مارض ومَرِض ومريض، والأنثى مريضة. وشمس مريضة، إذا لم تكن مشرقة.

والمَرْضُ والمرَضُ الشَّكُّ، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾(١) أي شكٌّ ونفاقٌ وضَعْفُ يَقِين، يقال المرَضُ والسُّقْم في البدَن والدِّين جميعًا، كما يقال الصِّحةُ في البدَن والدين جميعًا، والمرَضُ في القلب يَصْلُح لكل ما خرج به الإنسان عن الصحة في الدين ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾(٢)، ويقال قلب مَرِيضٌ من العَداوةِ وهو النِّفاقُ(٣).

وفي الاصطلاح:

المرض اعتلال الجسم أو العقل. وقد يكون المرض عارضا خفيفا مثل التهاب الحلق أو خطيرا مثل النوبة القلبية. ويمكن للأمراض أن تصيب أي جزء في الجسم. كما يمكنها أن تؤثر على صحة الشخص العقلية والوجدانية.

وتحدث أمراض عديدة بسبب كائنات حية دقيقة مثل البكتيريا أو الفيروسات، تقوم بغزو الجسم. وهذه الكائنات الدقيقة تسمى عادة جراثيم

(١) البقرة: ١٠.
(٢) الأحزاب: ٣٢.
(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٣١١، لسان العرب: ٦/ ٤١٨٠.

ولكن العلماء يسمونها أحياء مجهرية.

وتسمى الأمراض الناتجة عن هذه الأحياء الأمراض المعدية، وتسمى الأمراض الأخرى أمراضا غير معدية[١].

وقد ورد لفظ المرض في القرآن في (١٢) موضعًا[٢]، وورد في السنة في (١١) حديثًا[٣].

وذكر بعض المفسرين أن المرض في القرآن على ثلاثة أوجه[٤]:

أحدها: مرض البدن. ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾[٧].

والثاني: الشك. ومنه قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾[٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾[٩]، وقوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾[١٠].

والثالث: الفجور. ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[١١].

---

(١) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٢٣/ ١٠٥.
(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٨٣٩.
(٣) انظر: فهرس الأحاديث الكونية والطبية: ٤.
(٤) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ٥٤٥، وبصائر ذوي التمييز: ٤/ ٤٩٢.
(٥) البقرة: ١٩٦.
(٦) التوبة: ٩١.
(٧) النور: ٦١، الفتح: ١٧.
(٨) البقرة: ١٠.
(٩) التوبة: ١٢٥.
(١٠) محمد: ٢٠.
(١١) الأحزاب: ٣٢.

الدلائل العقدية للآية الكونية - الأمراض -:

الله سبحانه وتعالى حكيم عليم، لم يخلق شيئًا إلا وله فيه حكمة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[(١)]، ومن حكمته سبحانه وتعالى أن خلق الصحة وخلق ما يضادها من الأمراض، وهذا من آيات الله العظيمة التي أمر الله ﷻ بالتفكر فيها[(٢)].

"ومن تأمل خلق الأضداد في هذا العالم، ومقاومة بعضها لبعض، ودفع بعضها ببعض، وتسليط بعضها على بعض، تبين له كمال قدرة الرب تعالى، وحكمته، وإتقانه ما صنعه، وتفرده بالربوبية والوحدانية والقهر، وأن كل ما سواه فله ما يضاده ويمانعه، كما أنه الغني بذاته، وكل ما سواه محتاج بذاته"[(٣)].

ولله ﷻ في هذه الأمراض حكم عظيمة، فمن فوائد المرض وتمام نعمة الله على عبده، أنه ينزل بعبده من الضر والشدائد ما يلجئه إلى المخاوف، حتى يلجئه إلى التوحيد، ويتعلق قلبه بربه فيدعوه مخلصًا له الدين، قال الله تعالى عن نبيه أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾[(٤)].

فكشف الله ضره وأثنى عليه، فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[(٥)].

---

(١) الأنعام: ٨٣.
(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٢٠/ ٣٤، والتحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٠٤.
(٣) زاد المعاد: ٤/ ١٥١.
(٤) الأنبياء: ٨٣.
(٥) ص: ٤٤.

ومن فوائد المرض: انتظار المريض للفرج، الأمر الذي يجعل العبد يتعلق قلبه بالله وحده، وخصوصًا إذا يئس المريض من الشفاء من جهة المخلوقين وحصل له الإياس منهم وتعلق قلبه بالله وحده، وهو من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج.

ومن فوائد المرض: أنه علامة على إرادة الله بصاحبه الخير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرا يصب منه»[(١)].

ومن فوائد المرض: أن الله يستخرج به الشكر، فإن العبد إذا ابتلي بعد الصحة بالمرض، وبعد القرب بالبعد، اشتاقت نفسه إلى العافية، وبالتالي تتعرض إلى نفحات الله بالدعاء، فإنه لا يرد القدر إلا الدعاء، بل ينبغي له أن يتوسل إلى الله ولا يتجلد تجلد الجاهل؛ فإن الله أمر العبد أن يسأله تكرمًا، وهو يغضب إذا لم تسأله، فإذا منح الله العبد العافية وردها عليه عرف قدر تلك النعمة؛ فلهج بشكره شكر من عرف المرض وباشر وذاق آلامه لا شكر من عرف وصفه ولم يقاس ألمه، فإذا نقله ربه من ضيق المرض والفقر والخوف إلى سعة الأمن والعافية والغنى فإنه يزداد سروره وشكره ومحبته لربه بحسب معرفته وبما كان فيه.

ومن فوائد المرض: معرفة العبد ذله وحاجته وفقره إلى الله، فأهل السماوات والأرض محتاجون إليه سبحانه، فهم فقراء إليه وهو غني عنهم، ولولا أن سُلط على العبد هذه الأمراض لنسي نفسه، فجعله ربه يمرض ويحتاج، لتظهر بذلك عبوديته لربه، وفي الأمراض من الحِكم والأسرار ما لا يعمله إلا الله تعالى.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المرض، باب ما جاء في كفارة المرض: ١١٠٩ برقم (٥٦٤).

أولًا: توحيد الربوبية:

الأمراض خلق من خلق الله ﷻ فعن أم الدرداء رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إن الله خلق الداء والدواء، فتداووا ولا تتداووا بحرام»[(١)].

وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«إن الله حيث خلق الداء خلق الدواء، فتداووا»**[(٢)].

ثانيًا: توحيد الأسماء والصفات:

١- نفي الشر عن الله:

من مقتضى الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات الإيمان بأن أفعال الله ﷻ كلها خير محض من حيث اتصافه بها وصدورها عنه، ليس فيها شر بوجه من الوجوه، وأما من جهة العبد فنفس المقدور قد يكون شرًا لما يلحقه من المهالك[(٣)]، وقد قال النبي ﷺ: «والخير كله في يديك والشر ليس إليك»[(٤)] وفيما يتعلق بهذه الآية الكونية - الأمراض - أخبر الله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام أنه قال ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾[(٥)] فأسند المرض إلى نفسه، وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلْقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدبا، كما قال تعالى آمرًا للمصلي أن يقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: ٢٤/ ٢٥٤ برقم (٦٤٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات. وحسنه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة: ٤/ ١٧٤ برقم (١٦٣٣).

(٢) مسند الإمام أحمد: ٢٠/ ٥٠، برقم (١٢٥٩٦)، وقال محققه: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم: ٣/ ١٢١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه: ١/ ٥٢٤ برقم (٧٧١).

(٥) الشعراء: ٨٠.

غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾[(١)] فأسند الإنعام إلى الله، سبحانه وتعالى، والغضب حُذف فاعله أدبًا، وأسند الضلال إلى العبيد، كما قالت الجن[(٢)]: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴿١٠﴾﴾[(٣)].

٢- العلو:

من أنواع الأدلة التي استدل بها أهل السنة والجماعة على علو الله نزول الأمر من الله تعالى[(٤)]، ومن ذلك نزول الداء والدواء من الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»[(٥)].

والمراد إنزال علم ذلك الدواء والشفاء[(٦)].

٣- الشافي:

من أسماء الله عز وجل الشافي[(٧)]، فهو سبحانه وحده الشافي لجميع الأمراض، وقد دل على هذا الاسم حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يعوذ بعضهم يمسحه بيمينه، أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا»[(٨)].

---

(١) الفاتحة: ٦-٧.
(٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ١٤٦، وانظر: التحرير والتنوير: ١٩/ ١٤٢.
(٣) الجن: ١٠.
(٤) انظر: شرح الطحاوية: ١٤٤، ٢٦٤، إعلام الموقعين: ٢/ ٢٨٢.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما انزل الله داء إلا أنزل شفاء: ١١١٦ برقم (٥١٧٨).
(٦) فتح الباري: ١٠/ ١٣٥.
(٧) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي: ١/ ٢١٨، وكتاب التوحيد لابن منده: ٢/ ١٣٩.
(٨) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب مسح الراقي الوجع بيده اليمنى: ١١٢٦ برقم (٥٧٥٠)، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض: ٤/ ١٧٢١ برقم (٢١٩١).

٤- الطبيب:

عد بعض أهل العلم الطبيب من أسماء الله ﷻ[(١)]، عن أبي رمثة رضي الله عنه؛ قال: «أتيت للنبي ﷺ مع أبي فرأى التي بظهره، فقال: يا رسول الله، ألا أعالجها لك فإني طبيب، قال: أنت رفيق والله الطبيب»[(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها: قالت: «مرض رسول الله ﷺ فوضعت يدي على صدره، فقلت: اذهب البأس، رب الناس، أنت الطبيب، وأنت الشافي، وكان رسول الله ﷺ يقول: الحقني بالرفيق الأعلى والحقني بالرفيق الأعلى»[(٣)].

ثالثًا: توحيد الألوهية:

كثيرًا ما يستدل الله ﷻ وجل في كتابه على المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، ومما يتعلق بهذه الآية الكونية - الأمراض - أن إبراهيم عليه السلام حين تبرأ من المشركين وآلهتهم التي تعبد إلا الله ﷻ رب العالمين ذكر من جملة صفاته أنه يشفي المرض[(٤)]، فقال تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ

(١) المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي فودة، دار الفكر: ١/ ٢٠٩، رقم (١٥٣٧)، الأسماء والصفات للبيهقي: ١/ ٢١٧، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، لمحمد بن خليفة التميمي، دار إيلاف، ط١: ٢٩٣، وأسماء الله الحسنى لعبد الله الغصن، دار الوطن، الرياض: ٣٥٥.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الترجل، باب في الخضاب: ٤٥٨ برقم (٤٢٠٧)، ومسند الإمام أحمد: ٢٩/ ٣٩ برقم (١٧٤٩٢)، وقال محققه: إسناده صحيح. وانظر: السلسلة الصحيحة: ٤/ ٥١ برقم (١٥٣٧).

(٣) مسند الإمام أحمد: ٤١/ ٢٩١ برقم (٢٤٧٧٤)، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١٣/ ١٠، وتفسير ابن كثير: ٦/ ١٤٥.

﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾[(١)].

١- التوكل:

جاء في الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي وأن ذلك لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والبرد، وأن فعل هذه الأسباب التي جعلها الله أسبابًا مما أمرت به الشريعة، وأن تركها يقدح في التوكل ويضعفه[(٢)].

وأخبر النبي ﷺ أن المرض لا يعدي بنفسه، وأن مخالطة المريض لا تضر إلا بإذن الله ﷻ وأنه سبحانه هو المقدر لذلك فوجب فعل الأسباب بالابتعاد عن أسباب الشر، والتوكل على الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى[(٣)]، فقام أعرابي فقال أرأيت الإبل تكون في الرمال أمثال الضباء، فيأتيها البعير الأجرب فتجرب. فقال النبي ﷺ: فمن أعدى الأول»[(٤)].

والمرض يتعدى من محل إلى محل، ويتعدى من المريض إلى السليم، ويتعدى من الجربى إلى الصحيحة، هذا شيء موجود.

فبين الرسول ﷺ، أن مجرد مقاربة المريض أو القدوم على المحل الموبوء هذا سبب، أما التأثر فهو بيد الله سبحانه وتعالى، فقد يدخل الإنسان في الأرض الموبوءة ولا يصاب، وقد يورد الممرض على المصح ولا

---

(١) الشعراء: ٧٥-٨٢.

(٢) انظر: الفصل الرابع من هذا البحث: ١٨١.

(٣) المراد بالعدوى: انتقال المرض من شخص إلى شخص، أو من بهيمة إلى بهيمة، أو من مكان إلى مكان. انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: ٢/ ٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب لا عدوى: ١١٣٠ برقم (٥٧٧٥).

يصاب، قد ينام المريض بجانب الصحيح ولا يصاب، وقد يصاب، فما وجه التفريق بين الحالتين؟ وجه التفريق: أن هذا راجع إلى مشيئة الله تعالى[(١)].

٢- الدعاء:

كان من هدي النبي ﷺ الدعاء عند وجود المرض، والاستعاذة بالله سبحانه وتعالى، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أتى المريض يدعو له، قال أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا»[(٢)]، وهذا الدعاء من جملة الأسباب التي أمر الله بها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾[(٣)]، "وقد تواترت الأحاديث بالاستعاذة من الجنون والجذام وسيء الأسقام ومنكرات الأخلاق والأهواء والأدواء، فمن ينكر التداوي بالدعاء يلزمه أن ينكر التداوي بالعقاقير، ولم يقل بذلك إلا شذوذ، والأحاديث الصحيحة ترد عليهم، وفي الالتجاء إلى الدعاء مزيد فائدة ليست في التداوي بغيره لما فيه من الخضوع والتذلل للرب سبحانه، بل منع الدعاء من جنس ترك الأعمال الصالحة اتكالًا على ما قدر فيلزم ترك العمل جملة، ورد البلاء بالدعاء كرد السهم بالترس، وليس من شرط الإيمان بالقدر أن لا يتترس من رمي السهم، والله أعلم"[(٤)].

---

(١) انظر: إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد: ٢/ ٨، وفتح الباري: ١٠/ ١٦٠.

(٢) سبق تخريجه: ٥٨٨.

(٣) غافر: ٦٠.

(٤) مرعاة المفاتيح المطبوع بحاشية مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيدالله المباركفوري، إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية - الهند: ٩/ ٥٢٥.

رابعًا: الإيمان بالملائكة:

من الإيمان بالملائكة الإيمان بأعمالهم التي وكلهم الله بها، ومنها أنهم يمنعون مرض الطاعون من دخول المدينة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»(١).

خامسًا: الإيمان بالرسل:

من الإيمان بالرسل الإيمان بالآيات التي أيد الله بها رسله، ومن تلك الآيات: الآية التي أظهرها الله عز وجل على يد رسوله عيسى عليه السلام حيث كان يبرئ الأبرص والأكمه(٢)، قال تعالى عنه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾(٣).

ومما يتعلق بهذه الآية الكونية أيضًا بشرية الرسل، وأنه يصيبهم ما يصيب غيرهم من الأمراض(٤)، وأنهم يخيرون عند مرضهم بين الدنيا والآخرة، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة، وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعته يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ فعلمت أنه خير»(٥).

---

(١) صحيح البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة: ٣٥٧ برقم (١٨٨١).

(٢) انظر: تفسير السعدي: ١٣١.

(٣) آل عمران: ٤٩.

(٤) انظر: فتح الباري: ١٠/٢٢٧، وفيض القدير: ٥/٥٠١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: ٨٧١ برقم (٤٥٨٦).

سادسًا: الإيمان باليوم الآخر:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بجميع ما أخبر الله به ورسوله ﷺ من الجنة والنار، ومن ذلك أن الحمى من فيح جهنم فدل على أن النار مخلوقة الآن[١]، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء»[٢].

سابعًا: الإيمان بالقدر:

من الإيمان بالقدر الإيمان بمشيئة الله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل مؤمن يعرف ويوقن تمامًا أن من يتعرض لمسببات المرض فإن ذلك لا يعني أبدًا أنه سوف يصاب بهذا المرض إذا أراد الله سبحانه وتعالى حفظه وتجنيبه، ومن لا يتعرض لمسببات المرض فإن ذلك لا يعني للمرء أنه لن يصاب بالمرض إذا قدر مُقدِر المقادير ومُسببُ الأسباب أن يصاب هذا المرء بالمرض، ومن واجب المسلم التوكل على الله سبحانه وتعالى في جميع أمور حياته اليومية، لكنه مأمور بالأخذ بالأسباب والتحصن ضد مسببات الأمراض[٣].

وقد علق النبي ﷺ البرأ من المرض على إذنه ومشيئته سبحانه وتعالى، فعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى»[٤]، "ففيه الإشارة إلى أن الشفاء متوقف على

---

(١) انظر: فتح الباري: ٦/ ٣٢٠، ٣٣٠، ومعارج القبول: ٢/ ٨٦١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة: ٦٢٥ برقم (٣٢٦٣).

(٣) انظر: الإعجاز العلمي في لفظتي المريض والمرض في الأحاديث النبوية، لعبد البديع حمزة زللي: ٢، وإعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد: ٢/ ٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي: ٤/ ١٧٢٩ برقم (٢٢٠٤).

الإصابة بإذن الله، وذلك أن الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية أو الكمية فلا ينجع، بل ربما أحدث داء آخر. وفي حديث ابن مسعود ﵁: «إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء فتداووا» الإشارة إلى أن بعض الأدوية لا يعلمها كل أحد، وفيها كلها إثبات الأسباب، وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله لمن اعتقد أنها بإذن الله وبتقديره، وأنها لا تنجح بذواتها بل بما قدره الله تعالى فيها، وأن الدواء قد ينقلب داء إذا قدر الله ذلك، وإليه الإشارة بقوله في حديث جابر ﵁: "بإذن الله"، فمدار ذلك كله على تقدير الله وإرادته. والتداوي لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب، وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب العافية ودفع المضار وغير ذلك"[(١)].

ولما خرج عمر بن الخطاب ﵁ إلى الشام ووجد الوباء قد وقع بها، رجع بعد اختلاف الصحابة في ذلك[(٢)]، فقيل له تفر من قدر الله، فقال ﵁: «أفر من قدر إلى قدر». ثم أخبره عبد الرحمن بن عوف ﵁ أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه»، قال: فحمد الله عمر بن الخطاب ثم انصرف[(٣)].

ثامنًا: النهي عن التفرق:

حذر النبي ﷺ من الافتراق، وبين أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، ثم بين حال هؤلاء المتفرقين وأنه

(١) فتح الباري: ١٠/ ١٣٥.
(٢) انظر: الاستذكار: ٢٦/ ٧٠.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون: ١١٢٣ برقم (٥٧٢٩)، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها: ٤/ ١٧٤٠ برقم (٢٢١٩).

كحال من يتجارى به الكَلَب، فعن معاوية بن أبى سفيان ﵁ قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة، وهي الجماعة». زاد ابن يحيى وعمرو فى حديثيهما «وإنه سيخرج من أمتى أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه».

وقال عمرو: «الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله»[(١)].

فبين ﷺ أن هذه الأهواء تتجارى بهم، كما يتجارى الكلب بصاحبه؛ "فإن الكلب داء يعرض للإنسان من عضة الكلب الكلِب، وهو داء يصيب الكلب كالجنون. وعلامة ذلك فيه أن تحمر عيناه، وأن لا يزال يدخل ذنبه بين رجليه، وإذا رأى إنسانًا ساوره[(٢)]، فإذا عقر هذا الكلب إنسانًا عرض له من ذلك أعراض رديئه، منها أن يمتنع من شرب الماء حتى يهلك عطشًا، ولا يزال يستسقي حتى إذا سقي الماء لم يشربه"[(٣)]، وكذلك البدع تدخل فيهم وتؤثر في أعضائهم[(٤)].

"شبه حال الزاغين من أهل البدع في استيلاء تلك الأهواء عليهم، وفي سراية تلك الضلالة منهم إلى الغير بدعوتهم إليها، ثم تنفرهم من العلم وامتناعهم من قبوله حتى يهلكوا جهلًا، بحال صاحب الكَلَب وسريان تلك

---

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب شرح السنة: ٥٠٣، برقم (٤٥٩٧)، ومسند الإمام أحمد: ٢٨/ ١٣٥ برقم (١٦٩٣٧)، وقال محققه: إسناده حسن. وحسنه الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود: ٣/ ٨٦٩.

(٢) أي وثب عليه. انظر: تهذيب اللغة: ١٣/ ٣٥.

(٣) معالم السنن للخطابي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت: ٧/ ٤.

(٤) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ١/ ٣٨٢.

العلة في عروقه ومفاصله شبه الجنون، ثم تعديته إلى الغير فلا يعض المجنون أحدًا إلا كُلِب - أي جن -، ويعرض له أعراض رديئة تشبه الماليخوليا مهلكة غالبًا، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشًا"[(١)].

(١) المرجع السابق: ١/ ٢٧٨.

المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الأمراض -:

أولًا: تحريف معنى حديث: «مرضت فلم تعدني».

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الأمراض - تأويل معنى حديث "مرضت فلم تعدني"، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين، قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين، قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال يا رب كيف أسقيك، وأنت رب العالمين، قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما علمت أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»(١).

فقالوا هذا الحديث يتضمن معنى باطلًا - وهو أن الله يمرض تعالى الله عن ذلك - ولذا يجب صرفه عن ظاهره(٢).

والجواب: أن "الحديث صريح بأن الله لم يمرض، ولم يأكل ولم

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض: ٤/ ١٩٩٠ برقم (٢٥٦٩).

(٢) انظر: العواصم من القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم لمحمد بن إبراهيم ابن الوزير، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٣: ٤/ ١٤١.

يشرب، وإنما العبد هو الذي مرض وطعم وسقي، والمعنى: لوجدت ذلك أي: ثواب ذلك عندي، يعني وجدت ذلك، يعني ثوابه، ثواب العمل، لوجدت ذلك عندي، وإلا فالله - سبحانه وتعالى - فوق العرش، مستوٍ على العرش، بائنٌ من خلقه.

وإنما هذا العبد؛ ولذلك قال: أما علمت أن عبدي مرض؟ أما علمت أن عبدي جاع؟ أما علمت أن عبدي استسقى؟ فالعبد هو الذي مرض وهو الذي جاع، وهو الذي استسقى، لوجدت ذلك عنده يعني ثوابه"[(١)].

ثانيًا: سب المرض:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية - الأمراض - سبها ووصفها بالخبث، وهذا أمر لا يجوز فإن سبها سب لخالقها، وهو الله ﷻ، وقد ورد في الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن أم السائب قالت: «الحمى لا بارك الله فيها»، **فقال النبي ﷺ لها: «لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديث»**[(٢)].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "الحمى هي السخونة، وهي نوع من الأمراض وهي أنواع متعددة، ولكنها تكون بقدر الله ﷻ، فهو الذي يقدرها وقوعًا، ويرفعها سبحانه وتعالى، وكل شيء من أفعال الله فإنه لا يجوز للإنسان أن يسبه؛ لأن سبه سب لخالقه جل وعلا، ولهذا قال ﷺ: «لا تسبوا

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ٤/ ١٤١، وانظر: شرح النووي على مسلم: ٨/ ٣٧١، ومجموع الفتاوى: ٣/ ٤٣-٤٤، ٢/ ٤٦٢، ومجموع فتاوى ومقالات ابن باز: ٣/ ٧٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة: ٤/ ١٩٩٣، برقم (٢٥٧٥).

الدهر فإن الله هو الدهر»[(١)] "[(٢)].

ثالثًا: اليأس من روح الله والقول بأن هذا المرض ليس له علاج:

من المخالفات العقدية المتعلقة بهذه الآية الكونية: اليأس من روح الله، واعتقاد أن بعض الأمراض ليس لها علاج، ومن ذلك قول بعض الأطباء هذا مرض ليس له علاج، ميئوس منه ولا يقيد ذلك بقوله: ليس له علاج عندي أو نحو ذلك[(٣)]، وهذا الأمر مخالف للحديث الصحيح: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»[(٤)]، **وفي رواية**: «علمه من علمه وجهله من جهله»[(٥)]، **وقوله** ﷺ: «**لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى**»[(٦)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر: ٤/ ١٧٦٢ برقم (٢٢٤٦).

(٢) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن عثيمين: ٦/ ٤٦٧، وانظر: فتاوى الشيخ صالح الفوزان، مجلة الدعوة العدد (٢٠٠٩)، ٤ شعبان ١٤٢٦هـ.

(٣) انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، العدد ٧: ٣/ ٥٦٣.

(٤) سبق تخريجه: ٥٨٨.

(٥) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٥٠ برقم (٣٥٧٨)، وقال محققه: صحيح لغيره.

(٦) سبق تخريجه: ٥٩٣.

الفصل السابع
الآيات الكونية
المتعلقة بأشراط الساعة

وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: الآيات الكونية المتعلقة بأشراط الساعة الصغرى

المبحث الثاني: الآيات الكونية المتعلقة بأشراط الساعة الكبرى

تمهيد

أخبر الله ﷻ أن للساعة علامات، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ۝١٨﴾(١).

و" أشراطها أي أماراتها وعلاماتها "(٢).

والأشراط في اللغة:

جمع شرَط بالتحريك، والشرَط العلامة، وأشراط الساعة أي علاماتها، وأشراط الشيء أوائله، ومنه شُرط السلطان، وهم نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من مجموع جنده(٣).

وفي الاصطلاح:

هي العلامات التي تسبق يوم القيامة وتدل على قدومها(٤).

وتنقسم أشراط الساعة إلى قسمين(٥):

الأول: أشراط الساعة الكبرى:

وهي التي تظهر قرب قيام الساعة، وإذا ظهر أولها تتابعت سريعًا، وتكون غير معتادة الوقوع.

---

(١) محمد: ١٨.

(٢) تفسير القرطبي: ١٦/ ٢٤٠.

(٣) انظر: الصحاح: ٣/ ١٣٦، والنهاية في غريب الحديث: ٢/ ٤٦٠.

(٤) الجامع لشعب الإيمان: ٢/ ١٨٩، والمنهاج في شعب الإيمان: ١/ ٤٢٢.

(٥) انظر: فتح الباري: ١٣/ ٩١، و مقدمة الدكتور محمد العقيل في تحقيقه لكتاب القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة للسخاوي، دار أضواء السلف، الرياض، ط١: ٦٣، وأشراط الساعة ليوسف الوابل، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢: ٩.

والثاني: أشراط الساعة الصغرى:

وهي التي تتقدم قيام الساعة بأزمان متطاولة، ولا تزال، وتكون في أصلها معتادة الوقوع.

وهذه الآيات الكونية المتعلقة بأشراط الساعة لها دلالتها العقدية من الإيمان بالغيب واليوم الآخر، وما أخبر الله به من أشراط الساعة الصغرى والكبرى، والإيمان بقدرة الله وملائكته، وصدق رسوله ﷺ وغيرها من الدلائل.

أما ما سأذكره من النظرة العلمية المعاصرة وبعض هذه التفسيرات فهو فقط لمجرد معرفة بعض أقوال أهل التفسير والإعجاز العلمي، ولا يعني التسليم بكل ما ذكر؛ لأنه لا بد قبل الخوض في ذكر بعض هذه التفسيرات للآيات والأحاديث التي وردت في أشراط الساعة وأحوال القيامة أن يرجع لهذه الضوابط في تنزيل هذه التفسيرات المعاصرة على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية[(١)]:

القسم الأول: ضوابط متعلقة بمصادر التلقي:

١- الاقتصار على نصوص الوحيين.

٢- الحرص على جمع روايات وألفاظ الأحاديث والآثار في الباب الواحد ثم التحقق من ثبوتها.

٣- تعظيم النص بأن يكون حكمًا على الواقع لا العكس.

---

(١) موقف أهل السنة والجماعة من تنزيل نصوص الفتن وأشراط الساعة على الحوادث، السفياني أنموذجًا، إعداد: زاهر بن محمد الشهري، رسالة ماجستير، في قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود: ٢٢١ وما بعدها، باختصار.

القسم الثاني: ضوابط متعلقة بمنهج الاستدلال:

١- حمل النصوص الشرعية على ظاهرها.

٢- التحقق من معنى النص وفهمه على مقتضى لغة العرب التي نزل بها.

٣- أن لا تفسر النصوص الشرعية المتعلقة بالفتن وأشراط الساعة وفق الأخبار الإسرائيلية.

٤- مراعاة الألفاظ الشرعية.

٥- عدم تحديد تواريخ وأوقات معينة لوقوع الفتن وأشراط الساعة مما لم يرد في النصوص.

٦- مراعاة البعد الزمني والتسلسلي في ترتيب أشراط الساعة.

٧- عدم محاكمة نصوص المستقبل للواقع الحالي.

القسم الثالث: ضوابط متعلقة بمن يقوم بتنزيل النص على الواقع:

١- الإخلاص وقصد الحق في البحث والخروج عن الهوى.

٢- الرجوع إلى أهل العلم، والسير على منهاجهم.

٣- التأني لمن أراد التنزيل.

٤- التفريق عند التنزيل بين ما يقطع بتحققه وبين ما يكون في دائرة الظن.

القسم الرابع: ضوابط متعلقة بالحوادث والوقائع المنزل عليها:

١- التحقق من الوقائع والحوادث.

وهذا التحقق له جانبان:

الأول: التثبت من طبيعة الوقائع والحوادث.

والثاني: أن تستكمل الوقائع والحوادث للأوصاف الواردة في النص.

٢- عدم محاولة افتعال واقع معين أو أحداث لتتنزل عليها النصوص.

٣- ليس شرطًا أن تربط كل فتنة وحدث بنصوص الفتن وأشراط الساعة على وجه التحديد والتعيين.

المبحث الأول
الآيات الكونية
المتعلقة بأشراط الساعة الصغرى

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الطاعون.

المطلب الثاني: ظهور نار الحجاز.

المطلب الثالث: كثرة الزلازل.

المطلب الرابع: ظهور الخسف.

المطلب الخامس: انتفاخ الأهلة.

المطلب السادس: عود أرض العرب مروجًا وأنهارًا.

المطلب السابع: كثرة المطر وقلة النبات.

المطلب الأول: الطاعون

الطاعون وباء معروف، وهو بثر وورم مؤلم جدًا يخرج مع لهب، ويسود ما حوله أو يخضر أو يحمر حمرة بنفسجية كدِرة، ويحصل معه خفقان القلب والقيء، وقلما يلبث صاحبها[(١)].

وفي عرف المعاصرين:

الطاعون مرض إنتاني وبائي، عامله جرثومة بشكل العصية اكتشفها العالم (بيرسين) سنة ١٨٤٩ فسميت باسمه، وكان يأتي بشكل جائحات تجتاح البلاد والعباد، وتحصد في طريقها الألوف من الناس، وهو يصيب الفئران عادة ثم تنتقل جراثيمه منها إلى الإنسان بواسطة البراغيث، فتصيب العقد البلغمية في الآباط والمغابن[(٢)].

وقد ذكر النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الطاعون قد أصاب المسلمين في أزمنة متعددة، منها:

١- طاعون شيرويه بالمدائن في عهد رسول الله ﷺ سنة ست من الهجرة.

٢- طاعون عمواس بالشام في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومات فيه أبو عبيدة عامر بن الجراح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وخلق كثير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكان عدد الموتى خمسة وعشرين ألفا.

---

(١) انظر: فتح الباري: ١/ ١٤٩، وشرح النووي على مسلم: ١/ ١٠٥، والأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها، للدكتور: محمد البار، دار المنارة، جدة، ط٢: ١٧.

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ليوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط١٢: ٦١٠، والإعجاز العلمي في السنة النبوية، لصالح رضا، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١: ٥٤٥، والموسوعة العربية العالمية: ٢٧/ ٤٨.

٣- الطاعون الذي وقع في زمن ابن الزبير رضي الله عنه في شوال سنة تسع وستين، ومات في خلال ثلاثة أيام في كل يوم منها سبعون ألفا، ومات فيه لأنس بن مالك رضي الله عنه ثلاثة وثمانون ابنا، ومات لعبد الرحمن بن أبي بكرة رضي الله عنه أربعون ابنا.

٤- طاعون الفتيات، وسمي بذلك لأنه بدأ بالعذارى، ويقال له: طاعون الأشراف: لكثرة من مات فيه من الأشراف، وكان ذلك الطاعون سنة سبع وثمانين، ووقع بالبصرة والكوفة والشام وواسط، ومات فيه خلق كثير.

٥- طاعون الكوفة، سنة خمسين للهجرة، ومات فيه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

٦- طاعون سنة مائة وإحدى وثلاثين، وبدأ في رجب واشتد في رمضان، وكان يحصى في سكك المربد كل يوم ألف جنازة، ثم خف في شوال[١].

(١) الأذكار: ٢٢٤.

الدلائل العقدية للآية الكونية - الطاعون -:

الطاعون مرض من الأمراض، وقد سبق ذكر الدلائل العقدية للأمراض عموما[(١)]، وحيث أن للطاعون تعلق بأشراط الساعة الصغرى فسيتم ذكر الدلائل المتعلقة به خصوصا.

أولًا: الإيمان بالملائكة:

من الإيمان بالملائكة: الإيمان بأعمالهم ومنها أنهم يحرسون المدينة من دخول الطاعون. عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال، ولا الطاعون إن شاء الله»[(٢)].

ثانيًا: الإيمان بالرسل:

من الإيمان بالرسل الإيمان بجميع ما أخبروا به ومن ذلك انتشار الطاعون عند ظهور الفاحشة، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها؛ إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»[(٣)].

يقول الدكتور محمد على البار في كتابه - الأمراض الجنسية - عن انتشار الأمراض: "ولا شك أن الهربس لم يكن منتشرًا بهذه الصورة ولا قريبًا من

---

(١) ص: ٥٨٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة: ١٣٦١ برقم (٧١٣٤).

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات: ٤٣٢ برقم (٤٣٢)، ومستدرك الحاكم: ٤/ ٥٤٠، وقال صحيح على شرط مسلم، وانظر: فتح الباري: ١٠/ ١٩٣، والسلسلة الصحيحة: ١/ ١٦٧.

عشرها أو واحد بالمئة منها منذ عشرين عاما فقط"(١).

أيضًا: "فإن أحدا من العلماء لم يسبق له وصف هذا المرض أو الطاعون من قبل وهو ما ختم به رسول الله ﷺ حديثه الشريف في قوله: «... التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا» فانظر إلى خبر رسول الله ﷺ الواثق في الله تعالى"(٢).

وهذا يدل على صدق ما أخبر به الرسول ﷺ وإعجاز في حديثه من جهتين:

إن رسولنا الكريم ﷺ يخبر عن حال أهل الفاحشة في كل زمان ومكان، بثقة المتكلم عن الله، وما كان أغناه أن يصف الطواعين والأوجاع بأنها لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، هذا لو كان بشرا عاديا حتى يضمن كلامه في المستقبل... ولكن رسولنا الكريم يثق في الله تعالى ويتكلم عن الله، فأنبأ أن هذه الطواعين والأوجاع سيصيب الله بها أهل الفاحشة، وستكون جديدة وغير معروفة. وهكذا نرى في حديث رسول الله ﷺ إعجازين:

"الأول: إخباري... تحديد لأهل الفاحشة بقوله: إن الله سيبتليهم بأمراض.

الثاني: طبي إعجازي... تحديد نوعية هذه الطواعين بأنها لم تكن في أسلافهم الذين مضوا.."(٣).

والإعجاز النبوي يظهر في الحديث أيضًا في منع الشخص المقيم في

(١) الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها: ٦، ١٧، ٢٢٩.
(٢) قواعد تناول الإعجاز العلمي والطبي في السنة وضوابطه، للأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد العزيز المصلح، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١: ٣٢.
(٣) انظر موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث للأستاذ عبد الرحيم مارديني، دار المحبة، بيروت: ١٢٠-١٢١.

أرض الوباء أن يخرج منها حتى وإن كان غير مصاب، فإن منع الناس من الدخول إلى أرض الوباء قد يكون أمرًا واضحًا ومفهومًا بدون الحاجة إلى معرفة المرض، ولكن منع من كان في البلدة المصابة بالوباء من الخروج منها حتى وإن كان الشخص سليمًا أمر غير واضح العلة، والعادة أن الإنسان يفر من البلدة المصابة إلى بلدة أخرى سليمة، حتى لا يصاب بالعدوى، لكن الطب الحديث أثبت أن الشخص السليم في منطقة الوباء قد يكون حاملًا للميكروب، وكثير من الأوبئة تصيب العديد من الناس، ولكن ليس كل من دخل جسمه الميكروب يصبح مريضًا، فكم من شخص يحمل جراثيم المرض دون أن يبدو عليه أثر من آثاره، فالحمى الشوكية، وحمى التيفود، والزخار، والباسيلي، والسل، بل وحتى الكوليرا، والطاعون قد تصيب أشخاصًا عديدين دون أن يبدو على أي منهم علامات المرض، بل ويبدو الشخص وافر الصحة سليم الجسم، ومع ذلك فهو ينقل المرض إلى غيره من الأصحاء.

وهناك أيضًا فترة الحضانة، وهي الفترة الزمنية التي تسبق ظهور الأعراض منذ دخول الميكروب وتكاثره حتى يبلغ أشده، وفي هذه الفترة لا يبدو على الشخص أنه يعاني من أي مرض، ولكن بعد فترة من الزمن قد تطول وقد تقصر على - حسب نوع المرض والميكروب الذي يحمله - تظهر عليه أعراض المرض الكامنة في جسمه[(١)].

فهذه بعض الحقائق التي تدل على صدق النبي ﷺ وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة والمطهرة: ٦٠٧-٦٠٩.

ثالثًا: الإيمان القدر:

على المؤمن إذا علم بوجود الطاعون في بلده أن لا يخرج منها خوفا منه، فلا يدري فلربما يصاب به في بلدة أخرى، أو قد يصاب بغيره من الأمراض، فعليه أن يتوكل على الله تعالى، وأن يصبر محتسبا، وألا يخرج وليس ذلك من باب إلقاء اليد إلى التهلكة، بل ذلك من قبيل امتثال أمر النبي ﷺ، وكذلك إذا علم المسلم أن هناك بلدا بها مرضا خطيرا، فيجب عليه أن لا يقدم إليها فرارا من أن يصيبه، فإن تعمد وقدم وأصيب به، فهذا من قبيل إلقاء النفس إلى التهلكة والانتحار، لمخالفة أمر النبي ﷺ في ذلك، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه»[(١)]، **فعلى المسلم أن يستسلم لقضاء ربه تبارك وتعالى، ويصبر متوكلًا على الله تعالى، في مقابلة هذا البلاء الخطير، والداء الكبير، وألا يجزع، لأن الأمر كله لله**[(٢)].

وقد سألت عائشة رسول الله ﷺ عن الطاعون؟ فقال عنه: «إنه عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر شهيد»[(٣)].

ولما أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخول الشام وعلم أن بها الطاعون، توقف فلم يدخلها، ثم دعا المهاجرين الأولين، فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٤): ٦٦٩، برقم (٣٤٧٣).
(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ط١: ٢٨/ ٣٣٠.
(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٤): ٦٦٩، برقم (٣٤٧٤).

ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوتهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش، من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس، ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر رضي الله عنه في الناس: إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه، قال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: أفرارا من قدر الله، فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ نعم، نفر من قدر الله، إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله، قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وكان متغيبا في بعض حاجته، فقال: إن عندي في هذا علما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه»، قال: فحمد الله عمر ثم انصرف»(١). **ولم يدخل رضي الله عنه من باب الطيرة أو التشاؤم، بل من باب عدم إلقاء النفس إلى التهلكة**(٢).

رابعًا: مسائل الأسماء والأحكام:

الشهادة:

من مات بالطاعون فهو شهيد أي في حكم الآخرة، أما في الدنيا فإنه لا يعامل معاملة الشهيد؛ فإنه يغسل ويكفن ويصلى عليه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «الطاعون شهادة لكل مسلم»(٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون: ١١٢٣ برقم (٥٧٢٩).
(٢) انظر: فتح الباري: ١٠/ ١٦٢، وشرح النووي على مسلم: ٩٤/ ٢٠٩.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء: ٣/ ١٥٢٢ برقم (١٩١٦).

المطلب الثاني: ظهور نار الحجاز

من أشراط الساعة الصغرى ظهور نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببُصرى، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببصرى»[(١)]، وقد ظهرت هذه النار في منتصف القرن السابع الهجري في عام ٦٥٤ هـ، وكانت نارًا عظيمة أفاض العلماء ممن عاصر ظهورها ومن بعدهم بوصفها.

قال النووي رحمه الله: "خرجت في زماننا نار في المدينة سنة أربع وخمسين وست مائة، وكانت نارا عظيمة جدا، من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، وتواتر العلم بها عند جميع أهل الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة"[(٢)].

ونقل ابن كثير رحمه الله أن غير واحد من الأعراب ممن كان بحاضرة بصرى شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز، وهذه النار مما تواتر العلم بخروجها[(٣)]، ونقل عن أبي شامة المقدسي[(٤)] رحمه الله: "في سنة أربع وخمسين وستمائة في يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة ظهرت نار بأرض المدينة النبوية في بعض تلك الأودية طول أربعة فراسخ، وعرض أربعة

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر خروج النار: ١٣٥٩ برقم (٧١١٨).
(٢) شرح النووي على مسلم: ١٨/ ٢٨.
(٣) انظر: البداية والنهاية: ١٧/ ٣٢٩، وشرح النووي على مسلم: ١٨/ ٢٨.
(٤) هو أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي المقرئ النحوي المؤرخ، صاحب التصانيف، ومنها الباعث على إنكار البدع والحوادث، توفي سنة ٦٦٥ هـ. العبر في خبر من غبر لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت: ٣/ ٣١٢، وشذرات الذهب: ٥/ ٣١٨.

أميال، تسيل الصخر حتى يبقى مثل الآنك، ثم يصير كالفحم الأسود، وأن ضوءها كان الناس يسيرون عليه بالليل إلى تيماء[(١)]، وأنها استمرت شهرا، وقد ضبط ذلك أهل المدينة وعملوا فيها أشعارا"[(٢)].

وهذه النار غير النار التي تخرج في آخر الزمان وتحشر الناس وتبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا[(٣)]، وسيأتي الكلام عليها - إن شاء الله تعالى - في ذكر أشراط الساعة الكبرى[(٤)].

أما النظرة العلمية المعاصرة لهذا الحديث الشريف فقد ذكر الدكتور: زغلول النجار حفظه الله أن: "في هذا الحديث الشريف إشارة علمية دقيقة إلى حقيقة من حقائق أرض الحجاز لم تدرك إلا في منتصف القرن العشرين، حين بدئ في رسم الخريطة الجيولوجية لأرض شبه الجزيرة العربية، وكان من نتائج ذلك انتشار الطفوح البركانية على طول الساحل الغربي لجزيرة العرب من عدن جنوبًا إلى المرتفعات السورية شمالًا، عبر كل من الحجاز والأردن، وفلسطين، مغطية مساحة من تلك الطفوح تقدر بحوالي مائة وثمانين ألفًا (١٨٠,٠٠٠ كم٢) من الكيلومترات المربعة، ومكونة واحدًا من أهم أقاليم النشاط البركاني الحديث في العالم، ويقع نصف هذه المساحة تقريبًا في أرض الحجاز (حوالي تسعين ألفًا من الكيلو مترات المربعة) موزعة في ثلاثة

---

(١) تيماء: بالفتح، بلدة تقع شمال المدينة النبوية على بعد (٤٢٠) كيلا والتيماء في الأصل: الأرض التي لا ماء فيها. معجم البلدان: ٢/ ٦٧، والمعالم الأثرية في السنة النبوية لمحمد بن محمد حسن شراب، دار القلم، دمشق، ط١: ٧٤.

(٢) البداية والنهاية: ١٩/ ٢٨.

(٣) انظر: فتح الباري: ١٣/ ٧٩، والإشاعة لأشراط الساعة، لمحمد بن رسول البرزنجي، مع تعليقات المحدث محمد زكريا الكاندهلوي، اعتنى به: حسين محمد علي شكري، دار المنهاج، جدة، ط٣: ٩٠.

(٤) ص: ٦٤٩.

عشر حقلًا بركانيًا تعرف باسم الحرات، وأغلب هذه الحرات تمتد بطول الساحل الشرقي للبحر الأحمر ممتدة في داخل أرض الحجاز بعمق يتراوح بين ١٥٠ كيلو مترًا، ٢٠٠ كيلو مترًا، ويعتقد بأن هذه الطفوح البركانية قد تدفقت عبر عدد من الصدوع الموازية لاتجاه البحر الأحمر، ومن فوهات مئات من البراكين المنتشرة في غرب الحجاز، كما يعتقد بأن تلك الصدوع والبراكين لا تزال نشطة منذ نشأتها وإلى يومنا الحاضر، سببت العديد من الهزات الأرضية، كما تم مشاهدة تصاعد أعمدة من الغازات والأبخرة الحارة من عدد من تلك الفوهات البركانية "[(١)].

ثم بين أن المدينة تقع "بين حرة رهط في الجنوب، وحرة خيبر في الشمال، وتمتد حرة رهط بين المدينة المنورة شمالًا، ووادي فاطمة بالقرب من مكة المكرمة جنوبًا عبر مسافة تقدر بحوالي ٣١٠ كيلو مترًا في الطول، وستين كيلو مترًا في متوسط العرض لتغطي مساحة تقدر بحوالي ١٩٨٣٠ كيلو مترًا مربعًا، بسمك متوسط حوالي المائة متر وإن كان يصل إلى أربعمائة مترًا في بعض الأماكن "[(٢)].

ثم ذكر أنه يوجد عدد من الفواهات البركانية في منطقة المدينة، "ومعنى هذا الكلام أن المنطقة مقبلة حتمًا على فترة من الثورات البركانية تندفع فيها الحمم من تلك الفوهات والصدوع كما اندفعت من قبل بملايين الأطنان، فتملأ المنطقة نارًا ونورًا تصديقًا لنبوءة المصطفى ﷺ التي قال فيها: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى»[(٣)].

---

(١) نار من أرض الحجاز، للدكتور: زغلول النجار: http: //www.elnaggarzr.com/index.php?itm=d7dc90f7a5dae68c5adf6868be8338f7

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

"وأنه قد تم تسجيل زلزالين كبيرين وقعا في حرة خيبر، أحدهما في سنة ٤٦٠ هـ، والآخر في سنة ٦٥٤ هـ، وقد سبقت الزلزال الأخير أصوات انفجارات عالية، تلتها ثورة بركانية كبيرة، وصاحبتها هزات أرضية استمرت بمعدل عشر هزا ت يوميًا، لمدة خمسة إلى ستة أيام، قدرت شدة أكبرها بخمسة درجات ونصف الدرجة على مقياس ريختر، وقد كونت هذه الثورة البركانية الأخيرة عددًا من المخاريط البركانية، ورفعت بملايين الأطنان من الحمم في اتجاه الجنوب، ولا تزال تلك المخاريط تتعرض لأعداد كبيرة من الرجفات الاهتزازية الخفيفة التي توحي بأن الصهارات الصخرية تحت المخروط البركاني لا تزال نشطة، مما يؤكد حتمية وقوع ثورات بركانية عارمة تخرج من أرض الحجاز في المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله، وذلك تصديقًا لنبوءة النبي الخاتم، والرسول الخاتم ﷺ وشهادة له بالنبوة وبالرسالة، وبأنه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، كان موصولًا بالوحي، ومعلمًا من قبل خالق السماوات والأرض"(١).

(١) المرجع السابق.

المطلب الثالث: كثرة الزلازل

من علامات الساعة وأماراتها التي أخبر عنها الرسول ﷺ: كثرة الزلازل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل»[(١)].

وقد وقع في كثير من البلاد من الزلازل[(٢)].

يقول الحافظ ابن حجر[(٣)] رحمه الله: " وقد وقع في كثير من البلاد الشمالية والشرقية والغربية كثير من الزلازل، ولكن الذي يظهر أن المراد بكثرتها شمولها ودوامها "[(٤)].

وقد كثرت الزلازل في عصرنا الحاضر في أماكن متعددة، وهذا مصداق لما أخبر به رسول الله ﷺ[(٥)].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «أمتى أمة مرحومة، ليس عليها فى الآخرة عذاب، إنما عذابها في الدنيا، الفتن والزلازل»[(٦)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب (٢٥): ١٢٥٩، برقم (٧١٢١).

(٢) قد سبق ذكر بعض المصادر التي ذكرت الزلازل التي وقعت على الأمة الإسلامية: ٤٦٣.

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي، أحد أعلام المحدثين، من مؤلفاته: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تهذيب التهذيب، والإصابة في تمييز الصحابة، توفي سنة ٨٥٢هـ. نظر: الضوء اللامع: ٢/ ٣٦، وشذرات الذهب: ٧/ ٢٧٠.

(٤) فتح الباري: ١٣/ ٨٧.

(٥) انظر: موقع الدكتور: زغلول النجار، بركان أيسلندا، وكتاب الزلازل حقيقتها وآثارها للدكتور: شاهر جمال آغا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: ٢٣١.

(٦) سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ما يرجى في القتل: ٤٦٦ برقم (٤٢٧٨)،

=

المطلب الرابع: ظهور الخسف(١)

من أشراط الساعة التي أخبر عنها النبي ﷺ ظهور الخسف(٢)، عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله، ومتى ذلك؟ قال: إذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور»(٣).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ، إذا ظهرت المعازف والقينات، واستحلت الخمر»(٤).

ومن الخسوف الكبيرة التي تكون قرب قيام الساعة، الخسف بجيش كامل في آخر الزمان، كما في الحديث عن بُقيرة امرأة القعقاع بن أبي حدرد

= قال ابن حجر: سنده حسن. انظر: بذل الماعون في فضل الطاعون، لابن حجر، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار العاصمة، الرياض، ط١: ٢١٣، والسلسلة الصحيحة: ٢/ ٦٨٤.

(١) خسف الله به الأرض أي غيبه فيها. انظر: لسان العرب: ٢/١١٥٧، والقاموس المحيط: ٧٢٤.

(٢) انظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، للشيخ حمود بن عبد الله التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط٢: ٢/٢٣٩، والزلازل، لإبراهيم طربيه، مجلة الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد ٢٢، وزلزال المحيط الهندي ٢٠٠٤ رؤية إيمانية، للدكتور حسني الدسوقي، مجلة الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد ٢٠.

(٣) سنن الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف: ٣١٧، برقم (٢٢١٢) وقال: هذا حديث غريب، وصححه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة: ٥/ ٢٣٦.

(٤) المعجم الكبير للطبراني: ٦/ ١٥، وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع الصغير: ١/ ٦٨٣، والسلسلة الصحيحة: ٤/ ٢٩٣.

الأسلمي، قالت: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: «يا هؤلاء، إذا سمعتم بجيش قد خسف به قريبًا، فقد أظلت الساعة»(١).

وقد أخبرنا الرسول ﷺ ببعض المواضع التي يقع فيها الخسف والقذف والمسخ، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا أنس، إن الناس يمصرون أمصارًا. فإن مصرًا يقال له: البصرة، فإن أنت مررت بها أو دخلتها، فإياك وسباخها وكلأها ونخيلها وسوقها وباب أمرائها، وعليك بضواحيها، فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف، وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير»(٢).

الخسف بأهل البدع:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيكون في هذه الأمة أو في أمتي - الشك منه - خسف أو مسخ أو قذف في أهل القدر»(٣).

كما جاء في الحديث الخسف بالجيش الذي يغزو الكعبة

وعن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال: رسول الله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض؛ يخسف بأولهم وآخرهم». قالت: قلت: يا

(١) مسند الإمام أحمد: ٤٥/ ٩٩، برقم (٢٧١٢٩)، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق: عادل بن سعد والسيد بن محمود إسماعيل، مكتبة الرشد، الرياض، ط١: ١٠/ ٢٤٤، رواه الحميدي ورجاله ثقات. وحسنه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة: ٣/ ٤٢٩.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في ذكر البصرة: ٤٧٠ برقم (٢٤٣٠٧)، وصححه الشيخ الألباني والشيخ عبد القادر الأرناؤوط، انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير: ٤/ ٥١٣، وصحيح سنن أبي داود: ٣/ ٨١٢.

(٣) سنن الترمذي، كتاب القدر، باب ١٦: ٣٥٨، برقم (٢١٥٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وحسنه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي: ٢/ ٢٢٨.

رسول الله ! كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ .

قال: «يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم»[(١)] .

ولفظ مسلم: قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «عبث[(٢)] رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله! صنعت شيئًا في منامك لم تكن تفعله! فقال: «العجب أن أناسًا من أمتي يؤمون بالبيت برجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء؛ خسف بهم». فقلنا: يا رسول الله! إن الطريق قد يجمع الناس؟ قال: «نعم؛ فيهم المستبصر، والمجبور، وابن السبيل؛ يهلكون مهلكًا واحدًا، ويصدرون مصادر شتى؛ يبعثهم الله على نياتهم»[(٣)] .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق: ٣٩٩، برقم (٢١١٨).

(٢) عبث: هو بكسر الباء. معناه اضطراب بجسمه. انظر: شرح النووي على مسلم: ١٨/ ٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت: ٤/ ٢٢١٠ برقم (٣٨٨٤).

المطلب الخامس: انتفاخ الأهلة

من أشراط الساعة الصغرى انتفاخ الأهلة[(١)]، حيث يرى الهلال عند بدو ظهوره كبيرا، حتى يقال ساعة خروجه إنه لليلتين أو ثلاثة، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة، وأن يرى الهلال الليلة فيقال هو ابن ليلتين[(٢)] وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله من اقتراب الساعة أن يرى الهلال قبلا[(٣)] فيقال لليلتين، وأن تتخذ المساجد طرقا، وأن يظهر موت الفجأة»[(٤)].

وهذا الحديث واضح اليوم، فكم يختلف الناس في دخول الشهر وخروجه خصوصًا عند دخول شهر رمضان وخروجه، وكم هو اليوم؟ وذلك لانتفاخ الهلال، حتى يُرى وكأنه لليلتين.

وعن أبي البختري[(٥)] رحمه الله قال: "خرجنا للعمرة، فلما نزلنا ببطن نخلة قال: تراءينا الهلال، فقال بعض القوم: هو ابن ثلاث، وقال بعض القوم: هو ابن ليلتين، قال: فلقينا ابن عباس رضي الله عنهما فقلنا: إنا رأينا الهلال، فقال بعض

(١) انتفاخ الأهلة: عظمها. فيض القدير: ٦/ ١٠.

(٢) المعجم الصغير للطبراني، تحقيق: محمد سليمان سمارة، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٣٦٧، وله طرق يقوي بعضها بعضًا. انظر: المقاصد الحسنة: ٦٧٧، والسلسلة الصحيحة: ٥/ ٣٦٦.

(٣) قبلًا: بفتح القاف والباء أي يرى ساعة ما يطلع لعظمه ووضوحه من غير أن يتطلب. فيض القدير: ٦/ ١٠.

(٤) المعجم الصغير للطبراني: ٤٦٧.

(٥) هو سعيد بن فيروز ابن أبي عمران البختري، الطائي الكوفي، توفي سنة ثلاث وثمانين. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي، تحقيق: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ : ١١/ ٣٢.

القوم: هو ابن ثلاث، وقال بعض القوم: هو ابن ليلتين، فقال: أي ليلة رأيتموه، قال: فقلنا: ليلة كذا وكذا، فقال: إن رسول الله قال: «إن الله مدَّه للرؤية، فهو لليلة رأيتموه»[١].

وفي رواية عنه: «أهللنا رمضان ونحن بذات عرق، فأرسلنا رجلًا إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أمده لرؤيته، فإن أغمي عليكم فأكملوا العدة»[٢].

قال القاضي عياض[٣] رحمه الله: "قال بعضهم: الوجه أن يكون أمدَّه بالتشديد من الإمداد، ومدَّه من الامتداد. قال القاضي: والصواب عندي بقاء الرواية على وجهها، ومعناه أطال مدته إلى الرؤية... يقال منه مدَّ وأمدَّ. قال الله تعالى: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾[٤]، قرئ بالوجهين أي يطيلون لهم. قال: وقد يكون أمده من المدة التي جعلت له. قال صاحب الأفعال: أمددتك أي أعطيتكها، أو يكون من الإمداد وهي الزيادة في الشيء من غيره.

فهؤلاء الرهط، أبو البختري ومن معه لما استنكروا كِبَرَ جرم الهلال، ورأوا أنه أكبر من أن يكون ابن ليلة، لعلوِّه وضخامته، بيَّن لهم ابن عباس رضي الله عنهما أنه ابن ليلة، وألَّا عبرة بكبره، معللًا بأن الله هو الذي مدَّه ليروه"[٥].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب بيان أن لا اعتبار بكبر الهلال وصغره وأن الله تعالى أمده للرؤية: ٢/ ٧٦٥ برقم (١٠٨٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب بيان أن لا اعتبار بكبر الهلال وصغره وأن الله تعالى أمده للرؤية: ٢/ ٧٦٥ برقم (١٠٨٨)..

(٣) هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبي المشهور بالقاضي، من علماء المالكية، من مؤلفاته: إكمال المعلم بفوائد مسلم، والشفا في حقوق المصطفى، وترتيب المدارك وغيرها، توفي سنة ٥٤٤.
انظر: سير أعلام النبلاء: ٢٠/ ٢١٢، وشذرات الذهب: ٤/ ١٣٨.

(٤) الأعراف: ٢٠٢.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم: ٤/ ٢٣، وشرح النووي على مسلم: ٧/ ١٩٨.

المطلب السادس: عود أرض العرب مروجًا[(١)] وأنهارًا

من أشراط الساعة ما أخبر به النبي ﷺ من عود أرض العرب مروجًا وأنهارًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل زكاة ماله، فلا يجد أحدا يقبلها، وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا»[(٢)].

"إن أرض العرب أرض قاحلة كما هو معروف، شحيحة المياه، قليلة النبات، غالب مياهها من الآبار والأمطار، فمن علامات الساعة أن تنقلب هذه الأرض ويكثر فيها المياه، حتى تكون أنهارًا، فتنبت بها النباتات، فتكون مروجًا وحدائق وغابات، وذلك إما بسبب حفر الآبار وزراعة الأرض، وإما بسبب تغير المناخ أو غير ذلك"[(٣)].

وقد ورد في خصوص منطقة تبوك - شمال أرض العرب - أنها تكون جنانًا، ففي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن غزوة تبوك، أن النبي ﷺ قال: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا»[(٤)]، وقد ملئت أرض تبوك جنانا، فالمزارع والبساتين والحدائق في كل مكان، بل أصبحت تبوك تصدر الكثير من الفواكه والخضراوات والزهور والحبوب إلى

(١) المروج: جمع مرج، والمرج: الأرض الواسعة ذات نبات كثير، تمرج فيه الدواب، أي تخلى تسرح مختلطة كيف شاءت. انظر: النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٣١٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها: ٢/ ٧٠٠ برقم (١٥٧).

(٣) انظر: ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة - مكة - ط٤: ٧٥.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ: ٤/ ١٧٨٤ برقم (٧٠٦).

بعض البلدان المجاورة، بسبب الاهتمام المتزايد من أهالي المنطقة بالزراعة، وحفر الآبار الارتوازية التي ينبع منها الماء بكثرة ووفرة، كما اتجهت الحكومة إلى إنشاء السدود التي تحبس المياه، حتى أصبحت وكأنها أنهارا تجري لري الأراضي الزراعية في تلك المنطقة، حتى أصبحت مروجا ومزارع وخضرة يانعة.

وقد قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في تأويل قوله ﷺ: «حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا»: "معناه: أنهم يتركونها ويعرضون عنها، فتبقى مهملة لا تزرع ولا تسقى من مياهها، وذلك لقلة الرجال، وكثرة الحروب، وتراكم الفتن، وقرب الساعة، وقلة الآمال، وعدم الفراغ لذلك والاهتمام به"(١).

وفي هذا التأويل نظر؛ لأن أرض العرب أرض قاحلة لا أنهار فيها، وإنما تسقى نخيلها وزروعها من مياه الآبار، ولو تركت وأعرض عنها وبقيت مهملة لا تزرع ولا تسقى من مياه الآبار؛ لبقيت قاحلة يابسة.

والصحيح أن هذه إشارة إلى ما ابتدئ فيه الآن من حفر الآبار الارتوازية التي ينبع الماء منها بكثرة، وإلى عمل السدود التي تحبس مياه السيول، فتكون أنهارًا تجري إلى الأراضي الطيبة، فتكون مزارع ومروجًا للدواب(٢).

وفي قوله ﷺ: «تعود»: والعود(٣) في الأصل هو رجوع الأمر إلى شيء سبق أن كان عليه. ومتصفًا به. هذه حقيقة العود.

أما معنى الحديث في النظرة العلمية المعاصرة: فإن " أرض العرب كانت مروجًا وأنهارًا، وأنها بعد فترة من الزمن أصبحت صحراء مجدبة قليلة الماء والأنهار، وأنها بعد ذلك ستعود ثانية فتجري فيها الأنهار وتمتلئ بالمرج

---

(١) شرح النووي على مسلم: ٧/ ٩٧.

(٢) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: ٢/ ١٩٠.

(٣) انظر: الصحاح: ٣/ ٧٦، معجم مقاييس اللغة: ٤/ ١٨١، القاموس المحيط: ٢٧٠.

الأخضر الذي يعلو أرضها.

أما الشق الأول: وهو أن أرض العرب كانت تعلوها الخضرة، والمروج، وتسيل فيها الأنهار، فقد أثبتتها دراسات متعددة، وبينت تلك الدراسات أنها كانت كذلك.

وأما الشق الثاني: وهو أنها ستعود ثانية مروجًا تعلوها الخضرة، وتنتشر في أنحائها البساتين، وتفوح في أجوائها عطر الأزاهير، إن هذا الأمر الذي يتحدث به رسول الله ﷺ منذ القرون المتطاولة الممتدة، لا يتصوره الإنسان يحدث في أرض جرداء ممتدة من البحر الأحمر إلى الخليج العربي تعلوها الرمال الكثيفة التي لا تنبت كلًا ولا تمسك ماء"(١)؛ ولكنه يؤمن ويسلم ويصدق بما قاله الرسول ﷺ.

"وأما الأنهار وظهورها، فإننا سنترك ذلك للمستقبل القريب الذي سيطلعنا أو أبناءنا على ذلك، ولعل ما ثبت حديثًا في الدراسات الجيولوجية بأن المياه الجوفية في الأرض تتحرك باتجاه الجزيرة العربية، أقول: لعل ذلك مقدمة لظهور الأنهار في جزيرة العرب، وصدق رسول الله ﷺ"(٢).

ونحن لا نشك بما قاله رسول الله ﷺ وأن جزيرة العرب ستعود جنات وأنهارًا، وأن غدًا لناظره قريب(٣).

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية: ٩٢٤.
(٢) المرجع السابق: ٩٢٥.
(٣) انظر: مروج وأنهار أرض العرب في الماضي والمستقبل، دراسة في الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، للأستاذ الدكتور علي صادق، ضمن بحوث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ١٦١. وعودة جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا. م. جمال عبد المنعم الكومي، مجلة الهيئة العلمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة - مكة - العدد السادس: ١٦٧.

المطلب السابع: كثرة المطر وقلة النبات

من أشراط الساعة كثرة المطر وقلة النبات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يمطر الناس مطرا لا تكن[(١)] منه بيوت المدر[(٢)] ولا تكن منه إلا بيوت الشعر»[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليست السَّنَةَ[(٤)] بأن لا تمطروا، ولكن السنة أن تمطروا وتمطروا ولا تنبت الأرض شيئًا»[(٥)].

فإذا كان المطر سببًا في إنبات الأرض فإن لله تعالى أن يوجد ما يمنع هذا السبب من ترتب المسبب عليه، والله تعالى خالق الأسباب ومسبباتها لا يعجزه شيء[(٦)].

ومعنى الحديث: "أن القحط الشديد ليس بأن لا يمطر بل بأن يمطر ولا ينبت؛ وذلك لأن حصول الشدة بعد توقع الرخاء وظهور مخائله وأسبابه أفظع مما إذا كان اليأس حاصلًا من أول الأمر والنفس مترقبة لحدوثها"[(٧)].

أما النظرة العلمية المعاصرة: فقد حذر علماء البيئة من أن التلوث الذي

---

(١) الكن: ما يردّ الحر والبر من الأبنية والمساكن. النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٢٠٦.
(٢) المدر: الطين المتماسك لئلا يخرج منه الماء. النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٣٠٩.
(٣) مسند الإمام أحمد: ١٣/ ١١ برقم (٧٥٦٤)، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم، وانظر: السلسلة الصحيحة: ٧/ ٧٩٤.
(٤) المراد بالسنة هنا: القحط. انظر: شرح النووي على مسلم: ١٨/ ٣١.
(٥) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة: ٤/ ٢٢٢٨ برقم (٢٩٠٤).
(٦) انظر: إتحاف الجماعة: ٣/ ٢٢٥.
(٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٣/ ٥٦٤.

تشهده الأرض سوف يكون له تأثير على الأمطار، "ويقولون بأن مياه الأمطار كانت نقية قبل عدة قرون، أما هي اليوم فغالبًا ما تكون ملوثة بحمض الكبريت، ويسمونها الأمطار الحامضية.

ويقولون إذا زادت نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو عن حدود معينة فإنه سيلوث ماء المطر، وسوف يضر هذا الماء بالتراب، فيكون سببًا في فساد التربة بدلًا من أن يكون غذاء للنباتات والأشجار"[(١)]. والله أعلم.

(١) أمطار لا تُنبت لعبد الدائم الكحيل موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
http://www.kaheel7.com/modules.php?name=News&file =article&sid=686

المبحث الثاني
الآيات الكونية
المتعلقة بأشراط الساعة الكبرى

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: ما يكون مع المسيح الدجال.

المطلب الثاني: الخسوفات الثلاثة.

المطلب الثالث: الدخان.

المطلب الرابع: طلوع الشمس من مغربها.

المطلب الخامس: النار التي تحشر الناس.

المطلب السادس: الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين.

المطلب الأول: ما يكون مع المسيح الدجال

من أشراط الساعة الكبرى خروج الدجال[(١)]، وقد ورد أنه يأتي القوم فيدعوهم فيستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، ويأتي القوم فيدعوهم فلا يستجيبون له، فيصبحون ممحلين[(٢)].

ففي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتبنت.. ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة[(٣)]، فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل[(٤)]» الحديث[(٥)].

ومما يفتن الدجال به الخلق أن معه ما يشبه الجنة والنار، أو معه ما يشبه نهرا من ماء، ونهرا من نار، وواقع الأمر ليس كذلك، فإن الذي يرونه نارا إنما هو ماء بارد، وحقيقة الذي يرونه ماء باردا نار.

---

(١) انظر: أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار لعبد الملك بن حبيب الأندلسي، تحقيق: عبد الله بن عبد المؤمن القماري، دار أضواء السلف، الرياض، ط١: ٩٧، والبداية والنهاية: ١٩/ ١١٣، وأشراط الساعة، ليوسف الوابل: ٢٧٥.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم: ١٨/ ٥٨-٥٩.

(٣) الخربة: أي الأرض الخراب. انظر: الصحاح: ٢/ ٣٥، والقاموس المحيط: ٧٤.

(٤) أي ذكور النحل. قال القاضي المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكن كنى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها لأنه متى طار تبعته جماعته. انظر: شرح النووي على مسلم: ١٨/ ٦٧.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه: ٤/ ٢٢٥٠ برقم (٢٩٣٧).

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال في الدجال: «إن معه ماءً ونارًا، فناره ماء بارد، وماؤه نار»[(١)].

وفي رواية عند مسلم قال رسول الله ﷺ: «لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان أحدهما رأي العين، ماء أبيض، والآخر رأي العين، نار تأجج، فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارا وليغمض، ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد»[(٢)].

وفي رواية أخرى عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الدجال يخرج، وإن معه ماء ونارا، فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس نارا، فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه نارا، فإنه ماء عذب طيب»[(٣)].

فيتضح من هذه النصوص أن الناس لا يدركون ما مع الدجال حقيقة، وأن ما يرونه لا يمثل الحقيقة بل يخالفها، ولذلك فقد جاء في بعض الأحاديث في صحيح مسلم: «وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار، فالتي يقول: إنها الجنة هي النار»[(٤)].

ومن فتنته أنه يقتل ذلك الرجل المؤمن الذي يخرج إليه ويشهد عليه بأنه الدجال، ثم يعجز عن قتله ولا يسلط عليه، ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثًا طويلًا عن الدجال، فكان فيما

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال: ١٣٦٠ برقم (٧١٣٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه: ٤/ ٢٢٤٨ برقم (٢٩٣٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه: ٤/ ٢٢٤٩، برقم (٢٩٣٥).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه: ٤/ ٢٢٥٠ برقم (٢٩٣٦).

يحدثنا أنه قال: «يأتي الدجال - وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة - فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس، أو من خير الناس، فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال، أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته، هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله، ثم يحييه، فيقول: والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم، فيريد الدجال أن يقتله، فلا يسلط عليه»[١].

وهذه الآية التي أعطاها الله آياها من إحياء الموتى - وهي آية عظيمة من آيات الأنبياء كما حصل لعيسى عليه السلام - إنما هي على سبيل الفتنة للعباد، وقد بأن لهم بالأدلة أنه المسيح مبطل غير محق في دعواه وأنه أعور، ومكتوب على وجهه كافر يقرؤه كل مسلم. وهذا نقص له في ذاته وقدره.

أما آيات الأنبياء فهي سالمة من المعارضة فلا يوجد تشابه بينهما[٢].

ومن الأمور التي تحصل عند خروج الدجال حبس المطر والنبات، فقبيل خروج الدجال بثلاث سنوات، يأمر الله الأرض في السنة الأولى أن تمسك ثلث نباتها، والسماء أن تمسك ثلث مطرها، وفي السنة الثانية: يأمر الله الأرض أن تمسك ثلثي النبات، والسماء أن تمسك ثلثي المطر، وفي السنة الثالثة: قبل خروجه يأمر الله الأرض فلا تنبت شيئا، ويأمر السماء فلا تمطر شيء، فلا يبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله.

عن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها؛ قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي، فذكر الدجال، فقال: «إن بين يديه ثلاث سنين: سنة تمسك السماء ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها، والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة: ١٣٦١ برقم (٧١٣٢).
(٢) انظر: فتح الباري: ١٣/ ١٠٣، شرح النووي على مسلم: ١٨/ ٧١.

نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها كله، فلا يبقى ذات ضرس ولا ذات ظلف من البهائم إلا هلكت...»[(١)].

ومن المخالفات العقدية فيما يتعلق بهذا الأمر ما يقع لبعضهم نتيجة محاكمة المستقبل للواقع الحالي أن يتأول تلك النصوص في ضوء ما يعايشه هو، ظنًا منه أن الشرط سيكون من جنس ما يراه ويعايشه مع كون النص متضمنا لنقيض هذا، فمن أمثلة هذه التأويلات ما ذكره هشام كمال عبد الحميد في كتابه "اقترب خروج المسيح الدجال"، حيث قال:

١- عن القمح الذي مع الدجال:

"بالنسبة لما سيكون مع الدجال من كميات كبيرة من القمح تشبه الجبال، فيمكن تخيله بقيام الشياطين بزراعة مساحات كبيرة من الأراضي الصحراوية تحت الأرض باستخدامهم أساليب زراعية متطورة كالتهجين، وذلك قبل خروج الدجال بعشرات السنوات، ثم تقوم الشياطين بتخزين هذا القمح في صوامع تحت الأرض، وبأسلوب تخزين جيد يحفظها لفترات طويلة حتى يصل حجمها المخزون على مدار عدد من السنوات إلى ما يشبه الجبال، فيخرج الدجال ومعه هذه الكميات التي يغوى بها أهل الأرض"[(٢)].

٢- أمر الدجال السماء أن تمطر:

ويقول: "وبالنسبة لقيام الدجال بأمر السماء أن تمطر فتمطر أمام الناس، فيمكن تخيله بقيام الشياطين بصنع أجهزة علمية للدجال تصنع سحابا صناعيا مزودا بشحنات كهربائية مسجل عليها بصمة صوت الدجال (مثل نظام الخزائن

(١) مسند الإمام أحمد: ٤٥/ ٥٦٠، برقم (٢٧٥٧٩)، قال ابن كثير: لا بأس بإسناده. البداية والنهاية: ١٩/ ١٧٥، وانظر: إتحاف الجماعة: ٢/ ٣٧١.

(٢) اقتراب خروج المسيح الدجال، لهشام كمال عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١: ٢٩.

البنكية التي لا تفتح إلا ببصمة صوت صاحب الخزينة فقط)، فتطلق الشياطين هذه السحابة من الأجهزة المعدة لذلك من مكان بعيد عن المكان الذي يقف فيه الدجال أمام الناس، وعندما تمر السحابة من فوقهم ينادي الدجال بإسقاط مطرها فتصطدم ذبذبات صوته بالذبذبات المسجلة لصوته على السحابة فتحدث شرارة كهربائية أو صاعقة بها وتسقط مطرها، ويمكن تخيل ذلك أيضا بقيام الشياطين بإطلاق السحابة الصناعية في السماء من مكان بعيد، وعندما ينادي عليها الدجال تقوم الشياطين من خلال أجهزة اتصال كاللاسلكي أو من خلال سماع صوته، وهم في مكانهم بالضغط على جهاز مثل الريموت كنترول، فيجعلون السحابة تسقط ما فيها من ماء، ويظن الناس أنها أمطرت بأمر الدجال"[١].

وهذا من الخطأ والضلال البين؛ فإن فيه إنكار لما ثبت في السنة، وقياس للأمور المستقبلية على الأحوال التي يعيشها الإنسان. وهذا من أمور الغيب التي يجب التصديق بها[٢].

---

(١) المرجع السابق: ٢٩.

(٢) انظر: تحذير ذوي الفطن من عبث الخائضين في أشراط الساعة، لأبي عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، مكتبة السلف الصالح، جدة: ١٣/ ٢١، وموقف أهل السنة والجماعة من تنزيل نصوص الفتن وأشراط الساعة على الحوادث: ٢٣٨.

المطلب الثاني: الخسوفات الثلاثة

من العلامات الكبرى التي أخبر الرسول ﷺ بحدوثها في آخر الزمان الخسوفات الثلاثة: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ففي حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، وذكر منها ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارًا تخرج من اليمن تطرد الناس إلى المحشر»، وفي رواية «ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس»[(١)].

فهذه الخسوفات الثلاثة من الأشراط الكبرى التي لا تظهر إلا في آخر الزمان، وهي غير الخسوفات التي وقعت في الماضي وفي أماكن متعددة؛ لأن تلك من أشراط الساعة الصغرى، أما هذه الخسوفات الثلاثة فهي خسوفات عظيمة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وقد وجد الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرا زائدا على ما وجد، كأن يكون أعظم منه مكانا أو قدرًا"[(٢)].

أما النظرة العلمية المعاصرة عن الخسوفات الثلاثة، فقد اكتشف علماء الجيولوجيا أن عدن فوق فوهة بركان عظيم هائل خامد[(٣)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة: ٤/ ٢٢٢٥، برقم (٢٩٠١).

(٢) فتح الباري: ١٣/ ٨٤، وانظر: إتحاف الجماعة: ٢/ ٢٦٢.

(٣) بركان عدن ونيران الحشر، لطارق عبده إسماعيل، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في =

ويقول المهندس: معروف عقبة في بحثه (عدن البعد التاريخي والحضاري): "ومن المعلوم أن البراكين الكبيرة تكون مصحوبة بزلازل بسبب تكسر طبقات القشرة الأرضية جراء اندفاع الحمم البركانية من قاع الأرض إلى الطبقات العليا، مما يسبب انزلاق لطبقات القشرة الأرضية محدثة ما يسمي بالزلزال من قبل خروج الحمم إلى سطح الأرض ثم بعد حدوث الزلزال تكون الحمم البركانية قد ألقت بأثقالها من الحديد المنصهر فوق سطح الأرض"[(١)].

فهناك علاقة وثيقة بين الزلزال والبركان، فكلاهما يعمل بنفس الآلية، "ويعتبر العلماء اليوم بعض الزلازل مؤشرًا على قرب حدوث البركان الذي تقذف فيه الأرض كميات كبيرة من الحمم المنصهرة"[(٢)]، "ولذا قد ذكر رسول الله ﷺ مع حديث بركان عدن عدة خسوف، وكما هو معلوم "أن الخسف له علاقة بالزلازل أيضًا ويكون الترتيب العلمي الجيولوجي الحدثي مطابق لترتيب حديث رسول الله والآيات التي ذكرناها كالتالي: - زلازل ثم خسوف ثم براكين وأقواها وأولها بركان عدن وبما أن البراكين معظمها تحت البحار فعندئذ سيكون ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾[(٣)]"[(٤)]. والله أعلم.

= القرآن والسنة: http: //quran-m.com

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) التكوير: ٦.

(٤) المرجع السابق.

المطلب الثالث: الدخان

من علامات الساعة وأشراطها العظمى ظهور دخان قبل قيام الساعة، قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ١٣﴾(١).

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه المتقدم، قال: اطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الساعة فقال: «ما تذاكرون»؟ قلنا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان...»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستا: وذكر منها الدخان...»(٣).

وقد اختلف العلماء حول المراد بالدخان ومتى يحدث؟ على قولين:

١- فذهب بعضهم إلى أن هذا الدخان هو ما أصاب قريشا من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي ﷺ حين لم يستجيبوا له، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان(٤).

وقد استدل هؤلاء بما جاء في حديث مسروق بن الأجدع(٥) رحمه الله قال:

---

(١) الدخان: ١٠-١٣.

(٢) سبق تخريجه: ٦٣٨.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية أحاديث الدجال: ٤/ ٢٢٦٧، برقم (٢٩٧٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٥/ ١٣٢، وتفسير القرطبي: ١٦/ ١٣١، وتفسير ابن كثير: ١/ ٢٤٧.

(٥) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمذاني، الوادعي، الكوفي، من كبار أئمة التابعين

=

«كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، إن قاصًا يقص ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام، فقال عبد الله، وجلس وهو غضبان: يا أيها الناس اتقوا الله، من علم منكم شيئا فليقل بما يعلم، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾[١]، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس إدبارا قال لهم: «اللهم سبع كسبع يوسف»، قال: فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع، وينظر إلى السماء أحدهم فيرى كهيئة الدخان»[٢].

٢- وذهب كثير من العلماء إلى أن الدخان هو من الآيات المنتظرة التي لم تأت بعد، وسيقع قرب يوم القيامة.

وقد رجح الحافظ ابن كثير رحمه الله هذا القول مستدلا بالأحاديث التي سبق ذكرها عند الاستدلال على هذه الآية (آية الدخان).

قال ابن كثير رحمه الله بعد ذكر الأدلة وقول ابن عباس رضي الله عنه في أن الدخان من الآيات المنتظرة" وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها التي أوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ أي بين

= وفقهائهم، ثقة عابد، أخرج له الستة، توفي سنة ٦٣ هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٦٣، تهذيب التهذيب: ١٠/ ١٠٩.

(١) ص: ٨٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب الدخان: ٤/ ٢١٥٥، برقم (٢٧٩٨).

واضح، يراه كل أحد، وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله تعالى: ﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ﴾، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا"[(١)].

أما النظرة العلمية المعاصرة فيقول الدكتور زغلول النجار - حفظه الله - عن الإشارات العلمية والحقائق التاريخية في سورة الدخان: "الإشارة إلى دخان السماء الذي يصل إلى الأرض في صورة من صور العقاب الإلهي، أو كواحدة من العلامات الكبرى للساعة، ونحن نرى اليوم نجوم السماء تتخلق من دخان السماء، ثم تنفجر بعد انتهاء أجلها لتعود إلى دخان السماء.

وهذه العلامة إشارة إلى بدء انهدام النظام الكوني بتحول النجوم إلى دخان يصل إلى سكان الأرض كنوع من العذاب الأليم الذي توعد الله ـ تعالى ـ به العاصين من عباده"[(٢)].

وهكذا ذكر، والله أعلم بحقيقة الأمر.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٧/ ٢٤٩، وانظر: البداية والنهاية: ١٩/ ٢٦٥.

(٢) تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ للدكتور زغلول النجار.
http: //www.elnaggarzr.com/index.php?itm=2fdae23a8ce7119cca318e-bebb479b67

المطلب الرابع: طلوع الشمس من مغربها

طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى كما هو ثابت بالكتاب والسنة[(١)].

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمن الناس أجمعون، فذلك حيث لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا»[(٣)].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[(٤)].

وقد ذكر القرطبي رحمه الله عدم قبول التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها فقال: "قال العلماء: وإنما لا ينفع نفسا إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها؛ لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٧/ ١٤٥، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٣٧١.
(٢) الأنعام: ١٥٨.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب طلوع الشمس من مغربها: ١٢٤٧ برقم (٦٥٠٦).
(٤) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب: ٤/ ٢١١٣ برقم (٢٧٥٩).

في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحالة لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت"[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو ﵄ قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها...» الحديث[(٢)].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر ﵀: "أن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب"[(٣)].

أما النظرة العلمية المعاصرة لهذه الآية فقد ذكر الأستاذ خالد بن حمزة مدني تصورًا لطلوع الشمس من مغرب الأرض - والله أعلم بحقيقة ذلك - فقال: "بعد استقرار الشمس المقدر في المكان والزمان، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾[(٤)]، يمكن تصور طلوعها من مغرب الأرض دون أن ندخل في التعريف عن الكيفية، بتغيير اتجاه دوران الأرض كأن يكون معاكسًا لدوران كارنجتون R. Carrington.

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ١٣٤٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان والنفخ في الصور وبعث من في القبور: ٤/ ٢٢٦٠ برقم (٢٩٤١).

(٣) فتح الباري: ١١/ ٣٥٣.

(٤) يس: ٣٨.

وهكذا سيكون في المجموع خلال عملية توسع الكون وانكماشه، اتجاهان مختلفان لدوران الأرض: الأول هو الذي نعيشه ونراه حيث تدور الأرض من غربها إلى شرقها لتطلع الشمس من مشرق الأرض، والثاني هو الذي يراه الإنسان قبل قيام الساعة حيث ستطلع الشمس من مغرب الأرض. إنهما عمليتان للشروق والغروب لا تتمان في وقت واحد، ولهذا جاء قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾[(١)]، والذي يدل على أن الخالق واحد أحد، هو الإله بربوبيته وسلطانه وتوجيهه خلال عملية التوسع والانكماش، ليبقى التعبير واحدًا، فحيثما وجد الشروق والغروب هناك قدرة الله ودقة صُنعه".

ثم قال: "ومن خلال ما أتاح لنا التفسير العلمي، نرى أن هناك مشرقين مختلفين في المكان والزمان: الأول هو الذي نراه الآن الناتج عن عملية الفتق أو الانفجار العظيم وبناء الكون وتوسعه حيث تدور الأرض من غربها إلى شرقها لتطلع الشمس من مشرق الأرض، والآخر هو الذي سيراه الإنسان قبل قيام الساعة أي عند بداية انكماش الكون وعملية طي السماء حيث ستطلع الشمس من مغرب الأرض. والله اعلم، وإنما الموفق من وفقه الله"[(٢)].

وذكر الأستاذ عبد الكحيل الدائم تفسيرًا لطلوع الشمس من مغربها - والله أعلم بحقيقته أيضًا - يقول: "يتحدث العلماء اليوم عن تباطؤ في سرعة دوران الأرض حول نفسها، وهذا التباطؤ سيستمر حتى تتوقف الأرض عن الدوران،

---

(١) الدخان: ١٧.

(٢) مفهوم ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾ للأستاذ خالد بن حمزة مدني، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ومجلة الهيئة، العدد (١٩).

وانظر: التعقيب عليه، للدكتور هاني محمد خليع في نفس الموقع، ومجلة الهيئة العدد (٢٣).

ولكن ماذا يعني ذلك؟ إننا نرى الشمس تطلع من الشرق كل يوم بسبب دوران الأرض حول نفسها، فإذا ما توقفت الأرض فإن ذلك سيؤدي إلى تغير اتجاه دورانها فتظهر الشمس من المغرب، وبذلك يتحقق قول الرسول الكريم ﷺ: «حتى تطلع الشمس من مغربها»"(١).

وذكر الدكتور أحمد عوض عبد الهادي سؤالًا عن طلوع الشمس من مغربها وأجاب عنه فقال: "والسؤال الآن: ما هي المقدمات لطلوع الشمس من المغرب؟ وكيف ستتغير تلك الحركة؟

الجواب: لكي تتغير تلك الحركة تغيرًا كليًا لا بد أولا أن تتباطأ حركة الأرض تدريجيًا عند دورانها حول نفسها حتى تتوقف توقفا كاملا، ثم تبدأ بالدوران العكسي حول نفسها أيضًا وعندها تطلع الشمس من المغرب، وهذا يعني أنه عند حصول ذلك التباطؤ يرافقه تباطؤ لوقت حصول الليل والنهار بالتأكيد! لأن سبب حصول الليل والنهار كما ذكرنا آنفا هو دوران الأرض حول نفسها خلال أربع وعشرين ساعة بالحساب الزمني الحالي، وعليه سيكون طول الليل والنهار عند حصول التباطؤ أكثر من أربع وعشرين ساعة، وهذا التباطؤ سيكون تدريجيا وبالتالي ستكون زيادة طول الليل والنهار تدريجية أيضا، لأن التوقف لو تم بشكل مفاجئ لدمر وأهلك كل من على الأرض من أحياء بل الأرض كلها.

ويمكننا أن نستأنس بالحديث الذي رواه النواس بن سمعان رضي الله عنه وهو حديث طويل عن الدجال وظهوره آخر الزمان وهو علامة أيضا على قرب الساعة، وجاء في الحديث: «قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال:

(١) مطلع الشمس من مغربها، هل هناك إشارات علمية لذلك، للدكتور عبد الكحيل الدائم، موقع: www.kaheel7.com

أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم، قلنا يا رسول الله: فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره»(١)، فأصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن لبث الدجال في الأرض عند ظهوره، فكان جوابه ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، أن لبثه أربعون يوما يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامنا هذه، فيمكننا أن نفهم من هذا الحديث؛ إذا قلنا أن ظهور الدجال سيكون في أيام تباطؤ الأرض جمعا بين حديثي الرسول ﷺ: حديث طلوع الشمس من مغربها، وحديث خروج الدجال، حيث كلا الحديثين لهما علاقة ببعضهما من حيث التغير الزمني والفلكي، فطلوع الشمس من مغربها عبارة عن تغير فلكي وأما ظهور الدجال فيقع وقت ظهوره تغير زمني.

فإذا جاز لنا ذلك، ولا مانع من استشراف المستقبل بما لا يخل بأصل ديني أو اعتقاد ثابت عند المسلمين، أقول إذا جاز لنا ذلك فإن ظهور الدجال سيكون عند توقف الأرض، وليس قبل ذلك لأن أول يوم ذكره نبينا ﷺ وصفه بيوم كسنة، وهو أطول يوم على أهل الأرض قاطبة، فسيكون نهار مدته سنة، لمن هم يواجهون الشمس من أهل الأرض، وسيكون ليل مدته سنة، لمن هم في الاتجاه الآخر من أهل الأرض.

ثم تبدأ الأرض بالحركة البطيئة بالاتجاه المعاكس للاتجاه الذي هو عليه دورانها اليوم، وبالتالي سيبدأ الليل والنهار بالتناقص تدريجيا بعد ذلك اليوم الطويل، فيتقلص هذا الوقت في اليوم الذي يليه مباشرة فيصير كشهر، ثم يصير اليوم الثالث كجمعة أي كأسبوع، ثم تعود الأيام كأيامنا هذه، وهذا

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه: ٤/ ٢٢٥٠ برقم (٢٩٣٧).

يعني أن الأرض ستعود تتحرك حركتها الطبيعية بعد ذلك التباطؤ والتوقف"[١].

(١) أحداث النهاية بين العلم والقرآن والسنة "طلوع الشمس من مغربها"، للدكتور أحمد عوض عبد الهادي، موقع موسوعة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة،
http://www.quran-m.com/firas/arabicold/?page=show_det&id=2110&select_page=12
وانظر: الإعجاز في طلوع الشمس من مغربها، لقسطاس إبراهيم، موقع جامعة الإيمان.
www.jameataleman.org/agas/jowi/jowi

المطلب الخامس: النار التي تحشر الناس

من الآيات الكبرى والعلامات العظمى لأشراط الساعة والمؤذنة بقيام القيامة خروج نار تحشر الناس إلى محشرهم.

وجاءت الروايات بأن خروج هذه النار يكون من اليمن من قعرة عدن، وجاءت روايات أخرى بأنها تخرج من بحر حضرموت.

عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه في ذكر أشراط الساعة وآخره قوله ﷺ: «وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم، وفي رواية نار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ستخرج نار من حضرموت أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس»(٢).

أما النظرية العلمية المعاصرة ففي الدراسات الحديثة عن عدن "وجد أن مدينة عدن يقع معظمها بالبحر المحيط، وهي قد تكونت من بركان عظيم جدًا أنفجر من جانب البحر، وأستمر دهرًا، ثم بعد خموله وبروده أصبح له فوهة مقعرة ككل البراكين ولكنها كبيرة جدًا جدًا، وأصبحت فيما بعد هي مدينة عدن التاريخية..."(٣).

---

(١) سبق تخريجه: ٦٣٨.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قبل الحجاز: ٣٦٧ برقم (٢٢١٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، ومسند الإمام أحمد: ٨/ ١٣٤ برقم (٤٥٣٨) وقال محققه: "إسناده صحيح"، وصححه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي: ٢/ ٢٤٣.

(٣) بركان عدن ونيران الحشر لطارق عبده إسماعيل، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في =

ولقد قدر العلماء قوة هذا البركان بمائة قنبلة هيدروجينية.

ويقول المهندس: معروف عقبة في بحثه (عدن البعد التاريخي والحضاري: "يعتبر بركان عدن أحد المراكز البركانية الستة التي تقع في خط بركاني واحد، وتمتد من باب المندب عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر حتى مدينة عدن، ولقد حدث مؤخرًا منذ أيام نشاط أحد هذه المراكز البركانية الستة بجبل الطير قبالة سواحل اليمن بالبحر الأحمر، وأخيرًا نستعرض ملخص وجه الإعجاز العلمي والجغرافي والتاريخي والغيبي لحديث رسول الله عن مدينة عدن:

١- أخبر رسول الله ﷺ أن عدن مدينة مقعرة الشكل فقال «قعرة عدن» وهذا لم يتضح إلا بالتصوير عن بعد بالطيران أو بالأقمار الصناعية.

٢- أخبر رسول الله ﷺ أن عدن تقوم على بركان خامد، ولكن امتداده بالفعل يصل للب الكرة الأرضية، الذي هو معروف أنه كتلة ضخمة جدًا من الحديد والنيكل المنصهر، وقد خرجت الحمم النارية من هذا البركان في ثورة عظيمة في المياه القريبة من الساحل بالبحر المحيط، كون بعدها هذا البركان جبل ضخم فوقه فوهة عظيمة، كانت هي مدينة عدن، وستخرج النار مرة أخرى من نفس المكان، وهذا أمر معتاد في معظم البراكين في العالم، وسيكون الخروج الأخير في صورة أشد وأقوى سيسوق فيها البشر لمكان الحشر بأرض الشام"[(١)].

وذكر الدكتور زغلول النجار - حفظه الله - أن من آخر المستجدات في

= القرآن والسنة
.http: //www.quran-m.com/container.php?fun=artview&id=687

(١) المرجع السابق.

مجال الإعجاز العلمي: "ما أثبته العلم منذ عدة سنوات، هو وجود طفوح بركانية غرب الجزيرة العربية تزيد عن ٩٠,٠٠٠ كيلوًا متر ممتدة إلى الجولان هذه الطفوح مليئة بالفوهات البركانية التي لا تزال نشطة إلى يومنا هذا، ومنها حوالي ٧٠٠ فوهة بركانية حول المدينة المنورة، سجلت ما لا يقل عن ٣٠٠ هزة أرضية خلال سنة واحدة، مما يؤكد أنها لا تزال نشطة، وبالتالي فلابد لها من أن تفور في يوم من الأيام وحتمية العلم تؤكد ذلك وستكون فورتها من علامات الساعة"[1].

والله أعلم.

(١) ٧٠٠ فوهة بركانية حول المدينة المنورة ستكون فورتها من علامات الساعة، للدكتور زغلول النجار، موقع المدينة المنورة. www.madenah-manawara.com/vb/showthread.php?t=28386

المطلب السادس: الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين

من علامات الساعة الكبرى الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين، فقد أخبر النبي ﷺ عن ريحٍ طيبةٍ تخرج لقبض أرواح المؤمنين في آخر الزمان، فتهب فلا يبقى على ظهر الأرض من يقول الله إلا وأخذته، فيبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة، وقد جاء في وصفها أنها ألين من الحرير، فقال - عليه الصلاة والسلام - بعد ما ذكر خروج الدجال وقتله، وبعد خروج يأجوج ومأجوج وفنائهم، قال: «فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن، وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر(١)، فعليهم تقوم الساعة»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى»، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٩﴾(٣) أن ذلك تاما، قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحا طيبة، فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم»(٤).

(١) أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس. انظر: شرح النووي على مسلم: ١٨/ ٧٠.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه: ٤/ ٢٢٥٠ برقم (٢٩٣٧).
(٣) التوبة: ٣٣.
(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة:
=

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث ريحا من اليمن، ألين من الحرير، فلا تدع أحدا في قلبه مثقال حبة وفي رواية مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته»(١).

أما النظرة العلمية المعاصرة فلم أجد من تكلم عنها فيما يتعلق بالإعجاز العلمي - حسب علمي -.

= ٤/ ٢٢٣٠، برقم (٢٩٠٦).

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في الريح التي تكون قرب القيامة تقبض من في قلبه شيء من الإيمان: ١/ ١٠٩، برقم (١١٧).

الفصل الثامن

الآيات الكونية المتعلقة بيوم القيامة

وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: الآيات الكونية السماوية.

المبحث الثاني: الآيات الكونية الأرضية.

تمهيد

الآيات الكونية المتعلقة بيوم القيامة منها آيات سماوية - كالسماء والشمس والقمر والنجوم والكوكب -، ومنها آيات أرضية - كالأرض والجبال والبحار -، وأهوال يوم القيامة وما يحدث لهذه الآيات الكونية من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها[(١)].

وقدم الله سبحانه وتعالى مشاهد ما يقع للآيات السماوية على مشاهد ما يقع للآيات الأرضية، فقال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١﴾[(٤)].

فيجب التصديق بها وعدم التكلف فيها؛ فإن مثل هذه الأمور لا تدرك إلا بخبر عن الله ﷻ وعن ونبيه ﷺ.

وقد سبق في المبحث السابق - الآيات الكونية المتعلقة بأشراط الساعة -

---

(١) ذكر القرطبي تفسيرًا للنصوص الواصفة لأهوال يوم القيامة -ومنها هذه الآيات الكونية- في كتابه التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ٢/ ٥٣٨.

(٢) الانفطار: ١-٣.

(٣) الانشقاق: ١-٥.

(٤) التكوير: ١-١١.

بيان الضوابط في دراسة مثل هذه الأمور وسبب إيراد كلام المعاصرين عن التفسير والإعجاز العلمي[(١)].

قال الحليمي[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ: "وقد أخبر الله ﷻ على لسان نبيه ﷺ أنه مفني ما على وجه الأرض ومبدل الأرض غير الأرض، وأن الشمس تكور، وأن البحار تسجر، والكواكب تنثر فيذرها قائمة صفصفًا لا ترى فيها عوجا ولا أمتًا، وكل ذلك كائن على ما جاء به الخبر، وعد الله صدق وقوله حق. وأما ما وراء ذلك مما لم يخبر الله ﷻ عنه بشيء، فأمره إليه وهو أعلم بما هو فاعله.

ولا ينبغي لنا أن نتكلم فيه بشيء لأن القول على كل حال بغير علم حرام، فالاجتراء به على الله جل ثناؤه أشد وأولى بالحرمة، أعني بهذا إن سائل سأل: أن السماء إذا طويت والشمس إذا كورت أو الكواكب إذا انتثرت، أو عن الأرض بعد ركوب الناس الصراط وفراغها منهم، ماذا يكون من أمرها بعد ذلك؟ لم يكن له جواب يمكن القطع به، والأولى بالمسؤول أن يقول: كما قال الرسول ﷺ للذي سأله عن الساعة: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»[(٣)].

فإن مثل هذا لا يدرك إلا بخبر ولم يأتنا في هذه الأبواب عن الله جل ثناؤه خبر إلا أن الجملة يخبرنا بانتقاض الأجسام، فإن أراد الله تعالى فناها

(١) ص: ٦٠٤.

(٢) هو أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي، كان رئيس المحدثين والمتكلمين في بلاد ما وراء النهر، من مؤلفاته: المنهاج في شعب الإيمان، توفي سنة ٤٠٣.
انظر: سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢٣١، وشذرات الذهب: ٣/ ١٦٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله: ١/ ٣٦ برقم (١٨).

وحبس البقاء عنها، وفعل ذلك بها، وإن أراد غير ذلك فله الخلق والأمر يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهو على كل شيء قدير"(١).

وقد ذكر د. زغلول النجار - حفظه الله -: "من ضوابط التعامل مع قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ما يلي:

١- عدم الخوض في القضايا الغيبية غيبة مطلقة، وضرورة التوقف في ذلك عند حدود النصوص الواردة في كتاب الله أو في أحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، انطلاقًا من الإيمان الكامل بهما، واعترفا بعجز الإنسان عن الوصول إلى مثل هذه الغيوب المطلقة بغير هداية ربانية.

٢- التأكيد على أن الآخرة بتفاصيلها المختلفة وأحداثها المتتابعة لها من السنن والقوانين ما يغاير سنن الدنيا مغايرة كاملة، وعلى ذلك فإن وقوع الآخرة لا يحتاج إلى أي من سنن الدنيا البطيئة الرتيبة؛ لأن الله تعالى يصف وقوعها بالفجائية الشديدة، وذلك بقوله - عز من قائل - مخاطبًا خاتم أنبيائه ورسله ﷺ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾(٢).

وعلى ذلك فإن المشتغلين بعلوم الكون إذا استخدموا عددًا من الشواهد الحسية التي أبقاها الله تعالى لنا في صخور الأرض أو في صفحة السماء للتدليل على حتمية الآخرة من أجل البرهنة على تلك الحتمية وعلى ضرورتها، فإن ذلك لا يمكن أن يعني قدرتهم على استشراف زمن وقوعها الذي هو من صميم الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله تعالى"(٣).

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان: ١/ ٣٣٦- ٣٣٧.
(٢) الأعراف: ١٨٧.
(٣) تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾ للدكتور زغلول النجار.
=

"فيوم القيامة من الأمور الغيبية التي لا يصح الكلام فيها إلا بدليل من الكتاب أو السنة... كما أن الآخرة لا تنطبق عليها نواميس الدنيا... فلها نواميس مختلفة... ولذلك لا يصح أن نطبق قوانين الدنيا على الآخرة... وإنما نصدق بما جاءنا عن رسولنا الكريم ﷺ... ولا نخوض في أشياء غيبية لا نعرفها... لأن هذا من القول بغير علم... وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[1]"[2].

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله عن الوفاء ابن عقيل[3] رحمه الله جوابًا لمن ذكر لماذا يخرب الله العالم عند يوم القيامة؟.

قال ابن القيم رحمه الله: "وقرأ قارئ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾، وفي الحاضرين أبو الوفاء ابن عقيل، فقال له قائل: يا سيدي هب أنه أنشر الموتى للبعث والحساب، وزوج النفوس بقرنائها بالثواب والعقاب، فلم هدم الأبنية، وسير الجبال، ودك الأرض، وفرط السماء، ونثر النجوم، وكورت الشمس؟ فقال: إنما بنى لهم الدار للسكنى والتمتع، وجعلها وجعل ما فيها للاعتبار والتفكر والاستدلال عليه لحسن التأمل والتذكر. فلما انقضت مدة السكنى وأجلاهم من الدار خربها لانتقال الساكن منها، فأراد أن يعلمهم بأن الكون كان معمورًا

= موقع الدكتور زغلول النجار.

http: //www.elnaggarzr.com/index.php?itm=66e075381fbee8ee27490-f992ab3312d

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي ليوسف الحاج: ٤٠٤.

(٣) هو أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل، من علماء الحنابلة، وله مؤلفات كثيرة، منها: كتاب الفنون، الذي يزيد على أربعمائة مجلد، توفي عام ٥١٣. انظر: سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٤٤٣، وشذرات الذهب: ٦/ ٥٨.

بهم وفي إحالة الأحوال، وإظهار تلك الأهوال، وبيان المقدرة بعد بيان العزة، وتكذيب لأهل الإلحاد، وزنادقة المنجمين، وعباد الكواكب والشمس والقمر والأوثان، فيعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين، فإذا رأوا آلهتهم قد انهدمت، وأن معبوداتهم قد انتثرت وانفطرت، ومحالها قد تشققت ظهرت فضائحهم وتبين كذبهم، وظهر أن العالم مربوب محدث مدبر، له رب يصرفه كيف يشاء، تكذيبًا لملاحدة الفلاسفة القائلين بالقدم. فكم لله من حكمة في هدم هذه الدار ودلالة على عظيم عزته وقدرته وسلطانه وانفراده بالربوبية، وانقياد المخلوقات بأسرها لقهره، وإذعانها لمشيئته فتبارك الله رب العالمين "[١].

(١) التفسير القيم لابن القيم: ٥٠٥.

المبحث الأول: الآيات الكونية السماوية

وعد الله سبحانه وتعالى بأن يجعل للكون نهاية، كما خلقه سبحانه فإنه سوف ينهيه ويطويه، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[(١)]، ومن الآيات الكونية السماوية التي وردت في النصوص: السماوات، والشمس، والنجوم، والكواكب.

١- السماوات:

أخبر الله ﷻ أن هذه السماوات على ارتفاعها النائي، وسمكها العظيم، وعددها الكثير، وجمالها الباهر، تأتي ساعة من الساعات ويكون في ذلك خرابها وزوالها في يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾[(٢)]، يوم القيامة تتحرك السموات لأمر الله تعالى فيموج بعضها في بعض، ثم تنشق على عظمها وسمكها وارتفاعها، قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾[(٣)].

وهي عندما تنشق يكون لها لون وشكل، قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧﴾[(٤)]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي تذوب كما يذوب الدردي[(٥)]، والفضة في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي

(١) الأنبياء: ١٠٤.
(٢) الطور: ٩.
(٣) الانشقاق: ١-٢.
(٤) الرحمن: ٣٧.
(٥) دردي الزيت وغيره: ما يبقى في أسفله. لسان العرب: ٢/ ١٣٥٥.

يدهن بها. فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم"[(١)].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾[(٢)] كدردي الزيت، ثم يكون الضعف والوهن في السماء على عظمها وقوتها[(٣)]، ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾﴾[(٦)]، فهي تتشقق وتنفطر وتضعف ويكون فيها فُرج أي: أبواب[(٧)]، كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾[(٨)].

وفي نهاية الأمر تنتهي السماء وذلك بنزعها وطيها[(٩)]، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾[(١٠)] فقلعت ونزعت بشدة فطويت[(١١)]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[(١٢)]، وأن هذا الطي كطي السجل للكتب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[(١٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٧/ ٤٩٨.
(٢) المعارج: ٨.
(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١٨/ ٢٦٥.
(٤) الحاقة: ١٦.
(٥) المرسلات: ٩.
(٦) الانفطار: ١.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٨/ ٢٩٧.
(٨) النبأ: ١٩.
(٩) وقد ذكر علماء الفلك أن ذلك سيأتي. انظر: الموسوعة الكونية الكبرى: ٢٠/ ٢٦٢.
(١٠) التكوير: ١١.
(١١) انظر: تفسير القرطبي: ١٩/ ٢٣٥.
(١٢) الزمر: ٦٧.
(١٣) الأنبياء: ١٠٤.

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة دالة على مثل ما دلت عليه النصوص القرآنية، ومبينة لما يقوله الحق تبارك وتعالى بعد قبضه الأرض، وطيه السماء، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول أنا الملك، أين ملوك الأرض»[(١)].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر ﵄، قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول أنا الملك، أين الجبارون أين المتكبرون»[(٢)].

أما النظرة العلمية المعاصرة فإن علماء الفلك وردت التساؤلات عنهم، ما مستقبل الكون؟ فذكروا أن الكون يتسم بالصفات التالية:

"١- كون يتوسع إلى مرحلة معينة أو زمن معين، ثم يقف التمدد عند نقطة معينة، وذلك بسبب تفوق الجاذبية الذاتية للكون، بعد ذلك يعود للتقلص من جديد وانكماش الكون على نفسه حتى يعود للحالة ذاتها التي حدثت قبل الانفجار العظيم، أي نهاية الكون من جديد، وإذا كان الكون بهذه الصورة فإن الفضاء يتحدب حول الكون، أي يصبح الكون على شكل منحنى.

٢- كون يتوسع مع تباطؤ في حركة فرار المجرات، لكن هذا التوسع سيبقى إلى الأبد، أي لن تستطيع كثافة الكون أن تسيطر على قوة الانفجار التي أدت إلى تمدد الكون"[(٣)].

ولكن سواء حدث للكون النمط الأول أو الثاني فإن فناء هذا الكون

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يقبض الله يوم القيامة: ١٢٤٩ برقم (٦٥٢١).
(٢) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم: ٤/ ٢١٤٨ برقم (٢٧٨٨).
(٣) الموسوعة الفلكية الحديثة، لعماد مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١: ٣٣٦.

وانهياره أمر لا مفر منه، ففي النمط الأول "فإن الكون سينكمش ويعود إلى مرحلة البداية، وهي حالة من حالات الانهيار للكون، أما في النمط الثاني يبقى الكون يتمدد إلى فترة معينة بحيث تنتهي الطاقة كليًا من الكون، حيث ينتهي الهيدروجين من النجوم، ويصبح الكون بالتالي جثة هامدة، لذلك فإن مستقبل الكون هو الموت في كلا النموذجين"(١).

أما طي السماء:

فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾(٢).

ففي هذه الآية يخبرنا الله ﷻ: "أولًا: أنه مهما اتسع الكون وكثرت محتوياته وثقل وزنه فهو لن يتكبر أو يستعصي على خالقه بل سيطويه في سهولة ويسر كما يطوي صاحب السجل صحائفه.

ويؤكد لنا العزيز القدير هذه الحقيقة في آية أخرى بقوله: إن ذلك على الله يسير، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾(٣)، وفي آية أخرى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾(٤).

ويشبه لنا ثانيًا: الكون بالصحائف المستوية، وقد يكون الكون مستويًا فعلًا وهي الحالة بين الكون المنغلق والمنفتح عندما تكون كثافة الكون تساوي

(١) المرجع السابق: ٣٣٦.
(٢) الأنبياء: ١٠٤.
(٣) العنكبوت: ١٩.
(٤) الروم: ٢٧.

الكثافة الحرجة وهذا ما يرجحه كثير من الفلكيين. وقد يبدو لنا مستويًا - وإن كان حقيقة غير ذلك - بسبب عظمة الخالق.

وهنا نرى مدى قرب تشبيه الكون لصفحات السجل، استواء نراه في الكون من كل جانب حتى يخيل لنا أنه فعلًا مستويًا - وقد يكون كذلك - لاستواء الصحائف.

ويربط أذهاننا ثالثًا: بعملية انكماش الكون وانهياره فتشبيه طي الكون بطي الصحائف لهو تشبيه تفوق روعته أي وصف ولا يمكن أن يصدر إلا من الحكيم العليم الذي خلق هذا الكون، فبعد تمدد الكون واتساعه إلى ما هو عليه الآن - أو إلى ما سوف يصبح عليه في المستقبل - يطوي الخالق هذا الكون بكل ما فيه فيعود هذا الشيء الذي كبر واتسع إلى ما كان عليه"(١).

ثم ذكر صاحب موسوعة الإعجاز العلمي التفسير العلمي لطي السماء فقال: "إن عملية انكماش الكون وانهياره على نفسه هذا الانهيار الهائل إلى نقطة بدايته لهو أقرب تفسير يستطيع العلم أن يقدمه حاليًا لطي الكون أو طي السماء إلى ما كانت عليه في بداية الخلق، ومع ذلك فهناك بعض الملاحظات التي يجب أن نأخذها في الاعتبار:

الأولى: التعبير العلمي أو الإنساني لعملية الانكماش الذي يتبعه انهيار هائل هو انعكاس لما يراه أو يتصوره الإنسان في هذا الحدث الهائل من قوة وعنف تفوق مقدراته وطاقاته بل وخياله...

ومن ناحية أخرى نرى في التعبير القرآني لطي السماء أو الكون هدوء يعكس مقدرة الخالق المقتدر، الذي يصدر منه هذا الحديث، فنهاية الكون كله بالنسبة إليه ليست بأكثر من عمل سهل هين نقوم به نحن كل يوم، ألا وهو

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي، ليوسف الحاج: ٤٠١-٤٠٢.

طي بعض الصحف ليس فيه عناء على الخالق كما لا يسبب طي الصحف أي عناء لنا.

الثانية: إذا كان انتهاء الكون حسب التفسير العلمي بانكماشه ثم انهياره يساعدنا في فهم الآية الكريمة وفي تفسير طي السماء الآن وإعادة الكون إلى ما بدأ منه، بل الأكثر من ذلك نجد فيه اتفاقًا كبيرًا مع النص القرآني، فليس معنى ذلك أن هذا هو التفسير الوحيد للآية الكريمة، فالطي الإلهي للكون ممكن أن يتخذ صورة نموذج الانكماش والانهيار، وممكن أن يتم بصورة أخرى قد نعلمها وقد لا نعلمها"[١].

أما كيف يكون المهل؟

فإن المهل سائل لزج حار، يتكون من الحجارة وما فيها من المعادن، ويخرج من الأرض متدفقًا في الهواء أو منسكبًا فوق الأرض وله دورة خاصة لحياته فقد ينشط مع البراكين وقد يسكن مع خمولها[٢].

ثم إن تأين[٣] الغازات التي تدخل في تركيب الهواء الجوي، "لا يتم بدون طاقة عالية الشدة، عندئذ تصبح السماء يوم القيامة مثل المهل، أي مثل المهل

(١) المرجع السابق: ٤٠٢-٤٠٣.

(٢) الإعجاز العلمي - الأرض وعلوم البحار - أ.د. محمد وليد كامل.

http: //www.eajaz.org/arabic/index.php?option=com_content&view=article&id =291: 2010-!07-!25-!12-!41-!55&catid=112: 2010-!08-!24-!22-!34-!41&Itemid=97

(٣) التأين: عملية فيزيائية لتحويل الذرة أو الجزء إلى أيونات بإضافة أو إزالة جسيمات مشحونة مثل الإلكترونات. والأيون: هو ذرة مشحونة كهربائيا بعد تفاعل كيميائي أخذت إلكترونات من ذرة أو ذرات أو أعطتها إياها. انظر: موسوعة ويكيبيديا.

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%8A%D9%88%D9%86

في حرارته وتأين مكوناته من ذرات العناصر الكيميائية، إذ يختلف مهل الأرض عن مهل السماء في نوعية العناصر الكيميائية"[١].

(١) المرجع السابق.

٢- الشمس والقمر:

إن الشمس والقمر من الآيات الكونية التي يجري خرابها يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾(١).

يذهب ضوء القمر وتظلم الشمس وتجمعان معا ويرمى بهما، قال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾(٢) ولعلماء التفسير أقوال في معنى تكوير الشمس، فقيل: ذهابها، وقيل ذهاب ضوئها وقيل رمي بها، وغير ذلك. قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ﴿كُوِّرَتْ﴾ كما قال الله جل ثناؤه، والتكوير في كلام العرب: (جمع بعض الشيء إلى بعض)، وذلك كتكوير العمامة، وهو لفها على الرأس، وكتكوير الكارة وهو جمع الثياب بعضها إلى بعض ولفها، وكذلك قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾، إنما معناه: جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها فعلى التأويل الذي تأولناه وبيناه لكلا القولين اللذين ذكرت عن أهل التأويل وجه صحيح، وذلك أنها إذا كورت ورمي بها ذهب ضوءها"(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة»(٤).

---

(١) القيامة: ٧-٩.

(٢) التكوير: ١.

(٣) تفسير الطبري: ٣٠/ ٨١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر ﴿بِحُسْبَانٍ﴾: ٦١٥ برقم (٣٢٠٠).

أما النظرة العلمية المعاصرة فيقول الدكتور زغلول النجار - حفظه الله - عن جمع الشمس والقمر يوم القيامة: "و هي تعبر عن نزع الإنسان من هول علامة من علامات تدمير الكون، فجمع الشمس والقمر أصبح حقيقة علمية الآن، لأنه ثبت بقياسات دقيقة للغاية أن القمر (الذي يبعد عنا في المتوسط حوالي ٤٠٠ ألف كم) يتباعد عنا بطريقة مستمرة بمعدل ثلاثة سنتيمترات في السنة، وهذا التباعد سيدخل القمر وقت من الأوقات في نطاق جاذبية الشمس فتبتلعه الشمس، وهذا من التنبؤات العلمية المبنية على استقراءات كونية، وحسابات فلكية دقيقة، فالقمر يستمر بتباعده عن الأرض لابد وأن يؤدي به هذا التباعد في يوم من الأيام إلى أن تبتلعه الشمس، ولكن متى سيتم ذلك؟ هذا في علم الله سبحانه وتعالى"(١).

وذكر الدكتور يوسف الحاج في بيان مصير الشمس بين القرآن والعلم ومعنى قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾: أن"نفاد الهيدروجين من قلب الشمس ووفرة الهيليوم داخله تؤدي إلى حصول لا تجانس واضح في توزيع المادة، فإن الهيليوم أثقل من الهيدروجين بأربع مرات، وهذا يعني اختلاف كثافة مادة النجم وفقدان التوازن. لذلك لابد من حركة شاملة لإعادة توازن جسم الشمس...، ويحصل هذا إذا انتفخ الجزء الخارجي من مادة الشمس انتفاخًا هائلًا فيما يتقلص اللب. وعندئذ يتغير لون الشمس إلى الأحمر...

(١) من آيات الإعجاز في القرآن الكريم- جمع الشمس والقمر - للدكتور: زغلول النجار، موقع الدكتور زغلول النجار، http://www.elnaggarzr.com/index.php?itm =f284c5e2c250ded08b09a450ccc2e726

وانظر: أسرار الشمس بين الوصف القرآني وحقائق علم الفلك الحديث، لصبحي رمضان فرج مدرس.

http: //quran-m.com/container.php?fun=avtviewyid=1020

وإذ تضعف القوى الداخلية في اللب، فإن القشرة الخارجية المنتفخة لا تستطيع أن تسند نفسها على شيء فينهار جسم الشمس على بعضه في عملية تسمى (التكوير) وذلك بسبب جاذبية أجزائه بعضها للبعض الآخر، مما يجعلها تنكمش انكماشًا مفاجئًا وسريعًا، فتنسحق المواد للشمس، وتتداخل الجزئيات، وتتقارب الذرات تقاربًا شديدًا حتى تكاد تتداخل، إلا أن قوة التنافر الكهربائي بين الأغلفة الإلكترونية للذرات تقاوم تدخلها عندما تصبح المسافة بينها قليلة، . . . وبذلك تتعادل قوة التنافر الكهربائي مع قوى الجذب التي تؤدي إلى تكوير الشمس، وعندما يحصل هذا التوازن تكون الشمس قد وصلت إلى مستقرها "(١).

ثم ذكر أن "علماء الفلك يقدرون بأن الشمس تسبح إلى الوقت الذي ينفد فيه وقودها فتنطفئ، هذا هو المعنى العلمي الذي أعطاه العلماء لمستقر الشمس، هذا بالإضافة إلى ما تم كشفه في القرن العشرين من أن النجوم كسائر المخلوقات تنمو وتشيخ ثم تموت، فقد ذكر علماء الفلك في وكالة الفضاء الأمريكية (nasa) أن الشمس عندما تستنفذ طاقتها تدخل في فئة النجوم الأقزام ثم تموت وبموتها تضمحل إمكانية الحياة في كوكب الأرض، إلا أن موعد حدوث ذلك لا يعلمه إلا الله تعالى الذي قال في كتابه المجيد: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾(٢) "(٣).

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي، ليوسف الحاج: ٣٥٦.

(٢) الأعراف: ١٨٧.

(٣) المرجع السابق: ٣٦٨.

٣- النجوم والكواكب:

النجوم والكواكب خلق من ذلك الكون الذي أذن الله تعالى بخرابه وتغير أموره بما شاء الله تعالى، قال الله تعالى عن النجوم: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾[١]، أي ذهب ضياؤها فلم يكن لها نور ولا ضوء[٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٣﴾[٣] أي تناثرت وتغيرت وتساقطت[٤].

أما النظرة العلمية المعاصرة لها فإن النجوم تختلف عن الكواكب السيارة اختلافًا بينًا، "فالنجم عبارة عن كتلة ضخمة جدًا من الغاز الساخن والملتهب، وتشع النور والحرارة ذاتيًا، أما الكواكب فهو عبارة عن كتلة صلبة من الصخور أو الغازات الصلبة، ويدور حول النجم... ويستمد الكوكب نوره وحرارته من النجم الذي يدور حوله"[٥].

وقد ذكروا أن النجوم تمر في مراحل عمرية مختلفة، حيث توجد نجوم في مرحلة الولادة، ونجوم في مرحلة الشباب، ونجوم في مراحل الشيخوخة، ونجوم في مرحلة الاحتضار وأخرى ميتة[٦].

"ويتوقع العلماء أن تنفصل المجرات عن بعضها البعض، وتصبح مثل جزر منفصلة من نجوم ميتة يصعب رؤية بعضها البعض أيضًا. أي أن النجوم

---

(١) المرسلات: ٨.
(٢) تفسير الطبري: ٢٩/ ٢٧٧.
(٣) التكوير: ٢.
(٤) المرجع السابق: ٣٠/ ٨٢.
(٥) الموسوعة الفلكية الحديثة: ٢٧٥.
(٦) المرجع السابق: ٢٨٩.

ستنطفئ تدريجيًا ويختفي ضوؤها، وهذا ما أخبر عنه القرآن في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾، فهذه الآية تؤكد أن النجوم لن تدوم إلى الأبد، بل سينفذ وقودها، وتنخفض شدة إضاءتها تدريجيًا حتى تنطمس كليًا"[(١)].

ويقولون أيضًا: "ستصبح مجرتنا (درب التبانة) مثل جزيرة منفصلة في بحر غير متغير من فضاء أسود تمامًا في غضون ١٥ مليار عام القادمة، والمدة الحقيقية لا يعلمها إلا الله تعالى، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾، وهذا ما يعتقد به العلماء، فيقولون: مع مرور الزمن ستنطفئ النجوم في جميع المجرات تدريجيًا، تاركة مجاميع باردة من كواكب مدمجة ستلهبها (الثقوب السوداء)"[(٢)].

---

(١) الانهيار الكوني لعبد الدائم الكحيل.
www.kaheel7.com/modules.php?name=news&file=article&sid

(٢) المرجع السابق.

المبحث الثاني: الآيات الكونية الأرضية

وعد الله سبحانه وتعالى بأن يجعل للكون نهاية، كما خلقه سبحانه، فإنه سوف يعيده، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[(١)]، ومن الآيات الكونية الأرضية التي وردت في النصوص: الأرض، والجبال، والبحار.

١ - الأرض:

من الآيات الكونية يوم القيامة: تحرك الأرض وارتجاجها وتحركها وارتجافها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ﴾[(٢)]، وتزلزلها: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾[(٣)]، ودكها: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾[(٤)]، ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾[(٥)]، وتمهد وتسوى وتصبح كالبساط الواحد لا ارتفاع ولا انخفاض فيها، قال تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾[(٦)]، وتمد، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾﴾[(٧)] مثل مد الأديم ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم[(٨)]»[(٩)]، وتلقي ما في بطنها من الأموات وتتخلى عنهم ﴿وَأَلْقَتْ مَا

---

(١) الأنبياء: ١٠٤.
(٢) المزمل: ١٤.
(٣) الزلزلة: ١.
(٤) الحاقة: ١٤.
(٥) الفجر: ٢١.
(٦) طه: ١٠٦-١٠٧.
(٧) الانشقاق: ٣.
(٨) الأديم: الجلد ما كان. لسان العرب: ٩/ ١٢١٩.
(٩) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم: ٤٤٠ برقم =

فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾﴾[١].

قال ابن كثير رحمه الله في بيان حال الإنسان إذا رأى ما يحدث للأرض وأنه استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها "أي تقلبت الحال فصارت متحركة مضطربة قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعده لها، من الزلزال الذي لا محيد عنه، ثم ألقت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين وحينئذ استنكر الناس أمرها، وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار"[٢]، فهو مشهد عظيم.

ثم بعد هذه المشاهد للأرض، يبدلها الله تعالى كما قال عز وجل:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾[٣].

وقد اختلف في تبديل الأرض، فقيل:

١- تبدل الأرض أرضا أخرى من فضة.

٢- وقيل تبدل نارا.

٣- وقيل تبدل خبزة.

٤- وقيل تبدل غير ذلك.

ذكر هذا ابن جرير رحمه الله وقال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: يوم تبدل الأرض التي نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرها، وكذلك السماوات اليوم تبدل غيرها كما قال جل ثناؤه، وجائز أن تكون المبدلة أرضا أخرى من فضة، وجائز أن تكون نارا، وجائز أن تكون خبزا،

= (٤٠٨)، قال البوصيري في الزوائد: ٣/ ٢٦١: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وانظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ٦٥٨/٥٠٣.

(١) الانشقاق: ٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٨/ ٤٦٠.

(٣) إبراهيم: ٤٨.

وجائز أن تكون غير ذلك، ولا خبر في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له أيُ ذلك يكون، فلا قول في ذلك يصح إلا ما دل عليه ظاهر التنزيل "(١).

وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢).

وهذا مشهد عظيم فيه بيان لعظمة الله تعالى وقدرته وهيمنته على خلقه أجمعين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»(٣).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول أنا الملك، أين الجبارون أين المتكبرون»(٤).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن(٥) رحمه الله: "هذه الأحاديث وما في معناها

(١) تفسير الطبري: ١٣/ ٢٩٩، وانظر: فتح الباري: ١١/ ٣٧٥.
(٢) الزمر: ٦٧.
(٣) سبق تخريجه: ٢٠٤.
(٤) صحيح مسلم، كتاب المنافقين وصفاتهم: ٤/ ٢١٤٨، برقم (٢٧٨٨).
(٥) هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، من أئمة الدعوة النجدية، وله من المؤلفات: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، وقرة عيون الموحدين، والرد على داود بن جرجيس وغيرها، توفي عام ١٢٨٥هـ. انظر: مشاهير علماء نجد، للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، دار اليمامة، الرياض، ط٢: ٧٨، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبد الله البسام، دار العاصمة، الرياض، ط٢: ١/ ١٨٠.

تدل على عظمة الله وعظيم قدرته وعظم مخلوقاته وقد تعرف سبحانه وتعالى إلى عباده بصفاته وعجائب مخلوقاته وكلها تعرف وتدل على كماله، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وتدل على إثبات الصفات له على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل، وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان واقتفى أثرهم على الإسلام والإيمان"(١).

فيقبض الحق تبارك وتعالى الأرض بيده في يوم القيامة، ويطوي السماوات بيمينه، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾(٢).

وهذا القبض للأرض يقع بعد أن يفني الله خلقه.

والأرض التي يحشر العباد عليها في يوم القيامة أرض أخرى غير هذه الأرض، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾(٣).

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي، ليس فيها معلم(٤) لأحد»(٥).

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن، تحقيق الوليد الفريان، دار عالم الفوائد، مكة، ط١١: ٢/ ٨٤٧.
(٢) الزمر: ٦٧.
(٣) إبراهيم: ٤٨.
(٤) العفراء: بالعين المهملة والمد بيضاء إلى حمرة.
والنقي: بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء هو الدقيق الحوري، وهو الدرمك، وهو الأرض الجيدة.
المعلم: أي ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر.
انظر: شرح النووي على صحيح مسلم: ١٧/ ١٣٤.
(٥) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب في البعث والنشور وصفة
=

وأخبر الرسول ﷺ أن الوقت الذي يتم فيه هذا التبديل هو وقت يكون الناس على الصراط، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾[(١)]، فأين يكون الناس يا رسول الله؟ فقال: على الصراط»[(٢)].

وعن ثوبان رضي الله عنه أن حبرًا من أحبار اليهود سأل الرسول ﷺ فقال: «أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: هم في الظلمة دون الجسر»[(٣)].

كما أخبر عنها أنها تشرق وتضيء يوم القيامة بنور ربها[(٤)]، قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾[(٦)] "خطاب لسيد المخاطبين ﷺ أو لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية، أي: وترى جميع جوانب الأرض: بارزة بادية ظاهرة، أما ظهور ما كان منها تحت الجبال فظاهر، وأما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك أو تراها بارزة لذهاب جميع ما عليها من الجبال والبحار والعمران والأشجار، وإنما اقتصر على زوال الجبال

= الأرض يوم القيامة: ٤/ ٢١٥٠ برقم (٢٧٩٠).

(١) إبراهيم: ٤٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة: ٤/ ٢١٥٠ برقم (٢٧٩١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما: ١/ ٢٥٢ برقم (٣١٥).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٧/ ١١٨.

(٥) الزمر: ٦٩.

(٦) الكهف: ٤٧.

لأنه يعلم منه زوال الأرض بطريق الأولى"[١].

وقد أنكر بعضهم زلزلة الأرض يوم القيامة، وقال: إن المقصود بذلك أنه الزلزال الوضعي الصناعي الذي يحصل بواسطة الحفريات وغيرها، يقول أحمد فائق رشد في تفسير سورة الزلزلة: "ليس المقصود هنا زلزلة الأرض الطبيعية ولاشيء كهذا؛ لأن الزلازل الأرضية لا تخرج لنا الأثقال الموجودة في باطن الأرض بل بالعكس إذا كانت الرجة شديدة، والهزة قوية مديدة فتبتلع القرى والمباني"[٢]، ثم قال: "فالمقصود من كلام الله هو غير ذلك بل هو الزلزال الوضعي الصناعي الذي يحدث بواسطة الأيدي البشرية يعني الحفريات العديدة العظيمة التي تقوم بها جماعات وشركات لأغراض مختلفة، منها البحث عن الآثار القديمة، والمدن المطمورة. ومنها - وهو المقصود المطلوب هنا - البحث عن المعادن، الكنوز الثمينة كالذهب والفضة والحديد والنحاس والفحم وسائر المعادن الثقيلة"[٣]، ثم قال: "من يزور منجمًا واحدًا من مناجم التعدين للحديد مثلًا أو للفحم.. يرى ما يدهش من جبال الأتربة والصخور المستخرجة من باطن الأرض".

بل قال: "والمعنى الباطني: الزلزلة: الشك في الإيمان والاضطراب في الاعتقاد وضعف الثقة بصاحب الأمر، والأرض رمز الأمة"[٤].

ولا شك أن هذا الكلام غير صحيح ولا يستحق الرد عليه، فهو مخالف للنصوص الشرعية، والعقول السوية[٥].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٥/ ٢٨٨.
(٢) تفسير القرآن من القرآن في دائرة العلم والعقل والواقع المحسوس، لأحمد فائق رشد، مطبعة النصر بالفجالة: ٤٢.
(٣) المرجع السابق: ٤٣.
(٤) المرجع السابق: ٤٩.
(٥) انظر: شوائب التفسير في القرن الرابع عشر، لعبد الرحيم فارس أبو علبة، رسالة
=

٢- الجبال:

أخبر الله تبارك وتعالى أن الأرض الثابتة، وما عليها من جبال صم راسية تُحمل في يوم القيامة عندما ينفخ في الصور فتدك دكة واحدة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾[(١)].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾[(٢)].

فأول ما يجري للكائنات عند زلزلة الأرض هو ذهاب الجبال لأنها هي الرواسي للأرض كما أخبر الله تعالى عن هذا بقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾[(٤)].

فيزيل الله الجبال من أماكنها ويذهبها سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾[(٥)].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[(٦)]، فتراها كأنها ثابتة، باقية على ما كانت عليه وهي تمر مر السحاب، أي تزول عن أماكنها[(٧)].

= دكتوراه بكلية الشريعة التابعة لدار الفتوى بلبنان، جامعة بيروت الإسلامية، مطبوعة بالحاسب الآلي: ١/ ١١٥.

(١) الحاقة: ١٣-١٥.

(٢) الكهف: ٤٧.

(٣) النبأ: ٦-٧.

(٤) النازعات: ٣٢.

(٥) طه: ١٠٥-١٠٧.

(٦) النمل: ٨٨.

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ١٣/ ٢٤٢، وتفسير السعدي: ٦١٠.

قال تعالى: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾[١]، فتزال الجبال عن أماكنها وذلك بصيرورتها هباء ثم ذهابها.

قال تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾[٢] فصارت كالدقيق.

وفتتت فصارت أرضًا، وقيل نسفت[٣]، كما قال تعالى: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾[٤].

وهو الرمل الذي تحرك أسفله فينهال عليك من أعلاه[٥].

فتبقى الأرض مستوية لا حجر فيها ولا شجر ولا انخفاض ولا ارتفاع فهي ظاهرة مكشوفة جميعها للرائي[٦].

هذا وصف، ثم يعطي سبحانه وتعالى وصفا آخر لما يحصل للجبال من عجائب قدرته تعالى وأن لا شيء وإن عظم بمستحيل مع قدرة الله تعالى فيقول ﷻ: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾[٧]، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾[٨] والعهن هو: الصوف المصبوغ ألوانا، المنفوش: النفش: مدك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض[٩].

هذه حال الجبال يوم القيامة وصفاتها المروعة بعد الصلابة والقوة والكبر

(١) الطور: ١٠.
(٢) الواقعة: ٥-٦.
(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١٩/ ١٧٦، وتفسير ابن كثير: ٨/ ٣٠٥.
(٤) طه: ١٠٥.
(٥) انظر: تفسير القرطبي: ١٩/ ٤٧، وتفسير ابن كثير: ٨/ ٢٥٦.
(٦) انظر: تفسير القرطبي: ١١/ ٢٤٥.
(٧) المعارج: ٩.
(٨) القارعة: ٥.
(٩) تفسير القرطبي: ٢٠/ ١٦٥، وتفسير ابن كثير: ٨/ ٤٦٨.

والكثرة تصير بهذه الصفات ثم يذهبها الله تعالى حتى يصبح لا أثر لها.

قال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾[(٢)].

قال د. زغلول النجار - حفظه الله -: "فإن عملية ما يحدث للجبال يوم القيامة هو عملية غيبية غيبة مطلقة، ولا يمكن للعلم الكسبي أن يقول فيها شيئًا على الإطلاق، ولولا ما توافر لنا من هدي خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ في وصف كيفيات ما يحصل لها ما كان ممكنًا لنا أن نخوض في أمور غائبة عنا غيبة مطلقة كهذه الأمور"[(٣)].

---

(١) النبأ: ٢٠.

(٢) التكوير: ٣.

(٣) تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ للدكتور زغلول النجار.
موقع الدكتور زغلول النجار.
http: //www.elnaggarzr.com/index.php?itm=66e075381fbee8ee27490-f992ab3312d

٣- البحار:

من المشاهد المهولة في يوم القيامة تغير البحار عن طبيعتها المعهودة لما يحصل لها من أمر الله تعالى وذلك بخرابها كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾[(١)].

وقد ذكر المفسرون أقوالًا كثيرة لمعنى سجرت وكلها تعطي معنى للتغيرات العظيمة التي أرادها الله تعالى.

فقيل معنى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ أي أوقدت فصارت نارا تضطرم.

وقيل: ملئت بأن صارت بحرا واحدا وكثر ماؤها.

وقيل أرسل عذبها على مالحها، ومالحها على عذبها حتى امتلأت، وقيل فجرت فصارت بحرا واحدا.

وقيل: هو من سجرت التنور أسجره سجرا: إذا أحميته.

وقيل معنى سجرت: أنها صارت حمراء كالدم[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾[(٣)] "أي فتح بعضها على بعض، عندما تسوى الأرض بعد زوال الجبال وتصبح قاعا صفصفا، يذهب البرزخ الحاجز، والحجر الذي كان يمنع الماء من الفيضان على الأرض، فتتدفق المياه على بعضها، وهي نار تضطرم فتوجف القلوب وتضطرب من هذا المشهد المروع"[(٤)].

---

(١) التكوير: ٦.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١٩/ ٢٣٠، وتفسير ابن كثير: ٨/ ٣٣١، وتفسير الشوكاني المعروف بفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، ط٢: ٥/ ٥١٦.

(٣) الانفطار: ٣.

(٤) تفسير القرطبي: ١٩/ ٢٤٤، وانظر: تفسير ابن كثير: ٨/ ٣٤١.

أما النظرة العلمية المعاصرة فيقول د. زغلول النجار - حفظه الله - عن البحر المسجور: "من المعاني اللغوية للبحر المسجور هو المملوء بالماء، والمكفوف عن اليابسة، وهو معنى صحيح من الناحية العلمية صحة كاملة، كما أثبتته الدراسات العلمية في القرن العشرين، ومن المعاني اللغوية لهذا القسم القرآني المُبهِر أيضا أن البحر قد أُوقد عليه حتى حمي قاعه فأصبح مسجوراً، وهو كذلك من الحقائق العلمية التي اكتشفها الإنسان في العقود المُتأخِّرة من القرن العشرين، والتي لم يكن لبشر إلمام بها قبل ذلك أبدًا، وهذا ما نفصله في الأسطر التالية:

أولاً: "﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦﴾"(١) بمعنى المملوء بالماء والمكفوف عن اليابسة" . . .

ثم ذكر دورة تكوّن مياه الأرض، ثم قال: "هذه الدورة المُحكَمة للمياه حول الأرض أدَّت إلى خزن أغلب ماء الأرض في بحارها ومحيطاتها، وإبقاء أقله على اليابسة، وبهذه الدورة للماء حول الأرض تملح ماء البحار والمحيطات، وبقيت نسبة ضئيلة على هيئة ماء عذب على اليابسة".

ثم ذكر: "أن الجليد المُتجمِّع فوق قطبي الأرض وفي قمم الجبال المُرتفِعة فوق سطحها إذا انصهر، وهذا لا يحتاج إلا إلى مجرد الارتفاع في درجة حرارة صيف تلك المناطق بحوالي خمس درجات مئوية، وإذا حدث ذلك فإن كم الماء الناتج سوف يؤدي إلى رفع منسوب المياه في البحار والمحيطات إلى أكثر من مائة متر، فيغرق أغلب المناطق الآهلة بالسكان والمُمتدَّة حول شواطئ تلك البحار والمحيطات".

---

(١) الطور: ٦.

ثم قال: "من هنا كان تفسير القسم القرآني بـــــــ ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۞﴾ بأن الله - تعالى - يمن علينا - وهو صاحب الفضل والمنة - بأنه ملأ منخفضات الأرض بماء البحار والمحيطات، وحجز هذا الماء عن مزيد من الطغيان على اليابسة منذ خلق الإنسان، وذلك بحبس كميات من هذا الماء في هيئات مُتعدِّدة أهمها ذلك السُمْك الهائل من الجليد المُتجمِّع فوق قطبي الأرض وعلى قمم الجبال، والذي يصل إلى أربعة كيلو مترات في قطب الأرض الجنوبي، وإلى ثلاثة آلاف وثمانمائة من الأمتار في القطب الشمالي، ولولا ذلك لغطى ماء الأرض أغلب سطحها، ولما بقيت مساحة كافية من اليابسة للحياة بمختلف أشكالها الإنسانية، والحيوانية، والنباتية، وهي إحدى آيات الله البالغة في الأرض، وفي إعدادها لكي تكون صالحة للعمران".

وقد ذكر عن الحمم التي في النار أن العلم أثبت "سنة ١٩٦٢ أن قاع البحر يتسع من منتصفه، واتساع البحر صفة تلازم بحار العالم اليوم، وأحدث محيط وهو البحر الأحمر الذي يسمى المحيط الوليد (Baby Ocean) يتسع قاعه منذ نشأته باستمرار، ويبلغ معدل اتساعه السنوي حاليا ٤ ـ ٦ سم.

والمعروف بالمشاهدة أن الحمم تصعد، من تحت البحر، من عند الأماكن التي يتسع فيها البحر، وتبرد وتكون قاع البحار. ومن المؤكد أن تحت البحر نارًا، ومن المعلوم لدى علماء الجيولوجيا والبحار أن البحر الأحمر لم يكن له وجود في الزمن الماضي، وكانت أرض العرب وأرض أفريقية قطعة واحدة تشكل يابسة تسمى الأرض العربية النوبية، ثم خسفت الأرض عبر الخط الذي يمتد بمحاذاة منتصف البحر الأحمر الحالي. ومدت الأرض من هذا الموضع، وتصدعت وأخذ الخسف يكبر شيئا فشيئًا، وصاحبه هبوط الأرض، واتصل جوفها بسطحها، وصعدت الحمم من باطن الأرض، وبردت الحمم لتكون أول جزء من قاع البحر، وكانت تلك اللحظة

شهادة ميلاد البحر. ومنذ تلك اللحظة والبحر يتسع باستمرار من منتصفه، ومنذ تلك اللحظة لا يتوقف صعود الحمم، ويظل البحر مسجورًا بالنار من منتصفه"[١].

وقد ذكر كذلك الحقيقة المؤكدة أن قاع البحر مسجور، والدليل على ذلك حيد - حافة - وسط المحيط[٢].

وفي مجلة الهيئة العلمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة "أن قاع البحر يسجر بالنار عند المنطقة الناتجة من تباعد القطعتين، ولا يكون البحر بحرًا إلا إذا كانت حالته أنه مسجور.

فالبحار مسجورة من منتصفاتها، ولكن بالقدر الذي يسمح لها بالوجود إلى أن يأتيها الأمر فتسجر وتفجر ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾[٣]، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾[٤]. وحينئذ ستمد الأرض مدًا من منتصفات قيعان البحار، وتصعد الحمم من عندها فتملأ البحر نارًا وحينئذ تسجر البحار، وتمد البحار من منتصفاتها فتخرج أثقال الأرض، وحينئذ تفجر البحار ويكون قد تحقق قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾[٥]"[٦].

(١) "والبحر المسجور" للدكتور: زغلول النجار، موقع الدكتور زغلول النجار.
www.elnaggarzr.com/index.php?itm=f17585927839360a49ife96460896067
(٢) المرجع السابق.
(٣) التكوير: ٦.
(٤) الانفطار: ٣.
(٥) الانشقاق: ٣-٥.
(٦) البحر المسجور واتساع قاع البحر، مجلة الهيئة العلمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة، العدد (٢٧)، وموقع الهيئة.

=

والتفسير الثاني للبحر المسجور: يقول الدكتور زغلول النجار: "بمعنى القائم على قاع أحمته الصهارة الصخرية المندفعة من داخل الأرض فجعلته شديد الحرارة"(١).

ثم ذكر قيعان محيطات الأرض وما فيها وما يحصل لها وما ينتج منها من توسع وأنه "يصاحب كل من عمليتي توسع قاع المحيط في محوره الوسطي، واصطدامه عند أطرافه بعدد من الهزات الأرضية، والثورات والطفوح البركانية"(٢).

ثم ذكر تكون سلاسل من الصخور البركانية، وما يحصل من اندفاع الصهارة الصخرية بملايين الأطنان وأنه "مع تجدد اندفاع الصهارة الصخرية عبر مستويات هذه الصدوع العملاقة يتسع قاع المحيط باستمرار، وتتجدد مادته بدفع الصخور القديمة في اتجاه شاطيء المحيط يمنة ويسرة، ليحل محلها أحزمة أحدث عمرا تتكون من تجمد تلك الصهارة الجديدة، وتترتب بصورة متوازية علي جانبي أغوار المحيطات والبحار، ويهبط كل جانب من جانبي قاع المحيط المتسع بنصف معدل اتساعه الكلي تحت كل قارة من القارتين أو القارات المحيطة بشاطئيه، وبذلك يمتليء محور المحيط بالصهارة الصخرية الحديثة المندفعة عبر مستويات الصدوع الممزقة لقاعه فتسجره، بينما

---

http: //www.eajaz.org/arabic/?option = com_content&view =
= article&id = 797&catid = 85: 27

(١) والبحر المسجور للدكتور زغلول النجار، موقع الدكتور زغلول النجار.
http: //www.eajaz.org/arabic/index.php?option = com_content&vie-w = article&id = 243: –6&catid = 112: 2010-08-24-22-34-!41&Itemid = 97
وانظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣٠/ ٦٠٣.

(٢) المرجع السابق.

تندفع الصخور الأقدم بالتدريج في اتجاه الشاطئين حيث توجد أقدم صخور ذلك القاع، والتي تستهلك باستمرار تحت القارات المحيطة. . .

بذلك ثبت لكل من علماء الأرض والبحار ـ بالأدلة المادية الملموسة ـ أن كل محيطات الأرض (بما في ذلك المحيطان المتجمدان الشمالي والجنوبي)، وأن أعدادا من بحارها(من مثل البحر الأحمر)، قيعانها مسجرة بالصهارة الصخرية المندفعة بملايين الأطنان من داخل الأرض عبر شبكة الصدوع العملاقة التي تمزق الغلاف الصخري للأرض بالكامل وتصل إلى نطاق الضعف الأرضي، وتتركز هذه الشبكة من الصدوع العملاقة أساسا في قيعان البحار والمحيطات"(١).

وفي الختام يجب أن نعلم كما ذكرت سابقا(٢) " أن يوم القيامة من الأمور الغيبية التي لا يصح الكلام فيها إلا بدليلٍ من الكتاب أو السنة. . كما أنّ الآخرة لا تنطبق عليها نواميس الدنيا. . فلها نواميس مختلفة، ولذلك لا يصح أن نطبق قوانين الدنيا على الآخرة. . وإنّما نصدق بما جاءنا عن رسولنا الكريم صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا. . ولا نخوض في أشياءٍ غيبية لا نعرفها. . لأن هذا من القول بغير علم"(٣).

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾(٤).

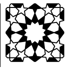
---

(١) المرجع السابق، وانظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣٠/ ٦٣.

(٢) ص: ٦٥٧-٦٦١.

(٣) موسوعة الإعجاز العلمي ليوسف الحاج: ٤٠٤.

(٤) الإسراء: ٣٦.



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فقد انتهيت - بعون الله تعالى وتوفيقه - من إتمام هذا البحث وإكماله، وقد بذلت فيه جهدي وطاقتي.

هذا ويمكن أن أجمل أهم النتائج والفوائد التي توصلت إليها في الأمور التالية:

١- أن بحث الآيات الكونية ودراستها وتعلمها وتعليمها من الأمور المهمة، فقد أمر الله بالنظر والتفكر فيها لأنه يقوي الإيمان في القلوب، ويؤدي إلى الإكثار من الأعمال الصالحة، والاستعداد للقدوم على الدار الآخرة.

٢- أهمية الإيمان بالغيب والتسليم والتصديق بالنصوص الشرعية، ودراسة الإعجاز العلمي وفق الضوابط الشرعية.

٣- التفريق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي.

٤- أن الأسباب لها مكانتها في الشريعة، فيجب فعل الأسباب مع الاعتماد وتفويض الأمر لله.

٥- أن الآيات الكونية السماوية والأرضية لها دلالتها العقدية في جميع أبواب العقيدة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر ومسائل الإيمان ولأسماء والأحكام وغيرها.

٦- معرفة الموقف العقدي الصحيح من التفسير العلمي للآيات الكونية

في القرآن والسنة.

٧- استحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية، فإذا حصل تعارض بين حقيقة قرآنية وما يعتقد أنه حقيقة علمية، فيجب تمحيص هذه الحقيقة العلمية، التي غالبا ما يثبت أنها ليست حقيقة، بل هي نظرية، وإن أي خلاف ناشئ فهو حتمًا ناتج من أحد الأمرين: إما جهل لغوي باللغة العربية.. وإما جهل علمي.

٨- معرفة الهدي القرآني والنبوي تجاه الآيات الكونية والاستفادة منه في تقرير العقيدة.

التوصيات

١- تخصيص وأختيار أحد التفاسير أو كتب السنة واستخراج الدلالات العقدية التي ذكرها عن الآيات الكونية كتفسير ابن كثير أوتفسير الطاهر بن عاشور أو صحيح البخاري.

٢- تفصيل البحث في آية من الآيات الكونية وبيان دلالتها العقدية على جميع مسائل الإيمان، والتوسع في بحثها، وخصوصًا لمن لديه إلمام باللغات الأخرى وخصوصًا الإنجليزية، مثل الماء، أو الشمس أو الأرض أو غيرها.

٣- تكوين لجنة مختصة بفحص ومراجعة الكتابات والبحوث المتعلقة بالآيات الكونية فيما يتعلق بالمسائل العقدية.

٤- بيان دلالة الآيات الكونية على مسألة من المسائل العقدية، مثلًا دلالة الآيات الكونية على الإيمان بالملائكة، على الإيمان بالقدر... إلخ.

وفي الختام:

أحمد الله تعالى وأشكره أن أعانني على إتمام هذا البحث وإخراجه بهذه الصورة التي أرجو أن أكون قد وفقت بها في عرضه، وبيان أهم جوانبه على الوجه المطلوب.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل واتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ، وأن يجنبنا الزلل ومزالق الأهواء، وأن يأخذ بنواصينا لما فيه رضاه وسعادتنا في الدارين، وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه به، وأن يغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

وتشتمل على:

- فهرس المصادر والمراجع.

- فهرس الموضوعات.

فهرس المصادر والمراجع

١- فوهة بركانية حول المدينة المنورة ستكون فورتها من علامات الساعة، للدكتور زغلول النجار، موقع المدينة المنورة.

٢- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة، تحقيق: الوليد بن سف نصر، دار الراية، الرياض، ط١.

٣- اتجاهات التفسير في العصر الراهن لعبد المجيد بن عبد السلام المحتسب، مكتبة النهضة الإسلامية، عمان، ط٣.

٤- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد بن عبد الرحمن الرومي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣.

٥- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، للشيخ حمود بن عبد الله التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط٢.

٦- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري، تحقيق: عادل بن سعد والسيد بن محمود إسماعيل، مكتبة الرشد، الرياض، ط١

٧- إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعبد الكريم بن علي النملة، دار العاصمة، الرياض، ط١.

٨- اتساع قاع البحر للدكتور زغلول النجار، مجلة الهيئة العلمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة، العدد (٢٧)، وموقع الهيئة على شبكة الانترنت.

٩- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين لسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٨.

١٠- أثر التدريس بالآيات القرآنية الكونية على التحصيل الدراسي لتدريس وحدة بمادة العلوم للصف الثاني متوسط لمحمد بن أحمد الغامدي، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير من كلية التربية، قسم المناهج وطرق التدريس، بجامعة أم القرى بمكة.

١١- أثر القمرين في الأحكام الشرعية لعبد المجيد بن عبد الله اليحيى، رسالة لنيل درجة الماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود، المعهد العالي للقضاء، قسم الفقه المقارن.

١٢- اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، تحقيق: عواد المعتق، دار الرشد، ط ٣.

١٣- الأجزاء الكونية بين النقل والعقل لعبد العزيز آل عبد الله، مكتبة دار البيان، ط١.

١٤- الأحاديث النبوية التي استدل بها على الإعجاز العلمي في الإنسان والأرض والفلك لأحمد بن حسن الحارثي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بكلية الحديث والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، مطبوعة بالحاسب الآلي.

١٥- أحداث النهاية بين العلم والقرآن والسنة، للدكتور أحمد عوض عبد الهادي، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة على شبكة الانترنت.

١٦- أحكام الأهلة والآثار المترتبة عليها وتطبيقاتها القضائية لأحمد بن عبد الله الفريح، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، المعهد العالي للقضاء، قسم الفقه المقارن.

١٧- أحكام القرآن لابن العربي، بتحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت.

١٨- الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن محمد الآمدي، تعليق: الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، ط١.

١٩- إحياء علوم الدين للغزالي، تحقيق: محمد خير طعمه حلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

٢٠- الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد لسعود العريفي، دار عالم الفوائد، مكة، ط١.

٢١- الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله باز، مكتبة الرياض الحديثة، ط ٣.

٢٢- الأذكار للنووي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الهدى، الرياض، ط٧.

٢٣- أسباب النزول للواحدي، تحقيق: أحمد صقر، دار القبلة، جدة.

٢٤- الاستذكار لابن عبد البر، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار قتيبة، بيروت، ط ١.

٢٥- الإسراء والمعراج لمحمد بن ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، ط٥.

٢٦- أسرار البلاغة في علم البيان للجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا وأسامة صلاح الدين منيمة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١.

٢٧- أسرار الشمس بين الوصف القرآني وحقائق علم الفلك الحديث، لصبحي رمضان فرج مدرس، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٢٨- أسرار الكون بين العلم والقرآن لعبد الدائم الكحيل، موقع عبد الدائم الكحيل.

٢٩- الإسلام في عصر العلم لمحمد فريد وجدي، الكتاب اللبناني، بيروت، ط٣.

٣٠- الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١.

٣١- أسماء الله الحسنى لعبد الله الغصن، دار الوطن، الرياض، ط١.

٣٢- الأسماء والصفات للبيهقي، تحقيق: عبد الحاشدي، دار السوادي، جدة، ط١.

٣٣- الإشاعة لأشراط الساعة، لمحمد بن رسول البرزنجي، مع تعليقات المحدث محمد زكريا الكاندهلوي، اعتنى به: حسين محمد علي شكري، دار المنهاج، جدة، ط٣.

٣٤- أشراط الساعة ليوسف الوابل، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢.

٣٥- أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار لعبد الملك بن حبيب الأندلسي، تحقيق: عبد الله بن عبد المؤمن القماري، دار أضواء السلف، الرياض، ط١.

٣٦- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة: ط ١.

٣٧- أصول التفسير وقواعده لخالد بن عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت ط٢.

٣٨- أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر البغدادي، دار صادر، بيروت، ط١.

٣٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للعلامة محمد الأمين

الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٥.

٤٠- إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢.

٤١- الاعتصام للشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد، المنامة.

٤٢- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: أحمد أبو العينين، دار الفضيلة، الرياض، ط ١.

٤٣- الإعجاز العلمي - الأرض وعلوم البحار - أ.د. محمد وليد كامل، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٤٤- الإعجاز العلمي في السنة النبوية، لصالح رضا، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١.

٤٥- الإعجاز العلمي في القرآن لسامي بن أحمد الموصلي، دار النفائس، بيروت، ط١.

٤٦- الإعجاز العلمي في لفظتي المريض والممرض في الأحاديث النبوية، لعبد البديع حمزة زللي.

٤٧- الإعجاز في طلوع الشمس من مغربها، لقسطاس إبراهيم، موقع جامعة الإيمان اليمنية.

٤٨- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي تحقيق: محمد بن سعد آل سعود، جامعة أم القرى، مكة، ط١.

٤٩- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١.

٥٠- الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥.

٥١- اقتراب خروج المسيخ الدجال، لهشام كمال عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١.

٥٢- اكتشاف الآلية التي يؤثر بها قرين الإنسان من الشيطان عليه في الوسواس والسحر والتلبس والمس والأمراض النفسية والعلاج الناجح لكل ذلك من خلال أطعمة القرآن والرقية الشرعية والاستعاذة بالله، بحث خاص مقدم من مركز الأبحاث العلمية في مؤسسة الدكتور جميل القدسي الدويك لمؤتمر العلاج بالقرآن بين الدين والطب.

٥٣- إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، القاهرة، ط٣.

٥٤- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم لأبي عبد الله الأبي، مكتبة طبرية.

٥٥- الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، مصر، ط٢.

٥٦- الإمام المجدد والعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني لعمر أبو بكر، دار بيت الأفكار الدولية، عمّان.

٥٧- الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها، للدكتور: محمد البار، دار المنارة، جدة، ط٢.

٥٨- أمطار لا تُنبت لعبد الدائم الكحيل موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٥٩- إمعان في أقسام القرآن لعبد الحميد الفراهي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٩.

٦٠- إنه الحق، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة -مكة- ط٤.

٦١- الانهيار الكوني لعبد الدائم الكحيل، موقع د. عبد الدائم الكحيل.
٦٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.
٦٣- الآيات الكونية في ضوء العلم الحديث، لمنصور محمد حسب النبي، دار المعارف، القاهرة.
٦٤- الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى، لمحمد متولي الشعراوي، أشرف واعتنى به: أحمد الزغبي.
٦٥- آيات الله في الكون - تفسير الآيات الكونية بالقرآن الكريم لعبد الله شحاته، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٥.
٦٦- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لمحمد بن إبراهيم المرتضى، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٧- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١.
٦٨- الإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة للشيخ صالح الفوزان، دار الوطن، الرياض، ط١.
٦٩- الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، ط١.
٧٠- البحر المحيط لأبي حيان، تحقيق: عادل عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١.
٧١- البحر المسجور للدكتور زغلول النجار، موقع د. زغلول النجار.
٧٢- البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار عالم الكتب، الرياض، ط١.
٧٣- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير

لابن الملقن، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وآخرين، دار الهجرة، الدمام، ط١.

٧٤- البراهين العقلية على وحدانية الرب ووجوه كماله لعبد الرحمن بن سعدي، تحقيق: باسل بن سعود الرشود، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١.

٧٥- البراهين العلمية على صحة العقيدة الإسلامية، لعبد المجيد العرجاوي، دار وحي القلم، دمشق، ط١.

٧٦- براهين وأدلة إيمانية لعبد الرحمن حسن حبنكه الميداني، دار القلم دمشق، ط١.

٧٧- البرق بين العلم والإيمان لعبد الدائم الكحيل، موقع د. عبد الدائم الكحيل.

٧٨- بركان أيسلندا، للدكتور زغلول النجار، موقع الدكتور: زغلول النجار.

٧٩- بركان عدن ونيران الحشر، لطارق عبده إسماعيل، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٨٠- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه الحجة والبرهان لبرهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: أحمد عز الدين خلف الله، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط١.

٨١- البرهان في علوم القرآن لمحمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.

٨٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزير، لمحمد بن يعقوب الفيروزابادي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، تحقيق: عبد العليم الطحاوي.

٨٣- بلدان الخلافة الشرقية لكي لسترنج، ترجمة بشير فرنيس وكوركس

عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢.

٨٤- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية، تصحيح: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، دار القاسم، الرياض، ط٢.

٨٥- تاريخ الخلفاء للسيوطي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر.

٨٦- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط ٢.

٨٧- التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، تحقيق: محمد زهري النجار، المؤسسة السعيدية، الرياض.

٨٨- تتمة أضواء البيان للشيخ عطية سالم، دار ابن تيمية القاهرة.

٨٩- تحذير ذوي الفطن من عبث الخائضين في أشراط الساعة، لأبي عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، مكتبة السلف الصالح، جدة.

٩٠- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس.

٩١- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تحقيق، عبد الرحمن محمد عثمان، دار ابن تيمية، القاهرة.

٩٢- تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب لفريح بن صالح البهلال، دار الأثر، ط ١.

٩٣- تذكرة الحفاظ للذهبي، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية.

٩٤- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي: تحقيق: الصادق بن إبراهيم، دار المنهاج، ط١.

٩٥- التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي لعبد القادر عودة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥.

٩٦- التعريفات للجرجاني، تحقيق: محمد المرعشلي، دار النفائس، ط٢.

٩٧- التعليق العلمي على المنتخب في تفسير القرآن الكريم للجنة القرآن والسنة في المجلس العلى للشؤون الإسلامية في القاهرة، دار الثقافة، الدوحة، ط٨.

٩٨- التعليق المختصر على القصيدة النونية لابن القيم، تعليق الشيخ صالح الفوزان، أشرف على الطبع: عبد السلام السليمان.

٩٩- تغليق التعليق على صحيح البخاري للحافظ أحمد بن حجر، تحقيق: سعيد القزقي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢.

١٠٠- تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف المعروف بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

١٠١- التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، لحنفي أحمد، دار المعارف، مصر، ط٣.

١٠٢- التفسير العلمي للقرآن في الميزان لأحمد بن عمر أبو حجر، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط٢.

١٠٣- تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢.

١٠٤- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تقديم يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط٢.

١٠٥- تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول ﷺ والصحابة والتابعين لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، ط٣.

١٠٦- تفسير القرآن الكريم- سورة البقرة - للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١.

١٠٧- تفسير القرآن الكريم - سورة الحجرات إلى الحديد - للشيخ محمد بن عثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١.

١٠٨- تفسير القرآن لمحمود شلتوت.

١٠٩- تفسير القرآن من القرآن في دائرة العلم والعقل والواقع المحسوس، لأحمد فائق رشد، مطبعة النصر بالفجالة.

١١٠- التفسير القيم لابن القيم جمع محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة.

١١١- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

١١٢- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب من القرآن الكريم المعروف بتفسير الفخر الرازى، لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار إحياء التراث العربى.

١١٣- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢.

١١٤- التفسير الوسيط، لوهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط٢.

١١٥- تفسير جزء عمّ لمحمد عبده.

١١٦- تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ للدكتور زغلول النجار. موقع الدكتور زغلول النجار.

١١٧- تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ للدكتور زغلول النجار. موقع الدكتور زغلول النجار.

١١٨- التفسير والمفسرون لمحمد بن حسين الذهبي.

١١٩- التفسير: نشأته - تدرجه - تطوره لأمين الخولي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١.

١٢٠- تقريب التدمرية للشيخ محمد بن عثيمين، دار الوطن، الرياض، ط عام ١٤٢٤.

١٢١- تقرير القواعد وتحرير الفوائد لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن القيم، الدمام، ط١.

١٢٢- تقويم الأعمال التي تناولت الإعجاز العلمي والطبي في السنة النبوية لأحمد أبو الوفاء عبد الآخر، ضمن بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، عام ١٤٢٥، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، مطبوع بالحاسب الآلي.

١٢٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تحقيق: سعيد أعراب.

١٢٤- التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام لعبد المجيد بن سالم المشعبي، مكتبة ابن القيم، المدينة، ط١.

١٢٥- تنزيه الشريعة المرفوعة لعلى بن محمد بن العراق الكتاني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.

١٢٦- تهذيب السنن لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

١٢٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي، تحقيق: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

١٢٨- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق: علي حسن هلالي وآخرون.

١٢٩- توحيد الخالق لعبد المجيد الزنداني.

١٣٠- التوصيات الصادر عن المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ضمن كتيب تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أبحاث المؤتمر العلمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

١٣١- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٧.

١٣٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المعروف بتفسير ابن سعدي، اعتنى به سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١.

١٣٣- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القران لعبد الرحمن بن سعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ط١.

١٣٤- التيسير بشرح الجامع الصغير لمحمد عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط ٣.

١٣٥- تيسير لمعة الاعتقاد لعبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، الرياض، ط١.

١٣٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

١٣٧- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني.

١٣٨- الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين لوليد بن أحمد الحسين، سلسلة إصدارات مجلة الحكمة، لندن، ط١.

١٣٩- الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمع

محمد عزير شمس وعلي العمران، دار عالم الفوائد، مكة، ط١.

١٤٠- جريان الشمس وسكون الأرض لخالد بن صالح الغيص موقع الإسلام اليوم.

١٤١- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، تحقيق: علي الألمعي وآخرون، دار الفضيلة، الرياض، ط١.

١٤٢- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم، تحقيق: محمد جميل غازي، مطبعة المدني.

١٤٣- جواهر القرآن للغزالي، مكتبة الجندي.

١٤٤- الجواهر في تفسير القرآن الكريم لطنطاوي جوهري. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤.

١٤٥- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود المطبوع ضمن عون المعبود.

١٤٦- حاشية مسند الإمام أحمد لأبي الحسن محمد السندي، تحقيق: نور الدين طالب، وزارة الأوقاف القطرية، ط١.

١٤٧- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني، تحقيق: محمد المدخلي ومحمد أبو رحيم، دار الراية، الرياض، ط ٢.

١٤٨- حكم تفسير القرآن بنظريات علمية حديثة للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، مقال ضمن مجلة الدعوة، العدد (١٤٤٧)، محرم ١٤٢١.

١٤٩- حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري د. عبد الله الزايدي، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، العدد (٧٧).

١٥٠- حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه لمحمد بن إبراهيم الشيباني، من منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت.

١٥١- حياة النبات في ضوء القرآن والسنة والعلم الحديث، لكمال الدين البتانوني، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
١٥٢- خلاصة بحث التفسير العلمي للقرآن الكريم بين المجيزين والمانعين لمحمد الأمين ولد الشيخ، ضمن كتيب تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أبحاث المؤتمر العلمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
١٥٣- الدر المنثور في التفسير المأثور لجلال الدين السيوطي، ت: عبد الله التركي، دار هجر، ط١.
١٥٤- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ط٢.
١٥٥- درة التنزيل وغرة التأويل الخطيب الإسكافي، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، ط١.
١٥٦- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار أم القرى، القاهرة.
١٥٧- دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية، لعبد الله بن صالح الغصن، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١.
١٥٨- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب لمحمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ١.
١٥٩- دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن حسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١.
١٦٠- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، ت: محمد رواس قلعجي، وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٣.
١٦١- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد بن علان الصديقي،

اعتنى به: سمير خالد الرجب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

١٦٢- الديباج المذهب لمعرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، ط٢.

١٦٣- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، دار ابن عفان، الخبر، ط١.

١٦٤- الدين والعلم، وهل ينافي الدين العلم؟ لمصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، بيروت.

١٦٥- الذخيرة للقرافي، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب، بيروت.

١٦٦- ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق، للشيخ حمود بن عبد الله التويجري، ط١.

١٦٧- ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، دار المعرفة، بيروت.

١٦٨- الرد على الجهمية لأبي سعيد عثمان الدارمي، تحقيق: بدر البدر، دار ابن الأثير، الكويت، ط ٢.

١٦٩- الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة، ط١.

١٧٠- الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، مؤسسة الريان، بيروت، ط١.

١٧١- الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، دار العبيكان، ط٨.

١٧٢- رسالة التوحيد لمحمد عبده.

١٧٣- رسالة الفرقان بين الحق والباطل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى، دار الفكر، بيروت.

١٧٤- رسالة في قنوت الأشياء كلها لله تعالى لشيخ الإسلام ابن تيمية،

ضمن جامع الرسائل لابن تيمية، المجموعة الأولى، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط١.

١٧٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٧٦- روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣.

١٧٧- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المغني، الرياض، ط١.

١٧٨- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين للشيخ محمد بن عثمان القاضي، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢.

١٧٩- الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين لسهل بن رفاع العتيبي، كنوز أشبيليا، الرياض، ط١.

١٨٠- رؤية الله في المنام لعمر إبراهيم، دار ابن الجوزي، عمان.

١٨١- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤.

١٨٢- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الرسالة بيروت، ط١.

١٨٣- زلازل جزيرة العرب في المصادر الإسلامية (منذ القرن الأول حتى القرن الحادي عشر الهجري/القرن السابع حتى القرن السابع عشر الميلادي) لخالد يونس الخالدي، مجلة الجامعة الإسلامية- سلسلة الدراسات الإنسانية - المجلد السابع عشر، العدد الأول.

١٨٤- الزلازل حقيقتها وآثارها للدكتور: شاهر جمال آغا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

١٨٥- الزلازل، لإبراهيم طربيه، مجلة الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد ٢٢.

١٨٦- زلزال المحيط الهندي ٢٠٠٤ رؤية إيمانية، للدكتور حسني الدسوقي، مجلة الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد ٢٠.

١٨٧- سبل السلام شرح بلوغ المرام لمحمد بن إسماعيل الصنعاني.

١٨٨- السلسلة الصحيحة للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١.

١٨٩- سمات الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم للشيخ ناصر الماجد، موقع ملتقى أهل التفسير على الشبكة العنكبوتية، ١٤٢٥.

١٩٠- السماوات السبع، للدكتور محمد جمال الدين الفندي.

١٩١- السنة لأحمد بن محمد بن هارون الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط١.

١٩٢- السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، دار عالم الكتب، الرياض، ط ٤.

١٩٣- السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣، مصورة عن دائرة المعارف العثمانية.

١٩٤- السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم لأحمد بن عبد الفتاح ضليمي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد (١١١).

١٩٥- سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١.

١٩٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١.

١٩٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للألكائي، تحقيق: أحمد الحمدان، دار طيبة، الرياض.

١٩٨- شرح الأربعين النووية لابن عثيمين، دار الثريا، الرياض، ط١.

١٩٩- شرح التدمرية للشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، إعداد: عبالرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، ط١.

٢٠٠- شرح السنة للبغوي، تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٠١- شرح العقيدة الواسطية من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم، كتبها ورتبها: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم.

٢٠٢- شرح الكوكب المنير لمحمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، مركز البحث العلمي بجامعة الملك عبد العزيز، مكة، ١٤٠٠.

٢٠٣- الشرح الممتع على زاد المستقنع للشيخ محمد بن عثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١: .

٢٠٤- شرح النووي على صحيح مسلم، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧.

٢٠٥- شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول لأحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد الشاغول، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢٠٦- شرح رياض الصالحين، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، مدار الوطن، الرياض، طبعة عام ١٤٢٦هـ.

٢٠٧- شرح سنن أبي داود للشيخ عبد المحسن العباد، مطبوع بالحاسب الآلي.

٢٠٨- شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد.

٢٠٩- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله بن محمد

الغنيمان، دار العاصمة، الرياض، ط ٢.

٢١٠- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبد العزيز الراجحي، مطبوع بالحاسب الآلي.

٢١١- شرح مشكل الآثار للطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢.

٢١٢- شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق: عبد العلي حامد، الدار السلفية، بومباي، ط١.

٢١٣- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم، تحقيق: مصطفى أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي، جدة، ط٢.

٢١٤- الشواهد والنصوص من كتاب الأغلال على ما فيه من زيغ وكفر وضلال بالعقل والنقل لمحمد بن عبد الرزاق حمزة، نشر: عبد الله محمد بابا الشنقيطي.

٢١٥- شوائب التفسير في القرن الرابع عشر، لعبد الرحيم فارس أبو علبة، رسالة دكتوراه بكلية الشريعة التابعة لدار الفتوى بلبنان، جامعة بيروت الإسلامية، مطبوعة بالحاسب الآلي.

٢١٦- الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤.

٢١٧- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣.

٢١٨- الصحيح المسند من دلائل النبوة، لمقبل بن هادي الوادعي، دار ابن تيمية، القاهرة، ط٢.

٢١٩- صحيح سنن أبي داود للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط ١.

٢٢٠- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول، ط١.

٢٢١- صحيح وضعيف الجامع الصغير للشيخ الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣.

٢٢٢- صراع مع الملاحدة حتى العظم لعبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٤.

٢٢٣- صفة المنافق لجعفر بن محمد الفريابي، تحقيق: بدر البدر، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط١.

٢٢٤- الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة الجديدة، للشيخ حمود التويجري، ط١.

٢٢٥- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، تحقيق: علي الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط٣.

٢٢٦- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، دار هجر، القاهرة، ط٢.

٢٢٧- طرح التثريب في شرح التقريب، للحافظ العراقي، دار أم القرى، القاهرة.

٢٢٨- طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط١.

٢٢٩- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي لابن العربي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣٠- عالم الغيب والشهادة لعثمان جمعة ضميرية، دار السوادي، جدة، ط١.

٢٣١- عالم الملائكة الأبرار لعمر الأشقر، دار النفائس، ط ١٢.

٢٣٢- عالم فقدته الأمة لمحمد بن سعد الشويعر، ط١.

٢٣٣- العبر في خبر من غبر لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت.

٢٣٤- عبودية الكائنات لرب العالمين لفريد إسماعيل التوني، مكتبة الضياء، جدة، ط١.

٢٣٥- العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢.

٢٣٦- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات لزكريا بن محمد القزويني، بعناية سوزان مبارك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.

٢٣٧- العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط١.

٢٣٨- العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أشرف عبد المقصود، دار أضواء السلف، الرياض، ط١.

٢٣٩- العلم للشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين، إعداد: فهد السليمان، دار الثريا، الرياض، ط١.

٢٤٠- علماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبد الله البسام، دار العاصمة، الرياض، ط٢.

٢٤١- علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب، دار الشواف، الرياض، ط٤.

٢٤٢- العلو للعلي الغفار وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها، لمحمد بن أحمد الذهبي، ت: عبد الله البراك، دار الوطن، الرياض، ط١.

٢٤٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصورة عن الطبعة المنيرية.

٢٤٤- عمل اليوم والليلة، للنسائي، تحقيق: د. فاروق حمادة، دار الكلم الطيب، دمشق، ط١.

٢٤٥- عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم لمحمد السيد راضي جبريل، ضمن بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١.

٢٤٦- العهود المحمدية لعبد الوهاب الشعراني.

٢٤٧- العواصم من القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم لمحمد بن إبراهيم ابن الوزير، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣.

٢٤٨- عودة جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا. م. جمال عبد المنعم الكومي، مجلة الهيئة العلمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة - مكة - العدد (٦).

٢٤٩- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة

٢٥٠- غربة الإسلام، للشيخ حمود بن عبد الله التويجري، ت: عبد الكريم التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط١.

٢٥١- فتاوى الشيخ صالح الفوزان، مجلة الدعوة العدد (٢٠٠٩)، ٤ شعبان ١٤٢٦هـ.

٢٥٢- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٣.

٢٥٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، تعليق: الشيخ عبد العزيز بن باز وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.

٢٥٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، ط٢.

٢٥٥- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن، تحقيق الوليد الفريان، دار عالم الفوائد، مكة، ط١١.

٢٥٦- فرق الشيعة للحسن النوبختي، تحقيق: محمد آل بحر العلوم، المكتبة الأزهرية، القاهرة.

٢٥٧- الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن قاهر البغدادي، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٢.

٢٥٨- الفرقان في بيان إعجاز القرآن لعبد الكريم بن صالح الحميد، ط١.

٢٥٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، المطبعة الأدبية، ط١.

٢٦٠- فصل في مؤاخذة ابن حزم في الإجماع لابن تيمية، ضمن جامع المسائل،، تحقيق: عزير شمس، دار عالم الفوائد، مكة، ط ١.

٢٦١- فقه الأدعية والأذكار، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن القيم، الدمام، ط١.

٢٦٢- الفلسفة القرآنية لعباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، القاهرة.

٢٦٣- الفلك وعلاقته بالعقيدة في الكتاب والسنة لعبد الله بن محمد الأنصاري، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة.

٢٦٤- فهرس الأحاديث الكونية والطبية، إعداد الشيخ: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف، والشيخ: إسماعيل القرشي، مطبوع بالحاسب الآلي: ١٤١٦هـ.

٢٦٥- فهرس الآيات الكونية في القرآن الكريم من إعداد الهيئة العالمية للإعجاز العلمي بمكة المكرمة، مطبوع بالحاسب الآلي.

٢٦٦- الفوائد لابن القيم، تحقيق: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، ط٦.

٢٦٧- فيض القدير بشرح الجامع الصغير للمناوي، دار المعرفة.

٢٦٨- قاموس الجغرافيا لمجموعة من الأساتذة بإشراف علي لبيب، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١.

٢٦٩- القاموس المحيط للفيروزآبادي، تحقيق: الشيخ يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥.

٢٧٠- قانون التأويل لابن العربي، تحقيق: محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢.

٢٧١- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاي، دار المعارف، لبنان، ط٤.

٢٧٢- القرآن وإعجازه العلمي، لمحمد إسماعيل إبراهيم.

٢٧٣- قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن لنديم الجسر، لبنان.

٢٧٤- قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بين المؤيد والمعارض للدكتور زغلول راغب النجار، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، ط١.

٢٧٥- القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة للسخاوي تحقيق: محمد العقيل، دار أضواء السلف، الرياض، ط١.

٢٧٦- القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن لعبد الرحمن بن سعدي، اعتنى به خالد بن عثمان السبت، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١.

٢٧٧- قواعد تناول الإعجاز العلمي والطبي في السنة وضوابطه، للأستاذ

الدكتور: عبد الله بن عبد العزيز المصلح، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١.

٢٧٨- القول المفيد في شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢.

٢٧٩- القول في علم النجوم لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: يوسف السعيد، أطلس، ط١.

٢٨٠- قيام الساعة كما يرأها العلم الحديث لعمر بن محمود الراوي، دار وحي القلم، دمشق، ط١.

٢٨١- كبرى اليقينيات الكونية لمحمد بن سعيد البوطي، دار الفكر، بيروت، دمشق.

٢٨٢- كتاب التوحيد لابن منده تحقيق: علي الفقيهي، دار الغرباء، المدينة، ط٢.

٢٨٣- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ لأبي بكر بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: د. عبد العزيز الشهوان، دار الرشد، الرياض، ط ١.

٢٨٤- كتاب الزهد للإمام أحمد، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١.

٢٨٥- كتاب المطر والرعد والبرق والريح لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق: محمد العمودي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١.

٢٨٦- كتاب النور في الرد على من قال أن الشمس ثابتة والأرض حولها تدور لمحمد اليحيا، ط٣.

٢٨٧- كسوف الشمس بين التخويف والتزييف لذياب بن سعد الغامدي، مكتبة المزيني، الطائف، ط١.

٢٨٨- كشاف القناع عن متن الإقناع لمنصور البهوتي، تحقيق: إبراهيم

أحمد عبد الحميد، دار عالم الكتب، الرياض، ط عام ١٤٢٣.

٢٨٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٩٠- كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني، تصحيح: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، ط ٢.

٢٩١- كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة للسيوطي، ت: عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة، ط١.

٢٩٢- كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.

٢٩٣- الكشف والبيان، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١.

٢٩٤- الكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط١.

٢٩٥- الكليات لأبي البقاء أيوب الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢.

٢٩٦- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبد العزيز السلمان، ط١٣.

٢٩٧- الكون والإنسان في التصور الإسلامي لحامد صادق قنيجي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١.

٢٩٨- الكون والرؤية العلمية في القرآن والأديان السماوية الأخرى -

دراسة مقارنة، رسالة ماجستير إعداد الطالب: أشرف أحمد محمد محمد عماشة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط الجديدة، مطبوع بالحاسب الآلي.

٢٩٩- اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح آل الشيخ، تحقيق: عادل رفاعي، دار العاصمة، الرياض، ط١.

٣٠٠- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩.

٣٠١- لسان العرب، لابن منظور، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف.

٣٠٢- لقاءات الباب المفتوح للشيخ محمد بن عثيمين: ٥١- ٦٠، دار الوطن، الرياض.

٣٠٣- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير لمحمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣.

٣٠٤- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسي، تحقيق: بشير عيون، دار البيان، دمشق، ط٢.

٣٠٥- الله لعباس محمود العقاد.

٣٠٦- ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان لمحمود شكري الألوسي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢.

٣٠٧- مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، ط٣.

٣٠٨- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير لعبد الحميد بن باديس، نشر وزارة الشؤون الدينية الجزائرية.

٣٠٩- مجلة الرسالة - القاهرة، العدد (٤٠٧)، (٤٠٨) من السنة التاسعة، إبريل سنة ١٩٤١.

٣١٠- مجلة مجمع الفقه الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، العدد ٧.

٣١١- مجمع الزوائد للهيثمي، تحقيق: عبد الله الدويش، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤.

٣١٢- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع الشيخ: عبد الرحمن بن قاسم، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢.

٣١٣- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، ط٢.

٣١٤- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين لفهد السليمان، دار الثريا، الرياض، ط٢.

٣١٥- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز، جمع: محمد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٣.

٣١٦- محاسن التأويل للقاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

٣١٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرون، وزارة الأوقاف القطرية، الدوحة، ط ٢.

٣١٨- مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم اختصره محمد بن الموصلي، تحقيق: الحسن العلوي، دار أضواء السلف، الرياض، ط١.

٣١٩- مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي، أختصره أحمد بن علي المقريزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢.

٣٢٠- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء.

٣٢١- المدخل لابن الحاج، مكتبة دار التراث.

٣٢٢- المدهش لابن الجوزي، ت: فتحي الجندي، دار الكوثر، الرياض، ط ١.

٣٢٣- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان ملاء القاري، تحقيق: جمال عيتاني، المكتبة العلمية، بيروت، ط١.

٣٢٤- مروج وأنهار أرض العرب في الماضي والمستقبل، دراسة في الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، للأستاذ الدكتور علي صادق، ضمن بحوث المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٣٢٥- مسائل الإمام أحمد برواية أبي داود، تحقيق: طارق عوض الله، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ١.

٣٢٦- المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١.

٣٢٧- مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط ١.

٣٢٨- مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، بيروت، ط ٢.

٣٢٩- المسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

٣٣٠- مسند البزار، لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار، تحقيق: عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١.

٣٣١- مسند الحميدي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث،

دمشق، ط٢.

٣٣٢- مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، لأبي الحسن عبيدالله المباركفوري، إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية - الهند.

٣٣٣- مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها لعبد الله القصيمي، المجلس العلمي السلفي، باكستان، ط ١.

٣٣٤- المصنف بن أبي شيبة، تحقيق: حمد الجمعة ومحمد اللحيدان، دار الرشد، الرياض، ط١.

٣٣٥- المصنف لابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، جدة، ط١.

٣٣٦- المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢.

٣٣٧- مطلع الشمس من مغربها، هل هناك إشارات علمية لذلك، للدكتور عبد الكحيل الدائم، موقع: د. عبد الدائم الكحيل.

٣٣٨- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (في التوحيد)، للشيخ حافظ الحكمي، تحقيق: عمر أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط٣.

٣٣٩- معارج الوصول لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى.

٣٤٠- المعالم الأثرية في السنة النبوية لمحمد بن محمد حسن شراب، دار القلم، دمشق، ط١.

٣٤١- معالم التنزيل لأبي محمد الحسين البغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، ط١.

٣٤٢- معالم السنن للخطابي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

٣٤٣- معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، لمحمد بن خليفة التميمي، دار إيلاف، ط١.

٣٤٤- المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل لعبد الفتاح إبراهيم سلامه، مطبوع بالحاسب الآلي.

٣٤٥- المعجزة العلمية في القرآن والسنة لعبد المجيد الزنداني، ضمن كتيب تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٣٤٦- المعجزة القرآنية - الإعجاز العلمي والغيبي لمحمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣.

٣٤٧- المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥.

٣٤٨- معجم البلدان لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢.

٣٤٩- المعجم الكبير لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، دار الرشد، الرياض، ط٢.

٣٥٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ط٤.

٣٥١- معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط٣.

٣٥٢- معجم الموضوعات المطروقة في التأليف الإسلامي وبيان ما ألف فيها لعبد الله بن محمد الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١.

٣٥٣- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة.

٣٥٤- المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، ١٣٨٠.

٣٥٥- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠.

٣٥٦- معرفة السنن والآثار للبيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء، القاهرة، ط١.

٣٥٧- المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في إحياء علوم الدين من أخبار- للحافظ العراقي، المطبوع مع إحياء علوم الدين.

٣٥٨- المغني لابن قدمة، تحقيق: عبد الله التركي، دار عالم الكتب، الرياض، ط٤.

٣٥٩- مفتاح دار السعادة لابن القيم، طبعة رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

٣٦٠- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة لابن القيم، تحقيق: عصام الدين الصبابطي.

٣٦١- مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داودي، دار القلم، دمشق، ط٢.

٣٦٢- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأحمد بن علي القرطبي، تحقيق: محي الدين مستو وآخرون، دار ابن كثير، بيروت، ط ١.

٣٦٣- مفهوم ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ للأستاذ خالد بن حمزة مدني، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ومجلة الهيئة، العدد (١٩).

٣٦٤- مقارنة بين أسلوب الحديث النبوي وأسلوب القرآن الكريم

لمصطفى أحمد الزرقا، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد، عام ١٣٩٥.

٣٦٥- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤.

٣٦٦- مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

٣٦٧- مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار نهظة مصر، القاهرة، ط٤.

٣٦٨- الملل والنحل، تحقيق: محمد فتح الله بدران، دار أضواء السلف، الرياض، ط١.

٣٦٩- من آيات الإعجاز في القرآن الكريم- جمع الشمس والقمر - للدكتور: زغلول النجار، موقع الدكتور زغلول النجار.

٣٧٠- من بلاغة القرآن في التعبير بالغدو والآصال والعشي والإبكار، إعداد: الدكتور محمد محمد عبد العليم دسوقي.

٣٧١- من معالم المنهجية الإسلامية للدراسات المستقبلية لهاني بن عبد الله الجبير، مجلة البيان، الرياض، ١٤٢٩.

٣٧٢- مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٣.

٣٧٣- مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر لعبد الرحمن بن زيد الزنيدي، دار اشبيليا، الرياض، ط١.

٣٧٤- مناهج البحث في العقيدة ليوسف بن محمد السعيد، ضمن مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم جامعة المنيا، العدد (٧)، ٢٠٠٢.

٣٧٥- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد بن عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣.

٣٧٦- المنتقى شرح موطأ مالك للقاضي سليمان الباجي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٣٧٧- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١.

٣٧٨- المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي فودة، دار الفكر.

٣٧٩- منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية، لسعود بن عبد العزيز العريفي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج (١٩)، العدد (٤٣)، ذو الحجة ١٤٢٨.

٣٨٠- منهج القرآن الكريم في عرض الظواهر الكونية لليلى بنت صالح الزامل، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوارة من كلية التربية للبنات بجدة، مطبوعة بالحاسب الآلي.

٣٨١- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير لفهد بن عبد الرحمن الرومي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

٣٨٢- المهذب في اختصار السنن الكبرى للبيهقي، أختصره محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرياض.

٣٨٣- المهذب في اختصار السنن الكبير للبيهقي، تحقيق حامد إبراهيم أحمد، ومحمد العقبي، مطبعة الإمام، مصر.

٣٨٤- الموافقات لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن القيم، الدمام، ط١.

٣٨٥- موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث للأستاذ عبد الرحيم مارديني، دار المحبة، بيروت.

٣٨٦- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ليوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط١٢.

٣٨٧- الموسوعة العربية العالمية، إعداد مجموعة من الباحثين، مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، ط٢.

٣٨٨- الموسوعة العربية الميسرة إشراف محمد شفيق غربال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصورة عن طبعة ١٩٦٥.

٣٨٩- الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ط١.

٣٩٠- الموسوعة الفلكية الحديثة، لعماد مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١.

٣٩١- الموسوعة الفلكية لفايجرت، وتسمرمان، ترجمة: عبد القوي عياد، ومحمد جمال الدين الفندي.

٣٩٢- الموسوعة الكونية الكبرى لماهر ابن أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١.

٣٩٣- الموطأ، لمالك بن أنس، تحقيق: كلال حسن علي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١.

٣٩٤- موقف أهل السنة والجماعة من تنزيل نصوص الفتن وأشراط الساعة على الحوادث، السفياني أنموذجًا، إعداد: زاهر بن محمد الشهري، رسالة ماجستير، في قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، مطبوعة بالحاسب الآلي.

٣٩٥- نار من أرض الحجاز، للدكتور: زغلول النجار، موقع الدكتور زغلول النجار.

٣٩٦- النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. عبد العزيز الطويان، دار أضواء السلف، الرياض، ط١.

٣٩٧- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، لابن حجر، تحقيق: حمدي السلفي، دار ابن كثير، دمشق، ط١.

٣٩٨- نزهة الأعين النواظر في علم الأشباه والنظائر لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣.

٣٩٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لأبي الحسن إبراهيم البقاعي، تحقيق: محمد ابن عمران الأعظمي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية.

٤٠٠- نقد ما يسمى بالتفسير العلمي للقرآن لمساعد بن سليمان الطيار، موقع ملتقى أهل التفسير.

٤٠١- نقض النظريات الكونية، لمحمد بن عبد الله الإمام، دار الآثار، صنعاء، ط١.

٤٠٢- النكت والعيون لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٠٣- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير المبارك ابن محمد الجزري، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

٤٠٤- هداية الحيران في مسألة الدوران لعبد الكريم الحميد، ط ٢.

٤٠٥- هذا هو الإسلام لمحمد متولي الشعراوي، الدار المصرية للنشر، ١٩٨٧.

٤٠٦- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدمغاني، تحقيق: محمد حسن الزّفيتي، طبعة وزارة الأوقاف

المصرية، القاهرة، عام ١٤١٦.

٤٠٧- الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١٠.

٤٠٨- الوسائل المفيدة للحياة السعيدة للشيخ: عبد الرحمن بن سعدي، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط٤.

٤٠٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

مواقع انترنت

٤١٠- منتدى الأصلين - وهو منتدى أشعري-: www.aslein.net .

٤١١- موقع الإسلام اليوم: www.islamtoday.net .

٤١٢- موقع التصوف روح الإسلام للفرقة الشاذلية: www.shazly.com.

٤١٣- موقع الدكتور زغلول النجار: www.elnaggarzr.com.

٤١٤- موقع الشيخ عبد الرحمن البراك: http://albrrak.net.

٤١٥- موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية: www.shazellia.com.

٤١٦- موقع المدينة المنورة: www.madenah-manawara.com.

٤١٧- موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا: www.wikipedia.org.

٤١٨- موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي للقرآن والسنة بمكة www.eajaz.org.

٤١٩- موقع جامعة الإيمان: www.jameataleman.org.

٤٢٠- موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة: www.kaheel7.com.

٤٢١- موقع ملتقى أهل التفسير: www.tafsir.net.

٤٢٢- موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: www.quran-m.com.

فهرس الموضوعات